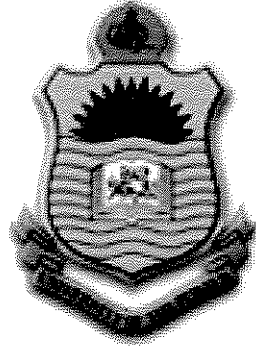


فلسفة الإيجاز البلاغي في الآيات القرآنية وأثره في الأحكام الشرعية

**Philosophy of the Rhetorical Brevity
in Quranic Ayaat and Its Affect on Islamic Laws**

(بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها)



إشراف : الأستاذ الدكتور خالقداد ملك

رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بنجاب، لاهور، باكستان

إعداد : آصف محمود

قسم اللغة العربية، الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور - باكستان

العام الجامعي : ٢٠٠٨م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

أهدي هذا البحث المتواضع:

إلى

أفصح العرب و العجم و مهبط الوحي و شفيع المذنبين و رحمة للعالمين سيدنا

محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلّم تسليماً ،

لأن حقه علينا أولى من كل شيء وشهد به الله سبحانه وتعالى:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ .

ثم إلى

والدعي الذين كانوا ولائنا لان يدعون لي خيراً فأقول:

﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ .

شكر وتقدير

قبل كل شيء أحمل في أعماق قلبي و خفائي روعي مشاعر الشكر لله سبحانه وتعالى وهو ربي ورب العالمين وكذلك لرسوله ﷺ المبعوث إلى الأحمر والأسود والعرب والعجم وهو رحمة للعالمين .

وبعد ذلك اعترف بالعرفان الجميل لأبوي الكريمين اللذين يسّر لي طريق الحياة عامة و في الحصول على العلم والمعرفة خاصة في جميع المراحل ماديا ومعنويا. ثم أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي وشيخي فضيلة الأستاذ الدكتور خالقداد ملك الذي شرفني بإشرافه عليّ في مرحلة الدكتوراة والذي أفادني بتوجيهاته المفيدة ، و آرائه السديدة و تعليقاته النفيسة ، ولقد أعطاني من وقته و توجيهاته حين أشعر بالعجز و عدم القدرة على مواصلة السير في البحث ، و جدير بالذكر أنه ليس هذا تملّقا بل هذا كله امتثالا لحديث الرسول ﷺ: {من لم يشكر الناس لم يشكر الله} . فالله أسأل أن يجزيه أحسن الجزاء ، وأن يطيل عمره في طاعته وأن يبارك له في وقته و أهله و ماله .

كما أتقدم بالشكر إلى أستاذتي و زملائي ، فمنهم الأستاذ خورشيد أحمد الذي سهّل لي كتابة البحث بإرشاده و تعليمه في استخدام الكمبيوتر والأستاذ محمد نواز الذي أفادني كثيرا بإعارة الكتب و إهداء نصح و توجيه ، و كثير من أصدقائي الآخرين الذين كانوا لي يد العون في عملية البحث ، وكذلك لا أستطيع أن أغض بصري عن مساعدة زوجتي التي عافيتني عن أداء كثير من مسؤوليتي نحو البيت و العائلة .

^١ الطبراني ، المعجم الكبير: ٣٥٦/٢ ، مكتبة العلوم والحكم الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ - ١٩٨٣ ، الموصل .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى أصحاب المكتبات المختلفة ومنهم مدير المكتبة المركزية للجامعة العالمية الإسلامية بإسلام آباد وموظفيها ، ومدير مكتبة مجمع البحوث الإسلامية و موظفيها بإسلام آباد ، ومدير مكتبة ضياء العلوم براولبندي فضيلة الشيخ إسحاق ظفر الذي يسر لي الاستفادة من هذه المكتبة .
كما أسأله سبحانه وتعالى أن يَمُنَّ علينا بالفقه في دينه وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن يحسن مقاصدنا ونياتنا ، وأن يجعل ما قدّمنا حجة لنا لاحجة علينا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله على نبينا محمد و آله و أصحابه و سلّم .

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدا لك اللهم ، سبحانك ، لا علم لنا إلا ما عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
وَصَلَاةً وَسَلَامًا عَلَىٰ مَنْ آتَيْتَهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ فَكَانَ أَفْصَحَ الْعَرَبِ وَالْعَجْمِ .
أما بعد :

فموضوع هذا البحث : " فلسفة الإيجاز البلاغي في الآيات القرآنية و أثره في
الأحكام الشرعية ". والإيجاز البلاغي باب من أبواب المعاني له مذاقه و سحره ،
وله أثر عظيم في البلاغة العربية . فإن هذا البحث بحث بلاغي قرآني في بيان صلة
البلاغة العربية بالقرآن الكريم لاسيما بالإيجاز البلاغي وما يترتب عليها من الأثر
على الأحكام الشرعية .

المدخل إلى موضوع فلسفة الإيجاز البلاغي في الآيات القرآنية

إن القرآن الحكيم عندما نزل فوصل إلى الأذهان والعقول العائشة في الوطن العربي
فسبب تيارات مختلفة ومتنوعة من التأثير حتى ظهرت ونشأت وتطورت العلوم
المختلفة والفنون المتنوعة ضمن الدراسات والتفسيرات القرآنية .
وبعبارة أخرى فإن العلوم والفنون المختلفة كالتفسير والفقه وعلم الكلام والنحو
وفقه اللغة وفلسفتها وعلم التاريخ والفلسفة والمنطق والرياضيات والجغرافية وعلم
الآثار العمرانية وعلم النفس والأخلاق وغيرها من العلوم والفنون لم تكن إلا رجع
الصدى لصوت الوحي القرآني وتأثيره بفصاحته وبلاغته في القلوب والعقول
والأذهان . إن الإيجاز البلاغي للقرآن له خصائص ومميزات يتمثل فيها إعجاز
القرآن الذي قد اعترف به حتى الأعداء في مشارق الأرض ومغاربها لاسيما في
الوطن العربي من الفصحاء والبلغاء . ومما لا شك فيه أن الإيجاز البلاغي للآيات
القرآنية هو الذي يبلغ الوحي القرآني بجماله الصوري والمعنوي قلوب المستمعين
عن طريق الأذن الواعية ، وقد حاول العلماء والأدباء والأخصائيون أن يدركوه

حسب مستويات علمهم وذوقهم ووجدانهم وأن يخصّصوا الدراسات المختلفة توصلاً إلى ذلك الهدف المنشود ، وغني عن البيان أن الإيجاز البلاغي في الآيات القرآنية هو مفتاح أساسي تفتح به أبواب أسرار الوحي القرآني ودقائقه المختلفة ، وبعبارة أخرى أن الصورة اللفظية للآيات القرآنية بفضل قوتها البلاغية تهدي المستمع والقارئ على حد السواء إلى المعنى المنطوي في تلك الصورة . ولما كان الإيجاز البلاغي هو المفتاح الأساسي للإدراك وسير أغوار تزييل الوحي القرآني فإنني رأيت من المناسب أن أركّز على هذا الإيجاز البلاغي في الآيات القرآنية وحاولت قدر المستطاع أن يكون بحثي طبق شروط منهج البحث العلمي وبعيداً عن الحشو والزوائد والإطالة و الإخلال لأنها صفات تؤدي إلى الملل والضجر وإضاعة الهدف .

أهمية الموضوع و أسباب اختياره

الإيجاز البلاغي من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام . والمراد من الإيجاز تقليل الكلام وتقريب البعيد ، وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة . وإذا كانت العبارة عن المعنى موجزة غير موضحة له ، فذلك الإيجاز ليس بمحمود بما فيه من إخلال ، وأما إذا كانت دلالة اللفظ على المعنى دلالة واضحة فذلك الإيجاز محمود وهو معتبر عند البلغاء حتى نُقل عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : ما رأيت بليغاً قطّ إلاّ وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة^٢ .

إن الإيجازَ قسمان : وجيز بلفظ و وجيز بحذف ، فالوجيز باللفظ أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة من غير حذف^٣ ، وأما الوجيز بالحذف

^٢ راجع : أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص : ١٨٠ ، تحقيق : علي محمد البحاري و محمد

أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧١ .

^٣ راجع : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٢٢١/٣ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية،

٥١٤٠٠ ، ١٩٨٠ م ، دار الفكر - بيروت .

فهو إسقاط جزء الكلام أو كله بوجود القرينة الدالة على المحذوف^٤ ، فتكثر المعاني في إيجاز الحذف مقابل الألفاظ ، وإن لم توجد قرينة على المحذوف فذلك الإيجاز إخلال في التعبير غير مقبول في الكلام .

إن قسم الإيجاز البلاغي الذي وجيز باللفظ سماه البلاغيون إيجاز القصر وهو نوع مهم من نوعي الإيجاز البلاغي، ومدار النظر في هذا النوع أنه يختص بالمعاني الكثيرة بدون الحذف ، وخير تشبيه في ذلك ما شبهه ابن الأثير^٥ بالجوهرة وقال: "ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة إلى الدراهم الكثيرة ، فمن ينظر إلى طول الألفاظ يؤثر الدراهم بكثرتها ، ومن ينظر إلى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفاستها^٦ ." وكذلك قيل في تعريف الإيجاز بالقصر : " هذا القسم من الإيجاز في البلاغة موقع عظيم ، دقيق الجري ، صعب المرتقى ، لا يختص به من أهل الصناعة إلا واحد بعد واحد^٧ ."

و من الملحوظ أن هذا النوع من الإيجاز البلاغي قد يختلف من إيجاز الحذف بكثير، وذلك بأن الحذف البلاغي له أدلة وأنواع وأغراض كثيرة ، وأما الإيجاز بالقصر فإن الأمر يختلف فيه تماما، وقال ابن الأثير مشيراً إلى صعوبة هذا النوع : "إن التنبه

^٤ نفس المصدر : ١٠٢/٣ .

^٥ هو محمد بن نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الموصللي المعروف بابن الأثير الجزري، (٥٨٥ - ٦٢٢) هـ ، صاحب المثل السائر ، راجع لترجمته : ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٣٨٩/٥ - ٣٩١ ، تحقيق د. إحسان عباس ، الطبعة الثانية ١٣٦٤ هـ ، مطبعة أمير ، قم ، إيران ، والزركلي ، الأعلام : ١٢٥/٧ ، دارالعلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

^٦ ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر : ٢ / ٢٥٥ .

^٧ يحيى بن حمزة العلوي اليمني ، كتاب الطراز : ٢٩٥ ، مراجعة وتدقيق : محمد عبدالسلام شاهين ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م ، دارالكتب العلمية ، بيروت .

له عسر ، لأنه يحتاج إلى فضلٍ تأمّلٍ ، وطول فكرة الخفاء ما يستدل عليه ، ولايستنبط ذلك إلا من رَسَتْ قدمُه في ممارسة علم البيان وصارله خليقة وملكة ^٨ .
 و أما القسم الثاني للإيجاز البلاغي الذي سَمَّاه البلاغيون بالحذف ، هو مبحث بلاغي ونحوي ويقول الجرجاني ^٩ في وصفه ، و روائع ثماره ، وبديع آثاره :
 "هو بحث دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ^{١٠} ."

والإيجاز البلاغي منهج واسع وحكيم من مناهج اللغة العربية لا بديل له ، وبلاغة هذا الأسلوب هي تحريك الشعور ، وتشويق النفس إلى عقبى الكلام كيف تكون ، فيتمكن المعنى في النفوس كل التمكن، لأن النفس إذا ظفرت بالشيء بعد انتظاره استقر ذلك الشيء فيها. وقد شاع هذا الأسلوب في القرآن الكريم شيوعاً، إذ لم تكذب تخلو منه سورة من سوره ولا آية من آياته ، والمعاني التي يدل عليها لا حصر لها . فالإيجاز البلاغي بهذا المعنى موجود في القرآن الكريم وينطوي على معان جمة يعجز الانسان عن إيفاء حقها من البيان ، لأن الله تعالى الذي أتقن كل شيء هو أودع المعاني في الألفاظ القرآنية فهي من جوامع الكلم .

وجدير بالذكر أننا نجد في كثير من تراكيب القرآن إيجازاً بلاغياً إما على سبيل الحذف ، وإما على سبيل الاختصار بدون الحذف ولكننا لانعثر على تركيب من

^٨ ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٢ / ٢٦٤ - ٢٦٥ .

^٩ هو عبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، أبو بكر (المتوفى : ٤٧١ هـ - ١٠٧٨ م) واضع أصول البلاغة ، كان من أئمة اللغة ، وكان من أهل جرجان (بين طبرسات وخراسان) . من كتبه : أسرار البلاغة ، و دلائل الإعجاز ، راجع : الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ٤٣٣/١٨ - ٤٣٤ ، الطبعة الحادية عشر ، ٢٠٠١ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، والزركلي ، الأعلام : ٤٨/٤ - ٤٩ .

^{١٠} راجع : الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : ١١٢ ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

التراكيب يخلو من دليل عليه من لفظ أو سياق ، وبذلك أصبح القرآن معجزة خالدة لأن الإعجاز في الإيجاز نهاية إعجاز .

فنظرا إلى هذه الوجازة المعجزة للتتريل رأيت من المناسب أن أركز في البحث على الأثر الذي وقع في آراء المفسرين و الفقهاء من جهة رعاية الإيجاز البلاغي وعدمها أثناء استنباطهم من القرآن الكريم . فقد بذلت فيه قصارى جهدي محاولا في ذلك كله الوصول إلى الصواب ما استطعت إليه سبيلا ، غير أن قلة بضاعتي ، و صعوبة هذا البحث ، و تشعب مباحثه ثنتني عن كثير مما أردت .

و من الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع :

أ - عندما بدأت تعلم اللغة العربية ودرستها على الأساتذة الكرام في مراحل التعليم المختلفة فإن وراء كل هذه الرغبة كان هناك دافع وحافز قوي وهو حُبِّي لهذه اللغة لأنها لغة القرآن والسنة النبوية ولغة العلوم والمعارف العربية الإسلامية . فلذلك لما قصدت أن أكتب رسالتي للدكتوراة في اللغة العربية وآدابها فكان من الطبيعي أن أختار موضوعا من المواضيع التي تتعلق بالدراسات القرآنية .

ب - إن معرفة الإيجاز البلاغي تساعد كثيرا في فهم النصوص القرآنية وتفسيرها بشكل صحيح عند تطبيقها على النظم القرآني ومن يراعي برعاية الإيجاز البلاغي خلال دراسة النصوص القرآنية يُحظى بحظ وافر في استنباط الأحكام منها ، ومن لم يراعه في استنباطه للأحكام الشرعية أبعد موقفه هذا أحيانا من الفهم الصحيح أو وقف على الظواهر دون المغزى .

ج - كما أن هذه المعرفة تُعد من العناصر التي تخفف من حدة الخلاف في فهم النصوص القرآنية و في استنباط الأحكام منها لأن الاختلاف في استنباط الأحكام ينشأ كثيرا من سوء الفهم أو عدم الرعاية اللغوية ، فإذا رعاها الإيجاز البلاغي خلال دراسة النصوص القرآنية تساعد في فهم النصوص فهما صحيحا وبذلك يمكن من تقليل الاختلاف .

د - إن دراسة النصوص القرآنية واستنباط الأحكام منها برعاية الإيجاز البلاغي تبين للطالب والباحث الأغراض السامية التي من أجلها وضع تركيب الكلام من تكثير المعاني وتقليل الألفاظ و ترشده إلى المقصود بطريق الصواب فيزداد إيماناً أنه كلام خالق الناس المتميز عن كلام المخلوق .

هـ - إن كان العلماء في عبر القرون قد بذلوا جهوداً قيمة كثيرة في الدراسات القرآنية تحليلاً وتطبيقاً برعاية البلاغة إلا أن الكتابة في موضوع "فلسفة الإيجاز البلاغي و أثره في الأحكام الشرعية" قليلة نادرة ومنتشرة في الآلاف من المصنفات، فلا أعلم أحداً تناول هذا الموضوع بشكل جامع في تأليف خاص له ، مما يؤكد أهمية هذا البحث والحاجة إلى الكتابة فيه .

و - إن هذا البحث يعد سهماً مني في جمع حكمة الإيجاز في الآيات المختلفة و دراسة أثره في الأحكام المستنبطة منها وذلك كان منتشرًا هنا وهناك في التراث الإسلامي ، وتقويماً للجهود المبذولة في هذا المجال .

ز - إن القرآن يرجع إليه الفضل في توجيه اللغة العربية والعلوم التي قد نشأت وتطورت عبر القرون في ظل تأثير لغة الوحي القرآني المتميزة بفصاحتها وبلاغتها فمن تلك العلوم البلاغة العربية ، فإن هذا البحث بحث بلاغي قرآني في بيان صلة القرآن بالبلاغة العربية لاسيما بالإيجاز البلاغي وما يترتب عليها من الأثر على الأحكام الشرعية المستنبطة من الآيات المختلفة .

ح - ثم إن الباحث في مثل هذا الموضوع يكون مضطراً إلى النظر في العلوم المختلفة تمكنه من الإطلاع على التفسير والحديث والفقہ وإلى كثير من العلوم والفنون .

ط - إن الحذف نوع مهم من نوعي الإيجاز البلاغي و الباحث يجد في كل زمان من الجديد بقدر توفيق الله إياه عند الغوص والإمعان في باب الحذف في القرآن

الكريم لأن عجائب القرآن لا تنقطع ، و تتكشف أسراره في كل زمان لم تكن معروفة من قبل .

لهذه الاعتبارات مجتمعة أقدمت على الكتابة في هذا الموضوع .

خطة البحث

لما أبرمت أمر اختيار الموضوع لرسالتي فشرعت في جمع المواد ثم رتبت هذه المواد والمعلومات ترتيباً مناسباً بعد عملية انتقاء ورد وقبول وبذلت قصارى جهدي أن أتقدم إلى إصدار بحثي في شكله النهائي طبق الخطة المرسومة و قد اقتضت طبيعة الموضوع منّي جعل البحث في :

مقدمة ، و أربعة أبواب ، و خاتمة ، و تفصيلها على النحو التالي :

أ - المقدمة : تكلمت فيها عن أهمية الموضوع و أسباب اختياره ، و الخطة التي سرت عليها ، و المنهج الذي سلكته في معالجة مسائل البحث .

ب - الأبواب :

الباب الأول : مفهوم الإيجاز

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مفهوم الإيجاز لغة واصطلاحاً

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الإيجاز لغة

المبحث الثاني : الإيجاز اصطلاحاً

المبحث الثالث : دواعي الإيجاز و مواقعه

الفصل الثاني : أنواع الإيجاز

وفيه مبحثان :

المبحث الأوّل : إيجاز القصر (النوع الأول للإيجاز البلاغي)

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : إيجاز المساواة

المطلب الثاني : إيجاز التقدير

المطلب الثالث : الإيجاز الجامع

المبحث الثاني : إيجاز الحذف (النوع الثاني للإيجاز البلاغي)

و فيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى الحذف

وفيه فرعان :

الفرع الأول : الحذف لغة

الفرع الثاني : الحذف إصطلاحاً

المطلب الثاني : أدلة الحذف

وفيه ثمانية فروع :

الفرع الأول : الدليل الحالي

الفرع الثاني : الدليل الشرعي

الفرع الثالث : الدليل العقلي

الفرع الرابع : دلالة العادة

الفرع الخامس : دلالة العقل على الحذف والشروع في الفعل على تعيين

المحذوف

الفرع السادس : دلالة إقتران الكلام بالفعل

الفرع السابع : دلالة التصريح به في مقام آخر

الفرع الثامن : دلالة الصناعة النحوية

المطلب الثالث : أسباب الحذف

و فيه ثلاثة عشر فرعاً :

الفرع الأول : الاختصار والاحتراز

- الفرع الثاني : التنبيه
- الفرع الثالث : التفخيم والإعظام
- الفرع الرابع : رعاية الفاصلة
- الفرع الخامس : التخفيف
- الفرع السادس : صيانة اللسان عنه تحقيراً
- الفرع السابع : تعيُّنه
- الفرع الثامن : صيانتته عن اللسان تشريفاً
- الفرع التاسع : الإنكار عند الحاجة
- الفرع العاشر : بيان بعد الإبهام
- الفرع الحادي عشر : إيقاع الفعل على صريح المفعول
- الفرع الثاني عشر : حذف المفعول تعميماً و اختصاراً
- الفرع الثالث عشر : حذف المفعول لإستهجانه
- المطلب الرابع : أنواع الحذف
- وفيه ثمانية فروع :
- الفرع الأول : الاقتطاع
- الفرع الثاني : الاكتفاء
- الفرع الثالث : الاستدلال لشيئين بفعل واحد
- الفرع الرابع : الضمير والتمثيل
- الفرع الخامس : اقتضاء الكلام لشيئين و اقتصار على أحدهما
- الفرع السادس : أن يُذكر شيئان و يعود الضمير إلى أحدهما
- الفرع السابع : الاحتباك
- الفرع الثامن : الاختزال
- الفصل الثالث الفرق بين الإيجاز والإطناب والمساواة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الإيجاز و الإطناب و المساواة عند علماء البلاغة

المبحث الثاني : منزلة الإيجاز و الإطناب و المساواة في البلاغة

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : منزلة المساواة في البلاغة

المطلب الثاني : منزلة الإطناب في البلاغة

المطلب الثالث : منزلة الإيجاز في البلاغة

المبحث الثالث : الإطناب أفضل أم الإيجاز

الباب الثاني : فلسفة إيجاز القصر في الآيات القرآنية

وفيه فصلان :

الفصل الأول : فلسفة إيجاز التقدير في الآيات القرآنية

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : بيان آيات مُلكِ الله ليتأمل الإنسان في قدرته و حكمته و تدبيره

المبحث الثاني : التأديب في الحلف بالله

المبحث الثالث : من جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف

المبحث الرابع : الأمن الحقيقي

المبحث الخامس : الحكم في الذين ينقضون العهد

المبحث السادس : حكاية اعتزال إخوة يوسف عن الناس و نجوتهم فيما بينهم

المبحث السابع : البرهان المنطقي على أساس التوحيد " لا إله إلا الله "

المبحث الثامن : سنة الله تعالى في المسرفين

المبحث التاسع : تقرير خلق الإنسان و علمُ الله بأحواله

الفصل الثاني : فلسفة الإيجاز الجامع في الآيات القرآنية

وفيه ثمانية عشر مبحثاً :

- المبحث الأول : الدلالة على ركوب البحر غازيا وتاجرا ومُبتَغِيًّا لسائر المنافع
- المبحث الثاني : القصاص حياة
- المبحث الثالث : الخلق و الأمر لله تعالى
- المبحث الرابع : أجمع آية في مكارم الأخلاق
- المبحث الخامس : تصوير الحال لغرق قوم نوح مع الإيجاز من غير إخلال
- المبحث السادس : الدلائل الواضحة على قدرة الله تعالى
- المبحث السابع : الآية الجامعة في بيان مسئولية الرسالة
- المبحث الثامن : أجمع آية في المأمورات و المنهيات
- المبحث التاسع : الإرشاد في الدعوة
- المبحث العاشر : أجمع آية في محامد الله تعالى
- المبحث الحادي عشر : الآية الجامعة في بيان أسباب الفوز في الدنيا و الآخرة
- المبحث الثاني عشر : من مكر بأخيه فعاد مكره عليه
- المبحث الثالث عشر : صفة خمر أهل الجنة
- المبحث الرابع عشر : تحذير الناس من خيانة النفس والأعين
- المبحث الخامس عشر : صفة جنة الخلد
- المبحث السادس عشر : أجمع آية على عواقب الدنيا والآخرة
- المبحث السابع عشر : أجمع آية في الزجر و التوبيخ مع بيان رحمته تعالى للإنسان
- المبحث الثامن عشر : البشرى بالخير الكثير
- الباب الثالث : فلسفة إيجاز الحذف في الآيات القرآنية
- وفيه ثلاثة فصول :
- الفصل الأول : فلسفة قصد العموم في الآيات القرآنية
- وفيه ثلاثة وعشرون مبحثا :
- المبحث الأول : العموم في الاستعانة

- المبحث الثاني : العموم في النعمة و الرهبة
- المبحث الثالث : العموم في وكالة الله تعالى وحفظه إلى الخلق كله
- المبحث الرابع : العموم في الحكم بتقوى الله
- المبحث الخامس : جميع ما استقر وتحرك في العالمين لله سبحانه و تعالى
- المبحث السادس : المجادلة بين فرعون و قومه في موسى و قومه
- المبحث السابع : العموم في العتاب على بني إسرائيل لطلبهم أصناما لهم
- المبحث الثامن : العموم في صفات المنافقين و المنافقات
- المبحث التاسع : العموم في دعوة الله تعالى إلى دار السلام
- المبحث العاشر : عاطفة الشيطان الثأرية و إقراره بها
- المبحث الحادي عشر : القرآن تذكير
- المبحث الثاني عشر : حكاية قول الكافرين في إدعائهم للرحمان ولدا
- المبحث الثالث عشر : تخليق الإنسان من التراب بمراحل دليل على البعث
- المبحث الرابع عشر : الأمر بالاجتناب من الشرك
- المبحث الخامس عشر : القرآن كتاب مبين و موضح
- المبحث السادس عشر : من غايات نزول القرآن الإنذار
- المبحث السابع عشر : إن الله تعالى ينتقم من الكافرين
- المبحث الثامن عشر : رعاية الأدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ
- المبحث التاسع عشر : تكذيب عاد لهود - عليه السلام - سبب في تعذيبهم
- المبحث العشرون : الإفساح في المجالس سبب إلى الإفساح في الدنيا و الآخرة
- المبحث الحادي والعشرون : بيان ظاهر حال المنافقين
- المبحث الثاني والعشرون : إن الله خالق الأشياء كلها
- المبحث الثالث والعشرون : العموم في التقدير والهداية من الله
- الفصل الثاني : رعاية الفاصلة**

يشتمل هذا الفصل على مدخل و أحد وثلاثين مبحثاً :
المدخل

وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول : السجع في اللغة

المطلب الثاني : السجع في الاصطلاح

المطلب الثالث : الفواصل في اللغة

المطلب الرابع : الفواصل في الاصطلاح

المطلب الخامس : الفرق بين الفواصل ورؤوس الآيات

المطلب السادس : الفرق بين الفواصل و السجع

المطلب السابع : ورود الفواصل في القرآن

المبحث الأول : الأمر بذكر الله و بالشكر له

المبحث الثاني : أن الله لا يظلم عباده

المبحث الثالث : مجادلة قوم لوط معه عليه السلام

المبحث الرابع : و ما من ولي من دون الله تعالى

المبحث الخامس : الأجل لا يسبق و لا يتأخر

المبحث السادس : ذكر جمال الأنعام عند رَوْحِهَا بالعشي و سرحها بالغداة

المبحث السابع : إن الله محيط بعلمه السر و الجهر

المبحث الثامن : المقام المطلوب من موسى - عليه السلام - للقاء مع العبد الصالح

المبحث التاسع : التوجيهات لموسى و هارون - عليهما السلام - في دعوة فرعون

المبحث العاشر : أن الله هدى كل شيء إلى مصالحه

المبحث الحادي عشر : إخراج آدم و زوجته - عليهما السلام - من الجنة

المبحث الثاني عشر : شكوى النبيين إلى الله في قومهما

المبحث الثالث عشر : عصاء موسى - عليه السلام - تلقف ما يَفِكون

- المبحث الرابع عشر : أصنام المشركين لا ينفعهم و لا يضرهم
- المبحث الخامس عشر : ذكر إبراهيم - عليه السلام - نِعَمَ الله تعالى عليه
- المبحث السادس عشر : دعوة الأنبياء قومهم إلى طاعتهم
- المبحث السابع عشر : الذاكرون لأنعم الله قليلون
- المبحث الثامن عشر : وعد الأجر العظيم
- المبحث التاسع عشر : عاقبة المكذبين
- المبحث العشرون : إن الكافرين في شك عن العذاب
- المبحث الحادي والعشرون : نصيحة الرجل المؤمن لفرعون و قومه
- المبحث الثاني و العشرون : الإنذار من عذاب الله
- المبحث الثالث والعشرون: الكفار لا يستطيعون السجود في الآخرة رغم رغبتهم لها
- المبحث الرابع والعشرون : خلق الله الإنسان من علقة ثم سوّاه
- المبحث الخامس والعشرون : من طغى و آثر الحياة الدنيا فالجحيم مأواه
- المبحث السادس والعشرون: من خاف مقام ربه و نهي نفسه عن الهوى فالجنة مأواه
- المبحث السابع والعشرون : حذف الياء في الفواصل
- المبحث الثامن والعشرون : الإنسان عجول يئوس
- المبحث التاسع والعشرون : التسلية من الله للرسول ﷺ
- المبحث الثلاثون : دين المسلمين التوحيد و دين الكافرين الإشراك
- الفصل الثالث قصد البيان بعد الإبهام**

وفيه خمسة عشر مبحثا :

- المبحث الأول : الزجر و الوعيد على المنافقين
- المبحث الثاني : لو شاء الله لَجَمَعَ على الهدى جميع خلقه
- المبحث الثالث : احتجاج المشركين على أن ما ارتكبه حق و مرضي عند الله
- المبحث الرابع: التحذير للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب من كانوا قبلهم

- المبحث الخامس : العفو عن موسى عليه السلام
- المبحث السادس : قصة الرجل الذي صار من زمرة الضالين بعد أن كان مهتدياً
- المبحث السابع : دعوى الكفار باستطاعة المعارضة للقرآن الكريم
- المبحث الثامن : الإبطال لدعوى الكفار أن القرآن ليس من عند الله
- المبحث التاسع : الإيمان لا يحصل إلا بمشيئة الله تعالى و بإرشاده و هدايته
- المبحث العاشر : إن بعثة محمد ﷺ كرسول للعالم كله
- المبحث الحادي عشر : مشيئة الله في هداية النفوس
- المبحث الثاني عشر : تعللات الكفار في التكذيب والإعراض عن الرسل
- المبحث الثالث عشر : الردُّ على مقالة الكُفَّار
- المبحث الرابع عشر : إن الله أنبت الزرع و أبقاه برحمته ولو شاء لجعله حطاماً
- المبحث الخامس عشر : التذكير بنعمة الماء
- الباب الرابع : أثر الإيجاز البلاغي في الأحكام الشرعية
- وفيه ثلاثة فصول :
- الفصل الأول : أثر الإيجاز البلاغي في العقائد
- وفيه أحد عشر مبحثاً :
- المبحث الأول : القرآن هداية للمتقين الذين يؤمنون بالغيب
- المبحث الثاني : الخير والشر بيد الله تعالى
- المبحث الثالث : القول بالتثليث
- المبحث الرابع : يوسف و امرأة العزيز
- المبحث الخامس : مشيئة الله تعالى في الهداية للناس كلهم
- المبحث السادس : نسبة الإتيان و الجيء إلى الله
- المبحث السابع : الدليل العقلي على التوحيد
- المبحث الثامن : كيفية جنة الخلد

المبحث التاسع : الإقرار بتوحيد الله

المبحث العاشر : يوم البعث

المبحث الحادي عشر : معنى الضلالة أثناء نسبتها إلى الرسل

الفصل الثاني : أثر الإيجاز البلاغي في المعاملات

و فيه أحد وعشرون مبحثاً :

المبحث الأول : حكم الإحسان بالوالدين

المبحث الثاني : الحرام من المأكول .

المبحث الثالث : الإنفاق في فك الرقاب

المبحث الرابع : حكمة القصاص

المبحث الخامس : الحيض و أحكامه

المبحث السادس : المحافظة على الصلوات في حالة الخوف

المبحث السابع : النهي عن بطلان الصدقة باليمن و الأذى

المبحث الثامن : الربا و أضراره على الفرد و الجماعة

المبحث التاسع : تعظيم رابطة القرابة و حق الرحم

المبحث العاشر : المحارم من النساء

المبحث الحادي عشر : ميراث الكلالة و أحكامها

المبحث الثاني عشر : عدة اليائسة و الصغيرة

المبحث الثالث عشر : أصول الأخلاق الإجتماعية

المبحث الرابع عشر : إعلان براءة الله و رسوله من المشركين

المبحث الخامس عشر : فضل المؤمن المجاهد على صاحب سقاية الحاج و عمارة

المسجد الحرام

المبحث السادس عشر : بيان الرضا بقسمة الله و رسوله ، وما يترتب على مخالفته

المبحث السابع عشر : إقدام المنافقين على اليمين الكاذب و بيان إرضاء الله

المبحث الثامن عشر : الطريق الوسط بالصلاة

المبحث التاسع عشر : حذف جواب "لولا" ليدلّ تهويله على تفخيم مضمون

الشرط

المبحث العشرون : قذف المحصنات

المبحث الحادي والعشرون : الخبيثات للخبيثين و الطيبات للطيبين

الفصل الثالث : أثر الإيجاز البلاغي في العبادات

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : حكم العزيمة و الرخصة في فرضية الصيام

المبحث الثاني : حكم الهدي حالة الإحصار في الحج

المبحث الثالث : تحريم الصلاة في حالة السكر

المبحث الرابع : فرضية الوضوء و التيمم

المبحث الخامس : أجمع آية في القرآن للخير و الشر

المبحث السادس : تقدير حذف في البسملة

ج - الخاتمة : و فيها أهم نتائج البحث .

منهجي في البحث

وأما المنهج الذي سلكته في هذا الموضوع هو منهج معيّن التزمته به قدر الإمكان

فيتمثل فيما يأتي :

- ١ - الرجوع إلى المصادر الأصلية في البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلا .
- ٢ - الحرص على الأمانة العلمية في غزو الأقوال إلى قائلها ، وبذل الجهد في نقل قول القائل من كتابه - إن تمكنت من ذلك - وإلا نقلته من الكتب المعتمدة .
- ٣ - الحرص على تدعيم البحث بالنصوص الشرعية من الكتاب و السنة و التفاسير ونصوص الفقهاء مع تمييز كل ذلك بعلامات التنصيص ، و الأقواس .

٤ - بيان مواضع الآيات القرآنية في المصحف ، وذلك بذكر اسم السورة و رقم الآية .

٥ - تخريج الأحاديث النبوية الواردة في ثنايا البحث من كتب الأحاديث المشهورة.

٦- تخريج الشواهد الشعرية من دواوين قائلها إن تمكنت من ذلك ، وإلا ذكرت من ذكرها من العلماء .

٧- تخريج الأمثال العربية من كتب الأمثال المشهورة مع ذكر قائلها إن تمكنت من ذلك ، وإلا ذكرت من ذكرها من العلماء .

٨- تعريف ما يحتاج إلى تعريف لغوي أو اصطلاحي .

٩- ترجمة معظم الأعلام الواردة في الرسالة ، ومن لم أقف له على ترجمة مطبوعة أشرت إلى ذلك ، وهذا ما يكون في المعاصرين الأحياء .

١٠ - حرصت على تنسيق مادة الرسالة و ترتيبها و تنظيمها و عرضها بشكل يساعد على سهولة استيعابها وذلك بأني وضعت أسماء المباحث الواردة في الرسالة بمناسبة موضوع الآية التي أقيم المبحث عليها ، وعرضت تلك المباحث في كل باب حسب ترتيب السور والآيات في القرآن الكريم ، وقد يقع في هذه الرسالة من تكرير الآية الواحدة في مبحثين ، فذُكرت في أحد المبحثين لأجل النوع الذي يليق بذلك المبحث ، و ذُكرت في المبحث الآخر لأجل النوع الآخر المتعلق بالمبحث الآخر .

١١ - سلكت في عرض مباحث الرسالة بعرض الآية القرآنية فيها الإيجاز البلاغي ، ثم أشرت إلى أنه إيجاز بالقصر أو إيجاز بالحذف ، ثم إلى تقدير المحذوف مع المقارنة بآراء العلماء بالتحليل والاستخلاص إذا كان ذلك الإيجاز إيجازا بالحذف ، وأما إذا كان ذلك الإيجاز إيجازا بالقصر أشرت إلى كثرة معانيه بذكر آراء العلماء من المصادر المعتبرة مع التحليل و الاستنتاج قدر الاستطاعة .

١٢ - إن جميع المباحث في الباب الثاني و الثالث و الرابع مبنية على آية من آيات الأحكام ، وانفرد كل مبحث منها عن الأخرى تفردا كاملا من جهة الموضوع ، و أما القدر المشترك في كلها فهو الإيجاز البلاغي .

١٣ - ذكر بعض المصطلحات و العلامات التي أوردتها في البحث :

أ - قد اقتصرَ في بعض المراجع على ذكر "د. ت" اختصارا لـ "دون التاريخ" ، وذلك غالبا في المراجع التي لم يوجد فيها تاريخ الطبعة .

ب - ما ذكرته بين ظفرين "....." فهو منقول حرفيا غالبا ، و أما ما تصرفت فيه أو نقلته بمعناه فلا أضع الظفرين .

ج - ذكرت الآيات القرآنية الواردة في البحث غالبا بين القوسين مثل: ﴿...﴾ .

د - ذكرت الأحاديث النبوية الواردة في البحث غالبا بين القوسين مثل: {...} .

١٤ - وضعت الفهارس العلمية في آخر البحث تسهل الاستفادة منها وهي :

أ - فهرس الآيات القرآنية .

ب - فهرس الأحاديث النبوية .

ج - فهرس الأعلام المترجمة في الحواشي .

د - فهرس الشواهد الشعرية .

هـ - فهرس الأمثال العربية .

و - فهرس المصادر والمراجع .

ز - فهرس الموضوعات .

ورغم ما بُذل في هذا البحث من جهد فإنه لا يخلو من أخطاء شأن كل أعمال البشر ، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى ، وما كان من خطأ فمن نفسي . وإنني أرى من المناسب أن أعترف بقلّة بضاعتي وأقول أنه رغم القراءات المتكررة للرسالة و محاولة التحسين و التهذيب و التنضيج إلا أنه في كل مرّة تظهر أخطاء وتعديلات ، وصدق من قال : " إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابه في يومه إلا

قال في غده : لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زُيِّدَ لكانَ يستحسن ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر^{١١}.

أسأل الله تعالى أن يأخذ بيدي في المضايق ، ويوفقني لما يحب ويرضى ، و يعصمني من الزلل و يقيني من مصارع السوء ، ويكفيني في جميع أموري ، ويلطف بي في سائر تصرفاتي ، كما أسأله أن يعم نفع هذا البحث ، و أن يغفر لي ولوالدي وللمؤمنين ، والحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على نبينا محمد رحمة للعالمين وعلى آله و أصحابه تسليما .

^{١١} تنسب هذه المقولة إلى القاضي الفاضل البيساني في رسالة أرسل بها إلى عماد الدين الأصفهاني ، راجع : حاجي خليفة، كشف الظنون : ١/١٨ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

الباب الأول

Meanings of Brevity مفهوم الإيجاز

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : مفهوم الإيجاز لغة واصطلاحاً

الفصل الثاني : الإيجاز وأقسامه

الفصل الثالث : الفرق بين الإيجاز والإطناب والمساواة

الفصل الأول : مفهوم الإيجاز لغة واصطلاحاً

Literal and Technical Meanings of brevity

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : الإيجاز لغة

المبحث الثاني : الإيجاز اصطلاحاً

المبحث الثالث : دواعي الإيجاز و مواقعه

المبحث الأول : الإيجاز لغة

الإيجاز في اللغة مصدر أوجز ، وهو مأخوذ من مادته الأصلية : وَجَزَ يَجْزُ وَجْزًا . وتدور هذه المادة في أبواب مختلفة بأشكال كثيرة ولا تخرج معانيها من مفهوم القلة والاختصار و سرعة الأداء . كما ذكر الفراهيدي^١ : وَجَزَ : أَوْجَزْتُ فِي الْأَمْرِ : اختصرتُ و الوجْزُ : الوَحَاءُ ، تقول أَوْجَزَ فُلَانٌ إِيحَازًا فِي كُلِّ أَمْرٍ ، وَقَدْ أَوْجَزَ الْكَلَامَ وَالْعَطِيَّةَ وَأَمْرٌ وَجِيزٌ : مُخْتَصِرٌ ، وَكَلَامٌ وَجِيزٌ^٢ . وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ^٣ فِي وَجَزَ : "كلام وجز و وجيز إذا كان بليغاً و رجل وجز و امرأة وجزرة سريعة الحركة"^٤ .

^١ هو أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي (١٠٠ - ١٧٠ أو ١٧٥) هـ : من أئمة اللغة والأدب ، وكتابه العين من أجل كتب المعاجم و أقدمها ، و هو واضع علم العروض ، وله معرفة بالإيقاع والنغم ، وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض ، وهو أستاذ سيبويه النحوي ، ولد ومات في البصرة ، وعاش فقيراً صابراً ، راجع : ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب : ١٦٣/٣ - ١٦٤ ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٦ هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الهند ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٢/٢٤٤ - ٢٤٨ ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٨ هـ ، مطبعة أمير ، قم ، إيران ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء : ٦/٢٥٧ - ٢٥٨ ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^٢ كتاب العين ، خليل الفراهيدي : ١٦٦/٦ ، دار الهجرة ، قم ، إيران ، ١٤٠٥ هـ .

^٣ هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية أبو بكر الأزدي اللغوي (٨٣٨ - ٩٣٣ م) ، ولد في البصرة و ورد بغداد بعد أن أسن فأقام بها إلى آخر عمره و مات و دفن بها . كان إمام عصره في اللغة والآداب والشعر وكان واسع الحفظ ، و لَمَّا مات قال الناس مات علم اللغة بموت ابن دريد ، ومن كتبه المشهورة كتاب "الجمهرة" وهو من الكتب المعتمدة في اللغة في ثلاثة مجلدات ، أضاف إليها المستشرق كرنكو مجلدا رابعا للفهارس ، وله كتاب "الاشتقاق" في الأنساب ، وكتاب "السراج واللحام" . راجع : ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٤/٣٢٣ - ٣٢٨ ، الطبعة الثانية ١٣٦٤ م ، مطبعة أمير ، قم ، إيران ، والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١/٢٧٨ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، و الزركلي ، الأعلام : ٦/٨٠ ، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م ، دارالعلم للملادين ، بيروت .

^٤ ابن دريد ، جمهرة اللغة : ٢/٩٢ ، و ٣/٤٢٦ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٥١ هـ .

وذكر ابن منظور ° الإيجاز تحت المادة : "وَجَزٌ" بألفاظٍ مختلفة ، منها كما يلي :
 وجز: وَجَزَ الْكَلَامُ وَجَازَةً وَوَجَزًا . أَوْجَزَ : قَلَّ فِي بِلَاغَةٍ ، وَ أَوْجَزَهُ : اخْتَصَرَهُ .
 كَلَامٌ وَجِزٌ : خَفِيفٌ ، وَ أَمْرٌ وَجِزٌ وَ وَاجِزٌ وَ وَجِيزٌ وَ مُوَجِّزٌ . وَالْوَجِزُ : الْوَحَى ؛
 يُقَالُ : أَوْجَزَ فُلَانٌ إِيجَازًا فِي كُلِّ أَمْرٍ وَ أَمْرٌ وَجِيزٌ وَ كَلَامٌ وَجِيزٌ أَي : خَفِيفٌ مُقْتَصِرٌ .
 وَأَوْجَزْتُ الْكَلَامَ : قَصَرْتُهُ ، وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ ٦ قَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : { "إِذْ قُلْتَ
 فَأَوْجِزْ ٧ " } أَي : أَسْرِعْ وَاقْتَصِرْ . وَ تَوَجَّزْتُ الشَّيْءَ : مَثَلُ تَنْجِزْتَهُ . وَ رَجُلٌ مِيجَازٌ :
 يُوجِزُ فِي الْكَلَامِ وَالْجَوَابِ . وَ أَوْجَزَ الْقَوْلَ وَالْعَطَاءَ : قَلَّهْ ، وَهُوَ الْوَجِزُ . وَ رَجُلٌ
 وَجِزٌ : سَرِيعُ الْحَرَكَةِ فِيمَا أَخَذَ فِيهِ . وَ وَجِزَةٌ : فَرَسٌ يُزِيدُ ٨ بِنِ سَنَانٍ ، وَهُوَ مِنْ

° هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الإفريقي (٦٣٠-٧١١) هـ الإمام اللغوي الشهير. ومن أهم كتبه ، لسان العرب و مختار الأغاني ، راجع : ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : ١٦١/٤-١٦٢ ، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، والزركلي، الأعلام: ١٠٨/٧ ، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٦ هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر البجلي ؓ (المتوفى : ٥٥٤ هـ) الصحابي الشهير يكنى أبا عمرو . وفد على النبي ﷺ في شهر رمضان سنة عشر ، وبعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الكلاع وذي ظليم باليمن . وكان جرير جميلا حتى قال عمر ؓ هو يوسف هذه الأمة ، وقدمه عمر ؓ في حروب العراق على جميع بجيلة . سكن جرير الكوفة وأرسله علي ؓ رسولا إلى معاوية ؓ ثم اعتزل الفريقين و سكن قرقيسيا حتى مات بها ، راجع : العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة : ١/٢٣٣-٢٣٤ ، و ابن عبد البر ، الاستيعاب : ١/٢٣٤ ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، ١٩٣٩م .

٧ ابن الجوزي ، غريب الحديث : ٤٥٥/٢ ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، إلا أنني لم أجد هذا الحديث في كتب الأحاديث غير كتب العمال ، و روي هناك كأثر أبي بكر ؓ في هذا المعنى الذي كان ينصح عمرو بن العاص عندما أرسله على جيش إلى الشام فقال " إذا وعظت أصحابك فأوجز " راجع : علاء الدين برهان فوري ، كتب العمال ، كتاب الخلافة مع الإمارة من قسم الأفعال ، الباب الأول : في خلافة الخلفاء : ٦٢٢/٥ ، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٨ هو يزيد بن سنان بن أبي حارثة ، المرّي : فارس من السادات في الجاهلية وهو أخو " هرم بن سنان " ممدوح زهير بن أبي سلمى ، راجع : الزركلي ، الأعلام : ٨/١٨٣ .

ذلك^٩. هذا ما قال ابن منظور عن المادة الأصلية للإيجاز، وَأَمَّا مَا قَالَه الزَّيْدِيُّ^{١٠} فِي مَادَّةِ الإِيجَازِ فَلَيْسَ بِمُخْتَلَفٍ مِمَّا قَالَه ابن منظور إِلَّا أَضَافَ الزَّيْدِيُّ عَلَيْهِ كَمَا سَيَأْتِي: الوَجْزُ: (الخفيف) المُقْتَصِدُ (من الكلام والأمر) وَقَدْ وَجَزَ فِي مَنْطِقِهِ، (كَكْرَمٍ وَوَعَدَ - وَجَزَاً)، بِالْفَتْحِ، (وَ وَجَازَةً)، كَسَحَابَةٍ، وَ(وَجُوزًا)، بِالضَّمِّ، الثَّانِي مَصْدَرٌ بِأَبِ كَرَمٍ، فِيهِ لَفٌّ وَنَشْرٌ غَيْرُ مُرْتَبٍ. أَوْجَزَ كَلَامَهُ: قَلَّه، وَكَذَلِكَ الْعَطَاءُ. وَهُوَ كَلَامٌ وَجْزٌ، وَ عَطَاءٌ وَجْزٌ. وَفِي الْمُحْكَمِ^{١١}، أَي: اِخْتَصَرَهُ، قَالَ: "و بَيْنَ الإِيجَازِ وَالاِخْتِصَارِ فَرْقٌ مَنْطِقِيٌّ"^{١٢}. وَالإِيجَازُ: تَحْرِيرُ الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ رِعَايَةِ لِلْفِظِ الْأَصْلِ بِلِظْفِ يَسِيرٍ، وَالاِخْتِصَارُ: تَحْرِيدُ اللَّفْظِ الْيَسِيرِ مِنَ اللَّفْظِ الْكَثِيرِ مَعَ بَقَاءِ الْمَعْنَى^{١٣}.

^٩ ابن منظور الإفريقي، لسان العرب: ٤٢٧/٥، مطبعة دار صادر، بيروت، (مادة: وجز).

^{١٠} هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزيدي، الملقب بمرتضى (١١٤٥ - ١٢٠٥) هـ، لغوي، نحوي، محدث. أصله من واسط في العراق، ومولده في بلجرام في الشمال الغربي من الهند، ومنشأه في زبيد باليمن، وعاش في مصر، من كتبه: تاج العروس في شرح القاموس، والروض المعطار في نسب السادة آل جعفر الطيار، وبلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب، وعقد الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة، راجع: الزركلي، الأعلام: ٧٠/٧ وعمر كحالة، معجم المؤلفين: ٢٨٢/١١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

^{١١} المحكم: كتاب في اللغة و اسمه الكامل: المحكم والمحيط الأعظم لعلي بن إسماعيل المعروف بابن سيده وهو كتاب كبير مشتمل على أنواع اللغة، وقد رتبته على حروف المعجم، راجع: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٤٤/١٨-١٤٥، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت، العسقلاني، لسان الميزان، الطبعة الثانية، ١٩٧١م، مؤسسة الرسالة، بيروت، والزركلي، الأعلام: ٢٦٣/٤.

^{١٢} ابن سيده، المحكم والمحيط: ٣٦٤/٧، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الأولى ١٩٧٣م، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، (مادة: وجز).

^{١٣} محمد مرتضى الزيدي، تاج العروس: ٣٦٧/١٥-٣٦٩، مطبعة حكومة الكويت، (مادة: وجز).

وَقَالَ الرَّازِي^{١٤} وَجَز (أَوْجَز) الْكَلَامَ قَصْرَهُ وَكَلَامَ (مَوْجَز) بَفَتْحِ الْجِيمِ وَ كَسْرِهَا وَ (وَجَز) بِوَزْنِ فَلْسٍ وَ (وَجِيز) "١٥".

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارَسٍ^{١٦} " (وَجَز) الْوَاوُ وَالْجِيمُ وَالزَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ . يُقَالُ كَلَامٌ وَجَزٌ وَ وَجِيزٌ . وَ رَبَّمَا قَالُوا : تَوَجَّزْتُ الشَّيْءَ ، مِثْلُ تَنَجَّزْتُ^{١٧} " .

فمن هذا العرض اللغوي لكلمة الإيجاز عرفنا أن المعاني المعجمية لهذه اللفظة تدور حول : القلة والاختصار وسرعة الأداء . والإيجاز كمصطلح بلاغي تتمثل في جميع هذه المعاني ، لأن حاصل الإيجاز البلاغي هو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني .

^{١٤} هو محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، (المتوفى : ٦٦٦هـ) ، لغوي ، فقيه ، صوفي ، وهو من فقهاء الحنفية ، وله علم بالتفسير والأدب أصله من الري ، راجع : الزركلي ، الأعلام : ٥٥/٦ ، وعمر كحالة ، معجم المؤلفين : ١١٢/٩ .

^{١٥} أبوبكر الرازي ، مختار الصحاح ، ص : ٧١٠ ، دار نهضة مصر ، القاهرة . (مادة : وجز) .

^{١٦} هو أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب أبو الحسين (٣٢٩ - ٣٩٥) هـ ، إمام في اللغة و الأدب . أصله من قزوین ، وأقام مدة في همدان ، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها ، وإليها نسبته . قرأ عليه البديع الهمداني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان ، ومن كتبه : مقاييس اللغة ، و المجلد ، و جامع التأويل في تفسير القرآن ، راجع : الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٧/١٠٣-١٠٦ ، و الزركلي ، الأعلام : ١٩٣/١ ، وعمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين : ٤١-٤٠/٢ .

^{١٧} أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة : ٨٧/٦ ، مطبعة مكتب الأعلام الإسلامي ، قم ، إيران ، ١٤٠٤ هـ .

المبحث الثاني : الإيجاز اصطلاحاً

الإيجاز عبارة عن تأدية أصل المراد لكنه بلفظ ناقص عنه أما بالقصر أو بالحذف فقال العسكري^{١٨} : " الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة ، وما تجاوزَ مقدار الحاجة فهو فضلٌ داخلٌ في باب الهذرِ والخطَلِ " ، وقال أيضاً : " وقد قيل لبعضهم : ما البلاغةُ ؟ فقال : الإيجاز ، قيل : وما الإيجاز ؟ قال : حذف الفضولِ ، وتقريبُ البعيد^{١٩} . وقد نرى الخفاجي^{٢٠} أنه عدَّ الإيجاز من شروط البلاغة وقال : " ومن شروط الفصاحة والبلاغة الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام ، حتى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة^{٢١} " . ثم ذكر الخفاجي رأي أصحاب البلاغة الذين ذكروا الإيجاز باسم الإشارة ؛ والإطناب باسم التذييل لأنهم ما كانوا متفقين على وضع الإصطلاحات البلاغية بل كانت لهم الحرّية فيه . وهم يُسمّون الإيجاز و الإطناب بأسماء التي تكون أنسب لديهم وكذلك الأمر هنا بما يقوله الخفاجي : " وقد قسّموا دلالة الألفاظ على المعاني ثلاثة أقسام : أحدها المساواة وهو أن يكون المعنى مساوياً للفظ ، والثاني التذييل وهو أن يكون اللفظ زائداً على المعنى وفاضلاً عنه ، والثالث الإشارة ، هو أن

^{١٨} هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال العسكري (المتوفي: ٣٩٥ هـ) ، كان الغالب عليه الأدب والشعر ويعرف الفقه أيضاً ، ومن تصانيفه : الصناعتين ، ومعاني الأدب ، والتبصرة ، والمحاسن في تفسير القرآن ، راجع : السيوطي ، طبقات المفسرين ، ص : ٣٣ ، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، وأحمد بن محمد الأذنوري ، طبقات المفسرين ، ص : ٩٦ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، والزركلي ، الأعلام : ١٩٦/٢ .

^{١٩} العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص : ١٧٩ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧١ ، و أبو جعفر النحاس ، صناعة الكتاب ، ص : ٢٠٢ ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م ، دار العلوم العربية ، بيروت .

^{٢٠} هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان ، أبو محمد الخفاجي الحلبي (٤٢٣ - ٤٦٦ هـ) ، شاعر ، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره . و من آثاره : ديوان شعر ، و سر الفصاحة ، راجع : عمر كحالة ، معجم المؤلفين : ١٢٠/٦ ، و الزركلي ، الأعلام : ١٢٢/٤ .

^{٢١} الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص : ٢٠٥ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

يكون المعنى زائداً على اللفظ ، أي : أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة^{٢٢} . ثم جاء الخفاجي برأيه و يقول : "ويجب أن نحدّ الإيجاز المحمود بأن نقول : هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ . ثم يُوضح رأيه هذا و يقول : " قد احترزنا بقولنا - إيضاح - من أن تكون العبارة عن المعنى و إن كانت موجزة غير موضحةً له ، حتّى يختلف الناس في فهمه ، فيسبق إلى قومٍ دون قومٍ بحسب أقساطهم من الذهن وصحة التصور ، فإن ذلك و إن كان يستحق لفظ الإيجاز والاختصار فليس بمحمود حتّى يكون دلالة ذلك اللفظ على المعنى دلالة واضحة^{٢٣} . وكذلك قال يحيى العلوي^{٢٤} عن الإيجاز ، "هو إندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل^{٢٥} . وقال السكاكي^{٢٦} : الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط^{٢٧} ."

^{٢٢} الخفاجي ، سرّ الفصاحة ، ص : ٢٠٧ .

^{٢٣} الخفاجي ، سرّ الفصاحة ، ص : ٢١١ .

^{٢٤} هو السيد يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد بن إدريس العلوي اليميني الملقب بالمؤيد الزيدي ، (٦٦٩ - ٧٤٩) هـ ، ولد بصنعاء ، و هو من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن ، كان كثير التصانيف و من أهمها : الاختبارات في فقه الزيدية ، و الاقتصاد في النحو ، و الحاوي في الفقه ، و الطراز في علوم حقائق الأعجاز ، و نهاية الوصول إلى علم الأصول ، راجع : الزركلي ، الأعلام : ١٤٣/٨ ، و عمر كحالة ، معجم المؤلفين : ١٣/١٩٥ .

^{٢٥} العلوي ، كتاب الطراز ، ص : ٢٤٥ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥ م .

^{٢٦} هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (٥٥٥ - ٦٢٦) هـ ، عالم في النحو والتصريف والمعاني والبيان والعروض والشعر وغير ذلك . مولده ووفاته بخوارزم . من كتبه مفتاح العلوم وعليه شروح وحواشي كثيرة ، ومصحف الزهرة ، ورسالة في علم المناظرة ، راجع : ياقوت الحموي ، معجم الأدباء : ٥٨/٢٠ - ٥٩ ، الطبعة الأخيرة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٣٨ م ، و إسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين : ٢/٢٣٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٥١ م ، و الزركلي ، الأعلام : ٨/٢٢٢ .

^{٢٧} السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : ١٣٣ ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى الباي الحلبي ، مصر ، ١٩٣٧ م .

وقال الخطيب القزويني^{٢٨} : " المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد بلفظ مساو له أو ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة"^{٢٩}. ثم يشرح قوله "واف" في تعريف الإيجاز ويقول : " وقولنا واف احترازاً عن الإخلال ، وهو أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى"^{٣٠}. وأمّا تعريفه للإيجاز والإطناب والمساواة في كتابه تلخيص المفتاح لا يختلف عما نقلناه من كتابه الإيضاح غير اختلاف الألفاظ بقليل فيقول : "والأقرب أن يُقال : المقبول من طرق التعبير عن المراد ، تأدية أصله بلفظ مساو له أو ناقص عنه وافٍ، أوزائدٍ عليه لفائدة. وأحترز بوافٍ عن الإخلال"^{٣١}.

وقال التفتازاني^{٣٢} " فالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد ، والإيجاز أن يكون ناقصاً عنه وافيًا به ، والإطناب أن يكون زائداً عليه لفائدة"^{٣٣}. وأمّا ما قاله القزويني : "وأحترز بوافٍ عن الإخلال" فيشرحه التفتازاني بقوله : أن يكون اللفظ ناقصاً عن أصل المراد غير وافٍ به ، و استشهد عليه بالشعر وهو :

^{٢٨} هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق ، (٦٦٦ - ٧٣٩) هـ ، أصله من قروين ، ومولده بالموصل ، ومن كتبه: تلخيص المفتاح ، و الإيضاح ، راجع : السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ١٥٨/٩-١٦١، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣ م ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، وعمر كحالة ، معجم المؤلفين : ١٤٥/١٠ ، والزركلي ، الأعلام : ١٩٢/٦ .

^{٢٩} القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص : ١٧٣ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

^{٣٠} القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص : ١٧٤ .

^{٣١} الخطيب القزويني ، تلخيص المفتاح ، ص : ٢٠٠-٢٠١ ، الطبعة الأخيرة ، وبأسفل صحائفه شرحه مختصر المعاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر .

^{٣٢} هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ، سعد الدين (٧١٢ - ٧٩٣) هـ ، من أئمة العربية والبيان والمنطق . ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس ، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها ، ودفن في سرخس . كانت في لسانه لكمة . ومن تصانيفه الكثيرة : شرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان ، وحاشية على الكشاف للزمخشري في التفسير، و التهذيب في المنطق ، و المقاصد في علم الكلام ، راجع : عمر كحالة ، معجم المؤلفين : ٢٢٨/١٢ ، والزركلي ، الأعلام : ٢١٩/٧ .

^{٣٣} سعد الدين التفتازاني ، مختصر المعاني ، ص : ٢٨١ ، مكتبة الرشيدية ، كويت ، باكستان ، د . ت .

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّهِ ---- لِ النَّوْكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا^{٣٤}
 فيشرحه بقوله أن أصل المراد أن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق
 في ظلال العقل و لفظه غير واف بذلك ، فيكون مُخْلًا^{٣٥} فلا يكون مقبولاً .
 وقال ابن الأثير^{٣٦} " الإيجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه"^{٣٧} .
 والإيجاز في رأي الرازي^{٣٨} : "إنه العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير
 إخلال"^{٣٩} .

^{٣٤} الشاعر هو الحارث بن حلزة، راجع: الأصفهاني، الأغاني: ٥٢/١١، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.
^{٣٥} قد استشهد الفزوي والتفتازاني وغيرهما من العلماء بنفس البيت على الإخلال ولكن اختلفت العلامة
 السيوطي برأيهم عن البيت و أنكر الإخلال في البيت الذي هو من العيب بل عدّه من الإحتباك وهو
 من النوع البديعي و أيضاً نوع من أنواع الحذف المدلول عليه بدليل يصححه ، والذي يقع في الكلام
 البليغ ليس يرححه ، حتى نرى فيه ترك الذكر ، أفصح من الذكر، راجع: مختصر المعاني ، ص : ٢٨١ ،
 وشرح الأرجوزة المسماة بعقود الجمان في علم المعاني و البيان للسيوطي ، ص : ٦٠ ، المطبعة الشرقية ،
 مصر ، ١٣٠٥ هـ ، و بهامشه شرح أحمد الدمهوري المسمى بحلّة اللب المصون على الجوهر المكنون .
^{٣٦} هو محمد بن نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الموصلي المعروف بابن الأثير الجزري
 ، الملقب ضياء الدين (٥٨٥ - ٦٢٢) هـ ، صاحب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، انتقل في
 صغره مع والده إلى الموصل وبها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيراً من الأحاديث
 النبوية وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان وشيئاً كثيراً من الأشعار ، راجع : ابن خلكان ،
 وفيات الأعيان : ٣٨٩/٥-٣٩١ ، و الزركلي، الأعلام : ١٢٥/٧ .

^{٣٧} ابن الأثير ، المثل السائر، ص : ٢٩٩ ، المطبعة العامرة ببولاق ، القاهرة ، ١٢٨٢ هـ .

^{٣٨} هو الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦) هـ ، من كبار
 الأصوليين و فقهاء الشافعية و متكلمي أهل السنة و الجماعة ، تفسيره مفاتيح الغيب من أحل كتب
 التفسير و كذا في الأصول كتابه المحصول . انظر ترجمته : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٤٨/٤ -
 ٢٥٢ ، الطبعة الثانية ١٣٦٤ هـ ، مطبعة أمير ، قم ، إيران ، و الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٥٣/١٤ -
 ١٥٤ ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^{٣٩} الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ص: ٢١٥ ، دار صادر، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ م.

وقال الباقلاني^{٤٠} : "فأما الإيجاز فإنما يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى ، فيأتي باللفظ القليل الشامل لأمر كثيرة^{٤١}" . و أما الرُّماني^{٤٢} فقال : "الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ، و إذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرةٍ و يمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة ، فالألفاظ القليلة إيجازٌ"^{٤٣} .

المبحث الثالث : دواعي الإيجاز و مواقعه

إن دواعي الإيجاز كثيرة : منها الإختصار، و تسهيل الحفظ ، و تقريب الفهم، و ضيقُ المقام ، و إخفاء الأمر على غير السامع، و الضَّجر و تحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير و غير ذلك . و أما المواقع التي يُستحسن فيها الإيجاز كثيرة ومنها ، الإستعطاف ، و شكوى الحال ، و الإعتذارات ، و التعزية ، و العتاب ، و الوعد ، و الوعيد ، و التوبيخ ، و رسائل الحكام في أوقات الحرب إلى الولاة ، و الأوامر و النواهي الحكومية و الشكر على النعم و غير ذلك من المواقع .

^{٤٠} هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، أبو بكر الباقلاني (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ) ، قاض ، من كبار علماء الكلام ، ولد في البصرة و سكن بغداد فتوفي فيها . كان جيد الاستنباط، سريع الجواب ، وجهه عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم ، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها ، من كتبه : إعجاز القرآن ، راجع : الذهبي ، سير أعلام النبلاء: ٣٧٠/١١ ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م ، دار الكتب العلمية ، بيروت، و الزركلي ، الأعلام: ١٧٦/٦ ، و كحالة، معجم المؤلفين: ١٠٩/١ .

^{٤١} الباقلاني، إعجاز القرآن، ص : ٢٦٨ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٦ م .
^{٤٢} هو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني المعتزلي (٢٩٦ - ٣٨٤ هـ) ، النحوي المتكلم، أحد الأئمة المشاهير، جمع بين علم الكلام والعربية، وله تفسير القرآن الكريم ، أخذ الأدب عن أبي بكر ابن دريد و أبي بكر ابن السراج ، وأصله من سر من رأى ، راجع : ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٢٩٩/٣ ، و عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين : ١٦٢/٧ .

^{٤٣} الرُّماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ص : ٧٦ (ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦ م .

الاضطراب في تناول البلغاء للإيجاز والإطناب تعريفا لهما

نجد في آراء البلغاء اضطراباً في تناولهم للإطناب والإيجاز ، فنرى منهم من يُهمَل المساواة ولا يُعَدُّه في درجة الإعتبار و يتناول الإيجاز والإطناب بالدراسة فقط ، والبعض الآخر من منهم الذين يتناولون المسائل الثلاث^{٤٤} بالدراسة ، في تحديد المفاهيم ولكن اختلافهم في التقديم والتأخير ، لأن بعضهم يقدم المساواة على الإيجاز والإطناب ويعتبرها الأصل الذي يقاس عليه الآخرون ، والبعض الآخر يؤخر المساواة و يقدم الإيجاز والإطناب عليها بدليل أنه ما لم يُعلم الإطناب والإيجاز بشروطهما التي تدخلهما في نطاق البلاغة لم تُعرَف المساواة . وذهب بعض الآخريين إلى إدخال المساواة في الإيجاز وهم لا يفرّقون بين الإيجاز والمساواة و يُسمُّون التعبير عن المراد بلفظ مساو له : إيجاز التقدير ، أو إيجاز المساواة . وبهذا هم يحذفون المساواة مقابل الإيجاز والإطناب ويأتون بها داخل الإيجاز و يقسمون الإيجاز في الكلام على ثلاث صُور ، وهي : الإيجاز بالحذف ، والإيجاز بالمساواة ، والإيجاز بالقصر .

فنظراً إلى ماضى حَسْبُنَا أن نقول : إن الإيجاز أسلوب من أساليب التعبير ذو أهمية بالغة الذي يتميِّز بقلة الألفاظ وكثرة المعاني مع الإبانة والإفصاح ، وهو من أعظم قواعد البلاغة ومن مهمّات علومها . وأمّا اختلاف البلغاء في تناولهم للإيجاز والإطناب والمساواة فيرجع سببه إلى تطوّر الفنون مع مرور الزمن إلى أن علماء اللغة في العصر المعاصر أصبحوا متفقين في قضية المصطلحات .

^{٤٤} أي : الإيجاز والإطناب والمساواة .

الفصل الثاني : أنواع الإيجاز

Kinds of brevity

وفيه مبحثان

المبحث الأول : إيجاز القصر (النوع الأول للإيجاز)

المبحث الثاني : إيجاز الحذف (النوع الثاني للإيجاز)

المبحث الأول : إيجاز القصر (النوع الأول للإيجاز)

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : إيجاز المساواة

المطلب الثاني : إيجاز التقدير

المطلب الثالث : الإيجاز الجامع

المبحث الأول : إيجاز القصر

إيجاز القصر متضمن المعاني الكثيرة في عبارة قصيرة من غير حذف . وهذا الموضوع كان ، وما يزال مركز عناية علماء البلاغة و مطمع نظر البلغاء ، وعنوا فيه عنايتهم الخاصة بإجراء بحوثهم وبه تتفاوت أقدارهم كما قال العلوي : " أن هذا القسم من الإيجاز له في البلاغة موقع عظيم ، دقيق الجرى ، صعب المرتقى ، لا يختص به من أهل الصناعة إلا واحدا بعد واحد^١ . و نرى أن علماء البلاغة المتقدمين قد تحدثوا عن الإيجاز و أقسامه و هم مختلفون في آرائهم . فمنهم من قَسَم الكلام حسب التعبير إلى ثلاثة أقسام وهي : الإيجاز والإطناب والمساواة ، و أما إيجاز القصر فإنه نوع من نوعي الإيجاز . و هذا هو الرأي الذي عليها الجمهور ، و من بعضهم كاسكاكي من عنى بالبحث الإيجاز والإطناب فقط ، أما المساواة فجعلها غير محمودة ولا مذمومة^٢ . و بعض الآخرين كابن الأثير و صاحب الطراز الذين جعلوا المساواة داخلية الإيجاز و سَمَّيَها إيجاز التقدير فيقول العلوي : " إن من الإيجاز ما لا يكون فيه حذف يقدر ، من مفرد ولا جملة ، ويقال له إيجاز البلاغة و ينقسم إلى ما يساوى لفظه معناه من غير زيادة و يُسمى التقدير ، و إلى ما يزيد معناه على لفظه و يسمى القصر^٣ . فاختلافهم في الإيجاز والمساواة لا محل له هنا و سنذكره فيما بعد و أما ما قاله العلوي : " إن إيجاز التقدير (أي : المساواة) نوع

^١ العلوي ، كتاب الطراز ، ص : ٢٥٩ .

^٢ السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : ١٣٣ .

^٣ العلوي ، كتاب الطراز ، ص : ٢٥٩ .

من أنواع الإيجاز من غير حذف" ، فلا عجب فيه لأن العلماء الآخرين مثل السيوطي^٤ وغيره فلهم آراء مختلفة^٥ في هذا الصدد أيضاً .

المطلب الأول : إيجاز المساواة

وهو أن يُقصر اللفظ على معناه كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾^٦ ، جمع في أحرف العنوان والكتاب والحاجة . و بالفاظ أخرى هو التعبير كانت ألفاظه قوالب لمعانيه^٧ ، و هذا رأي من يُدخل المساواة في الإيجاز . و أما عند جمهور العلماء فالمساواة نوع مستقل في نفسها خارجة عن الإيجاز و تُعدّ من الكلام البليغ المحمود ، و المساواة

^٤ هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، جلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١) هـ ، إمام حافظ مؤرخ أديب . و له نحو ٦٠٠ مصنف ، منها : الإتيقان في علوم القرآن ، والأشباه والنظائر ، و التحبير في علم التفسير ، و الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، و طبقات الحفاظ ، و طبقات المفسرين ، و عقود الجمان في المعاني والبيان و غيرها من الكتب الشهيرة ، راجع : الزركلي ، الأعلام : ٣٠١/٣ - ٣٠٢ .
^٥ من الملحوظ أن علماء البيان انقسموا إلى فرقتين ، فرقة منهم تُثبِتُ واسطة بين الإيجاز والإطناب و هي المساواة و عليها السكاكي و من تبعه ، راجع : مفتاح العلوم ، ص : ١٣٣ . وقالوا : إنها ليست محمودة ولا مذمومة ، و فرقة منها : ابن الأثير و يحيى بن حمزة العلوي في جماعة ذهبوا إلى نفي الواسطة .
و من ثَمَّ قَسَمُوا الإيجاز الخالي من الحذف إلى قسمين أولهما : إيجاز التقرير ، وهو ما ساوى لفظه معناه من غير زيادة ، راجع : الطراز ، ص : ٢٥٩ ، و هذه هي المساواة على الرأي الأول . و من هذا يُعرَف أن الخلاف في الاسم لا في المسمى . و الطريقة الأولى معروفة بين أئمة الفن ، و بما أن فن البلاغة تطور مع مرور الزمن و دوّنّه العلماء في ثلاثة أنواع ثَمَّ فسّروه في أبواب مختلفة حتى يتجزى كل باب في أجزاء شتى و أصبحت علوم البلاغة واضحة كُلّ الوضوح في العصر المعاصر . و مع ذلك لاخلاف بين العلماء المتأخرين في أن المساواة خارجة عن الإيجاز ، بل المساواة نوع مستقل مع الإيجاز والإطناب و مذهب متوسط بينهما و هذا هو متعارف الأوساط .

^٦ سورة النمل ، الآية : ٣٠ - ٣١ .

^٧ ابن قدامة ، نقد الشعر ، ص : ١٤٨ ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٨ م ، مكتبة الخانجي ، مصر .

بهذا المعنى نط من الكلام أثنى عليه الخبراء ، واعتبروها من الأنماط العالية من التعبير كسائر الفنون البلاغية . وذكر في شروح التلخيص أن أسلوب المساواة محمود إذا صدر من البلغاء لمراعاهم هذه المقتضيات^٨ . وبعض الآخريين يقيس المساواة بمقياس الفضائل المستفادة من الحديث النبوي و هو قوله ﷺ خير الأمور أوساطها^٩ . ويقول قدامة بن جعفر^{١٠} عن المساواة : هو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه^{١١} . فأسلوب المساواة يحصله قبول العوام والخواص في نفس الوقت ولو أن مرادهم فيها مختلفة حسب المقتضيات ، وأما أمثلة إيجاز المساواة فكثيرة ، ومنها قول الشاعر :

سُبُدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ---- ويأتيك بالأخبار من لم تُرَوِّد^{١٢}

و منها قول الشاعر الآخر :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ---- وإن خالها تُخفي على الناس تُعلم^{١٣}

^٨ راجع : سعد الدين التفتازاني ، وابن يعقوب المغربي ، و بهاء الدين السبكي ، شروح التلخيص : ١٦٠/٣ ، أدب الحوزة ، قم ، إيران ، د . ت .

^٩ البيهقي ، شُعَب الإيمان ، باب الاقتصاد في النفقة : ٢٦١/٥ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م ، دارالكتب العلمية ، بيروت .

^{١٠} هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي الكاتب (المتوفي : ٣٣٧ هـ) ، كان قدامة أحد البلغاء والفصحاء والفلاسفة الفضلاء ، سكن البصرة ، ثم انتقل إلى بغداد ، وجالس المبرد وثلعبا وغيرهما . له من التصانيف ترياق الفكر ، و جلاء الحزن ، و زهر الربيع ، و كتاب الخراج ، و نقد الشعر في البديع ، راجع : ابن كثير ، البداية و النهاية : ٢٤٩/١١ ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، و الزركلي ، الأعلام : ١٩١/٥ ، و عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين : ١٢٨/٨ .

^{١١} ابن قدامة ، نقد الشعر ، ص : ١٤٨ ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٨ م ، مكتبة الخانجي ، مصر .

^{١٢} ديوان طَرْفة بن العبد ، ص : ٤١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ ، ١٩٦١ م .

^{١٣} الشاعر هو زهير بن أبي سلمى ، راجع : تقي الدين أبو بكر ، خزائن الأدب و غاية الأرب : ٤٩٢/٢ ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م ، مكتبة الهلال ، بيروت .

المطلب الثاني : إيجاز التقدير

وهو أن يقدر المعنى زائداً على المنطوق ، و يُسَمَّى بالتضييق أيضاً لأنه نقص من الكلام ماصار لفظه أضيق من قدر معناه نحو قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُدْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ ^{١٤} ﴾ ، أي : خطاياها غفرت ، فهي له لا عليه ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تُقدر فيها معاني زائدة على المنطوق .

المطلب الثالث : الإيجاز الجامع

وهو أن يحتوى اللفظ على معان متعددة نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ^{١٥} ﴾ ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه ^{١٦} : " إن أجمع آية في القرآن للخير و الشر في سورة النحل ^{١٧} " ، أي : هذه الآية . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا

^{١٤} سورة البقرة ، الآية : ٢٧٥ .

^{١٥} سورة النحل ، الآية : ٩٠ .

^{١٦} هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمش (المتوفى: ٣٢هـ) الصحابي الشهير كان إسلامه في أول الإسلام ، ولما أسلم أخذه رسول الله ﷺ إليه ، وكان يخدمه ، فكان يلبسه نعليه ، ويمشي معه وأمامه ، ويستره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام ، وكان يعرف في الصحابة بصاحب النعلين و السواك و الوساد . وهاجر المجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة ، وصلى القبلتين ، وشهد بدرًا ، وأحدًا ، والخندق ، وبيعة الرضوان ، وشهد اليرموك بعد النبي ﷺ ، ومات بالمدينة ، راجع : ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة : ٢ / ١٧١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٧هـ ، وابن عبد البر ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب : ٢ / ٣٠٨-٣١٦ ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، ١٩٣٩م ، وابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة : ٢ / ٣٦٠-٣٦٢ ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، ١٩٣٩م ، وصفى الدين ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال : ٢ / ٩٩ ، المكتبة الأثرية ، سانكله هل ، باكستان ، د . ت .

^{١٧} الحاكم نيسابوري ، المستدرک علی الصحیحین ، کتاب التفسیر ، تفسير سورة النحل : ٢ / ٣٥٦ ، مطبعة دارالفكر ، بيروت ، ١٩٧٨م .

مَاءَهَا وَمَرَعَهَا^{١٨} ﴿﴾ ، فَذَلَّ بِهَا تَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ عَلَى جَمِيعِ مَا أَخْرَجَهُ مِنَ الْأَرْضِ قُوْتًا وَمَتَاعًا لِلْأَنْامِ ، مِنَ الْعُشْبِ وَالشَّجَرِ وَالْحَبِّ وَالثَّمْرِ وَالْعَصْفِ وَالْحَطْبِ وَاللِّبَاسِ^{١٩} .
وقد عَدَّ البلغاء هذا النوع (أي : إيجاز القِصر) من أعلى طبقات الفصاحة مكاناً و أعوزها إمكاناً . ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ^{٢٠} ﴾ ﴿﴾ فنرى معاني كثيرةً تدرج تحت قوله تعالى هذا ، التي لا يمكن حصرها ، ولا ينتهي أحدٌ إلى ضبطها ، و ذكر العلوي قول العرب في هذا المعنى الذي كان يمتاز في الفصاحة بوجازته وهو " القتلُ أنفى للقتل^{٢١} " وقال قد تميزت الآية عنه بوجوه ثلاثة :

الوجه الأول : إن قوله تعالى : ﴿ الْقِصَاصِ حَيَوةٌ^{٢٠} ﴾ ﴿﴾ لفظتان ، وما نُقل عنهم فيه أربعُ كلمات .

الوجه الثاني : التكريرُ فيما قالوه ، وليس في الآية تكرير .

الوجه الثالث : إنه ليس كلُّ قتلٍ نافيًا للقتل و إنما يكون نافيًا إذا كان على جهة القصاص^{٢٢} .

ورجح الرازي الآية في الفصاحة والبلاغة على قول العرب المذكور أعلاه وقال : كان الناس يضربون المثل بقولهم " القتل أنفى للقتل " استحساناً له ، فلما جاءت

^{١٨} سورة النازعات ، الآية : ٣١ .

^{١٩} السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ١٠٧ ، قديمي كتب خانة ، كراتشي ، باكستان .

^{٢٠} سورة البقرة ، الآية : ١٧٩ .

^{٢١} راجع : الميداني ، مجمع الأمثال : ١ / ١٤٩ ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٤م ، دارالكتب العلمية ، بيروت .

^{٢٢} العلوي ، كتاب الطراز ، ص : ٢٦٢ ، بتصرف .

الآية تركوا ذلك^{٢٣}. ووجه الترجيح من وجوه سبعة التي كما يلي :

الأول : أن قولهم : "القتل أنفى للقتل" في ظاهره تناقض ، لأنه جعل حقيقة الشيء منافية لنفسه . ولئن قيل : أن المراد منه أن كل واحد من أفراد هذا النوع ينفي غيره فهو أيضاً على عمومه خطأ ، لأن القتل ظلماً ليس أنفى للقتل قصاصاً ، بل ادعى له . وإثما يصحّ إذا خُصّصَ فـقـيل : القتلُ قصاصاً أنفى للقتل ظلماً ، فيصير كلاماً طويلاً مع أن هذه التقييدات بأسرها حاصلة في الآية .

الثاني : إن القتل قصاصاً لا ينفي القتل من حيث أنه قتلٌ ، بل من حيث أنه قصاص ، وهذه الجهة غير معتبرة في كلامهم .

الثالث : إن حصول الحياة هو المقصود الأصلي ، و نفي القتل إنما يُراد لحصول الحياة . والتنصيص على الغرض الأصلي أولى من التنصيص على غيره .

الرابع : إن التكرير عيبٌ وهو موجود في كلامهم ، دون الآية .

الخامس : إن حروف "القصاص حياة" عشرة و حروف كلامهم أربعة عشر .
السادس : ليست في قولهم كلمة يجتمع فيها حرفان متلاصقان متحرّكان ، إلا في موضع واحد ، بل ليس فيها إلا أسباب خفيفة متوالية . وذلك ممّا يَنْقُصُ من سلاسة الكلمة و جريانها على اللسان ، بخلاف قوله تعالى : في القصاص حياة .
السابع : إن الدافع لصدور القتل عن الإنسان ، كراهية لذلك ، وصارفه القويّ عنه حتى إنّه ربّما يعلم أنّه لو قُتل ، قُتل ، ثم لا يَرْتَدِع ، إمّا طمعاً منه في الثواب أو الذكر الجميل . و إذا كان كذلك فليس أنفى للأسباب للقتل هو القتل ، بل الأنفى لذلك هو الصارف القويّ . وقوله تعالى : "في القصاص حياة" لم يُجْعَل

^{٢٣} الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ٢١٥ ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٤ م .

القصاص مقتضياً للحياة على الإطلاق ، بل حيوة منكّرة . والسبب فيه أن شرعية القصاص تكون رادعةً عن الإقدام على القتل غالباً ، وإن لم يكن دائماً^{٢٤} .

وقال الرُّماني : "و أما الإيجاز بالقصر دون الحذف فهو أغمض من الحذف و إن كان الحذف غامضاً ، للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع التي لا يصلح . فمن ذلك : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾^{٢٥} .

وذكرت بنت الشاطئ^{٢٦} وجه الإعجاز بإيجاز القصر في الآية عن طريق المقارنة بينها و بين ما استحسنته الناس من الإيجاز في قولهم "القتل أنفى للقتل" نقلاً عن الرُّماني من رسالته "النكت في إعجاز القرآن" حيث ذكر أن التفاوت بينهما يظهر من أربعة أوجه :

- أن العبارة القرآنية أكثر فائدة ، نفيها كل ما في قولهم : القتل أنفى للقتل ، مع زيادة معان حسنة ، منها إبانة العدل لذكره القصاص ، وإبانة الغرض المطلوب فيه لذكره الحياة ، والإستدعاء بالرغبة والرغبة لحكم الله .

- الإيجاز في العبارة ، فعدد حروف القتل أنفى للقتل أربعة عشر حرفاً وقوله تعالى : (القصاص حياة) عشرة أحرف .

^{٢٤} فخرالدين الرزازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص: ٢١٥-٢١٦، وابن قيم الجوزية، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص: ١٠٨ ، بإشراف لجنة تحقيق التراث ، مكتبة الهلال ، بيروت .
^{٢٥} الرُّماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ص : ٧٧ ، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، الطبعة الثالثة ١٩٧٦ م ، دارالمعارف ، مصر .

^{٢٦} هي الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت شاطئ وهي أستاذة التفسير و الدراسات العليا ، كلية الشريعة ، جامعة القرويين بالمغرب في العصر المعاصر ، راجع أول صفحة من كتابها : الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرق ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر .

- اُبْعِدَ عن التكلّف بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة . ففي قولهم : القتل أنفى للقتل ، تكريرٌ غيرُه أبلغ منه . و متى كان التكرير كذلك فهو مقصّرٌ في البلاغة عن أعلى طبقة .

- العبارة القرآنية أحسن تاليفاً بالحروف المتلائمة ، يُدْرِك بالحسّ ويُوجد في اللفظ . فإن الخروج من الفاء إلى اللام - في القصاص - أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة ، في : القتل أنفى ، لبعدهم الهمزة من اللام . وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء ، أعدل من الخروج من الألف إلى اللام^{٢٧} .

وقد ذكر العلماء المفاضلة بين هذه الآية وقول العرب "القتل أنفى للقتل" واستخرجوا من هذه المفاضلة بأن النص القرآني يفضل قولهم بأمر عديده ، و من تلك العلماء السيوطي الذي استخرج ثمرتها بعشرين وجهاً و أحاط آراء العلماء كلها^{٢٨} في هذه المفاضلة بين الآية وقول العرب حيث يقول ، قد فضّلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى ، وهو قولهم : (القتل أنفى للقتل) بعشرين وجهاً أو أكثر :

الأوّل : إنّ ما يناظره من كلامهم ، وهو قوله : ﴿ القصاص حياة ﴾ ، أقلّ حروفاً ، فإنّ حروفه عشرة ، و حروف : (القتل أنفى للقتل) أربعة عشر .

^{٢٧} بنت الشاطئ ، الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرق ، ص : ١٠٥-١٠٦ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر .

^{٢٨} قد عدّنا بنقل هذه المفاضلة من الإتقان عن آراء العلماء والبلغاء السابقين الذين قارنوا بين بلاغة الآية وقول العرب و أثبتوا الرجحة والفضل في بيان أسرار الآية البلاغية على قول العرب القتل أنفى للقتل ، وللتفصيل المزيد راجع : السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : ١٣٣ ، والعسكري ، كتاب الصناعتين ، ص : ١٨١ ، والحفاجي ، سرُّ الفصاحة ، ص : ٢٠٩ ، والرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ص : ٧٧-٧٨ ، والقزويني الإيضاح ، ص : ١٨١-١٨٣ ، وكلّما ذكرناه من الإتقان فهو الزبدة الملخصّة من هذه المصادر .

الثاني : إن نفي القتل لا يستلزم الحياة ، والآية ناصّة على ثبوتها التي هي الغرض المطلوب منه .

الثالث : إن تنكير (حياة) يفيد تعظيماً ، فيدلُّ على أنّ في القصاص حياة متطاولة ، ولا كذلك المثل ، فإنّ اللام فيه للجنس ، ولذا فسّروا الحياة فيها بالبقاء .
الرابع : إنّ الآية فيه مُطَرِّدَةٌ ، بخلاف المثل ، فإنه ليس كل قتل أنفى للقتل ، بل قد يكون أدعى له ، وهو القتل ظلماً ، و إنّما ينفيه قتل خاص و هو القصاص ، ففيه حياة أبداً .

الخامس : إنّ الآية خالية من تكرار لفظ القتل الواقع في المثل ، والخالي من التكرار أفضل من المشتمل عليه ، و إن لم يكن مخلاً بالفصاحة .

السادس : إنّ الآية مستغنية عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم ، فإنّه حُذِفَ فيه (قصاصاً) مع القتل الأوّل ، و (ظلماً) مع القتل الثاني ، والتقدير : القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً .

السابع : إنّ في الآية طباقاً ، لأنّ القصاص مشعر بصد الحياة ، بخلاف المثل .

الثامن : إنّ الآية اشتملت على فنٍ بديع ، وهو جعل أحد الضدّين الذي هو الفناء والموت محلاً و مكاناً لضدّه ، الذي هو الحياة ، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة .

التاسع : إنّ في المثل توالي أسباب كثيرة خفيفة ، وهو السكون بعد الحركة ، وذلك مستكره ، فإنّ اللفظ المنطوق به حركاته تمكّن اللسان من النطق به ، و ظهرت فصاحته . بخلاف ما إذا تعقب كل حركة سكون ، فالحركات تنقطع بالسكنات .

العاشر : إن المثل كالمتناقض من حيث الظاهر ؛ لأنَّ الشيء لا ينفي نفسه .

الحادي عشر : سلامة الآية من تكرير قلقلة القاف ، الموجب للضغط والشدة ، و بعدها عن غنة النون .

الثاني عشر : اشتغالها على حروف متلائمة ، لما فيها من الخروج من القاف إلى الصّاد ، إذ القاف من حروف الإستعلاء . والصاد من حروف الإستعلاء والإطباق ، بخلاف الخروج من القاف إلى التاء هي حرف منخفض فهو غير ملائم للقاف ، وكذا الخروج من الصّاد إلى الحاء ، أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة ، لبعدها دون طرف اللسان و أقصى الحلق .

الثالث عشر : في النطق بالصاد و الحاء والتاء حسن الصوت ، ولا كذلك تكرير القاف والتاء .

الرابع عشر : سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة ، بخلاف لفظ (الحياة) فإنَّ الطباع أقبلُ له من لفظ القتل .

الخامس عشر : إن لفظ القصاص مشعر بالمساواة ، فهو منبئٌ عن العدل ، بخلاف مطلق القتل .

السادس عشر : الآية مبنية على الإثبات ، والمثل على النفي ، والإثبات أشرف لأنّه أوّل ، والنفي ثان عنه .

السابع عشر : إن المثل لا يكاد يُفهم إلّا بعد فهم أن القصاص هو الحياة ، و قوله تعالى : ﴿ القصاص حياة ﴾ مفهوم من أوّل و هلة .

الثامن عشر : إن في المثل بناء (أفعل) التفضيل من فعل متعدّد ، والآية سالمة منه .

التاسع عشر: إنَّ (أفعل) في الغالب يقتضي الاشتراك ، فيكون ترك القصاص نافياً للقتل، ولكن القصاص أكثر نفيًا، وليس الأمر كذلك . والآية سالمة من ذلك .

العشرون: إنَّ الآية رادعة عن القتل والجرح معاً ؛ لشمول القصاص لهما ، والحياة أيضاً في قصاص الأعضاء ؛ لأن قطع العضو ينقص مصلحة الحياة ، وقد يسرى إلى النفس فيزيلها ، ولا كذلك المثل ، في أول الآية (ولكم) وفيها لطيفة ، وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص ، و أنَّهم المراد حياتهم لا غيرهم ، لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواه^{٢٩} .

وبعيداً عن المفاضلة اللغوية والبلاغية بين آية القصاص وقول العرب ، نرى أن الآية تضمنت سراً من أسرار التشريع الجليلة التي عليها مدار سعادة المجتمع البشري في دنياه و أخره . إذا المراد : أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قُتِلَ ؛ امتنع عن القتل ، وفي ذلك حياته و حياة غيره المهوم بقتله و صار كأنه استفاد حياة جديدة فيما يستقبل بالقصاص مضافة إلى الحياة الأصلية . وبذلك تطول الأعمار ، وتكثر الذرية ، و يُقْبَلُ كُلُّ واحد على ما يعود عليه بالنفع ، و يَتِمُّ النظام ، و يكثر العُمران و أين هذا ممَّا أثر عن العرب من قولهم القتل أنفي للقتل .

^{٢٩} السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١٠٨/٢ - ١١٠ .

المبحث الثاني : إيجاز الحذف (النوع الثاني للإيجاز)

و فيه أربعة مطالب

المطلب الأول : معنى الحذف

المطلب الثاني : أدلة الحذف

المطلب الثالث : أسباب الحذف

المطلب الرابع : أنواع الحذف

المطلب الأول : معنى الحذف

وفيه فرعان

الفرع الأول : الحذف لغة

الفرع الثاني : الحذف إصطلاحا

الفرع الأول : الحذف لغة : الحذف مصدر حذف يحذف كضرب يضرب وله معان عديدة ، منها : القطف والقطع والرمي والضرب والإسقاط والتخفيف .

قال الخليل "الحذف : قطف الشيء من الطرف لما يحذف طرف ذنب الشاة"^{٣٠} . و قال ابن منظور "حذف الشيء يحذفه حذفاً : قطعه من طرفه ، الحَجَم يحذف الشعر ، من ذلك"^{٣١} . وقال ابن دريد : "وحذف الشيء إسقاطه ، ومنه حذف من شعري ومن ذنب الدآبة ، أخذت منه"^{٣٢} . وهناك معان كثيرة أخرى للحذف لاداعي إلى ذكرها هنا ، ومن بين كثرة المعاني للحذف فإن أقربها إلى ما يراد به في هذا الموضوع هو الإسقاط و القطع ، و قد يقال : حذف الخطيب الكلام ، أي هذبه و صفاه من الفضولومنه حذف الشعر إذ أخذت منه"^{٣٣} .

الفرع الثاني : الحذف إصطلاحا : إننا نجد تعريفات كثيرة للحذف في كتب البلاغة و المعاجم ولكن نذكر بعضها بالإيجاز كما يلي :

^{٣٠} الفراهيدي ، كتاب العين : ٢٠١/٣-٢٠٢ .

^{٣١} ابن منظور ، لسان العرب : ٣٩ / ٩ (مادة : حذف)

^{٣٢} ابن دريد ، جمهرة اللغة ، ٣ / ١٢٨ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، عراق ، ١٣٥١ هـ ، (مادة : ح ذ ف)

^{٣٣} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٠٢ ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، ط. ٢ ، دارالمعرفة بيروت .

أ : لقد عرّف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني الحذف بقوله : " هو إسقاط كلمة للاجترأ عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام "٣٤ .

ب : وأما ضياء الدين بن الأثير فإنه عرّف الحذف بقوله : " هو ما يحذف منه أو الجملة ، لدلالة فحوى الكلام على المحذوف "٣٥ .

ج : وقال الزركشي^{٣٦} في تعريف الحذف بأنه : " إسقاط جزء الكلام أو كله للدليل "٣٧ .

فاتضح لنا من هذه التعريفات أن المراد بالحذف إسقاط جزء الكلام أو كله بوجود القرينة الدالة على المحذوف ، فتكثر المعاني في إيجاز الحذف مقابل الألفاظ ، وإن لم توجد قرينة على المحذوف فذلك الإيجاز إحلال في التعبير غير مقبول في الكلام كما في قول الشاعر :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ----- و مقتلهم عند الوغي كان إعدارا^{٣٨}

^{٣٤} الرماني ، النكت في إعجاز القرآن : ص ٧٦ ، الطبعة الثالثة ، دارالمعارف ، بمصر .

^{٣٥} ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٢ / ٢٦٤ .

^{٣٦} هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، أبو عبد الله ، بدر الدين (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ) ، عالم بفقته الشافعية والأصول ، تركي الأصل ، مصري المولد والوفاة ، له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها : لقطه العجلان ، و البرهان في علوم القرآن ، وإعلام الساجد بأحكام المساجد ، والبحر المحيط ، راجع : العسقلاني ، إنباء العُمَر بآبناء العُمَر : ٣ / ١٣٨ - ١٤١ ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ م ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، و الزركلي ، الأعلام : ٦ / ٦٠ - ٦١ ، وعمر كحالة ، معجم المؤلفين : ٩ / ١٢١ - ١٢٢ .

^{٣٧} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٠٢ .

^{٣٨} الشاعر هو عروة بن الورد ، وذكر الزركلي شعره هذا في ترجمته ، راجع : الزركلي ، الأعلام : ٤ /

أي : هم يقتلون نفوسهم في السلم ، و لكن فحوى الكلام لا يدل عليه . وقال ابن الأثير في بيان أهمية القرينة في الحذف : "الأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضرورها أن يكون في الكلام ما يدلّ على المحذوف فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب^{٣٩} ". ومن البلغاء من عنى بالحذف عناية خاصة و شبهه بالسحر في الأثر على السامع المتذوق فيقول : "إن الحذف باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر و ذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق و أتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبين^{٤٠} ". ولذا إذا دارَ الأمر بين الحذف وعدمه ، كان الحمل على حذفه أولى ما لا يُحِلُّ بالمعنى ، ولو ظهر المحذوف لنقص أثر الكلام و نزل عن علو بلاغته ، و أشار إليه العلوي قائلا : "إن مدار الإيجاز على الحذف ، لأن موضوعه على الاختصار ، وذلك إنّما يكون بحذف ما لا يُحِلُّ بالمعنى ، ولا ينقص من البلاغة ، بل أقول لو ظهر المحذوف لتزلّ قدرُ الكلام عن علو بلاغته ، ولصار إلى شئ مُستركٍ مُستردّلٍ ، ولكان مبطلا لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرقّة ، ولا بدّ من الدلالة على ذلك المحذوف ، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه يكون لغواً من الحديث ، ولا يجوز الاعتماد عليه^{٤١} ".

^{٣٩} ابن الأثير ، المثل السائر، ص : ٣٠٣

^{٤٠} الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : ١٤٦ ، تعليق : محمود محمد شاكر ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٤ م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

^{٤١} يحيى العلوي ، كتاب الطراز، ص : ٣٤٦ - ٢٤٧

وقد يشبه رأيه ، رأي الجرجاني^{٤٢} حيث قال : " ما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه و حذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره ، وترى إضماره في النفس أولى وأنس من النطق به^{٤٣} . " وكذلك نرى ترجيح الباقلاني للحذف على الذكر بقوله : " الحذف أبلغ من الذكر ، لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب^{٤٤} " . فالحذف إسقاط للتخفيف ، كقوله تعالى : ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ ﴾^{٤٥} ، وقوله تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾^{٤٦} ، ففي الآية الأولى حُذِفَ المضاف ، وقام المضاف إليه مقامه تقديره : واسأل أهل القرية ، و في الآية الثانية حُذِفَ المبتدأ تقديره : أمرنا طاعة و قول معروف .

وكذلك حذف جواب لو في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَى ﴾^{٤٧} ، تقديره : لكان هذا القرآن ، فوضح من هذا أن الحذف بدليل أو بقرينة أبلغ من الذكر .

^{٤٢} هو عبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، أبو بكر (المتوفى : ٤٧١ هـ - ١٠٧٨ م) واضع أصول البلاغة ، كان من أئمة اللغة ، كان من أهل جرجان (بين طبرسات وخراسان) له شعر رقيق . من كتبه : أسرار البلاغة ، و دلائل الإعجاز ، راجع : الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ٤٣٣/١٨ - ٤٣٤ ، الطبعة الحادية عشر ، ٢٠٠١ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، والزركلي ، الأعلام : ٤٨/٤ - ٤٩ .

^{٤٣} الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : ١٥٢ - ١٥٣ .

^{٤٤} الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص : ٢٦٨ ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

^{٤٥} سورة يوسف ، الآية : ٨٢

^{٤٦} سورة محمد ، الآية : ٢١

^{٤٧} سورة الرعد ، الآية : ٣١

المطلب الثاني : أدلة الحذف

وفيه ثمانية فروع

الفرع الأول : الدليل الحالي

الفرع الثاني : الدليل الشرعي

الفرع الثالث : الدليل العقلي

الفرع الرابع : دلالة العادة

الفرع الخامس : دلالة العقل على الحذف والشروع في الفعل على تعيين

المحذوف

الفرع السادس : دلالة إقتران الكلام بالفعل

الفرع السابع : دلالة التصريح به في مقام آخر

الفرع الثامن : دلالة الصناعة النحوية

قد نرى في كتب النحو و البلاغة أن الإدلة للحذف مبنوثة منتشرة بأسماء مختلفة^{٤٨}. وهي في حاجة إلى من يجمعها و يضم بعضها إلى بعض في مكان واحد بشكل كاملة مع أسمائها المقبولة لدى الناس ليتم النفع و يسهل تناول . ومن المعلوم أنه لا بد للحذف من دليل يدل عليه والدليل الأكبر في هذا الصدد هو العقل . العقل دائماً يدل على الجزء المفقود من الكلام فأما المحذوف فتعيينه مبني على أدلة كثيرة ومنها كما يلي :

الفرع الأول : الدليل الحالي

وقد تكون الحالة المشاهدة دليلاً على المحذوف نحو قوله تعالى :

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ^{٤٩} ﴾ أي : أنزل خيراً ، فحذف من الآية الفعل الماضي لدلالة الحالة المشاهدة عليه .

الفرع الثاني : الدليل الشرعي

تارة لا يمكن إدراك المحذوف بالعقل وحده و إن كان العقل يدل على الحذف من غير دلالة على تعيينه و يُستفادُ في تعيين المحذوف من دليل شرعي كما في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ^{٥٠} ﴾ فحذف المضاف تقديره : تناولها .

^{٤٨} عندما نرجع إلى الكتب المشهورة في فنون البلاغة فنرى اختلاف المصطلحات في هذا الصدد كثيراً ، فمثلاً القزويني والتفتازاني يسميان غرض الكلام باسم "المقصود الأظهر" عندما يفسران تحريم الميتة ولكن السيوطي يسميه الدلالة الشرعية فالاختلاف بينهم في الاسم لا في المسمى . راجع : القزويني ، الإيضاح ، ص : ١٩٤ ، والتفتازاني ، مختصر المعاني ، ص : ٢٨٩ ، و السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ص : ٣١١ ، القسم الأول ، دار الفكر العربي بيروت .

^{٤٩} سورة النحل ، الآية : ٣٠

^{٥٠} سورة المائدة ، الآية : ٣

وقد صرّح السيوطي أن العقل يدل على أنها ليست محرّمة ، لأنّ التحريم لا يُضاف إلى الإجماع بل الحرمة والحل يضافان إلى الأفعال ، فعلم بالعقل حذف شيء . و أما تعينه ، وهو تناول ، فمُسْتَفَادٌ من الشرع . و جاء السيوطي بحديث رسول الله ﷺ دليلاً عليه وهو {إِذَا حُرِّمَ أَكْلُهَا} ، لأنّ العقل لا يدرك محلّ الحلّ ولا الحرمة^{٥٢} . و أبطل السيوطي رأي الخطيب القزويني بأنه من دلالة العقل وقال أن القزويني تابع في رأيه السكاكي و كانا يتبعان أصول المعتزلة فلا اعتبار لآراء المعتزلة^{٥٣} .

^{٥١} راجع: مالك بن أنس ، الموطأ ، كتاب الصيد ، باب ما جاء في جلود الميتة: ٤٩٨/١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٩٥٨م ، والبخاري، الجامع الصحيح ، كتاب الذبائح والصيد ، باب جلود الميتة : ٢٢٤/٣ ، الطبعة الأخيرة ، ١٩٥٣م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، و المسلم ، الجامع الصحيح، باب طهارة جلود الميتة بالذّبَاغ : ١٤٣-١٤٤ ، الطبعة الثانية ٢٠٠٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^{٥٢} السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن ١١٤/٢ ، و معترك الأقران في إعجاز القرآن، القسم الأول ، ص : ٣١١

^{٥٣} السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، القسم الأول ، ص : ٣١١ ، و الإتيقان في علوم القرآن : ٢ / ١١٤ ، ولكن نرى فيه رأياً آخر و هو أن العلماء المعاصرين منهم من قال في التوجيه البلاغي للآية : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِتْرِ﴾ (المائدة : ٣) أن العقل دلّ على أن في النظم الكريم شيئاً محذوفاً ، إذا العقل لا يتصور تعلق الحرمة بالذوات بل بالأفعال ، والتقدير المحتمل للمحذوف : حرم عليكم أكلها أو الانتفاع بها أو تناولها إلى آخر ما يمكن تقديره في هذا السياق ، لكن العرف الغالب في استعمال هذا الكلام يرجح التقدير : تناولها ، لأنه أشمل و أدلّ على المقصود بالتحريم من أيّ تقدير آخر ، وعلى ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتِكُمْ﴾ (النساء : ٢٣) في إرادة النكاح . راجع : بحوث في علم المعاني ، تأليف د/ عبدالجواد محمد طبق و د/ عبدالحميد محمد العيسوي ص : ١٩١ ، فهما سميا الدليل بتسمية "العرف الغالب".

الفرع الثالث : الدليل العقلي

وتارة يدل العقل وحده على الحذف وعلى تعيين المحذوف ، كما جا في القرآن الكريم : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا^{٥٤}﴾ أي : أمره ، فالعقل دال لامتناع والإستحالة مَجِيء الرب جَلَّ و علا ، لأنه من سمات الحادث وهو متره عن التحيز والجسمية ، والعقل أيضاً دال على المحذوف بتعيينه وهو أمره ولكن ظاهر الإسناد يوحي بالمهابة و صعوبة الموقف^{٥٥} .

الفرع الرابع : دلالة العادة

إن دلالة العادة تُنقسم إلى قسمين و هما :

أ - أحيانا العادة تدل على تعيين المحذوف نحو قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز : ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ^{٥٦}﴾ فالعقل دلَّ على أن في الكلام حذفاً ، لأن اللوم لا يتعلق بالذوات و بذلك لا يصح يوسف - عليه السلام - ظرفاً للوم ، و إنما الإنسان يُلام على كسبه ، وهو ما يأتيه من أفعال باختياره ، فاحتمل أن يكون المحذوف "في حُبِّه" ، لقوله تعالى : ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا^{٥٧}﴾ ، وأن يكون في مرادوته عن نفسه ، لقوله تعالى : ﴿تَرَاوَدُّ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ^{٥٨}﴾ ، و أن يكون في أمره و شأنه فيشمل الحب والمرادة ، لكن العادة المقررة عند المحبين رجحت أن يكون المحذوف الملووم عليه هو المرادة ، إذا الحب المفرط لا يلام عليه صاحبه في

^{٥٤} سورة الفجر ، الآية : ٢٢

^{٥٥} السيوطي، معترك الأقران، ص: ٣١١-٣١٢، دار الفكر العربي، والإتقان في علوم القرآن، ص: ١١٤.

^{٥٦} سورة يوسف ، الآية : ٣٢

^{٥٧} سورة يوسف ، الآية : ٣٠

^{٥٨} سورة يوسف ، الآية : ٣٠

العادة ، لأنه يغلب صاحبه ويقهره ، فهو أمر خارج عن الطاقة ، و إنما يلامُ الإنسان على المراودة الداخلة تحت كسبه باختياره الذي يقدر أن يدفعه عن نفسه والحذف يشعر بتخرجها عن ذكر المراودة في مجلس كهذا ، ولذا وجهت اللوم إلى الذات ، ولا مناقضة بين حذف المراودة هنا ، والتصريح بها في سياق آخر كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أُمَّرَأْتُ الْغَزِيرِ الْعَنِّ حَصَّحَصَّ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ٥٩﴾ ، لأنها في السياق الأول كانت وما زالت مصرة على المعصية : ﴿وَلَيْنَ لَمَّ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لِيَسْجَنَنَّ وَلِيَكُونَ مِنَ الصَّغِيرِينَ ٦٠﴾ وفي السياق الثاني كانت في حال التوبة و صحوة الضمير ، فاعترفت صراحة بذنبها تمهيداً لقبول توبتها^{٦١} .

ب - تارة العادة تدل على الحذف و تعيين المحذوف معاً كما قال الله تعالى حكاية عن المنافقين المتخلفين عن غزوة أحد : ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعَنَّكُمْ ٦٢﴾ ، فظاهر الكلام يدل أنهم لا يعرفون الحرب والقتال ، ولكن حالهم والمعروف من عاداتهم في القتال أنهم كانوا أخبر الناس بالقتال و أكثر خبرة بالحرب ، فلا بُدَّ إذاً أن يكون في الكلام حذف دل عليه حالهم و عاداتهم فالمراد : مكانا صالحاً للقتال .

الفرع الخامس : دلالة العقل على الحذف والشروع في الفعل على تعيين المحذوف

أحيانا يدل العقل على الحذف و يدل الشروع في الفعل على تعيين المحذوف وهو كما نقول لمن جاء إلينا : " أهلا وسهلاً " أي : جئت أهلاً و حللت مكانا سهلاً .

^{٥٩} سورة يوسف ، الآية : ٥١

^{٦٠} سورة يوسف ، الآية : ٣٢

^{٦١} السيوطي ، الإنقان في علوم القرآن : ٢ / ١١٤ ، و الدكتور عبد الحميد العيسوي ، بحوث في علم

المعاني ، ص : ١٩١-١٩٢ ، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالرقازيق .

^{٦٢} سورة آل عمران ، الآية : ١٦٧

فقواعد اللغة وهي قواعد عقلية تدل على أن يكون العامل محذوفاً فأما تقدير المحذوف فيدل عليه الشروع في الترحيب بالضيف ، وكذلك الحال في كل ما يبدأ به المؤمن عملاً من الأعمال بقوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^{٦٣} فقد حُذِفَ متعلق المجرور هنا وسببه أن البسملة سنة عند إبتداء الأعمال الصالحة فحُذِفَ متعلق المجرور فيها حذفاً ملتزماً إيجازاً اعتماداً على القرينة . فإذا كان الفعل قراءة فإنه يفيد أن المراد: بسم الله أقرأء، وإن كان أكلاً أو شرباً كان التقدير: أكل أو أشرب. وقد أسعف هذا الحذف بفائدة وهي صلوحية البسملة لئبتدي بها كلُّ شارع في فعل فلا يلجأ إلى مخالفة لفظ القرآن عند اقتباسه^{٦٤}.

الفرع السادس : دلالة إقتران الكلام بالفعل

أحيانا العقل يدل على الحذف ، و إقتران الكلام بالفعل على تعيين المحذوف كما في قول العرب عند ما يَزْفُفْنَ العروس : " باليمن والبركة "^{٦٥} ، فالعقل يدل على حذف متعلق الجار والمجرور و إقتران العبارة بالإعراس فعلاً يدل على تعيين المحذوف أي : أعرست باليمن والبركة .

الفرع السابع : دلالة التصريح به في مقام آخر

قد يكون التصريح بالمحذوف في موضع آخر دليلاً على تعيين المحذوف في موضع غيره وعدّه السيوطي من أقوى الدلائل^{٦٦} ، وجاء بإستشهاد قرآني عليه وهو كما في قوله تعالى :

^{٦٣} سورة النمل ، الآية : ٣٠

^{٦٤} ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٤٦/١ - ١٤٧ ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٣ م .

^{٦٥} نفس المصدر : ١٤٧/١

^{٦٦} السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن : ١١٥/٢

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ^{٦٧}﴾ ، أي : يأتيهم أمره بدليل قوله تعالى في مقام آخر : ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ^{٦٨}﴾ ، وكذلك مثله في قوله تعالى : ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ^{٦٩}﴾ ، أي : من عند الله ، و يدل على هذا التعيين قول الله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ^{٧٠}﴾ ، فقد صرّحت الآية بذكر المحذوف في هذا المقام صراحة و وضوحا حتى لا تبقى حاجة إلى غيره في تعيين المحذوف .

الفرع الثامن : دلالة الصناعة النحوية

وأحيانا تكون الصناعة النحوية دالة على تعيين المحذوف مثل قول النحاة في هذه الآية : ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ^{٧١}﴾ إذ تقديره : لأننا أقسم لأن فعل الحال لا يُقَسَمُ عليه ، وكذا في هذه الآية : ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ^{٧٢}﴾ والتقدير : لا تفتاء ، بدليل الصناعة النحوية أنه لو كان الجواب مثبتا لدخلت اللام والتثون للتأكيد كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ^{٧٣}﴾ ذلك ، و في مثل هذه المواضع لا يدل على المحذوف إلا الصناعة النحوية^{٧٤} . فهذه بعض الأدلة المشهورة للحذف و أكثرها ذكراً التي نجدتها في كتب التي تتعلق بعلوم القرآن و بلاغة القرآن ومن

^{٦٧} سورة البقرة ، الآية : ٢١٠

^{٦٨} سورة النحل ، الآية : ٣٣

^{٦٩} سورة البينة ، الآية : ٢

^{٧٠} سورة البقرة ، الآية : ١٠١

^{٧١} سورة القيامة ، الآية : ١

^{٧٢} سورة يوسف ، الآية : ٨٥

^{٧٣} سورة الأنبياء ، الآية : ٥٧

^{٧٤} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١١٢/٣ ، و السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١١٥/٢ .

الممكن أن يطلع أحد على الأدلة الأخرى للحذف بأسماء مختلفة فلا عجب فيها لأن من العلماء من فصلها تفصيلاً في أجزاء مختلفة بفرق بعضها مع بعض و منهم من اختصرها بذكر أهمها اختصاراً سريعاً^{٧٥}.

ومهما كان الأمر في أدلة الحذف بين التفصيل والاختصار فشرط الدليل على الحذف والمحذوف يثبت إذا كان المحذوف جملة أو أحد ركنيها أو ينحصر المعنى عليه ، فأما الفُضلة فلا يشترط لحذفها وجدان دليل ، بل يُشترط فيها أن لا تنشأ في حذفها ضرر معنوي أو صناعي^{٧٦}.

^{٧٥} راجع للمزيد إلى الكتب مثل : معنى اللبيب لابن هشام والنحو الوافي، لعباس حسن و غير ذلك من الكتب في النحو والبلاغة . فأما من يريد الإطلاع على أدلة الحذف اختصاراً فليرجع إلى الكتب مثل "المثل السائر" لابن الإثير و كتاب الطراز للعلوي اليميني . و على سبيل المثال يناسب أن ننقل هنا ما قاله العلوي في كتابه عن أدلة الحذف و تعيين المحذوف فيقول : "المحذوف من جهتين ، إحداهما من جهة الإعراب على معنى أن الدال على المحذوف هو من طريق الإعراب ، وهذا كقولك : أهلاً و سهلاً ، فإنه لا بدّ لهما من ناصب ينصبها يكون محذوفاً لأتهما مفعولان في المعنى . وثانيهما لامن جهة الإعراب و هذا كقولنا : فلان يُعطى و يمنع ، و يصل و يقطع ، فإن تقدير المحذوف لا يظهر من جهة إعرابه ، وإتما يكون ظاهراً من جهة المعنى، لأن معناه فلان يعطى المال ، و يمنع الدمار، و يصل الأرحام ، و يقطع الأمور برأيه و يفصلها ، ثم الإيجاز تارة يكون بحذف الجمل ، و مرة يكون بحذف المفردات ، و أخرى من غير حذف ، فهذه ثلاثة أقسام يندرج تحتها جميع ما نريده من أسرار الإيجاز" ، راجع : يحيى العلوي اليميني ، كتاب الطراز ، ص : ٢٤٧ .

^{٧٦} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١١٣/٣ ، والسيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن : ١١٥/٢ .

المطلب الثالث : أسباب الحذف

و فيه ثلاثة عشر فرعاً

الفرع الأول : الاختصار والاحتراز

الفرع الثاني : التنبيه

الفرع الثالث : التفخيم والإعظام

الفرع الرابع : رعاية الفاصلة

الفرع الخامس : التخفيف

الفرع السادس : صيانة اللسان عنه تحقيراً

الفرع السابع : تعيينه

الفرع الثامن : صيانتته عن اللسان تشريفاً

الفرع التاسع : الإنكار عند الحاجة

الفرع العاشر : البيان بعد الإبهام

الفرع الحادي عشر : إيقاع الفعل على صريح المفعول

الفرع الثاني عشر : حذف المفعول تعميماً و اختصاراً

الفرع الثالث عشر : حذف المفعول لإستهجانه

إن دواعي الحذف كثيرة من الدواعي العامة بجانب الدواعي الخاصة . وبما أن الحذف يترتب على الإيجاز والاختصار في الكلام وهو من طبيعة العرب القدامى و ذلك يرجع إلى طبيعة البيئة العربية الصحراوية و صلة العرب بها . فالعرب كانوا كثير الإرتحال في الصحراء بحثا عن منابع الماء والزرع يكون قوتاهم ولأنعامهم مما كان يدفعهم إلى أن يسرعوا إلى تحقيق هدفهم من أقصر الطرق ، فانعكست هذه الطبيعة على عادتهم الكلامية بأوجز لفظ ومن أقصر طريق .

ونظراً إلى ما مضى ، فيناسب لنا أن نمنع النظر في أسباب الحذف في الكلام ، فنرى أسبابا عديدة حسب مقتضيات الأحوال منها كما سيأتي^{٧٧} :

الفرع الأول : الاختصار والاحتراز

قد يُسببُ الحذفُ مجردُ الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر للدلالة القرينة عليه نحو: الهلال والله ، فتقديره : هذا ، فُحذفُ المبتدأ و إن كان ركنا من الكلام استغناء عنه بقرينة شهادة الحال ولو ذكر لكان عبثاً .

الفرع الثاني : التنبية

وقد يُحذفُ تنبيهاً على تقاصر الزمان عن أن يأتي بالمحذوف ولو أشتغل بذكر المحذوف ليفضى إلى تفويت المهم ، وهذا يُستفاد من باب التحذير والاعراء ، كما في قوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا^{٧٨} ﴾ ، ففي هذه الآية اجتمع التحذير والإعراء ، و أما الأول فتقديره : ذروا ناقة الله ، و أما الثاني ، فتقديره : الزموا سُقْيَها .

^{٧٧} قد اعتمدت على البرهان في علوم القرآن للزركشي ، والخصائص لابن جني ، والإتقان للسيوطي ، ومختصر المعاني لفتازاني في أخذ الأسباب ملخصة .

^{٧٨} سورة الشمس ، الآية : ١٣

الفرع الثالث : التفخيم والإعظام

من أسباب الحذف التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام . وهو إذا يكون في تعداد المحذوف طول وسامة فيحسن الحذف لقوة الدلالة عليه و يُكتفى بدلالة الحال ، و تُترك النفس تذهب كُلَّ مذهب . ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يُرادُ بها التعجب والتهويل على النفوس و منه قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ^{٧٩} ﴾ ، فحذف جواب "إذا" في هذه الآية لأن وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى ، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه ، و تركت النفوس تُقدر ما شائته و مع ذلك لا تبلغ كنه ما هنالك . والحديث النبوي شاهد عليه كما روي عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : { قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ^{٨٠} } .

وكذلك حذف الجواب للتفخيم و التهويل على النفوس في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ ^{٨١} ﴾ ، أي : لرأيت أمراً فظيماً ، لا تكاد تحيط به العبارة .

^{٧٩} سورة الزمر ، الآية : ٧٣

^{٨٠} البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة : ٤٦٠/١ ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١م ، قديمي كتب خانه ، كراتشي ، باكستان ، و أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، الجامع الصحيح ، الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ص : ١٨٧ ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، وأبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب صفة الجنة : ١٤٤٧/٢ ، دار الفكر ، تعليق : محمد فواد الباقي . و الترمذي ، الجامع ، كتاب تفسير القرآن ، سورة السجدة : ١٥٥/٢ ، ايح ام سعيد كمبني ، كراتشي ، باكستان .

^{٨١} سورة الأنعام ، الآية : ٢٧

الفرع الرابع : رعاية الفاصلة

أحيانا يحذف المفعول للرعاية على الفاصلة نحو قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ^{٨٢} ﴾ ، فحذف الضمير للخطاب رعايةً لبقية الفواصل في السورة ، إذ تقديره : ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وما قلاك ، ولو ذكر الضمير لما رُغيت الفاصلة .

الفرع الخامس : التخفيف

التخفيف أيضاً من أسباب الحذف لكثرة دورانه في الكلام نحو قوله تعالى حكاية عن عزيز مصر : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ^{٨٣} ﴾ ، فحذف حرف النداء في الآية تقديره : يا يوسف أعرض عن هذا . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ^{٨٤} ﴾ ، فحذفت الياء في هذه الآية للتخفيف ، و عدولاً به عن معناه ، فمن المعروف أن الليل لا يَسْرِي ، و إنما يُسْرَى فيه ، فنُقِصَ منه حرف ، لأنه كان من عادة العرب إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه ^{٨٥} .

الفرع السادس : صيانة اللسان عنه تحقيراً

أحيانا يُحذف ذكر المحذوف صيانة للسان عنه تحقيراً وتنفيراً ، إذا المتكلم لا يجب أن يذكر اسم المحذوف من لسانه وبذلك يظهر احتقاره عليه ، أو بكونه

^{٨٢} سورة الضحى ، الآية : ٣

^{٨٣} سورة يوسف ، الآية : ٢٩

^{٨٤} سورة الفجر ، الآية : ٤

^{٨٥} وقد نقل صاحب البرهان حكاية أن المؤرِّج السدوسي سأل الأَخْفَش عن حذف الياء من الآية : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ﴾ فقال لا أجيبك حتى تنام على بابي ليلة ، ففعل ، فقال له : إن عادة العرب إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه . (راجع : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١٠٧/٣) .

مبغوض عليه فيحذف ذكره تنفيراً و تحقيراً كما قال الله تعالى : ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى﴾^{٨٦} ، أي : هم أو المنافقون .

الفرع السابع : تعينه

وأحياناً يُحذف ذكر المحذوف لكونه مُعَيَّنًا للأغراض المختلفة وأشهرها كما يلي:

أ - المتكلم يحذف ذكره في بعض الأحيان بكونه مُعَيَّنًا لغرض الإحتراز عن سوء الأدب أو لكونه لا يصلح إلاّ له مثل : ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾^{٨٧} ، و ﴿ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عَنَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^{٨٨} .

ب - و أحياناً يُحذف ذكره لإدعاء التعيّن من المتكلم نحو قول قائل : "وهاب الألوّف" ، أي : السلطان أو آخره .

ج - وقد يحذف المسند إليه لضيق المقام عن إطالة الكلام أو فوات فرصة كقول الصياد غَزَّال ، أي : هذا غَزَّالٌ .

د - أحياناً يحذفه المتكلم للإخفاء على غير المخاطب من الحاضرين مثل قوله : جاء ، أي : زيدٌ .

^{٨٦} سورة البقرة ، الآية : ١٨

^{٨٧} سورة البروج ، الآية : ١٦

^{٨٨} سورة الجمعة ، الآية : ٨

هـ - و أحيانا يُحذفُ ذكره لإتباع الإستعمال الوارد على تركه كما في هذا المثل :
 " رَبِّ رَمِيَةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ ^{٨٩} ، أَي : رَبِّ رَمِيَةٌ مَصِيْبَةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ ، أَي : عَارِفٌ .

الفرع الثامن : صيانتته عن اللسان تشريفاً

قد يُحذفُ ذكرُ المحذوفِ صيانتته عن اللسان تشريفاً له و تعظيماً ، كقوله تعالى في
 حكاية الحوار بين فرعون وموسى عليه السلام : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ .
 قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ^{٩٠} إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا
 تَسْتَمِعُونَ ۝ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ۝ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ
 إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ^{٩٠} إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ،
 فحذفُ المبتدأ في ثلاثة مواضع : قبل ذكر الرب تقديره : الله رب السموات ، و ثم
 قبل "ربكم" تقديره : الله ربكم ، و ثم قبل "رب المشارق" تقديره : الله رب
 المشارق ؛ لأن موسى عليه السلام استعظم حال فرعون و إقدامه على السؤال
 فأضمر اسم الله تعظيماً و تشريفاً و تفخيماً ، فاقصر على ما يستدلُّ به من أفعاله
 الخاصة به ليعرفه أنه ليس كمثلته شيء و ليعظم ذكرَ ربِّ كل شيء أمام فرعون لأنه
 يدعى لنفسه بدعوى الربِّ و كان كذاباً في دعواه .

^{٨٩} الرمية : الصيد الذي ترميه (للمذكر و للمؤنث) يُضربُ هذا المثل للمخطئ يصيب أحيانا ، و
 أول من قال هذا المثل هو الحكم بن عبد يغوث المقرري الجاهلي من بني منقر و كان أرمى أهل زمانه ،
 راجع : الميداني ، مجمع الأمثال : ٣٨١/١ ، دارالكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٤ ، بيروت ، و
 الزركلي ، الأعلام : ٢٦٧/٢ .

^{٩٠} سورة الشعراء ، الآية : ٢٣ - ٢٨

الفرع التاسع : الإنكار عند الحاجة

المتكلم يحذف المبتداء لتيسره الإنكار لدى الحاجة نحو قول قائل : " فاجر ، فاسق " عند قيام القرينة على أن مراده " زيد " لتيسر له لدى الحاجة أن يقول : ما اردتُ زيداً بل غيره^{٩١} .

الفرع العاشر : البيان بعد الإبهام

إذا وقع فعل المشيئة والإرادة شرطاً فإن الجواب يدل عليه وبيّنه ، لكنّه إنما يُحذفُ ما لم يكن تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريباً ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَلَكُمْ أَجْمَعِينَ^{٩٢} ﴾ إذ تقديره : لو شاء هدايتكم هداكم أجمعين ، فإنه لَمَّا قيل لو شاء ، علم السامع أن هناك شيئاً عُلقَت المشيئةُ عليه لكنه مبهم فإذا جيء بجواب الشرط صارَ واضحاً .

الفرع الحادي عشر : إيقاع الفعل على صريح المفعول^{٩٣}

إذا يريد المتكلم أن يقع الفعل الثاني على صريح لفظ المفعول فيحذف المفعول للفعل الأول لكي لا يقع فعله ثان المراد على الضمير العائد إليه و هو خلافاً لقصده

^{٩١} هذا سبب من أسباب الحذف قد ذكره العلماء في كتب البلاغة إلا أنه ما ورد في القرآن الكريم حسب ما علمت .

^{٩٢} سورة الأنعام ، الآية : ٤٩

^{٩٣} إنه جدير بالذكر أن العلماء لم يتفقوا على تسمية واحدة في بيان هذا القسم فمثلاً بيّنه الرازي أنه قد ترك الكناية إلى التصريح لما فيه من زيادة الفخامة، راجع: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ٢١٢ .

لأنه لا يرضى أن يوقعه على ضميره كقول البحري^{٩٤} :

قد طلبنا فلم نجد لك في السود ---- دِ وَ المجد و المكارم مثلاً^{٩٥}

أي : إته يريد أن يقول : قد طلبنا مثلاً لك في السود و المكارم فلم نجده ، ولو يقول هكذا ، لَفَاتَ الغرض وهو إيقاع عدم الوجودان على صريح لفظ المثل . و أيضاً من الجائز أن يكون السبب في حذف مفعول "طَلَبْنَا" الإعراض عن مواجهة الممدوح بطلب مثل له قصداً إلى المبالغة في التأديب حتى كأنه لا يمكن وجود المثل له ليطلبه لأن العاقل لا يطلب إلا ما يمكن وجوده ، فَحَذَفَ الشاعرُ المفعولَ بطريق تنازع الفعلين^{٩٦} .

الفرع الثاني عشر : حذف المفعول تعميماً و اختصاراً

وقد يحذف المفعول على جهة التعميم والاختصار ولو ذكر بصيغة العموم لفات الاختصار كما في قوله تعالى :

^{٩٤} هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحري (٢٠٦ - ٢٨٤) هـ ، شاعر الوقت ، وصاحب الديوان المشهور ، يقال لشعره "سلاسل الذهب" ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم : المتنبي ، وأبو تمام ، والبحري ولد بمنبج (بين حلب والفرات) ورحل إلى العراق ، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي ، ثم عاد إلى الشام ، وتوفي بمنبج ، له ديوان شعر وكتاب الحماسة ، على مثال حماسة أبي تمام ، راجع : الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٧٠/١٣ و الزركلي ، الأعلام : ١٢١/٨ .

^{٩٥} ديوان البحري : ١ / ٢١٢ ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

^{٩٦} هو إسقاط الشيء لفظاً لا معنى ، وترك الشيء مع بقاء أثره ، نحو: ضربني وأكرمني زيد ، راجع : ابن عقيل ، شرح ابن عقيل : ١/٥٤٥-٥٤٨ ، الطبعة الثالثة ، ١٣٦٦هـ ، انتشارات ناصر خسرو ، طهران .

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾^{٩٧} ، فحذف مفعول الدعاء في هذه الآية تعميماً و
اختصاراً ، تقديره : جميع عباده .

الفرع الثالث عشر : حذف المفعول لإستهجانه

أحيانا يحذف المفعول لإستهجان ذكره كما ورد في قول عائشة^{٩٨} رضي الله عنها :
{مارأيتُ منه ولا رأيتُ مني^{٩٩}} أي : العورة ، فحذف مفعول الرؤية لكرهية ذكره
ولاستهجانه .

فهذه كانت بعض الأغراض المشهورة في الحذف ، وقد عدلنا عن ذكر بعضها
الأخرى لأنها يفهم مفهومها و يُستخرج أقسامها من هذه الأغراض .

^{٩٧} سورة يونس ، الآية : ٢٥

^{٩٨} هي عائشة بنت أبي بكر الصديق وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس ، تزوجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمكة في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين وأعرس بها في
المدينة في شوال على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره إلى المدينة. قد روي أنها كانت أفقه الناس
وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة ، و توفيت سنة ٥٧ هـ ، وقيل سنة ٨٥ هـ ، راجع : ابن عبد
البر، الاستيعاب : ٤/٣٤٥-٣٥١ ، والعسقلاني ، الإصابة : ٤/٣٤٨-٣٥٠ ، و تهذيب التهذيب
١٢/٤٣٣-٤٣٦ ، الطبعة الأولى ١٣٢٧ هـ ، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند.

^{٩٩} الزمخشري ، الكشاف : ٢/٩٢ ، قديمي كتب خانة ، كراتشي ، والمناوي ، فيض القدير شرح الجامع
الصغير : ٢/٢٢٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، والعيني ، عمدة القاري : ٣/١٢٢ ، إدارة الطباعة المنيرية، مصر .

المطلب الرابع : أنواع الحذف

وفيه ثمانية فروع

الفرع الأول : الاقتطاع

الفرع الثاني : الاكتفاء

الفرع الثالث : الاستدلال لشيئين بفعل واحد

الفرع الرابع : الضمير والتمثيل

الفرع الخامس : اقتضاء الكلام لشيئين و اقتصار على أحدهما

الفرع السادس : أن يُذكر شيان و يعود الضمير إلى أحدهما

الفرع السابع : الاحتباك

الفرع الثامن : الاختزال

لقد صدق من قال : إن الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر^{١٠٠} ، والبعض الآخر يجعله لونا من شجاعة العربية^{١٠١} . فهذه ليست دعاوي محضة بل قائمة على أصول ثابتة و بناء قائمة على الدلائل القويّة . و يتضح سحره أمامنا عند الدراسة العميقة له ، فمثلاً من شروط الحذف في حكم البلاغة أنه متى أظهر الحذف صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والروعة والحسن ، ولكن بالحذف تنشأ الطلاوة و الروعة و الحسن في الكلام مع زيادة المعاني على الألفاظ . فكل ذلك يظهر عند الحذف^{١٠٢} في أشكال مختلفة إضافة إلى نكات بلاغية أخرى ذات الأسرار القيّمة ، وقد قُسم الحذف إلى أقسام عديدة منها كما سيأتي :

الفرع الأول : الاقتطاع

قد عرّف السيوطي هذا النوع ما يُسمّى بالاقتطاع وقال : " هو حذف بعض حروف الكلمة^{١٠٣}" ، وأمّا الزركشي فقال : "الاقتطاع هو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي^{١٠٤}" ، وإستشهد عليه بصدر شعر: "قُلْتُ لها قفي لَنَا قالت قاف^{١٠٥}"

^{١٠٠} الإشارة إلى قول الإمام عبدالقاهر الجرجاني ، راجع : دلائل الإعجاز ، ص : ١١٢ ، تصحيح شيخ محمد عبده ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^{١٠١} الإشارة إلى قول أبي الفتح عثمان بن جني ، راجع : الخصائص : ٣٦٢/٢ ، تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

^{١٠٢} كلّما نذكر الحذف مطلقاً أثناء البحث فالمراد منه الحذف الذي يتوفّر له أمران أحدهما : وجود قرينة تدل على المحذوف و الآخر: وجود مرجح للحذف على الذكر وهو ما يسميه علماء البلاغة داعياً أو مقتضياً .

^{١٠٣} السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١١٨/٢

^{١٠٤} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١١٧ /٣

أي : وقفت ، فاقتصرت من جملة الكلمة على حرف منها تمأوناً بالحال و ثقاقلاً عن الإجابة و اعتماد المقال ، فهذا يدلّ على أن الأصوات تابعة للمعاني ، فَمَتَى قَوِيَتْ قَوِيَتْ ، وَمَتَى ضَعُفَتْ ضَعُفَتْ ، و يكفيننا من ذلك قول العرب : قَطَعَ و قَطَعَ و كَسَرَ و كَسَرَ ، فزادوا في الصوت لزيادة المعنى ، واقتصدوا فيه لإقتصادهم فيه .

وقد استقبح ابن الأثير حذف حرفٍ في الكلام حيث قال : واعلم أن العرب قد حذفّت من أصل الألفاظ شيئاً لا يجوز القيام عليه ، وذكر شعيرين استشهاداً على حذف حرف لاحاجة لنا بإعادتها ، ثم قال : فهذا و أمثاله ممّا يقبح ولا يحسن و إن كانت العرب قد استعملته فإنه لا يجوز لنا أن نستعمله^{١٠٦} . فمن هذا ، فهم بعض من العلماء أنه أنكر ابن الأثير ورود حذف حرف في القرآن^{١٠٧} . ومنه أيضاً قراءة علي وابن مسعود^{١٠٨} رضي الله عنهما : " وَنَادَوْا يَا مَالٍ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ " ^{١٠٩} "

^{١٠٥} نفس المصدر

^{١٠٦} ابن الأثير ، المثل السائر ، ص : ٣٢٣

^{١٠٧} راجع: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ١١٧/٣ ، والسيوطي ، الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ١١٨/ .

^{١٠٨} قد مضى ترجمة أحدهما و هو ابن مسعود رضي الله عنه راجع : البحث ، ص : ٤٤ ، و أما الثاني فهو هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي . ابن عم رسول الله ﷺ ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم . وكنيته : أبو الحسن ، أخو رسول الله ﷺ ، وأبو السبطين ، وأول خليفة من بني هاشم . وهو أول الناس إسلاماً ، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، وأحدًا والخندق، وبيعة الرضوان، وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا تبوك ، وله في الجميع بلاء عظيم وأثر حسن ، وأعطاه رسول الله ﷺ اللواء في مواطن كثيرة بيده ، وآخاه رسول الله ﷺ مرتين ، فإن رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين ، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة ، وقال لعلي في كل واحدة منهما : " أنت أخي في الدنيا والآخرة ، راجع : ابن الأثير، أسد الغابة : ١٦/٤ - ١٨ .

^{١٠٩} سورة الزخرف ، الآية : ٧٧ ، و قراءة الجمهور المشهورة هي، " يا مالك " .

بحذف الكاف للترخيم^{١١١}. ومن مثال حذف حرف من حروف الكلمة كما ورد في القرآن الكريم: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَتَبَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾^{١١١}. فعَلَّل الزمخشري هذه الآية بأن الفعل "اسطاع" أصله "استطاع" إلا أن التاء حذفت منه تخفيفاً^{١١٢}.

^{١١١} ولَمَّا قِيلَ لِبْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَرَأَ "وَنَادُوا يَا مَالًا" فَقَالَ "مَا أَشْغَلُ أَهْلَ النَّارِ عَنِ التَّرْخِيمِ" رَاجِعٌ: الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: ٦٦/٤. فَعَلَّلَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى إِنْكَارِهَا، وَرَادَهُ بِذَلِكَ أَنَّ التَّرْخِيمَ يَرُدُّ فِي مَالِ الْوَفِّ الْإِسْتِعْمَالَ قَصْدًا لِتَصْرِفِ فِي الْكَلَامِ، وَالتَّفَنُّنُ فِيهِ لِلْأَغْرَاضِ الْمَخْتَلِفَةِ وَكَيْفَ تَفَنَّنَ أَهْلُ النَّارِ وَهَمُّ فِي شِدَّةِ عَذَابِهِمْ. فَرَدَّ بِذَلِكَ أَنَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ سِرًّا جَدِيدًا وَذَلِكَ أَنَّهُمْ - لِعَظْمِ مَا هُمْ عَلَيْهِ - ضَعَفَتْ قُوَاهُمْ، وَذَلَّتْ أَنْفُسُهُمْ، وَصَغُرَ كَلَامُهُمْ، فَكَانَ هَذَا مِنْ مَوَاضِعِ الْإِحْتِصَارِ ضَرُورَةً عَلَيْهِ، وَوَقُوفًا دُونَ تَجَاوُزِهِ إِلَى مَا يَسْتَعْمَلُهُ الْمَالِكُ لِقَوْلِهِ، الْقَادِرُ عَلَى التَّصْرِفِ فِي مَنْطِقِهِ. رَاجِعٌ: ابْنُ جَنِّي، الْمُحْتَسِبُ: ٢٥٧/٢، لَجْنَةُ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ، الْقَاهِرَةُ، ١٩٦٩م، وَالْقُرْطُبِيُّ، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١٦/١١٦، دَارُ الْكَاتِبِ الْعَرَبِيِّ، الْقَاهِرَةُ، ١٩٦٧م، وَأَبَا حَيَّانَ، الْبَحْرُ الْمَحِيْطُ: ٨/٢٧-٢٨، الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّةُ، ١٩٨٣، دَارُ الْفِكْرِ.

^{١١١} سورة الكهف: الآية: ٩٧

^{١١٢} كما يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِ الزَّمَخْشَرِيِّ؛ رَاجِعٌ: الْكَشَافُ: ٦٩٨/٢. وَأَمَّا الْبَعْضُ الْآخَرِينَ ذَهَبُوا وَرَاءَ سِرِّهِ الْقِرَاءَةِ الْعَامَةِ فِي الْآيَةِ رَقْمًا: ٩٧ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَهُوَ بِتَخْفِيفِ الْفِعْلِ الْأَوَّلِ وَبِثَقِيلِ الْآخِرِ مَنكَشِفِينَ عَنْ سِرِّ هَذَا التَّغَايِيرِ فِي مَبْنَى الْفَعْلَيْنِ، فَرَبَطُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَرَضِ الْآيَةِ الَّذِي يُصَوِّرُ عَلُوَّ السِّدِّ وَمَلَاسَتَهُ وَصَلَابَتَهُ وَمَوْقِفَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْهُ، قَائِلِينَ: "فَجِيءَ أَوَّلًا بِالْفِعْلِ مَخْفَفًا عِنْدَ إِرَادَةِ نَفْيِ قَدْرَتِهِمْ عَلَى الظُّهُورِ عَلَى السِّدِّ وَالصُّعُودِ فَوْقَهُ، ثُمَّ جِيءَ بِأَصْلِ الْفِعْلِ مُسْتَوِيٍّ فِي الْحُرُوفِ عِنْدَ نَفْيِ قَدْرَتِهِمْ عَلَى نَقْبِهِ وَخَرْقِهِ، وَلَاشِكَّ أَنَّ الظُّهُورَ أَيْسَرَ مِنَ النَّقْبِ، وَالنَّقْبَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ وَأَثْقَلَ، فَجِيءَ بِالْفِعْلِ مَخْفَفًا مَعَ الْأَخْفِ، وَجِيءَ بِهِ تَامًّا مُسْتَوِيٍّ مَعَ الْأَثْقَلِ، فَتَنَاسَبَ، وَلَوْ قُدِّرَ بِالْعَكْسِ لَمَا تَنَاسَبَ". رَاجِعٌ: ابْنُ الزُّبَيْرِ الْغُرْنَاطِيُّ، مِلَاكُ التَّأْوِيلِ: ٣٢٣/٢-٣٢٤، الطَّبَعَةُ الْأُولَى، ٢٠٠٦م، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بِيْرُوتَ، وَأَحْمَدُ سَعْدُ مُحَمَّدٍ، التَّوْجِيهِ الْبَلَاغِي لِلْقُرْآنِ الْقُرْآنِيَّةِ، ص: ٢٤٦، الطَّبَعَةُ الْأُولَى ١٩٩٨م، مَكْتَبَةُ الْآدَابِ، الْقَاهِرَةُ، وَابْنُ عَاشُورَ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: ٣٨/١٦، الدَّارُ التُّونِسِيَّةُ لِلنَّشْرِ، تُونِسَ، ١٩٨٤م.

و وَرَدَ حَذْفَ حَرْفٍ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا^{١١٣}﴾ ، ففي هذه الآية حُذِفَ التاء من الفعل "لَمْ تَسْطِعْ" تخفيفاً ، حيثُ ذُكِرَ نفس الفعل بدون التخفيف في الآية : ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا^{١١٤}﴾ ، إذ لم تُحذف التاء من الفعل "لَمْ تَسْتَطِعْ" بغرض إحداث التناسب بين المبنى وما يدل عليه المعنى في سياقه^{١١٥} .

الفرع الثاني : الاكتفاء

وهو ذكر شيئين بينهما تلازم و ارتباط ، فيكتفى بأحدهما عن الآخر . و يخصّ بالارتباط العطف^{١١٦} ، ومن الملحوظ أنه ليس المراد الاكتفاء المجرد مع الارتباط المحض بل لأن فيه نكتة تقتضي الاقتصار عليه . وخير الأمثلة من هذا النوع قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَيبًا نَقِيًّا^{١١٧}﴾ ، فحذف الشيء الثاني تقديره : البرد ، لأسرار عديدة بيّنها المفسرون منها : أنه خصّص الحرّ بالذكر لأن الخطاب

^{١١٣} سورة الكهف ، الآية : ٨٢

^{١١٤} سورة الكهف ، الآية : ٧٨

^{١١٥} ويظهر التناسب بين المبنى من الفعل و بين المعنى في سياق الآية في صورة بلاغية ، إذ ورد الفعل مثقلاً في الآية الأولى وهي : ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ لتصوير مدى الثقل الذي أحسّ به موسى عليه السلام ، حينما غمّ عليه ما كان يقوم به العبد الصالح من أفعال لا تتفق في ظاهر الأمر مع ما يعتاده الناس في الحياة ، حتى بلغت هما المفارقة العلمية مبلغها ، ثمّ ورد الفعل في الآية الأخرى وهي : ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ مخففاً بحذف التاء للتبنيه على زوال ذلك الثقل عنه حيث خفّ عليه ما لقيّه ببيان سببه و معرفة كنهه ، فتناسب البناءان مع تصوير المعنى المراد ، راجع : آلوسي ، روح المعاني ٢١/٩ و قاضي شهاب الدين ، حاشية الشهاب ٢٢٥/٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م .

^{١١٦} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١١٨/٣ ، و السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١١٨/٢

^{١١٧} سورة النحل ، الآية : ٨١

المباشر للعرب ، و بلادهم حارة والوقاية عندهم من الحرّ أهم ، لأن الحر عندهم أشد من البرد . ولكن نرى أنه لا يتفق الزركشي على هذا التوجيه وجاء بنكته فريدة وبحكمة نادرة استخرجها من القرآن فيقول : أن البرد ذُكِرَ الامتنانُ بوقايته قبل ذلك صريحاً في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا ۝١١٨ ﴾ ، فهذه وقاية البرد على عادة العرب .

وأمثلة هذا القسم كثيرة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي آلِيلِ وَالنَّهَارِ ۝١١٩ ﴾ أي: وما تحركَ و حصَّ السكون بالذكر و آثره لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد ولأن الساكن أكثر عدداً من المتحرك ، أو لأن كل متحرك يصير إلى السكون ، أو لأن السكون هو الأصل ، والحركة طارئة ١٢٠ . ومنها قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ۝١٢١ ﴾ ، أي : بالشهادة لأن الإيمان بكلِّ منهما واجب ، و آثر الغيب لأنه أمدح ، ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس . ومنها أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝١٢٢ ﴾ ، أي : والمغرب ، وَوَجَّهَ الزركشي بتوجيه بليغ لقوله تعالى : ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۝١٢٣ ﴾ ، تقديره : الشر أيضاً ، إذ مصادر الأمور كلها بيده جلّ جلاله ، و إنما آثر ذكر الخير لأنه مطلوب العباد و مرغوبهم إليه أو لأنه أكثر وجوداً في العالم من الشر ، أو لأنه مطلوب الفطرة الكونية . ويجب في باب الأدب ألا يُضَافَ الشر إليه تعالى ، كما قال النبي ﷺ

١١٨ سورة النحل ، الآية : ٨٠

١١٩ سورة الأنعام ، الآية : ١٣

١٢٠ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١١٩/٣ ، و السيوطي ، الإقتان في علوم القرآن : ١١٩/٢ .

١٢١ سورة البقرة ، الآية : ٣

١٢٢ سورة الصافات ، الآية : ٥

١٢٣ سورة آل عمران ، الآية : ٢٦

{والشر ليس إليك^{١٢٤}}، وقيل إن الكلام إنما ورد ردّاً على المشركين فيما أنكروه مما وعد الله به على لسان جبريل ، من فتح بلاد الروم و فارس ، ووعد النبي ﷺ أصحابه بذلك ، فلما كان الكلام في الخير ، خصّه بالذكر باعتبار الحال^{١٢٥}.

الفرع الثالث : الاستدلال لشيئين بفعل واحد

قد استدل بالفعل لشيئين وهو في الحقيقة لأحدهما باختلاف جنسهما، فيضمّر للآخر فعلٌ يناسبه كقوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هُدَمَتْ صَوَامِعُ وَيَبِيعُ وَصَلَوَاتٌ^{١٢٦}﴾ ، ومعلوم أن الصلوات لا تُهدمُ ، فالتقدير : لهدمت صوامع وبيع ولتركت صلوات . ومنه قول الله تعالى : ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ^{١٢٧}﴾ ، ولا يصحّ أن يكون "مولودله" معطوفاً على "والدة" لأجل تاء المضارعة ، فالواجب أن تُقدّر فعلاً مناسباً لجنس الذكور ، تقديره : ولا يضارّ مولود له .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ^{١٢٨}﴾ ، فمعلوم أن فعل الأمر للمخاطب لا يصلح للتأنيث بصيغة الغائب ، فهو على معنى "اسكن أنت ولتسكن زوجك الجنة" ، ذلك لأن شرط المعطوف أن يكون صالحاً لأن يعمل فيه ما عمل

^{١٢٤} المسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الدعاء في صلاة الليل ، ص : ٢٨١ ، و الترمذي ، الجامع ، كتاب الدعوات ، باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل : ١٨٠/٢ ، والنسائي ، السنن ، كتاب افتتاح الصلاة : ١٤٢/١ ، قديمي كتب خانة ، كراتشي ، باكستان .

^{١٢٥} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١١٩/٣ ، (بتصرف قليل) .

^{١٢٦} سورة الحج ، الآية : ٤٠ .

^{١٢٧} سورة البقرة ، الآية : ٢٣٣ .

^{١٢٨} سورة البقرة ، الآية : ٣٥ .

في المعطوف عليه ، و بهذا يُقالُ : أن هذا متعذرهما ، لأنه لا يُقال : (اسكن زوجك) ، ففي كل هذه الأمثلة وجدنا الاستدلال لشيئين بفعل واحد لسرِّ بلاغي و أضمرَ فعل مناسب للآخر .

الفرع الرابع : الضمير والتمثيل

المراد من الضمير أن يُضمَرَ من القول المجاور لبيان أحد جزئيه ، كقول الفقيه : "البيد مُسكر فهو حرام" ، فإنه أطلق هذا القول نظراً إلى الحديث النبوي الذي به استدل على هذا الحكم ، إلا أنه أضمره في قوله هذا ، لغرض بلاغي وللعلم به {كل مسكر حرام^{١٢٩}} ، و أحياناً يكون في القياس الاستثنائي مثل قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا أَلْقَبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ^{١٣٠}﴾ ، فالتاريخ شاهد والحسّ والعيان ، أنهم ما انفضوا من حول الرسول ﷺ ، وذلك المضمّر في الآية ، و بذلك انتفى الله تعالى الفظاظَة وغلظة القلب عن سيرته ﷺ . ونفس الإضمار نرى في مقام آخر في القرآن الكريم حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا^{١٣١}﴾ ، ومعلوم أن الأرض والسماء تدوران في دائرتهما بدون أيّ فسادٍ ، فانتفي إمكان آلهة غير الله بدليل عدم الفساد في تنظيم الكون و تنسيقه ، وهو المضمّر في الآية و أمثاله كثيرٌ في اللغة والأدب .

^{١٢٩} المسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب الأشربة ، باب بيان أن كلَّ مُسكرٍ حمرٌ وأن كلَّ حمرٍ حرامٌ ، ص : ٧٩٧ ، و أبو داؤد ، السنن ، كتاب الأشربة ، باب التَّهْيِي عَنِ الْمُسْكِرِ : ١٦٢/٢ ، ايح اسم سعيد كميني ، كراتشي .

^{١٣٠} سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩

^{١٣١} سورة الأنبياء ، الآية : ٢٢

الفرع الخامس : اقتضاء الكلام لشيئين و اقتصار على أحدهما

قد يقتضى الكلام لشيئين فيُقتصر على أحدهما لأنه هو المقصود في الأصل ، كقوله تعالى حكاية عن قول فرعون : ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ^{١٣٢} ﴾ ، ولم يقل : وهارون لأنه كان مقصوده موسى في الخطاب ، و يقول الزمخشري في تفسير الآية : " خاطب الإثنين ، ووجه النداء إلى أحدهما وهو موسى لأنه الأصل في النبوة ، وهارون وزيره و تابعه ، ويُحتملُ أن يُحمَله خبثه ^{١٣٣} ودعارته ^{١٣٤} على استدعاء كلام موسى - عليه السلام - دون كلام أخيه ، لما عرّف من فصاحة هارون ، والرثة في لسان موسى ^{١٣٥} - عليهما السلام - .

الفرع السادس : أن يُذكر شيئان و يعود الضمير إلى أحدهما

قد يُذكر شيئان ثم يعود الضمير إلى أحدهما دون الآخر ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ^{١٣٦} ﴾ ، وقال الزمخشري أن في الآية حذف ، تقديره : "إذا رأوا تجارةً انفَضُّوا إليها ، أو لَهْوًا انفَضُّوا إليه : فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه ^{١٣٧} .

^{١٣٢} سورة طه ، الآية : ٤٩

^{١٣٣} إن مراد الزمخشري من الضمير المتصل للمفعول في كلمة " يُحمَله " هو موسى عليه السلام ، و مراده من الضمير المتصل كمضاف إليه في كلمة " خبثه " هو خبث فرعون .

^{١٣٤} معناه : فساد فرعون و فسقه .

^{١٣٥} الزمخشري ، الكشّاف : ٦٧ / ٣

^{١٣٦} سورة الجمعة ، الآية : ١١

^{١٣٧} الزمخشري ، الكشّاف : ٥٣٩ / ٤

وقد نرى الأمثلة من هذا النوع كثيرة الوقوع في القرآن الكريم فمثلاً في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ^{١٣٨}﴾ ، و كذلك في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ^{١٣٩}﴾ ، فيقول الزمخشري في تفسير هذه الآية : " و إنما وحدّ الضمير لأنه لا تفاوت بين رضاء الله و رضاء رسوله ﷺ ، فكانا في حكم مرضي واحد^{١٤٠} . فهذه بعض الآيات قد ذكرناها نبذة منها استشهاداً و دليلاً على ما قلنا في أنواع الحذف^{١٤١} ، وعدلنا عن بيان أسرارها لما اختصت الأبواب الأخيرة الثلاثة لبيان أسرار الإيجاز و حِكْمِهَا من هذا البحث .

الفرع السابع : الاحتباك

من الطف أنواع الحذف و أبداعها الاحتباك ، وهو أن يحذف من الأوّل ما أثبت نظيره في الثاني ، و يُحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأوّل ، و من الملحوظ أن هذا النوع لم يطلع عليه بهذا الإسم إلا قليلاً من علماء البلاغة ، و منهم الزركشي الذي سمّاه باسم الحذف المقابلي و ذكر أمثله من القرآن الكريم^{١٤٢} ، ثم فصله السيوطي تفصيلاً^{١٤٣} ، ولكن لم يذكره البلاغيون القدماء بهذا الاسم مثل العسكري

^{١٣٨} سورة التوبة ، الآية : ٣٤

^{١٣٩} سورة الأحزاب ، الآية : ٦٢

^{١٤٠} الزمخشري ، الكشاف : ٢ / ٢٧٢

^{١٤١} قد أخذنا أنواع الحذف المذكورة ههنا من رقم ٣ إلى ٦ من البرهان ، راجع : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٢٣-١٢٨ .

^{١٤٢} راجع : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٢٨ - ١٢٩ .

^{١٤٣} السيوطي ، الإقتان في علوم القرآن : ٢ / ١١٩-١٢٠ ، و يقول السيوطي عن هذا النوع أنه نوع عزيز و قَلَّ مَنْ تَبَهَّ له أو تَبَهَّ عليه من أهل فنّ البلاغة ، و يذكر أن مصطلح الاحتباك قد رآه في شرح بدعيّة ابن جابر لابن يوسف الأندلسي ، و أن الأخير قد ذكره في أثناء كلامه استطراداً . ومع ذلك =

والسكاكي وغيرهما من علماء البلاغة، وأما الزركشي فيقول في تعريفه : أن يجتمع في الكلام متقابلان ، فيُحذف من كُلِّ واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه^{١٤٤} ، والأمثلة من هذا النوع كثيرة في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾^{١٤٥} ، أي : مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به^{١٤٦} .

=يربط السيوطي بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للاحتباك و يقول : "وأأخذه من الحبك الذي معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب ، فحبك الثوب : سدّ ما بين خيوطه من الفُرَج و شده وإحكامه بحيث يمنع عن الخلل مع الحسن والرونق و بيان أخذه من أن مواضع الحذف من الكلام شُبِّهت بالفُرَج بين الخيوط ، فَلَمَّا أدركها الناقد البصير بصوغه ، الماهر في نظمه و حوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حائكاً له مانعاً من خلل يطرقة ، فَسَدَّ بتقديره ما يصلح به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق ، راجع : السيوطي ، شرح الأرجوزة المسماة بعقود الجمان في علم المعاني والبيان ، ص : ١١٧-١١٨ ، المطبعة الشرقية ، مصر ، ١٣٠٥ ، و الإقتان في علوم القرآن : ١٢٠/٢ . فقد رأينا أنّ مادة "الاحتباك" تدور حول معاني الشدّ و التوثيق مع الجودة والإحكام والتحسين ، وهذا ما يجعل الصلة قوية بين المعنيين أي : المعنى اللغوي والاصطلاحي .

^{١٤٤} راجع : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٢٨ - ١٢٩ . ومن الملحوظ أن الزركشي كانت له جهودا بارزة في وضع مصطلح لهذا اللون البلاغي ، لأنه نظر فيه إلى التقابل بين المحذوف والمذكور في الجهتين ، ثم أكثر من الشواهد القرآنية عليه مما لا نراه عند السابقين والمعاصرين ، وقدر المحذوف بما يدل عليه السياق و ناقش أسباب الحذف . راجع مجلة "الأزهر" ، الجز التاسع ، السنة الحادية والستون ، البحث عن الإحتباك للدكتور عبد الحميد محمد العيسوي .

^{١٤٥} سورة البقرة ، الآية : ١٧١

^{١٤٦} سيويه ، الكتاب : ٢١٢/١ ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣ م ، بيروت .

هذا هو رأي سيويه^{١٤٧}، وأما الزجاج^{١٤٨} فيقول : إن الله تعالى أراد أن يشبه شيئين بشيئين : الداعي والكفار ، بالراعي والغنم فاختصره ، ولكنه اكتفى بذكر الكفار من المشبه والراعي من المشبه به ، فدلّ ما أبقى على ما ألقى^{١٤٩} .

وأما السيوطي فيرى الحذف في الآية باسم الاحتباك و يقول في تقديره : "ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعقُ والذي يُنعقُ به ، فحُذِفَ من الأول الأنبياء لدلالة "الذي ينعق" عليه ومن الثاني "الذي يُنعقُ به" لدلالة الذين كفروا عليه^{١٥٠} . وقد ذكر الزركشي نظيره في قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^{١٥١}﴾ فيقول : "إنّ فيه جملتين ؛ حُذِفَ نصف كل واحدةٍ منهما اكتفاءً بنصف الأخرى . وأصل الكلام : أفمن يمشي مكبًا على وجهه أهدى ممّن يمشي سويًا على صراط مستقيم ، أمّن يمشي سويًا على صراط مستقيم أهدى ممّن يمشي مكبًا . و إنّما قلنا : إن أصله هكذا ؛ لأن أفعال التفضيل لا بد في معناها من المفضّل عليه . وها هنا وقع السؤال : هل هذا أهدى من ذلك أم

^{١٤٧} ، وهو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، أبو بشر، الملقب بسيويه (١٤٨-١٨٠هـ) ، إمام النحاة ، وأول من بسط علم النحو . ولد في إحدى قرى شيراز ، وقدم البصرة ، فلزم الخليل بن أحمد ، و صنف كتابه المسمى " كتاب سيويه " في النحو ، ورحل إلى بغداد ، فناظر الكسائي وعاد إلى الاهواز فتوفي بها شابا ، وقيل : وفاته وقبره بشيراز ، وفي مكان وفاته والسنة التي مات بها خلاف ، راجع : ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٤٦٣/٣ ، والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١٢ / ١٩٥ ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، و الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ٦ / ٤٧٠-٤٧١ ، و الزركلي ، الأعلام : ٥ / ٨١ .

^{١٤٨} إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو اسحاق الزجاج (٢٤١ - ٣١١هـ) ، عالم بالنحو واللغة ، مال إلى النحو فعلمه المبرد . ولد ومات في بغداد وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره ، من كتبه معاني القرآن وإعراب القرآن . راجع : ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ١ / ٤٩ ، و الزركلي ، الأعلام : ١ / ٤٠ .

^{١٤٩} الزجاج ، إعراب القرآن : ١ / ٤٧ ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢هـ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

^{١٥٠} السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ١١٩

^{١٥١} سورة الملك ، الآية : ٢٢

ذاك أهدي من هذا ؟ ، فلا بد من ملاحظة أربعة أمور، وليس في الآية إلا نصف إحدى الجملتين ونصف الأخرى، والذي حُذِفَ من هذه مذكور في تلك ، والذي حُذِفَ من تلك مذكور في هذه ، فحصل المقصود مع الإيجاز والفصاحة ^{١٥٢} .

الفرع الثامن : الاختزال

الاختزال نوع من الحذف ولكنه ليس واحداً مما سبق ، بل هو أقسام ، لأن المحذوف إما يكون كلمة من اسمٍ أو فعلٍ أو حرفٍ ، وإما أن يكون جملة أو أكثر من جملة .

وإذا يكون المحذوف اسماً فيُقَسَّم إلى عدة أقسام مزيدة منها كما يلي : إما أن يكون بحذف المضاف أو مضاف إليه أو المبتدأ أو الموصوف أو الصفة أو المعطوف عليه أو المعطوف مع العاطف أو المبدل منه أو الفاعل أو المفعول أو الحال أو المنادى أو العائد أو الموصول .

وإذا يكون المحذوف حرفاً فذلك أيضاً يُقَسَّم إلى عدة أقسام نحو ، حذف الجار والعاطف و فاء الجواب و حرف النداء و حذف قد (إذا وقع حالاً) وحذف (لا) النافية و حذف لام الأمر و حذف نون الجمع وغيرها من حذف الحروف .

وإذا يكون المحذوف جملة فتتقسم الجملة إلى عدة أقسام منها : حذف أداة الشرط وفعله وحذف جواب الشرط وحذف الأجوبة ، وحذف جواب القسم وغير ذلك،

وكذلك الأشكال الكثيرة من حذف الجمل ، وتركنا بيان الأمثلة^{١٥٣} من هذه الإقسام كلها خوفاً من التطويل والإسهاب .

فهذه كانت من أهم أنواع الحذف نجدها مبثّرة منشّرة في الكتب المختلفة حاولنا من جمعها هنا وبيّنا الأمثلة من القرآن الكريم تطبيقاً عليها مع بيان المحذوفات فيها. فأما الأسرار في حذف المحذوفات فيأتي بيانها في الأبواب الثلاثة الأخيرة حسبما نذكر الآيات التي فيها الإيجاز .

^{١٥٣} قد ورد ذكر الأمثلة القرآنية لمثل هذه المحذوفات في الكتب الكثيرة وللإطلاع عليها ، راجع :
النوع السادس والخمسون في الإيجاز والإطناب من الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ١١٨ ١٢٥ .

الفصل الثالث : الفرق بين الإيجاز والإطناب والمساواة
Difference between the Brevity, the Prolixity and the Equality

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : الإيجاز والإطناب والمساواة عند علماء البلاغة

المبحث الثاني : منزلة الإيجاز والإطناب والمساواة في البلاغة

المبحث الثالث : الإطناب أفضل أم الإيجاز

المبحث الأول : الإيجاز والإطناب والمساواة عند علماء البلاغة

كُلُّ ما يجوز في صدر المتكلم و يخطر بباله من المعاني يمكن التعبير عنه على أحد من الطرق الثلاثة :

أ - إذا يُعبّر ، و ألفاظه على قدر المعنى ، بحيث يكون اللفظ مساوياً لأصل ذلك المعنى ، فهذا هو المساواة وهي الدستور الذي يقاس عليه^١.

ب - إذا زاد تعبيره على قدر المعنى لفائدة فذاك هو الإطناب .

ج - إذا ينقصُ التعبير عن قدر المعنى بدلالة وافية ، فذلك هو الإيجاز . و يختار البليغ للتعبير عمّا في نفسه طريقاً من هذه الطرق الثلاثة ، فهو تارة يُوجِزُ ، و تارة يُسهب ، و تارة يأتي بالعبرة بين بين ، و ذلك على حسب ما يقتضيه حال المخاطب^٢.

و إنّ الكلام لا يُعدّ بليغاً في صورة من هذه الصور، إلّا إذا كان مطابقاً لمقتضى حال المخاطب و مواضع الخطاب ، فإذا كان المقام للإيجاز و عدل عنه إلى الإطناب أو المساواة أو العكس لم يكن الكلام حينئذ بليغاً . و كما ذكرنا آنفاً ، أنه قد وقع الإضطراب الشديد في تناول العلماء المتقدمين والمتأخرين لمسائل المساواة والإطناب والإيجاز . فحسبنا أن نقول خلاصة في هذا الإضطراب : إن من العلماء من يتناول المسائل الثلاثة بالدراسة مع اختلاف في تناول ، فمنهم من يقدم المساواة على الإيجاز والإطناب بإعتبارها الأصل الذي يُقاس عليه الآخرون ، ومنهم من يسقط

^١ يرى السكاكي أن الإطناب عكس الإيجاز ، وهما من الأمور الإضافية ، والمقياس لتمييز أحدهما عن الآخر هو عُرْفُ الناس ، وسماه : "متعارف أوساط الناس" ، راجع : السكاكي، مفتاح العلوم، ص: ١٣٣ .

^٢ السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة : ص ١٨٢ ، الناشر مكتبة الآداب ، ميدان الأوبرا ، ١٩٩٩ م ، (بتصريف قليل).

المساواة عن درجة الإعتبار فيهملاً تماماً و يهتمُّ بالدراسة الإيجازَ والإطنابَ فقط .
 والبعض الآخر منهم من يؤخر المساواة ، فيضعها بعد الإيجاز والإطناب ، والفريق
 الآخر منهم ذهب إلى إدخال المساواة في الإيجاز و سماه إيجاز التقدير ، أو إيجاز
 المساواة . ومن المتأخرين منهم من تعقَّب على آراء المتقدمين ، والبعض الآخر من
 المتأخرين من يدافع عن آراء المتقدمين و نرى الخطيب القزويني مثلاً يتعاقب على
 آراء السكاكي و يشغب عليه^٣ .

والمخرَج من هذا اللبس والخلط يتمثل موجزاً فيما بيَّن في "بحوث في علم المعاني" ،
 وهو كما سيأتي :

أ - إن السكاكي حينما اعتمد كلام أوساط الناس ، الذين يؤدون المعاني بألفاظ
 مطابقة (مساوية) على أية كيفية في محاوراتهم و معاملاتهم ، فإنه لا يقصد أن تكون
 المساواة في الكلام البليغ معادلة من كل الوجوه للكلام المتعارف عليه بين أوساط
 الناس ، بل إنه أراد أن يقول : إذا عبر البليغ عن المعنى من المعاني بعبارة مساوية
 لعبارة الأوساط في أداء أصل المعنى تكون من المساواة ، لكن تبقى للمساواة في
 الكلام البليغ معانيها الثانوية أو الإضافية المولدة من تزواج العبارة مع السياق ، و
 بدا تدخل في نطاق الكلام البليغ . فمثلاً العبارة "عبدالله قائم" إذا صدرت من غير
 البليغ الذي لا يتزل كلامه على مقتضى الحال و يريد إنشاء هذا المعنى فقط ، فإن
 عبارته تكون غير بليغة ، لأنه لا يدرك مقتضيات الأحوال ، و إذا صدرت العبارة
 نفسها من البليغ فإن عبارته تكون بليغة ، بتجريدتها عن أيِّ زيادات يمكن أن تلحق
 بالعبارة ، لتطابق مقتضى الحال .

^٣ ولدراسة تفصيلية لهذه الاضطراب في المصطلحات، راجع: السكاكي، مفتاح العلوم، ص: ١٣٣-١٣٦،
 وابن الإثير ، المثل السائر ، ص : ٢٩٧-٣٠١ ، والقزويني ، تلخيص المفتاح ، ص : ١٩٨ - ٢٠٧ ،
 والإيضاح ، ص : ١٦٩-١٧٩ ، و يحي العلوي ، كتاب الطراز ، ص : ٢٥٩-٢٦٠ ، ٥٤٨-٥٤٩ .

فحسبنا كنتيجة أن نقول : أن العبارة الواحدة يمكن أن تكون بليغة إذا روعي فيها مقتضى الحال و أن تكون بالعكس إذا كانت مجرد إسناد ، خالٍ من اعتبارات مقتضى الحال .

ب - إنه ليس المهم عدد الحروف أو الكلمات أو الجمل ، بل المعتبر هو وفاء الأسلوب بما يقتضيه المقام الذي استدعاه .

ج - إن قضية تغير المصطلحات بين الأجيال قضية خطيرة تمنع التواصل الفكري ، و تقطع عهود الحاضر بالماضي و ذلك أخطر الأمور^٤ ، فلذلك علينا أن نميل إلى الحرص على الحفاظ على مصطلحات القدماء شريطة أن نفهمها حق فهمها .

^٤ راجع : الدكتور عبدالجواد محمد طبق و الدكتور عبدالحميد محمد العيسوي ، بحوث في علم المعاني :

المبحث الثاني : منزلة الإيجاز والإطناب والمساواة في البلاغة

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : منزلة المساواة في البلاغة

المطلب الثاني : منزلة الإطناب في البلاغة

المطلب الثالث : منزلة الإيجاز في البلاغة

المطلب الأول : منزلة المساواة في البلاغة

وقد سبق لنا أن المساواة من صور الكلام البليغ المحمود ، والمساواة بهذا المعنى نمط من الكلام أثنى عليه الخبراء ، واعتبروها من الأنماط العالية من التعبير كسائر الفنون البلاغية . وذكر في شروح التلخيص أن أسلوب المساواة محمود إذا صدر من البلغاء لمراعاهم هذه المقتضيات^٥ . وبعض من العلماء يقيسها بمقياس الفضائل المستفادة من الحديث النبوي بقوله ﷺ : {خير الأمور أوساطها^٦ } . ويقول قدامة بن جعفر عن المساواة : هو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وهذا من البلاغة التي وصف بها بعضُ الوصاف بعضَ البلغاء فقال : كانت ألفاظه قوالب لمعانيه^٧ . فأسلوب المساواة يحصله قبول العوام والخواص في نفس الوقت ولو أن مرادهم فيها مختلفة حسب المقتضيات .

المطلب الثاني : منزلة الإطناب في البلاغة

والإطناب كمصطلح بلاغي تدور معانيه حول : الطول ، والامتداد ، والمبالغة . وحاصل الإطناب البلاغي ، هو التطويل والزيادة في اللفظ لأجل تأكيد المعنى المقصود و تقريره ، والمبالغة في إيراد المعاني ، كما قال العلوي في الإطناب : "هو تأدية المقصود من الكلام بأكثر من عبارة متعارفٍ عليها^٨ . وقال أيضاً نقلاً عن العلماء : إن الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد ،

^٥ شروح التلخيص : ص ١٥٩-١٦١ ، أدب الحوزة ، قم ، إيران ، د . ت .

^٦ ابن أبي شيبة ، المصنف ، كتاب الزهد : ٤٧٩/١٣ ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي ، باكستان ، ١٩٨٦م ، و البيهقي ، شُعب الإيمان ، باب الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال الباطل : ٢٦١/٥ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^٧ ابن قدامة ، نقد الشعر ، ص : ١٤٨ ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٨م ، مكتبة الخانجي ، مصر .

^٨ يحيى العلوي ، كتاب الطراز ، ص : ٥٤٧ .

وقولهم : "لفائدة" يخرج عنه التطويل الذي هو زيادة من غير فائدة ، وقولهم : "جديدة" تخرج عنه الألفاظ المترادفة ، فإنها زيادة في اللفظ على المعنى لفائدة لغوية ، لكنها ليست جديدة .

فالحاصل من تعريفه هذا أنه يُخْرِجُ التطويل والتكرير والألفاظ المترادفة من باب الإطناب ، إلا أن العلماء اتفقوا على أن التكرير أحد أنواع الإطناب . وأما التطويل والحشو ، إذ هما يحتويان على زيادة لكنها زيادة لا تحمل فائدة بلاغية و وعدّهما العلماء في باب البلاغة عيّا و ركافة . والفرق بين الحشو والتطويل أن الزائد إن كان غير متعين كان تطويلا ، وإن كان متعينا كان حشوا و كلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة .

المطلب الثالث : منزلة الإيجاز في البلاغة

الإيجاز عبارة عن تأدية أصل المراد لكنه بلفظ ناقص عنه أما بالقصر أو بالحذف فقال أبو هلال العسكري : " الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة ، وما تجاوزَ مقدار الحاجة فهو فضلٌ داخلٌ في باب الهذرِ والخطَلِ " ، وقال أيضاً : " وقد قيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ فقال : الإيجاز ، قيل : وما الإيجاز ؟ قال : حذف الفضولِ ، وتقريبُ البعيد ^٩ .

وقد نرى الخفاجي أنه عدّ الإيجاز من شروط البلاغة وقال : " ومن شروط الفصاحة والبلاغة الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام ، حتى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة ^{١٠} . " و ذكر الخفاجي الإيجاز باسم الإشارة ، وهو أن يكون المعنى زائداً على اللفظ ، أي : أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة

^٩ أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص : ١٧٩ .

^{١٠} الخفاجي ، سرّ الفصاحة ، ص : ٢٠٥ .

واللمحة^{١١}. و في رأي الخفاجي يجب علينا أن نحدّد الإيجاز المحمود بأن نقول : هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ . ثمّ يُوضح رأيه هذا و يقول : " قد احترزنا بقولنا- إيضاح- من أن تكون العبارة عن المعنى و إن كانت موجزة غير موضحة له ، حتّى يختلف الناس في فهمه ، فيسبق إلى قومٍ دون قومٍ بحسب أقساطهم من الذهن وصحة التصور ، فإن ذلك و إن كان يستحق لفظ الإيجاز والاختصار فليس بمحمود حتّى يكون دلالة ذلك اللفظ على المعنى دلالة واضحة^{١٢} . وكذلك قال يحيى العلوي اليميني عن الإيجاز : " هو إندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل^{١٣} .

وقال السكاكي : الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط^{١٤} . وقال الخطيب القزويني : المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد ناقص عنه واف ، ثم يشرح قوله " واف " في تعريف الإيجاز ويقول : " وقولنا وافٍ احترازاً عن الإخلال ، وهو أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى^{١٥} . و أما التفتازاني فهو على رأي في تعريف الإيجاز أن يكون اللفظ ناقصاً عن أصل المراد وافياً به^{١٦} . وقال ابن الأثير : " الإيجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه^{١٧} . والإيجاز في رأي الرازي : " إنه العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير إخلال^{١٨} . وقال الباقلاني : فأما الإيجاز فإتّما يحسن مع ترك الإخلال باللفظ

^{١١} نفس المصدر، ص ٢٠٧

^{١٢} نفس المصدر، ص : ٢١١ .

^{١٣} العلوي ، كتاب الطراز ، ص: ٢٤٥ .

^{١٤} السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : ١٣٣ .

^{١٥} القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص : ١٧٤

^{١٦} سعد الدين التفتازاني ، مختصر المعاني ، ص : ٢٨١ ، بتصريف .

^{١٧} ابن الأثير ، المثل السائر، ص : ٢٩٩

^{١٨} فخرالدين الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص : ٢١٥ ، الطبعة الأولى ، دار صادر ،

والمعنى ، فيأتي باللفظ القليل الشامل لأمر كثيرة^{١٩} . و أما الرُّماني فقال : "الإيجاز
تقليل الكلام من غير إحلال بالمعنى ، و إذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة
و يمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة ، فالألفاظ القليلة إيجازٌ"^{٢٠} .

المبحث الثالث : الإطناب أفضل أم الإيجاز

اختلفت الآراء في تفضيل الإيجاز على الإطناب أو بالعكس ، و قد استدل العلماء
في تفضيل الإيجاز على الإطناب ، والبعض الآخريين استدلوا بالعكس أي : في
تفضيل الإطناب على الإيجاز ، والبعض الآخريين جمعوا بين فضيلة الإيجاز والإطناب
بقولهم : "القول القصد أن الإيجاز والإطناب يُحتاجُ إليهما في جميع الكلام و في
كُلِّ نوع منه ، ولكلِّ واحدٍ منهما مَوْضِعٌ ؛ فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه
كالحاجة إلى الإطناب في مكانه ، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته ، واستعمل
الإطناب في موضع الإيجاز ، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ"^{٢١} . و من
ثم يأتي أبو هلال العسكري بمزيد من أقوال البلغاء في تثبيت رأيه نقلاً عن بعضهم
بقوله : متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار عيباً ، ومتى كانت الكناية في موضع
الإكثار كان الإيجاز تقصيراً"^{٢٢} .

قد يُثبِتُ من هذا أن للإيجاز موضع خاص و للإطناب موضع خاص والحاجة إلى
كل منهما سواء . و لاشك أن هذا الرأي رأي متوسط، ولكن المسألة ليست
بسيطة هكذا كما رأى العسكري ، لأن هذا الرأي المتوسط يُثبِتُ أهمية كل الفنون

^{١٩} الباقلائي ، إعجاز القرآن ، ص : ٢٦٨ ، الطبعة الأولى ، مؤسّسة الكتب الثقافية ، بيروت ،
١٩٨٦ م .

^{٢٠} الرُّماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ص : ٧٦ ، (ضمن كتاب ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) .

^{٢١} أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص : ١٩٦

^{٢٢} أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص : ١٩٦

البلاغية حسب مواضعها ، فمثلا يمكن للقائل أن يقول : أنه لا يصح التقديم في موضع التأخير ولا التأخير في موضع التقديم و تقاس عليه أهمية بقية الفنون ، فأين فضيلة الواحد على الآخر ؟ ، وَمَا بَالُ الأدلة الواردة في المفاضلة بين الإيجاز والإطناب ؟ ، ومن بَيَّنَّها قول العسكري نفسه : " المنطق إنما هو بيانٌ ، والبيان لا يكون إلا بالإشباع ، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع ، و أفضل الكلام أبينه ، و أبينه أشده إحاطة بالمعاني ، ولا يُحاط بالمعاني إحاطة تامةً إلا بالإستقصاء ؛ والإيجاز للخواصِّ ، والإطنابُ مشترك في الخاصة والعامة ، و الغبي و الفطنُ ، و الرِيضُ و المرتاضُ "٢٣ .

وقد تعقَّبَ صاحبُ سرِّ الفصاحة^{٢٤} ، أبا هلال العسكري على ذلك الرأي و استدل أن المعيار هو ليس الاستواء للخاصة والعامة والغبيّ والفطن في الفهم ، كما في النقوش الدقيقة في الصناعات التي لا يدركها الضعيف البصر ، فعدم إدراكه ليس دليلاً على أن يُترك النقوش الدقيقة بدلاً عن النقوش الغليظة ليُدركها الضعيف البصر ، فيقول في رأيه : " إن كان الكلام الموجز لا يدل على معناه دلالة ظاهرة فهو عندنا قبيح مذموم ، لا من حيث كان مختصراً ، بل من حيث كان المعنى فيه خافياً ، و إن كان يدل على معناه دلالة ظاهرة إلا أنها تخفي على البليد والبعيد الذهن ومن لا يسبق خاطره إلى تصور المعنى ، ولو كان الكلام طويلاً لجاز أن يقع لهم الفهم ، فليس هذا عندنا بموجب أن يكون الأسهاب في موضع من المواضع أفضل من الإيجاز ، كما أن النقوش الغليظة في كثير من الصناعات لا تكون أحسن من النقوش الدقيقة ، لأن تلك يُدركها الضعيف البصر و يتعذر عليه

^{٢٣} أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص : ١٩٦

^{٢٤} وهو الأمير أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى ٤٦٦ هـ .

إدراك هذه ، ولو اعتبرنا هذا في الكلام وفهم البليد له ، لاعتبرنا ذلك في النقوش و إدراك الضعيف البصر لها ، وهذا فاسد^{٢٥} ."

فيتضح من كلامه هذا : أن فهم البليد من عامة الناس و إدراكه ليس دليلاً على حسن الكلام و قبولها عند البلغاء ولو كان ذلك ، لجاز لنا أن نستقبح كلام العالم العاقل كالجاحظ^{٢٦} وغيره من البلغاء بما أنه بعيد عن فهم البليد و عامة الناس ، و نستحسن كلام الجاهل ، البليد لأنه أقرب إلى فهم عامة من الناس .

و إذا كان المعنى يمكن أن يُعبّر عنه بألفاظ كثيرة و يمكن أن يُعبّر عنه بألفاظ قليلة ، فالألفاظ القليلة أحسن ، وهذا ما نراه في آراء الرّماني أثناء تعريفه للإيجاز حيث يقول : " الإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن من البيان ، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر و تخليصها من الدرر ، والإيجاز البيان عن المعنى الكثير بأقل ما يمكن من الألفاظ ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير ، والإيجاز والإكثار إنّما هما في المعنى الواحد ، و ذلك ظاهر في جملة العدد و تفصيله كقول القائل لي : عنده خمسة و ثلاثة و إثنان في موضع عشرة . وقد يطيل الكلام في البيان عن المعاني المختلفة وهو مع ذلك في نهاية الإيجاز . و إذا كان الإطناب لا مترلة إلا و يحسن أكثر منها فالإطناب حينئذٍ إيجاز كصفة ما يستحقّه الله تعالى من الشكر على نعمه ، فإطناب فيه إيجاز^{٢٧} ."

^{٢٥} الخفاجي ، سرّ الفصاحة ، ص : ٢٠٦ - ٢٠٧

^{٢٦} هو أبو عثمان ، عمرو بن بحر الجاحظ ، البصري المعتزلي (المتوفى : ٢٥٥هـ) ، صاحب التصانيف الكثيرة في كل فن ، كالبیان والتبيين و كتاب الحيوان وغيرهما ، راجع لترجمته : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١٢ / ٢٠٨ - ٢١٤ ، و ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٣ / ٤٧٠ - ٤٧٥ ، و الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ص : ١١ / ٥٢٦ .

^{٢٧} الرّماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ص : ٨٠ (ضمن ثلاث رسائل).

وأما صاحب كتاب الطراز فإنه سرى على مذهب تفضيل الإيجاز و ترجيحه على الإطناب و تعاقب على من يستدل في حق الإطناب بأنه أقرب إلى إفهام العامة ، وأخذهم أخذة شديدة حسب قوله : " الإيجاز من أعظم قواعد البلاغة ، ومن مهمات علومها ، و مواقعه في القرآن أكثر من أن تحصى ، فإذا تمهّدت هذه القاعدة فاعلم أن جماعة من علماء البيان زعموا أن الكلام قسمان ، فمنه ما يحسن فيه الإيجاز و الاختصار ، وهذا نحو الأشعار ، والمكاتبات ، و أنواع التصانيف في العلوم والآداب ، ومنه ما يحسن فيه التطويل ، وهذا نحو الخطب و أنواع الوعظ التي تُفعل من أجل العوام فإنّ الكلام إذا طال أثر ذلك في قلوبهم ، وكانوا أسرع إلى قبوله ^{٢٨} .

فمن كلامه هذا يتضح ظاهر الأمر أنه بيّن مواضع الإيجاز نحو الأشعار والمكاتبات و مواضع الإطناب نحو الخطب والوعظ و غير ذلك من الأغراض ولكن الأمر ليس كذلك بل إنه يأتي من بعده بالأدلة الواقعية ذات الأثر الشديدة في نفي آرائهم الذين يرون المعيار من الكلام البليغ إفهام العوام و إدراكهم فيقول : " واعتلّوا بأنه لو اقتصر على الإيجاز والاختصار فإنه لا يقع لأكثرهم نفع ، ولا يجدي ذلك في حقّه ، وهذا فاسد لا وجه له ، فإن الإيجاز الذي لا يخلُّ بمعاني الكلام هو اللائق بالفصاحة والبلاغة و على هذا ورد التزليل ، والسنة النبويّة ، و كلام أمير المؤمنين ^{٢٩} و غير ذلك من فصيح كلام العرب ، فإنه مبني على الإيجاز الدال على المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة ، وما زعموه من إفهام العامة فإنّ إفهامهم ليس

^{٢٨} يحيى العلوي ، كتاب الطراز ، ص : ٢٤٥

^{٢٩} مراده من أمير المؤمنين هو علي ابن أبي طالب عليه السلام .

شرطاً معتبراً ولا يُعوّل عليه ، ولو جاز ترك الإيجاز البليغ لأجل إفهام العوام لجاز ترك الألفاظ الفصيحة والإتيان في الكلام بالألفاظ العامية المألوفة عندهم^{٣٠}.

فثبت من هذا كله أنه كما لم يجز ترك الإيجاز البليغ لأجل إفهام العوام فهكذا ليس شرطاً معتبراً ما ذكره العلماء أن المعيار هو إفهام العوام ، بل إنما الذي يجب مراعاته ، هو الإتيان بالألفاظ الوجيهة الفصيحة ، والتجنب عن الألفاظ الوحشية مع الوفاء في ذلك بالإبانة والإفصاح ، وسواء فهم العوام أم لم يفهموا لأنه لا يضرّ الكلام الفصيحَ عدم فهم العوام لمعناه .

^{٣٠} العلوي ، كتاب الطراز ، ص : ٢٤٥-٢٤٦ .

الباب الثاني : فلسفة إيجاز القصر في الآيات القرآنية

Philosophy of the rhetorical brevity
in Quranic Ayaat

وفيه فصلان

الفصل الأول : فلسفة إيجاز التقدير في الآيات القرآنية

الفصل الثاني : فلسفة الإيجاز الجامع في الآيات القرآنية

الفصل الأول : فلسفة إيجاز التقدير في الآيات القرآنية
Philosophy of the Brevity of the account in Quranic Ayaat

وفيه تسعة مباحث

- المبحث الأول : بيان آيات مُلكِ الله ليتأمل الإنسان في قدرته وحكمته وتديره
المبحث الثاني : التأديب في الحلف بالله
المبحث الثالث : من جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
المبحث الرابع : الأمن الحقيقي
المبحث الخامس : الحكم في الذين ينقضون العهد
المبحث السادس : حكاية اعتزال إخوة يوسف عن الناس و نجوتهم فيما بينهم
المبحث السابع : البرهان المنطقي على أساس التوحيد " لا إله إلا الله "
المبحث الثامن : سنة الله تعالى في المسرفين
المبحث التاسع : تقرير خلق الإنسان و علمُ الله بأحواله

إيجاز القصر

Rhetorical brevity of Summarization

إيجاز القصر أسلوب معروف من أساليب القرآن الذي يمتاز به القرآن على بقية أنواع الكلام من الشعر والنثر ، لأن الآيات القرآنية تحتمل أكثر من المعاني المعتادة التي توجد في كلام البلغاء عامة . وقد تكثر المعاني بإنزال لفظ الآية على وجهين أو أكثر مع الإيجاز في اللفظ، والإيجاز اللفظي من غير حذف ينقسم إلى قسمين وهما :
أ - إيجاز التقدير . ب - الإيجاز الجامع .

والمراد من إيجاز التقدير كما بيّنه السيوطي : أن يقدر معنى زائد على المنطوق ، ويسمى بالتضييق أيضاً لأنه نقص من كلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه^١ .

أ - إيجاز التقدير

هذا النوع من الإيجاز تدل ألفاظه على احتمالات متعددة ومع كون على قلتها جمعت معاني كثيرة متزاحمة ولايسهل على البليغ أن يعبر عنه إلا بالقول المُسْتَهَب الطويل . و هذا الأسلوب من الكلام يُسمى إيجاز التقدير لأن مدار الإيجاز فيه على اتساع الإلفاظ القليلة للمعاني المتكاثرة و الأغراض المتزاحمة بدون حذف الكلمات و الجمل . ففي هذا الفصل نبحث عن الآيات القرآنية الواردة في هذا الأسلوب من الإيجاز ، لنذكر الحكمة المستترة فيها و لنطلع على الأغراض البليغة المتناثرة من بينها ، و بذلك يمكن لنا أن نحظي من بلاغة الأسلوب القرآني في هذا النوع ، وفي التالي بعض الآيات التي وقع إيجاز التقدير فيها .

^١ السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ١٠٦ ، بتصريف قليل .

المبحث الأول : بيان آيات مُلكِ الله ليتأمل الإنسان في قدرته وحكمته وتدبيره
قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ
الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ ﴾ .

فالآية رغم وجازتها لفظا استوعبت جميع الخلق بأنواعه منها :

- أ - السماوات التي تَسِيرُ فيها الكواكب بانتظام
 - ب - الأرض وما فيها من البر والبحر
 - ج - تعاقب الليل والنهار
 - د - ما يجري في البحر من السفن تحمل الناس والمتاع ولا يسيرها إلا الله فهو الذي يرسل الرياح لتسييرها
 - هـ - الحيوانات الأرضية
 - و - المطر الذي به يسقي النبات والحيوان
 - ز - السحاب المعلق بين السماء والأرض
- وبين أن كل هذه الآيات الكونية قامت بكل إحكام وإتقان بقدره الله الذي لا يعجزه شيء ، ويدرك حقائقها المتدبرون العاقلون .

وفسّر المفسّرون هذه الآية حسب رغبتهم واستنبط منها الإشارات الدالة على حسن صنع الله حسب موهبتهم و قدرتهم فمثلا ذكر ابن القيم^٣ في تفسير هذه الآية و في بيان علو بلاغتها : إن الله سبحانه وتعالى ذكر قرار العالم وهو الأرض وسقفه وهو السماء وأصول منافع العباد وهو الماء الذي أنزله من السماء فذكر المسكن والساكن وما يحتاج إليه من مصالحه ونبه تعالى يجعله للأرض فراشا على تمام حكمته في أن هيأها لاستقرار الحيوان عليها فجعلها فراشا ومهادا وبساطا وقرارا وجعل سقفها بناء محكما مستويا لا فطور فيه ولا تفاوت ولا عيب^٤.

و من العلماء من يتدبر في الكون و أجرامه و يتفكر في صنع الله تعالى بالنظرة العلمية يرى أن الآية احتوت على الحقائق العلمية العميقة فيقول :

" تتجلى في هذه الآية مجموعة من العلوم الطبيعية التي بحث العلماء المتأخرون في موضوعاتها ووجدوا من القرآن خير مرشد للتفكير فيها ، فقد أشارت إلى علم الفلك ونشأة الكون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وأشارت إلى علم الملاحة البحرية في قوله تعالى: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ . وأشارت إلى علم النبات والزراعة في قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ، وأشارت إلى علم الحيوان في قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ ، وأشارت إلى علم الإحصاء الجوية في قوله تعالى: ﴿وَتَصَرِّفِ

^٣ هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١) هـ ، من أركان الإصلاح الإسلامي ، وأحد كبار العلماء ، مولده ووفاته في دمشق . تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية . ألف ابن القيم تصانيف كثيرة منها : إعلام الموقعين ، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، والصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلّة ، والنبیان في أقسام القرآن ، ولمحمد أويس الندوي كتاب : التفسير القيم ، استخرجه من مؤلفاته ، راجع: ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: ٢٤٣/٣-٢٤٥ ، والزركلي ، الأعلام: ٥٦/٦ .
^٤ ابن القيم ، بدائع الفوائد: ٤/١٥٤٦ ، تحقيق : علي بن محمد بن العمران ، مجمع الفقه الإسلامي ، جده .

الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿٦﴾ ، وقد أدى التفكير فيها إلى معرفة نواميسها ومقوماتها ونظامها ، فسبحان من هذا كلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويهدى إلى سواء السبيل ، ويوجه عقل الإنسان وقلبه إلى مُلكِ الله يتأمله ليرى قدرته وحكمته وتدبيره الرائع في صنعه^٥ .

و أما من العلماء من له وجهة خُلقية صوفية فهو يرى أن الآية تدع إلى التدبر و التفكير في خلق الله فمثلا يقول الغزالي^٦ :

" فليس يخفي على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره ؛ بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيرها ومصرفة بمقتضى تدبيره"^٧ .

إن مدار هذه الآية و الآيات مثلها في القرآن الكريم أن يُرغَبَ الإنسان إلى تفكر و تدبر في خلق الله و أن يهتدي بها إلى طاعة خالقه . و بُيِّنَت في هذه الآيات الأسرار والحكم التي تدركها العقول حسب المراتب و كل ذلك جاء بأوجز الألفاظ الدالة على المراد و المقصود .

^٥ محمد إسماعيل إبراهيم ، القرآن وإعجازه العلمي : ١٤٢ ، دار الفكر العربي ، بدون اسم المكان .

^٦ هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد ، حجة الإسلام : فيلسوف ، متصوف (٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ) له نحو مئتي مصنف ، مولده ووفاته في الطابران (قصة طوس ، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، وعاد إلى بلده . نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزاة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف . و من كتبه إحياء علوم الدين ، و تحف الفلاسفة ، و الاقتصاد في الاعتقاد ، و المنقذ من الضلال ، و منهاج العابدين و غيرها من الكتب ، راجع : وفيات الأعيان : ٤/٢١٦-٢١٩ ، ومعجم المؤلفين : ١١/٢٦٦-٢٦٩ ، والزركلي ، الأعلام : ٧/ ٢٢ .

^٧ الغزالي ، إحياء علوم الدين : ١/٩٣ ، مكتبة عبدالوكيل الدروي ، دمشق ، د . ت .

المبحث الثاني : التأديب في الحلف بالله

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾^٨ .

إن الآية في شدة التنبيه على جعل يمين الله أو قسم الله مانعا لما يحلف الناس عليه من البر والتقوى بحيث ألفاظها قليلة و المعاني فيها واسعة بدون حذف أو إضمار و قوله تعالى هذا على أحد التأويلين حسب ما بينه الفقهاء^٩ :

الأول : أن تُجعلَ يمينه مانعة من البرِّ والتقوى والإصلاح بين الناس ، فإذا طلب منه ذلك قال : " قد حلفت " فيجعل اليمينَ معترضةً بينه وبين ما هو مندوب إليه أو هو مأمور به من البرِّ والتقوى والإصلاح ، فإن حلف حالف أن لا يفعل ذلك فليفعل وليدع يمينه .

الثاني : أن يكون قوله : ﴿عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ ، يريد به كثرة الحلف ، وهو ضرب من الجرأة على الله تعالى وابتدال لاسمه في كلِّ حقِّ وباطل ؛ فمنع المؤمنين أن لا يتبدلوا لاسمه تعالى في كل حق و باطل و أن لا تكثرُوا بالحلف به . فكل هذه المعاني جاءت على سبيل الإيجاز بدون الحذف ، فمعاني هذا الكلام أكثر من ألفاظه ، وإذا أراد أحد أن يبينها بناء آخر ، فإنه يجدها تجيء في أضعاف هذه الألفاظ .

المبحث الثالث : من جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف

قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾^{١٠} ، فهذه الآية بوجازة الألفاظ وكثرة المعاني تُعدُّ من باب الإيجاز الذي يسمى التقدير ،

^٨ سورة البقرة ، الآية : ٢٢٤ .

^٩ راجع : الجصاص ، أحكام القرآن: ١/٣٥٣-٣٥٤ ، و ابن العربي ، أحكام القرآن: ١/١٧٥ ،

دارالمعرفة ، بيروت ، د . ت .

^{١٠} سورة البقرة ، الآية : ٢٧٥ .

ومعنى هذه الآية الكريمة أن من جاءه موعظة من ربه يزره بها عن أكل الربا فانتهى أي : ترك المعاملة بالربا ، خوفاً من الله تعالى وامتنالاً لأمره فله ما سلف أي : ما مضى قبل نزول التحريم من أموال الربا . و بما أن سباق الآية في تحريم الربا فالمراد من قوله تعالى : ﴿ فَأَنْتَهَى ﴾ ، كما بيّنه الأصفهاني^{١١} : " أي بلغ به نهايته . والإهاء في الأصل إبلاغ النهي ، ثم صار متعارفاً في كل إبلاغ فقليل أنهيت إلى فلان خبر كذا ، أي : بلغت إليه النهاية^{١٢} " .

المعاني المستفادة من الآية

لقد استفاد المفسرون من أخذ المعاني الكثيرة من هذه الآية رغم وجازتها كما يلي :
 أ - الآية دالة على أن مَنْ انزَجَرَ بعدَ النَّهْيِ فله ما سلف قبضه من مال الربا قبل نزول تحريم الربا ولم يتعقب بالفسخ ما كان منه مقبوضاً بقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾^{١٣} .

ب - المراد من هذه الآية أن خطاياها غفرت فهي له لا عليه^{١٤} .

^{١١} هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني المعروف بالراغب (المتوفى : ٥٠٢ هـ) ، من الحكماء العلماء ، سكن بغداد ، من كتبه محاضرات الأدباء ، و الذريعة إلى مكارم الشريعة ، و الأخلاق يسمى أخلاق الراغب ، و المفردات في غريب القرآن ، راجع : الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٨ / ١٢٠ ، الطبعة الحادية عشرة ، ٢٠٠١ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، والزركلي ، الأعلام : ٢ / ٢٥٥ .

^{١٢} الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص : ٥٠٩ ، تحقيق : محمد خليل عيتاني ، قديمي كتب خانه ، كراتشي ، باكستان ، د . ت .

^{١٣} الجصاص ، أحكام القرآن : ٤٧١ / ١ .

^{١٤} السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ١٠٦ . بتصريف بسيط .

ج - ويؤخذ من هذه الآية الكريمة أن الله لا يؤاخذ الإنسان بفعل أمر إلا بعد أن يجرمه عليه ، وقد أوضح هذا المعنى في آيات كثيرة^{١٥}، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾^{١٦} ، و﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾^{١٧} ، ونظيره قوله تعالى : ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾^{١٨} .

د - ومعناه أن خطاياها الماضية قد غفرت له وتاب الله عليه فيها، إلا أن قوله: "فله ما سلف" أبلغ ، أي : أن السالف من ذنوبه لا يكون عليه إنما هو له^{١٩} . فالآية على قمة البلاغة حيث أنها تحمل معان كثيرة مع الوجازة في الألفاظ ، و من الأغراض الحكيمة لهذا الأسلوب ، ومن بينها : أن لا يئس العباد الذين ظلموا أنفسهم ، بل بشرهم الله بقبول توبتهم إن تابوا و أصلحوا إذا جاءتهم الموعظة .

المبحث الرابع : الأمن الحقيقي

قال الله تعالى : ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾^{٢٠} ، لقد جمعت المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة في هذه الآية حتى قال أبو هلال العسكري : "دخل تحت الأمن جميع المحبوبات لأنه نفى به أن يخافوا شيئاً أصلاً من الفقر والموت وزوال النعمة والجور وغير ذلك من أصناف المكاره"^{٢١} . إن الآية مع ألفاظها وجيزة ، و أصبح كل

^{١٥} الشنقيطي ، أضواء البيان : ٢٢٩/١ ، عالم الكتب ، بيروت د . ت .

^{١٦} سورة النساء ، الآية : ٢٢ .

^{١٧} سورة النساء ، الآية : ٢٣ .

^{١٨} سورة المائدة ، الآية : ٩٥ .

^{١٩} ابن الأثير ، المثل السائر : ٢ / ٣٢١ .

^{٢٠} سورة الأنعام ، الآية : ٨٢ .

^{٢١} أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين : ١٨٢ ، وكذلك وردت نفس الكلمات في الكتب غيره

راجع : ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر : ٢ / ٣٣٦ .

لفظ من الآية على غاية البلاغة ، وأشار ابن عاشور إلى ذلك قائلاً : أشارت اللام إلى أن الأمن مختصّ بهم وثابت ، وهو أبلغ من أن يُقال : آمنون^{٢٢} . فلا نرى كلمة أجمع من هذه في تعبير المعاني لأن المراد من الأمن ، الأمن من عذاب الدنيا نحو ما عُذِّبت به الأمم الجاحدة ، ومن عذاب الآخرة .

المبحث الخامس : الحكم في الذين ينقضون العهد

قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْزِلْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ^{٢٣} ﴾ ، إن الآية على قمة الإيجاز حيث قلت حروفها و كثرت معانيها فقله تعالى : ﴿ فَأَنْزِلْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ ، قد احتوى على معان جمّة ، ويّنها المفسّرون ضمن تفسير هذه الآية بقولهم : إما تعلّم من قوم من المعاهدين نقضَ عهدٍ فيما سيأتي بما لاح لك منهم من دلائل الغدرِ ومخايلِ الشرِ فاطرح إليهم عهدهم على طريق مستوٍ قصّد بأن تُظهر لهم النقض وتُخبرهم إخباراً مكشوفاً بأنك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولاتناجزهم الحربَ وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبةُ خيانة^{٢٤} . والنبد : الطرح وإلقاء الشيء فمعناه : فانبد إليهم نبذاً واضحاً علناً مكشوفاً . وقال ابن عاشور في بيان حكمة نبذ العهد على خوف الخيانة : "إتما رتب نبذ العهد على خوف الخيانة ، دون وقوعها ، لأن شؤون المعاملات السياسية والحربية تجري على حسب الظنون ومخائل الأحوال ولا ينتظر تحقّق وقوع الأمر المظنون لأنّه إذا تريتّ ولاة الأمور في ذلك يكونون قد عرضوا الأمة للخطر ، أو للتورّط في غفلة وضياع مصلحة ، ولا تُدار سياسة الأمة بما يدار

^{٢٢} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٣٣٣/٧ ، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٩٨٤ م .

^{٢٣} سورة الأنفال ، الآية ٥٨ .

^{٢٤} الزمخشري ، الكشّاف : ٢١٩/٢ ، والآلوسي ، روح المعاني : ٢٣/١٠ ، مكتبة إمدادية، ملتان ،

باكستان ، د . د . ت ، وأبو السعود ، تفسير أبي السعود : ٣١/٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

به القضاء في الحقوق ، لأنّ الحقوق إذا فاتت كانت بليتها على واحد ، وأمّكن تدارك فائتها . ومصالح الأمة إذا فاتت تمكّن منها عدوّها ، فلذلك علّق نبذ العهد بتوقّع خيانة المعاهدين من الأعداء ، ومن أمثال العرب : خُذ اللص قبل يأخُذك^{٢٥} ، أي : وقد علمت أنّه لص^{٢٦} .

فالآية بيّنت في الألفاظ الوجيزة أن المعاملات السياسية والحربية تجري على حسب الظنون ومخائل الأحوال ولا ينتظر تحقق وقوع الأمر المظنون ، ولا تُدار سياسة الأمة بما يدار به القضاء في الحقوق ، ولو يُنتظر لذلك لوقعت الأمة في الخطر .

المبحث السادس : حكاية اعتزال إخوة يوسف عن الناس و نجوتهم فيما بينهم

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا^{٢٧} ﴾ ، إن كلمة "خلصوا" من الخلوص بمعنى الانفراد^{٢٨} وكلمة "نجيا" حال من فاعل خلصوا ومصدر أُطلق على المتناجين في السر على سبيل المبالغة .

فألفاظ هذه الآية كلها فرائد معدومة النظائر بحيث لا يستطيع الإتيان بمثلها حتى نقل بعض الأدباء أن أعرايبا لمّا سمع رجلا يقرأ هذه الآية فقال : " أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام^{٢٩} .

^{٢٥} الميداني ، مجمع الأمثال : ٣٣٥/١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^{٢٦} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٥٢/١٠ .

^{٢٧} سورة يوسف ، الآية : ٨٠ .

^{٢٨} راجع : الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص : ١٦١ ، (مادة : خلص) .

^{٢٩} محمد الصالحى ، سبل الهدى و الرشاد : ٤١٥/٩ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م ، دار الكتب العلمية ،

بيروت ، و أبو الفضل عياض ، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى : ٣٦٥/١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

وقال الثعالبي^{٣٠} مشيراً إلى بلاغة هذه الآية : "من أراد أن يعرف جوامع الكلم ويتنبه على فضل الإعجاز والاختصار ويحيط ببلاغة الإيماء ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن وليتأمل علوه على سائر الكلام فمن ذلك قوله عز ذكره : في إخوة يوسف : ﴿ فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ حَلْصُوا نَجِيًّا ﴾^{٣١} ."

فأينا أن الآية من أبلغ الجمل التي اشتمل عليها القرآن الكريم ، وتضمنت تلك الكلمات القصيرة معاني القصة الطويلة و هي : أن إخوة يوسف انفردوا عن غيرهم يناجي^{٣٢} بعضهم بعضاً بعدما بذلوا أقصى جهودهم مع يوسف عليه السلام ليطلق لهم سراح أحيهم بنيامين ، فلم ينجحوا فيما أرادوا فيئسوا يأساً تاماً ، فانفردوا عن الناس ليتشاوروا ويتناجوا ويتناظروا فيما يفعلونه ، وفيما سيقولونه لأبيهم عندما يعودون إليه فاثنين أحاهم بنيامين .

هذه وأشباهها في الكتاب العزيز لا يدخل تحت الحصر وهذا من إعجاز البياني للقرآن الكريم و الصنعة البلاغية في هذه الآية هو إيجاز القصر .

^{٣٠} هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ - ٥٤٢٩هـ) : من أئمة اللغة والأدب من أهل نيسابور. كان فراءاً يخطط جلود الثعالب ، فنسب إلى صناعته . و اشتغل بالأدب والتاريخ ، فبلغ ، وصنف الكتب الكثيرة الممتعة منها : فقه اللغة وسر العربية ، سحر البلاغة وسر البراعة ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، نثر النظم وحل العقد ، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، راجع : ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ١٧٨/٣ ، و الزركلي ، الأعلام : ١٦٣/٤ ، وعمر كحالة ، معجم المؤلفين : ١٨٩/٦ .

^{٣١} الثعالبي ، الإعجاز والإيجاز ، ص : ١٣٢ ، الطبعة الأولى ، ١٨٩٧م ، المطبعة العمومية ، مصر .

^{٣٢} و جعل المفسرون و أهل اللغة النجى كفعال بمعنى مفاعل كالعشير والخليط . بمعنى المخالط والمعاشر و هو لفظ يوصف به من له نجوى واحداً أو جماعة أو مؤثناً أو مذكراً كما يقال : "رجل عدل ، ورجال عدل" ، راجع : ابن عطية ، المحرر الوجيز : ٣/ ٢٦٩ ، والرازي ، التفسير الكبير : ١٨/ ١٨٧ ، و ابن عادل ، اللباب في علوم الكتاب : ١١/ ١٧٨-١٧٩ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ ، دارالكتب العلمية ، بيروت .

المبحث السابع : البرهان المنطقي على أساس التوحيد " لا إله إلا الله "

قال الله تعالى : ﴿ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾^{٢٣} ، إن الآية إشارة إلى دليلين منطقيين للتوحيد بألفاظ وجيزة و هما :

الدليل الأول

إن قوله تعالى : ﴿ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ يشير إلى أنه لا إله إلا الله ، ولو كان ألهة إلا الله ليستقل كل إله بما خلقه ويصرفه حسب ما يريد و يضع كل إله قانونا خاصا لجزء الكون من خلقه و كنتيجة لذلك يحصل التباين في نظام هذا الكون . ولكن لما هذا غير واقع و أشار إليه القرآن في مقام آخر : ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ۗ ﴾^{٢٤} ونظام الكون منسق منتظم فهذا دليل بين للتوحيد .

الدليل الثاني

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾^{٢٥} ففيه دليل على توحيده تعالى أيضا و ذلك بأنه لو كان آلهة إلا الله لحصل خلاف كبير بين الألهة ، وقهر أحدهم الآخر ، وغلب بعضهم على بعض وظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا ، فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء ، وإليه أشار القرآن : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۗ ﴾^{٣٠} ، ولكن كل هذه الأمور غير موجودة ، بل الأمر على العكس و وحدة الكون ظاهرة تشهد بوحدة مكوّنه و بوحدة خالقه ، وكل

^{٢٣} سورة المؤمنون ، الآية : ٩١ .

^{٢٤} سورة الملك ، الآية : ٣ .

^{٣٠} سورة الأنبياء ، الآية : ٢٢ .

شيء في هذا الكون يبدو متناسقاً منتظماً بلا تصادم ولا نزاع و هذا دليل ثان في نفس الآية للتوحيد .

و قد أشار كثير من العلماء و المفسرين إلى الجانب الاستدلالي البرهاني في الآية فمثلا قال الألوسي : " إن الآية إشارة إلى دليل إقناعي للتوحيد^{٣٦} " ، وقال ابن عاشور : " وهذا دليل برهاني على الوحدانية لأنه أدى إلى استحالة ضدها^{٣٧} ، و قال الشنقيطي أنه أقام البرهان على استحالة تعدد الآلهة^{٣٨} ، و قال الزركشي : " هذه حجة عقلية تقديرها أنه لو كان خالقان لاستبد كل منهما بخلقه فكان الذي يقدر عليه أحدهما لا يقدر عليه الآخر ويؤدي إلى تنهى مقدورتهما ، وذلك يبطل الإلهية فوجب أن يكون الإله واحدا^{٣٩} " .

فالآية رغم كونها وجيزة لفظيا استوعبت المعاني الكثيرة في رحابها البلاغي ، وبذلك أجرى العلماء و المفسرون بحثا قيّمة في تفسير الآية بكونها موجزة دالة على المراد و أثبتوا الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية ، فبذلك نستطيع أن نقول باختصار أن الآية برهان على توحيده سبحانه و تعالى .

المبحث الثامن : سنة الله في المسرفين

قال الله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾^{٤٠}، إن الآية في شدة التنبيه على ترك المشركين الحق والإعراض عنه بحيث ألفاظها قليلة

^{٣٦} الألوسي ، روح المعاني : ٥٩/١٨ .

^{٣٧} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ١١٥/١٨ .

^{٣٨} الشنقيطي، أضواء البيان : ٨١٦/٥ .

^{٣٩} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٤٦٨ - ٤٦٩ ، ومثل ذلك ما جاء في التفاسير العديدة

، راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٢٠٣/٣ ، و الرازي ، التفسير الكبير : ١١٧/٢٣ ، ابن عطية ، المحرر الوجيز : ١٥٣/٤ .

^{٤٠} سورة الزخرف ، الآية : ٥ .

والمعاني فيها واسعة بدون حذف أو إضمار و قوله تعالى هذا على أحد التأويلين حسب ما بيّنه ابن القيم : أي : نترككم فلا نستصلحكم ، ولا ندعوكم ونعرض عنكم إذا عرضتم أنتم وأسرفتم^{٤١} .

واختلف المفسرون في معنى الذكر فقليل معناه أفرد عنكم النصائح والمواعظ ، وقيل أفرد عنكم القرآن ، وهذا استفهام على سبيل الإنكار ، يعني إنا لا نترك هذا الإعذار والإنذار بسبب كونكم مسرفين ، وهذا الكلام يحتمل وجهين : الأول : الرحمة ، يعني : أن لا نترككم مع سوء اختياركم بل نذكركم ونعظكم إلى أن ترجعوا إلى الطريق الحق .

الثاني : لمبالغة في التخليط ، يعني : أتظنون أن تتركوا مع ما تريدون ، كلا بل نلزمكم العمل وندعوكم إلى الدين ونؤاخذكم متى أخللتم بالواجب وأقدمتم على القبيح^{٤٢} .

الفائدة المستفادة من الآية

إن الآية تُستفاد منها أمران رغم وجازتها :

أ - إن فيها لتهديد مخيف أن يلوح للمشركين و للبلغاة من الناس لأمر الله بعد ذلك بالإهمال من حسابه تعالى ورعايته ، جزاء إسرافهم القبيح .

ب - وإلى جانب هذا التهديد يذكر الله تعالى بسنته في المكذبين أنهم بكونهم مسرفين وبصفتهم أنهم معرضون من أمر الله فمع ذلك لن يُتركوا سُدى بل يُدعون إلى الخير و يؤمرون بالمعروف و يُنهون عن المنكر .

^{٤١} ابن القيم ، بدائع الفوائد : ١٠٦٣/٣ .

^{٤٢} الرازي ، التفسير الكبير: ١٦٧/٢٧-١٦٨ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ،

فكل هذه المعاني جاءت على سبيل الإيجاز بدون الحذف ، فمعاني هذا الكلام أكثر من ألفاظه ، وإذا أراد أحد أن يبينها بناء آخر ، فإنه يجدها تجمى في أضعاف هذه الألفاظ .

المبحث التاسع : تقرير خلق الإنسان و علم الله بأحواله

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۗ وَحَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۗ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۗ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۗ﴾^{٤٣} .

لقد دلت المجموعة من الآيات على تخويف وإرهاب وهذه الآيات مشتملة مع قصرها على بيان حال الإنسان منذ خلقه إلى حين حشره ، والأسلوب جذاب رائع مع الوجازة حتى قال أحد العلماء إشارة إلى فصاحتها :
"وهذه الآيات من قوارع القرآن العجيبة التي دلت على تخويف وإرهاب ترقق القلوب ، وتقشعر منه الجلود ، وهي مشتملة مع قصرها على حال الإنسان منذ خلقه إلى حين حشره وحشر غيره من الناس ، وتصوير ذلك الأمر الفظيع في أسهل لفظ وأقربه ، وما مررت عليها ألا جدت لي موعظة وأحدثت عندي إيقاظا"^{٤٤} .
وهذه الآيات جامعة بين الإيجاز وبين مناسبة الحال التي وقع الإنسان فيها منذ خلقه إلى بعثه بعد الموت ، وهذا الأسلوب من الإيجاز البليغ الذي هو طباق ما قصد له .

^{٤٣} سورة ق ، الآية : ١٦ - ٢١ .

^{٤٤} ابن الأثير ، المثل السائر : ٢ / ٣٢٢ .

الفصل الثاني : فلسفة الإيجاز الجامع في الآيات القرآنية

Philosophy of the Comprehensive Brevity in Quranic Ayaat

وفيه ثمانية عشر

المبحث الأول : الدلالة على ركوب البحر غازيا وتاجرا ومُبتَغياً لسائر المنافع

المبحث الثاني : القصاص حياة

المبحث الثالث: الخلق و الأمر لله تعالى

المبحث الرابع : أجمع آية في مكارم الأخلاق

المبحث الخامس : تصوير الحال لغرق قوم نوح مع الإيجاز من غير إخلال

المبحث السادس : الدلائل الواضحة على قدرة الله تعالى

المبحث السابع : الآية الجامعة في بيان مسئولية الرسالة

المبحث الثامن : أجمع آية في المأمورات و المنهيات

المبحث التاسع : الإرشاد في الدعوة

المبحث العاشر : أجمع آية في محامد الله تعالى

المبحث الحادي عشر : الآية الجامعة في بيان أسباب الفوز في الدنيا و الآخرة

المبحث الثاني عشر : من مكر بأخيه فعاد مكره عليه

المبحث الثالث عشر : صفة خمر أهل الجنة

المبحث الرابع عشر : تحذير الناس من خيانة النفس والأعين

المبحث الخامس عشر : صفة جنة الخلد

المبحث السادس عشر : أجمع آية على عواقب الدنيا والآخرة

المبحث السابع عشر : أجمع آية في الزجر و التوبيخ مع بيان رحمته تعالى للإنسان

المبحث الثامن عشر : البشرى بالخير الكثير

فلسفة الإيجاز الجامع في الآيات القرآنية

Philosophy of the Comprehensive Brevity in Quranic Ayaat

المراد من الإيجاز الجامع أن يحتوي اللفظ على معان متعددة و محتملات عديدة ، ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه بل يستحيل ذلك ، و في التالي بعض الآيات القرآنية التي وقع الإيجاز الجامع فيها :

المبحث الأول : الدلالة على ركوب البحر غازيا وتاجرا ومُبتَغياً لسائر المنافع

قال الله تعالى : ﴿ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ .

إن الله تعالى لم يخص ضربا من المنافع في ركوب البحر بل ذكرها مطلقا فبذلك اتسع رحاب الآية مع الإيجاز أن يحتوي لجميع أنواع التجارات البحرية وصنوف المرافق . فمعاني الآية اتسعت مع الإيجاز اللفظي إلى هذا الحد حتى يمكن للفقهي أن يقول أن في الآية " دلالة على إباحة ركوب البحر غازيا وتاجرا ومُبتَغياً لسائر المنافع ؛ إذ لم يَخُصَّ ضرباً من المنافع دون غيره ^٢ " .

وكما قيل " قوله عز وجل : ﴿ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ ، جمع أنواع التجارات ، وصنوف المرافق التي لا يبلغها العدّ والإحصاء ^٣ " . فرأينا أنه من فضل إعجاز القرآن أن الآية رغم وجازتها أصبحت صالحة للفقهي أن يستنبط منها الأحكام الفقهية وكذلك للبلاغي أن يشرح المحاسن البلاغية أثناء قرأته لها ، وكذلك القرآن كله أنه يحمل في آياته الصلوحية الجذابة لمتخصصي الفنون المختلفة أن يستخرجوا منها

^١ سورة البقرة ، الآية : ٦٤ .

^٢ الجصاص ، أحكام القرآن ١/١٠٦ .

^٣ أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص : ١٨٢ .

الآلي القيمة حسب أذواقهم ، فإن فعلوا ذلك كلهم باذلين أقصى جهودهم فمع ذلك لن تنقطع عجائبه ولن يستطيعوا أن يحيطوا بحاسنه.

المبحث الثاني : القصاص حياة

قال الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^٤ ، ففري معاني كثيرة تدرج تحت قوله تعالى هذا ، التي لا يمكن حصرها ، ولا ينتهي أحدٌ إلى ضبطها ، و قد ذكر العلماء قول العرب في هذا المعنى " القتل أنفى للقتل " وذكروا فضيلة الآية على قولهم من جهة اللغة أكثر من عشرينات وجوه . وقد ذكرت هذه المفاضلة في الباب الأول^٥ . إن المفسرين و البلاغيين كتبوا كثيرا في بلاغة الآية من جهة الإيجاز حتى ما من مفسر الذي فسّر هذه الآية إلا وحاول أن يكشف أسرارها البلاغية^٦ ، وما من بلاغي الذي ذكر الآية في باب الإيجاز إلا و ذكر فضيلة الآية على قول العرب كمفاضلة لغوية وبلاغية^٧ و ذكر أن الإيجاز في الآية إيجاز جامع لا يستطيع الإنسان أن يأتي بمثلها .

^٤ سورة البقرة ، الآية : ١٧٩ .

^٥ راجع ، البحث ، ص : ٤٥ .

^٦ راجع : الزمخشري ، الكشاف : ١٤٨/١-١٤٩ ، وأبا حيان ، البحر المحيط : ١٨/٢ ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، و ابن عطية ، المحرر الوجيز : ٢٤٦/١-٢٤٧ ، و الرازي ، التفسير الكبير : ٦١/٥-٦٢ ، و أبو السعود ، تفسير أبي السعود : ١٩٦/١ ، و ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ١٤٤/٢-١٤٥ ، و الألوسي ، روح المعاني : ٥١/٢-٥٢ .

^٧ راجع : الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : ٢٦١ ، و يحيى العلوي ، كتاب الطراز ، ص : ٢٦٢ ، و الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص : ٢١٥-٢١٧ ، و ابن القيم ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، ص : ١٠٧-١٠٨ ، و الرّماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ص : ٧٧-٧٨ ، و ١٦٩-١٧١ ، و الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٢٢٢/٣-٢٢٤ ، و السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١٠٨/٢-١١٠ .

المبحث الثالث : الخلق و الأمر لله تعالى

قال الله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ^٨﴾ ، إن في هذه الآية كلمتان وقع فيهما إيجاز جامع بدون حذف أو إضمار و هما : الخلق و الأمر ، و هاتان كلمتان قد أحاطتا بجميع الأشياء في الكون على غاية الاستقصاء و تضمنتا جميع ما خُلِقَ و ما يُخْلَقُ و جميع ما دُبِّرَ و يُدبَّرَ حتى ذكر أبو هلال العسكري قول ابن عمر أنه لما قرأها قال : من بقي له شيء فليطلبه^٩ . و احتج المفسرون من هذه الآية على مسائل كثيرة ومنهم الرازي الذي قال أن الآية دلّت على أنه لا خالق إلا الله فيقول : " هذا يفيد الحصر بمعنى أنه لا خالق إلا الله ، وذلك يدل على أن كل أمر يصدر عن فلك أو ملك أو جني أو إنسي ، فخالق ذلك الأمر في الحقيقة هو الله سبحانه لا غير^{١٠} . و كذلك كثير من العلماء الذين اعترفوا بإعجاز الآية بسبب إيجازه ، فمثلا قال واحد منهم : "إن العالم وهو ما سوى الله تعالى منحصر في نوعين عالم الخلق وعالم الأمر ، وأن المراد بعالم الخلق عالم الأجساد والجسمانيات وبعالم الأمر عالم الأرواح والمجردات وأن قوله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ إشارة إلى هذين العالمين عبر عن العالم الأول بعالم الخلق لأن الخلق عبارة عن التقدير وكل ما كان جسما أو جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين فعبر عنه بعالم الخلق وكل ما كان مجردا عن الحجم و المقدار كان من عالم

^٨ سورة الأعراف ، الآية : ٥٤ .

^٩ أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين،ص:١٨٢، وقال أبو بكر الجزائري: إذ لم يبق شيء ما دام الخلق والأمر كلاهما لله ، راجع: أيسر التفاسير:١٨٢/٢، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م ، دارالكتب العلمية ، بيروت.

^{١٠} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١٢٢/١٤ - ١٢٣ .

الأرواح ومن عالم الأمر مكونات بمجرد أمر كن فخص كل واحد منهما باسم مناسب له وقيل ألا له الخلق والأمر^{١١}.

فكل ما قيل في تفسير الآية و منه قول القائل أنه استوعب جميع الأشياء على الاستقصاء في كلمتين لم يخرج عنهما شيء^{١٢}، فذلك كله بناء على الكلمتين أي : الخلق و الأمر لأن المراد من الخلق : إيجاد الشيء من العدم ، والأمر : التدبير والتصرف على حسب الإرادة فبذلك احتوت نظم الكلمتين هاتين جميع ما كان وما يكون و هذا دليل على إعجاز كلامه سبحانه وتعالى لا يقدر عليه المخلوق لأنه سبحانه وتعالى خالق العالم ومدبره حسب إرادته وحكمته لا شريك له في ذلك .

المبحث الرابع : أجمع آية في مكارم الأخلاق

قال الله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^{١٣} .

إن الله بيّن في هذه الآية المنهج القويم والصراط المستقيم المبني على مكارم الأخلاق ، فالآية مشتملة على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع الغير ، و إن للعلماء والمفسرين أبحاث طويلة في بيان معاني الآية و قال الرازي : ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية^{١٤} ، و كذلك قال ابن عاشور : قد عمت الآية صور العفو كلها : لأن التعريف في العفو تعريف الجنس فهو مفيد للاستغراق إذا لم يصلح غيره من معنى الحقيقة والعهد ، فأمر الرسول بأن يعفو ويصفح وذلك بعدم المؤاخذة

^{١١} إسماعيل الحقي ، تفسير روح البيان : ١٧٦/٣ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٣٠ هـ ، والنيسابوري ،

غرائب القرآن و رغائب الفرقان : ٢٥٤/٣ (ملخص) ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^{١٢} الإشارة إلى قول الفلقشندي في موسوعته : صبح الأعشى : ٣٢٣/٢ ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ،

١٩١٣ م .

^{١٣} سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩ .

^{١٤} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٩٦/١٥ .

بجفائهم وسوء خلقهم ، فلا يعاقبهم ولا يقابلهم بمثل صنيعهم . ولا يخرج عن هذا العموم من أنواع العفو أزمانه وأحواله إلا ما أخرجته الأدلة الشرعية مثل العفو عن القاتل غيلة ، ومثل العفو عن انتهاك حرمة الله ، وفي قوله : ﴿وَأْمُرَ بِالْعُرْفِ﴾ ضابط عظيم لمقدار تخصيص الأمر بالعفو . والأمر يشمل النهي عن الضد ، فإن النهي عن المنكر أمر بالمعروف ، والأمر بالمعروف نهي عن المنكر ، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده ، فالاجتزاء بالأمر بالعرف عن النهي عن المنكر من الإيجاز^{١٥} . و ذكر في البرهان و كذلك في الإتيان أن هذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق ، و انطوى تحتها كل دقيق و جليل و من الممكن أن نذكره بالاختصار ههنا في نكات ثلاث وهي :

- أ - في أخذ العفو التساهل والتسامح في الحقوق واللين والرفق في الدعوة إلى الدين .
- ب - و في الأمر بالمعروف كف الأذى و غض البصر و صلة الأرحام و صرف اللسان عن الكذب و ما شاكلهما من المحرمات .
- ج - و في الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم والتؤدة^{١٦} .

المبحث الخامس : تصوير الحال لغرق قوم نوح مع الإيجاز من غير إخلال

قال الله تعالى : ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي^{١٧}﴾ ، لقد جمعت في الآية مجموعة من المحاسن البلاغية كالإيجاز و الإبداع و حسن النسق و غير ذلك من المحاسن و فيها كلمتان وقع فيهما إيجاز جامع بدون حذف أو إضمار و هما : ابلعي و أقلعي ،

^{١٥} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٢٢٦/٩-٢٢٧ .

^{١٦} راجع: الزركشي، البرهان في علوم القرآن : ٢٢٦/٣ ، والسيوطي ، الإتيان في علوم القرآن : ١٠٧/٢ .

^{١٧} سورة هود ، الآية : ٤٤ .

لأن البلع : عبارة عن النشف ، والمراد من الإقلاع : الإمساك^{١٨} . وهاتان كلمتان قد دلتا على اقتدار الله تعالى العظيم ، وأن السموات والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لأمره طوعاً أو كرهاً وتضمنتا من بيان سرعة تنفيذ أمر الله من غير امتناع على غاية الاستقصاء لأن كلمة : ﴿أَبْلَعُ﴾ فعل استُعير للأرض أي : انشفي لكن هذا النشف ليس كالنشف المعتاد التدريجي وكذلك فيه بيان أن هذا النشف كان لماء الطوفان على وجه الأرض دون المياه المعهودة فيها من العيون والأنهار ، وعبر عنه بكلمة جامعة وجيزة لأن المقام مقام النقص والتقليل حتى ذكر السيوطي أنه لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام^{١٩} .

أما الآية الكاملة فجاءت بكلمات متتاليات معطوفات ، بحيث إذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها فبقيت الآية كعلامة في الجودة وحسن النسق التي لا بدليل لها و تشتمل على عدة ضروب من البديع كالمناسبة التامة في ابلعي واقلعي والطباق بين الأرض والسماء وغير ذلك من المحاسن التي لا يقدر أحد أن يأتي بمثليها ولا يستطيع أفصح الناس وأبلغهم معارضتها في فخامة ألفاظها وفي تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال^{٢٠} .

^{١٨} راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٣٧٦/٢ .

^{١٩} السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١٠٧ / ٢ .

^{٢٠} قد نقل السيوطي عن الكرمانى أنه قال : أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتنوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثليها في فخامة ألفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها في تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال ، (السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١٠٨/٢) .

المبحث السادس : الدلائل الواضحة على قدرة الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لُبَّهَا عَلَى بَعْضِ فِي الْأَكْلِ ﴾^{٢١} .
 إذا نعلم النظر في معاني الآية فنرى أنه لا يمكن لأحد من الناس إيراد هذه المعاني في مثل هذا القدر من الألفاظ ، فهذه ميزة من ميزات القرآن الكريم البلاغية أنه كثيرا ما يأتي بالمعاني الجمّة تحت ألفاظ قليلة إما بالحذف أو دونه ، ففي هذه الآية اندرجت المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة بدون حذف و هو نوع من الإيجاز الجامع .
 ففي الآية دليلان على قدرته تعالى و هما :

الدليل الأول : من عجائب قدرة الله تعالى أن في الأرض قطع يجاور بعضها بعضا ، ففيها حدائق مملوءة بكروم العنب ، وفيها زرع يحصد ، ونخيل مثمر و كذلك فيها أنواع الفواكه و هي مجتمعة ومتفرقة ، ومع أنها تسقى بماء واحد فيكون تأثير الشمس فيها متساويا ، ثم إن تلك الثمار تجيء مختلفة في الطعم واللون والطبيعة والخاصية ، و إن في ذلك دلائل واضحة على قدرة الله تعالى لمن له عقل يفكر به .

الدليل الثاني : إن الآية دالة على بلاغة الإيجاز القرآني أنه تعالى قادر على أن يأتي بألفاظ قليلة معان كثيرة جمّة التي لا يمكن لأحد أن يأتي بها إلا نادرا .

المبحث السابع : الآية الجامعة في بيان مسئولية الرسالة

قال الله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾^{٢٢} .

إن الآية قد أحاطت شرائط الرسالة ومسئوليتها و أصبحت على قمة الإيجاز حيث قلت حروفها و كثرت معانيها فقله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ ﴾ قد احتوى على معان جمّة ،

^{٢١} سورة الرعد ، الآية : ٤ .

^{٢٢} سورة الحجر ، الآية : ٩٤ .

و بيّنه العلماء بقولهم : " فإنه أبلغ من (بَلِّغ) ، وإن كان بمعناه ، لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ ؛ فقد لا يؤثر التبليغ ، والصدع يؤثر جزماً^{٢٣} .

فالآية تمتاز بتكثير المعنى وتقليل الألفاظ وإذا نمن النظر في عظم إنجازها وما انطوت عليه من المعاني الكثيرة فيقصدُ شمول الأمر كلِّ ما أمر الرسول ﷺ بتبليغه وأمر بأن يصرح بجميع ما أوحى إليه ويبلِّغ كل ما أمر ببيانه من ثبوت دعوى التوحيد إلى بيان شئون المالية والخلقية وكذلك يدخل فيه الأمر ببطلان دعوى الشرك و الأعمال القبيحة التي كانت جارية في المجتمع باسم سنة آبائهم . فأحاطت الآية بإظهار جميع تعاليم الإسلام من الأوامر والنواهي^{٢٤} ، وإشار إليه أبو الهلال العسكري قائلا : "وقوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ فهذه ثلاث كلمات تشتمل على أمر الرسالة وشرائعها وأحكامها على الاستقصاء^{٢٥} . وذلك في الجملة القصيرة وهذه ميزة من ميزات إعجاز القرآن الكريم بطريق الإيجاز مع وفاء المعنى المراد بدون إخلال .

المبحث الثامن : أجمع آية في المأمورات و المنهيات

قال الله تبارك و تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^{٢٦} .

^{٢٣} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٤٣٧/٣ ، و السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ٨٨ / ٢ .

^{٢٤} وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس في الآية قال : فإنه أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالته قومه ، وجميع من أرسل إليه ، (الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن : ٦٧/١٤) .

^{٢٥} أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص : ١٨٢ ، مطبعة عيسى الباي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

^{٢٦} سورة النحل ، الآية : ٩٠ .

قد ذكر الله تعالى في هذه الآية كل المأمورات و المنهيات ، و الآية على قمة البلاغة من الإيجاز الجامع حيث احتوت على معانٍ متعدّدة حتى قال ابن مسعود : ما في القرآن آية أجمع للخير و الشر من هذه الآية ^{٢٧} . و أشار كثير من العلماء إلى بلاغة الآية و فصاحتها ، و بيّن السيوطي خلاصة آرائهم بقوله : " إن العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط و التفريط المومي به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد و الأخلاق و العبودية . و الإحسان هو الإخلاص في واجبات العبودية ، لتفسيره في الحديث بقوله : { أن تعبد الله كأنك تراه } ^{٢٨} أي : تعبدّه مخلصاً في نيتك و واقعاً في الخضوع ، و إيتاء ذي القربى هو الزيادة على الواجب من النوافل ، هذا في الأوامر ، و أما النواهي : فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية ، و بالمنكر إلى الإفراط الحاصل من آثار الغضب أو كل محرم شرعاً ، و بالبغى إلى الاستعلاء الفاض عن الوهية ^{٢٩} " .

و احتوت الآية دعائم الحياة الإسلامية و ركائزها و بيّن الله تعالى فيها المأمورات و المنهيات بصفة مطلقة التي تتعلق بالتعامل و القضاء ، و شئون الدين و الدنيا ، و سلوك الإنسان مع نفسه و مع غيره ، و خير بيان في هذا الموضوع ما بيّنه الحسن رضي الله عنه في شرح الآية بقوله :

^{٢٧} الرواية بهذه الألفاظ " إن أجمع آية في القرآن للخير و الشر في سورة النحل : (إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي ، يعظكم لعلكم تذكرون) ، راجع : الحاكم نيسابوري ، المستدرک علی الصحیحین ، کتاب التفسیر ، تفسير سورة النحل : ٣٥٦/٢ .

^{٢٨} الحديث طويل و معروف بحديث جبريل ، راجع : البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان و الإسلام و الإحسان و علم الساعة : ١٢/١ ، و المسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب معرفة الإيمان و الإسلام و القدر و علامة الساعة ، ص : ٢٧ .

^{٢٩} السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن : ١٠٦/٢ - ١٠٧ . (ملخص)

" إن الله عزّ وجلّ جمع لكم الخير كلّه ، والشرّ كلّه في آية واحدة ، فوالله ما ترك العدل ، والإحسان من طاعة الله شيئاً إلاّ جمعه ، ولا ترك الفحشاء ، والمنكر والبغي ، من معصية الله شيئاً إلاّ جمعه ^{٣٠} ". و شرح العلماء خصائص الآية و مميزاتها شرحاً وافياً حتى قال واحد منهم : " فجمع في هذه ضروباً من البيان و أنواعاً من الإحسان فذكر العدل و الإحسان و الفحشاء و المنكر بالألف و اللام التي هي للاستغراق أي : استغراق الجنس المحتوي على جميع أنواعه و ضروبه و جمع فيها بين الطباق اللفظي و الطباق المعنوي ، أما اللفظي ففي قوله : إن الله يأمر و ينهى ، و أما المعنوي ففي قوله : العدل و الإحسان وإيتاء ذي القربى ، وقوله : " الفحشاء و المنكر و البغي " ، فإن الثلاثة الأواخر أضداد الثلاثة الأول ، لأن الثلاثة الأول من الفعل الحسن و الثلاثة الأواخر من القبيح ، فطابق بين الحسن و القبيح مطابقة معنوية ^{٣١} .

وهذه الآية التي أقرّ فصحاء العرب بفصاحتها و بلاغتها و ذكر في الحديث أن { جاء الوليد بن المغيرة ^{٣٢} إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : اقرأ عليّ ، فقرأ النبي ﷺ عليه هذه

^{٣٠} البيهقي ، شُعَبُ الإِيمَان ، باب في الإيمان برسل الله صلوات الله عليهم عامة : ١٦٢/١ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^{٣١} ابن القيم ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، ص : ١٠٥ - ١٠٦ .

^{٣٢} هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، أبو عبد شمس (٩٥ ق هـ - ١ هـ) : من قضاة العرب في الجاهلية ، ومن زعماء قريش ، ومن زنادقتها . يقال له " العدل " لأنه كان عدل قريش كلها : كانت قريش تكسو " البيت " جميعها ، والوليد يكسوه وحده . وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية ، وضرب ابنه هشاماً على شربها . وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم ، فعاداه وقاوم دعوته . وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد ، راجع : ابن الأثير الجزري ، الكامل في التاريخ : ٤٨/٢ ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت ، والزركلي ، الأعلام : ١٢٢/٨ .

الآية فقال : أعد ، فأعاد النبي ﷺ ، فقال : والله ، إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر^{٣٣} .

فهذه الآية جمعت المعاني الواسعة في رحابها العميق بدون حذف أو إضمار وهذا الأسلوب تتعلق بإيجاز القصر ، و من ميزة هذا النمط أنه قلت حروفها و كثرت معانيها و هذا نوع من أنواع الإيجاز البلاغي الذي نحن بصده .

المبحث التاسع : الإرشاد في الدعوة

قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾^{٣٤} ، إن في هذه الآية أسرار عالية شريفة وأكثر الخلق كانوا غافلين عنها ، لا يهتدي إليها إلا من رعاها رعاية الإيجاز . قال الرمخشري : إن الحكمة هي المقالة المحكمة الصحيحة ، وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة ، والموعظة الحسنة وهي التي لا تخفى عليهم أن الرسول يناصحهم بها ويقصد ما ينفعهم فيها ويجادلهم بالتي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف^{٣٥} .

وقال ابن عطية : " ﴿ وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ ﴾ التخويف والترجية والتلطف بالإنسان بأن يحله ويسطه ويجعله بصورة من يقبل الفضائل ، ونحو هذا^{٣٦} . وعند كثير من المفسرين المراد من الحكمة ما هي معروفة بمراتب الأفعال والموعظة الحسنة أن تختلط الرغبة بالرهبة ، والإنذار بالبشارة .

^{٣٣} البيهقي ، دلائل النبوة : ١٩٩ / ٢ ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ومحمد

الصالحى ، سبل الهدى و الرشاد : ٣٥٥ / ٢ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^{٣٤} سورة النحل ، الآية : ١٢٥

^{٣٥} الرمخشري ، الكشاف : ٦٠١ / ٢ ، (بتصريف بسيط).

^{٣٦} ابن عطية ، المحرر الوجيز : ٤٣٢ / ٣ .

فأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يدعو إلى دين الله وشريعته بتلطف ، وهو أن يسمع المدعوَ حكمةً ، وهو الكلام الصواب ، الواقع من النفس أجمل موقع . فبين الرازي لطائف هذه الآية وقال : " ومن لطائف هذه الآية أنه قال : ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ فقصر الدعوة على ذكر هذين القسمين لأن الدعوة إذا كانت بالدلائل القطعية فهي الحكمة ، وإن كانت بالدلائل الظنية فهي الموعظة الحسنة ، أما الجدل فليس من باب الدعوة ، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة وهو الإلزام والإفحام فلهذا السبب لم يقل ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن ، بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيهاً على أنه لا يحصل الدعوة ، وإنما الغرض منه شيء آخر ^{٣٧} . "

إننا نرى أنه سبحانه وتعالى أضاف السبيل إليه ، ففيه إشارة إلى أنه الطريق الحق ، الذي من سار فيه سعد وفاز ، ومن انحرف عنه شقى وخسر . وكذلك المراد من الموعظة الحسنة الأقوال المشتملة على العظات والعبر التي ترفق القلوب ، وتمذب النفوس ، وكذلك الآية تشير إلى أن تكون مجادلة الداعي مبنية على حسن الإقناع ، وعلى الرفق واللين وسعة الصدر فإن ذلك أبلغ في إصلاح شأن أنفس المدعوعين وفي تقليل من عنادهم إلى الإسلام ، وفي إيمانهم بأن الداعي إنما يريد من وراء مجادلتهم ، الوصول إلى الحق دون أي شيء سواه .

فإذا نمعن النظر في هذه الآية رأينا أن فضلها ظاهر في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة على أي كلام غيرها ، وكل هذه المعاني الواسعة وجدت برعاية الإيجاز البلاغي .

^{٣٧} الرازي ، التفسير الكبير : ١٣٩/٢٠ - ١٤٠ .

المبحث العاشر : أجمع آية في محامد الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾^{٣٨} . قد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن كل ما دونه من خلقه يُسَبِّحُه تعظيماً له ، وإقراراً بربوبيته ، وإذعاناً لطاعته ، وأما كيفية تسبيحه فيمكن أن يكون هذا التسبيح بلسان الحال منه أو بلسان المقال ممن يصح منه ، أو من غيره فهو تسبيح من جهات شتى ، وأشار الآلوسي إلى تسبيح الجمادات وغيرها من الأشياء قائلاً : " والمراد من التسبيح الدلالة بلسان الحال أي : تدل بإمكانها وحدوثها دلالة واضحة على وجوده تعالى ووحدته وقدرته وتترهه من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث كما يدل الأثر على مؤثره "^{٣٩} .

فشملت الآية كل ما يسمى شيئاً كائناً ما كان^{٤٠} ، وبذلك أصبحت الآية جامعة في محامد الله تعالى و أسلوب الآية أسلوب الإيجاز بالقصر .

المبحث الحادي عشر : الآية الجامعة في بيان أسباب الفوز في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾^{٤١} . إن الآية رغم وجازتها في الألفاظ جمعت أسباب الفوز لأن الطاعة : امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، والخشية : الخوف . وهي تتعلق بالخصوص بما عسى أن يكون

^{٣٨} سورة الإسراء (بني إسرائيل)، الآية : ٤٤ .

^{٣٩} الآلوسي ، روح المعاني : ٨٣/١٥ .

^{٤٠} إن بعض المفسرين و الفلاسفة أطالوا الكلام في تسبيح الأشياء مثل تسبيح لَمَحِ البرق ، و صريف الرعد ، و صرير الباب ، و تحرير الماء وغير ذلك من الأشياء . فعلياً أن لا تتبع أقوالهم لكي لا يخالف ظاهر القرآن و يكفي لنا أن نقول أن لكل شيء تسبيحاً ربُّنا أعلم به و سواء علينا أن نعلمه أو لا نعلمه .

^{٤١} سورة النور ، الآية : ٥٢ .

قد فرط فيه من التكليف على أنها تعم التقصير كله ، والتقوى : الحذر من مخالفة التكليف في المستقبل ، والفوز: الظفر بالمطلوب الصالح .
 فجاءت الآية في بيان حُسنِ حالِ المؤمنين وترغيبهم في الطاعة من الأحكام الشرعية و في خشية الله على ما مضى من الذنوب و في التقوى فيما يستقبل و في بيان الوعد من الله بالتعظيم المقيم للموصوفين بهذه الصفات حتى ذكر الزمخشري : إن الله جمع في هذه الآية أسباب الفوز ونقل أن من الملوك من سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية ^{٤٢} .

المبحث الثاني عشر : من مكر بأخيه فعاد مكره عليه

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۗ ﴾ ^{٤٣} ، لقد جمعت المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة في هذه الآية ، ولا يوازي هذا الكلام في الاختصار شيء لأن سوء عاقبة المكر والبغي راجع على الماكرين وحائق بهم ، والواقع يشهد بذلك فإن من سبّر أخبار الناس و تواريخ العالم وقف على أخبار من مكر بأخيه فعاد مكره عليه ، فبين الله تعالى سوء عاقبة البغي والمكر إيجازاً واختصاراً ، فبنية الآية على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف . و مع ذلك القرآن يشهد على سوء عاقبة البغي معلناً بالإيجاز في مقام آخر فيقول : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ ۗ ﴾ ^{٤٤} .

^{٤٢} الزمخشري ، الكشاف : ٢٥٤/٣ .

^{٤٣} سورة فاطر ، الآية : ٤٣ .

^{٤٤} سورة يونس ، الآية : ٢٣ .

المبحث الثالث عشر : صفة خمر أهل الجنة

قال الله تعالى : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾^{٤٥} .

لقد جاء نفي كلمتي "الغول" و "يتزفون" في وصف خمر الجنة واستوعبتا جميع الأوصاف الحسنة للخمر و انفتا منها أنواع الفساد الناشئة عن شرب الخمر كذهاب العقل ، ووجع البطن ، والصداع ، والقىء ، والبول ، والخمار ، والعريضة ، واللغو ، والتأثيم ، ونحو ذلك لأن المراد من الغول فساد يلحق في خفاء ، يقال : اغتاله اغتيالاً إذا أفسد عليه أمره في خفية ، وقيل : الغول ، أن تغتال عقولهم^{٤٦} ، وقال الأصفهاني : الغول إهلاك الشيء من حيث لا يحس به^{٤٧} ، و أما كلمة ينزفون فكما بيننا المفسرون^{٤٨} أن فيها قرأتان ، قرأة : "يتزفون" بكسر الزاي ، وقرأة بفتح الزاي ، فمن فتح الزاي فمعناها : لا يغلبهم على عقولهم ولا يسكرون يقال : نزف الرجل فهو متزوف ونزيف ، إذا سكر ، ومن كسر الزاي فمعناها : لا ينفد شراهم ، يقال :

^{٤٥} سورة الصافات ، الآية : ٤٧ .

^{٤٦} أبو عبيدة ، مجاز القرآن : ١٦٩/٢ ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٥٤ م ، و محمود بن أبي الحسن النيسابوري ، إيجاز البيان عن معاني القرآن : ٢ / ٦٩٩ ، دراسة و تحقيق : حنيف بن حسن القاسم ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

^{٤٧} الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص : ٣٦٩ .

^{٤٨} راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٤٥/٤ ، والرازي : التفسير الكبير : ١٣٧/٢٦-١٣٨ ، و الألويسي ، روح المعاني : ٨٨/٢٣ ، و البغوي ، معالم التنزيل : ٢٧/٤ ، والشوكاني ، فتح القدير : ٣٩٤/٤ ، و ابن الجوزي ، زاد المسير : ٢٩٤/٦ ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ م ، دار الفكر ، بيروت .

أنزف الرجل فهو متزوف ، إذا فنيت خمره إلا أن أبا حيان^{٤٩} رأى أن الله تعالى أفرده بالذكر لما كان السكر أعظم مفسدها.

فرأينا أن الآية مع كونها وجيزة بألفاظها قد احتوت المعاني الكثيرة في رحابها وهي من وجهين :

أ - نفي العيوب من خمر الجنة كما هي موجودة في خمور الدنيا .

ب - تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا لأنه إذا قيل لَأ فِيهَا غَوْلٌ أُبرز تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا لأن تقديم الظرف المسند على المسند إليه لإفادة التخصيص و وقوع "غَوْلٌ" وهو نكرة بعد لا النافية أفاد انتفاء هذا الجنس من أصله^{٥٠} ، وفُهم من هذا أن هناك خمرًا آخر حصل الغول فيها لاها هنا . كأنه قيل لا يوجد شيء من العيوب في خمر الجنة و ليس فيها ما في غيرها من القبح ، و فيها (أي: في خمر الجنة) ما ليس في غيرها كالبياض واللذة والطعم العسيل و غيرها من الأوصاف الحسنة .

^{٤٩} هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (٦٥٤-٧٤٥) هـ ، الإمام أثير الدين الأندلسي الغرناطي ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات . ولد في إحدى جهات غرناطة ، وتنقل في البلاد إلى أن أقام بالقاهرة . وتقدم في النحو وسمع الحديث بالأندلس وإفريقيا والإسكندرية ومصر والحجاز من نحو خمسين وأربعمائة شيخ ، وأكبَّ على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه ، وفي التفسير العربية والقراءات والأدب والتاريخ واشتهر اسمه ، وطار صيته ، وأخذ عنه أكابر عصره . من تصانيفه : البحر المحيط في التفسير، ومختصره النهر ، التذيل والتكميل في شرح التسهيل ، ارتشاف الضَّرْب ، وغير هذه ، وتوفي بمصر بظاهر القاهرة ودفن بمقابر الصوفية ، راجع : الأدنروي ، طبقات المفسرين ، ص : ٢٧٨ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، و الزركلي ، الأعلام ٧ / ١٥٢ .

^{٥٠} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ١١٣/٢٣-١١٤ .

فنظرا إلى ما مضى من شرح الآية يمكن لنا أن نقول أن الآية أثبتت الكمال لخمرة الجنة ونفت عنها النقص و ذلك كله في ألفاظ قصيرة وبذلك حصل للمسلمين تنفير من خمور الدنيا و تشويق إلى خمرة الجنة .

المبحث الرابع عشر : تحذير الناس من خيانة النفس والأعين

قال الله تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ^{٥١}﴾ ، هذه الآية فريدة في كونها قليلة الألفاظ كثيرة المعاني بدون حذف ، ويجوز أن يكون خائنة مصدراً كالكاذبة والعاقبة والعافية أي : يعلم سبحانه وتعالى خيانة الأعين ، وهي : مسارقة النظر لشيء بحضرة من لا يجب النظر إليه^{٥٢} ، والمراد من الشطر الثاني من الآية : النوايا والعزائم التي يضمها صاحبها في نفسه^{٥٣} ، وتسميتها خائنة الأعين لأنها أخفى الإشارات فصارت بالاستخفاء كالخيانة ، ومن العلماء من قال مشيراً إلى بلاغة الإيجاز للآية : " فإن لفظه "خائنة" سهلة مستعملة ، كثيرة الجريان على ألسن الناس لكن على انفرادها ، فلما أضيفت إلى " الأعين " حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الموقع العظيم ، بحيث لا يستطيع الإتيان بمثلها ، ولا يكاد يقع في شيء من فصيح الكلام شبهها^{٥٤} .

الفائدة المستفادة من الآية رغم كونها وجيزة

لقد جاءت هذه الآية لتحذير الناس من خيانة النفس والأعين على سبيل الإيجاز وليعلموا أن علم الله تام محيط بجميع الأشياء صغيرها وكبيرها فذكر الله تعالى من

^{٥١} سورة غافر (مؤمن) ، الآية : ١٩ .

^{٥٢} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ١١٦/٢٤ .

^{٥٣} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ١١٦/٢٤ .

^{٥٤} ابن أبي الأصبح ، تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر ، ص : ١٢٨ ، <http://ww.shamela.ws>

أفعال الجوارح خائنة الأعين التي هي أخفاها و ذكر حديث النفس و خواطرها من أفعال القلوب فكيف الحال في سائر الأعمال . فدلّت هذه الآية على كونه تعالى عالماً بجميع أفعال الناس ، والحاكم إذا بلغ في العلم إلى هذا الحد كان خوف المذنب منه شديداً جداً °° ، فكل هذه المعاني جاءت على سبيل الإيجاز بدون الحذف .

المبحث الخامس عشر : صفةُ جنةِ الخلد

قال الله تعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ °٦ ، إن هذه الآية على قمة الإيجاز حيث جمعت فيه من نعم الجنة ما لا تحصرها الأفهام ، ولا تبلغها الأوهام ، وهذا وصف للجنة بالإيجاز دخلت تحته جميع النعم الموجودة فيها من المطعم والمشرب والملبس والمفرش والمنظر وغير ذلك من الأوصاف التي الجنة مشتملة عليها ، وهذه الآية تدل على حصول كل الخيرات والسعادات ، وهذا أبلغ من جميع أوصاف الجنة يصفونها الناس في عبارات طويلة و كما وصفها المفسرون في التفاسير ، فمثلا قال ابن عاشور في تفسير الآية : " ولذة الأعين في رؤية الأشكال الحسنة والألوان التي تنشرح لها النفس ، فلذة الأعين وسيلة للذة النفوس ، فَعَطَفَ " وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ " على " مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ " ، عطف ما بينه وبين المعطوف عليه عمومٌ وخصوص ، فقد تشتهي الأنفس ما لا تراه الأعين كالمحادثة مع الأصحاب وسماع الأصوات الحسنة والموسيقى .

°° قد نقل ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عباس في تفسير الآية : ﴿ يَعْلَمُ خَائِبَتَهُ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي

الْصُّدُورُ ﴾ ، قال : الرجل يكون في القوم ، فتمر بهم المرأة ، فيريهم أنه يغض بصره عنها ، فإن رأى منهم غفلة ، نظر إليها ، فإن خاف أن يفطنوا به ، غض بصره عنها ، وقد اطلع الله من قلبه أنه ود أنه نظر إلى عورتها . (المصنف ، كتاب النكاح : ٣٢٧/٤/٢ ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي ، ١٩٨٦) .

°٦ سورة الزخرف ، الآية : ٧١ .

وقد تبصر الأعين ما لم تسبق للنفس شهوة رؤيته أو ما اشتتهت النفس طعمه أو سمعه فيؤتى به في صور جميلة إكمالاً للنعمة^{٥٧} .

فكلما وصفها الواصف لا يبلغها وصفه بالكلام إلا أن الله تعالى جمع ذلك بوجه الإجمال في هذه الآية و هذا صريح في الترغيب للمؤمن و التشويق و إليه أشير في الحديث النبوي حيث قال رسول الله ﷺ : { قَالَ اللَّهُ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَأَعَيْنُ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ^{٥٨} } ، وأما تفصيله ، فقد بينه القرآن في الآيات الكثيرة و من تلك النعم : المشارب ، والمآكل والمناكح ، والفرش والسرر ، والأواني ، وأنواع الحلبي والملابس والخدم ، والجنات تجري من تحتها الأنهار ، و حور مقصورات في الخيام و غير ذلك من النعم . و قال الزركشي : " وقوله ﴿ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بكل ما تميل إليه النفس من الشهوات وتلذ الأعين من المرئيات ليعلم أن هذا اللفظ القليل جدا حوى معاني كثيرة لا تنحصر عددا^{٥٩} . و قال صاحب البحر المحيط : " هذا حصر لأنواع النعم ، لأنها إما مشتهاة في القلوب ، أو مستلذة في العيون^{٦٠} .

و ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية بألفاظ قليلة عبرت عن معان كثيرة لا تنحصر عدداً في وصف أهل الجنة لأن حالهم يجل عن الوصف فجاءت الآية تبشيراً و تشويقاً و ترغيباً لهم في نهاية الإيجاز و هذه علامة محبة الله تعالى الخالصة لهم .

^{٥٧} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٢٥٥/٢٥ .

^{٥٨} البخاري ، الجامع الصحيح : ١/١٦٠ ، والمسلم ، الجامع الصحيح ، ص : ١٠٨٧ ، الترمذي ، السنن : ١٥٥/٢ .

^{٥٩} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٢٣٠ .

^{٦٠} أبو حيان ، البحر المحيط : ٢٧/٨ .

المبحث السادس عشر : أجمع آية على عواقب الدنيا والآخرة

قال الله تعالى : ﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ٦١ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ ٦٢ ﴾ .
فالآيتان بوجازة الألفاظ و كثرة المعاني تُعدّان من باب الإيجاز ، وأحاطتا ببيان عاقبة كل شيء حتى قال واحد من البلغاء : "ثلاث كلمات اشتملت على عواقب الدنيا والآخرة" ٦٣ ، فالآية على قمة البلاغة من الإيجاز بدون الحذف حيث احتوت على معان واسعة لا يستطيع بشر أن يأتي بمثله .

المبحث السابع عشر : أجمع آية في الزجر و التوبيخ مع بيان رحمته تعالى للإنسان

قال الله تعالى : ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ٥ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ٥ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ ٥ فَقَدَرَهُ ٥ ثُمَّ أَلْسَيْلَ يَسَّرَهُ ٥ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ٥ ٦٤ ﴾ ، فهذه المجموعة من الآيات من جوامع الكلم لو أردنا أن نحذف منها كلمة واحدة لما قدرنا على ذلك لأننا لو فعلنا ذلك لذهبنا بجزء من معناه .

فالآيات تحتمل في ألفاظها الوجيهة معان جمّة و ألقى الضوء عليها كثير من العلماء و المفسرين و أبرزوا من بينها المعاني الكثيرة ، فمنهم الزمخشري الذي أبرز المعاني للآيات فقال : " ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ ﴾ دعاء عليه ، وهي من أشنع دعواتهم لأنّ القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها . و ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله ، ولا ترى أسلوباً أغلظ منه ، ولا أحسن مساً ، ولا أدل على سخط ، ولا أبعد شوطاً في

٦١ سورة القمر ، الآية : ٣ .

٦٢ سورة الأنعام ، الآية : ٦٧ .

٦٣ أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص : ١٨٣ .

٦٤ سورة عبس ، الآية : ١٧ - ٢١ .

المذمة ، مع تقارب طرفيه ^{٦٥} . و كذلك قال ابن الأثير في وصف الإيجاز لهذه الآيات : " ألا ترى إلى هذا الكلام الذي لو أردت أن تحذف منه كلمة واحدة لما قدرت على ذلك ، لأنك كنت تذهب بجزء من معناه ^{٦٦} " .

فهذه الآيات بلغت نهاية الإيجاز وأرفع الجزالة بأسلوب غليظ دال على السخبط بالغ حدّ المذمة ، جامع للملامة و الزجر و التهديد و التوبيخ مع بيان رحمته تعالى للإنسان و حرصه تعالى على هدايته ، ولم يسمع مثلها قبلها ، فهي من جوامع الكلم القرآنية .

المبحث الثامن عشر : البشرى بالخير الكثير

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ^{٦٧} ﴾ ، فهذه الآية جمعت المعاني الواسعة في رحابها العميق بدون حذف أو إضمار وهذا الأسلوب تتعلق بالإيجاز الجامع ، و هو نوع من أنواع إيجاز القصر الذي نحن بصددده .

إن الآية قد أحاطت بجميع الخيرات و أصبحت على قمة الإيجاز حيث قلت حروفها و كثرت معانيها فكلمة : ﴿ الْكَوْثَرَ ﴾ قد احتوت على معان جمة ، و هذه كلمة تمتاز بتكثير المعنى وتقليل الألفاظ وإذا نمنع النظر في عظم إيجازها وما انطوت عليها من المعاني الكثيرة فيقصد شمول الأمر كل الخيرات الدينية و الدنيوية . و أصبحت كلمة الكوثر صالحة أن تُفسر بتعبيرات عديدة فبذلك فسر المفسرون ^{٦٨} الكوثر في هذه الآية

^{٦٥} الزمخشري ، الكشاف : ٤ / ٧٠٣ - ٧٠٤ .

^{٦٦} ابن الأثير ، المثل السائر : ٢ / ٣٢١ .

^{٦٧} سورة الكوثر ، الآية : ١ .

^{٦٨} راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٤ / ٨١١٨١٣ ، وابن عطية ، المحرر الوجيز : ٥ / ٥٢٩ ، و أبا حيان ،

البحر المحيط : ٨ / ٥٢٠ - ٥٢١ ، و الرازي ، التفسير الكبير : ٣٢ / ١١٧ ، و ابن عاشور ، التحرير والتنوير :

٥٧٣ / ٣٠ .

بتفاسير عديدة منها : هو نهر في الجنة ، و النبوءة والكتاب، و هو القرآن ، و الإسلام ،
و هو كثرة الأمة ، و رفعة الذكر ، و نور القلب ، و الشفاعة ، و هو حوض في الجنة
والمقام المحمود وقيل : هو أولاده وأتباعه أو علماء أمته ، و هو التوحيد ، و تيسير
القرآن وتخفيف الشرائع ، و الإيثار ولكن التعبير الأعم من كل هذه التعبيرات أنه الخير
الكثير . و ينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل لا أن الكوثر منحصر في واحد منها
لأن كلمة الكوثر فوعل من الكثرة ، وهو الخير الكثير وشرف الدارين . فكل هذه
المعاني جُمعت في كلمة واحدة وهذه الكلمة خير مثال للإيجاز الجامع .

الباب الثالث: فلسفة إيجاز الحذف في الآيات القرآنية
Philosophy of the Rhetorical Brevity of Omission in
Quranic Ayaat

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : فلسفة قصد العموم في الآيات القرآنية

الفصل الثاني : رعاية الفاصلة

الفصل الثالث : قصد البيان بعد الإجمام

إن القرآن الكريم معجز بلفظه وهو ما يتعلق بالناحية البلاغية ابتداءً ، مع ما تضمنه القرآن من أوجه أخرى ، فإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة وحجة الله البالغة ، فهو كتابٌ إعجازٍ وهداية ، وكتابٌ تشريع .

و كما قيل أن القرآن الكريم معجزة خالدة ، ومنذ نزوله يحاول المرجفون الإساءة إليه والاعتداء عليه ، والظعن والانتقاص منه خاصةً في مصدره ، وقد ذكر القرآن الكريم بعض هذه المطاعن و ردّ عليها قائلاً : ﴿ قَالُوا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ أَكْتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٥ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ

غُفُورًا رَحِيمًا ١﴾ ، وأحياناً طعن الكفار في القرآن بأنه مفترى من عند رسول الله ﷺ ، وردّ الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ٢﴾ ، و مرّةً افتروا فيه أنه قولٌ شاعر أو كاهن ، فأبطل الله افتراءهم بقوله : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ٥ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٥ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ٣﴾ .

إن الله تعالى قد ردّ هذه المطاعن وتحدى العالم كله عامة والعرب خاصة بأن يأتوا بمثله فقال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ٤﴾ . ثم قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ

^١ سورة الفرقان ، الآية : ٥ - ٦ .

^٢ سورة الأحقاف ، الآية : ٨ .

^٣ سورة الحاقة ، الآية : ٤١ - ٤٣ .

^٤ سورة الطور ، الآية : ٣٣ - ٣٤ .

أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٥ ،
 فعجزوا عن الإتيان بمثله ، ولما ظهر عجزهم عن هذا ولم يفعلوا ما تحداهم ، فجاءهم
 بتخفيف التحدي ، فتحداهم بعشر سور ، فقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ قُلْ
 فَآتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 ٥ فَإِلْمٌ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ٦ ، و التاريخ شاهد على عجزهم
 عن هذا ، وهم لم يقدرُوا على إتيان مثله ، فأرْحَى لهم حبل التحدي ، ووسع لهم
 المجال غاية التوسعة ، فتحداهم أَنْ يأتوا بسورة واحدة مِثْلَهُ ولو من قصارى السور ،
 فقال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ قُلْ فَآتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٧ ، فمن المعلوم أنه لم يستطع أحد على أن يأتي بنظيره ،
 وكل من حاول لمعارضته ، خاب و فشل في محاولته هذه ، لأنه كلام الخالق ، و أتى
 لكلام المخلوق أن يساويه . فهذا هو السبب أنه قد كثرت المصنّفات و التآليفات في
 بيان إعجازه في نواحيه الكثيرة عبر القرون و منها ناحيته البلاغية - الذي نحن
 بصددِها - فإنه لم يخل عصر من العصور عبر القرون الإسلامية سواء في فترات
 النشاط أو الإنحطاط من تناول إعجاز القرآن بالتأليف ، مما ينطق بأن هذا المدد العلمي
 المتتابع إنما هو في ذاته أثر من آثار إعجاز القرآن الكريم .

٥ سورة الإسراء ، الآية : ٨٨ .

٦ سورة هود ، الآية : ١٣ - ١٤ .

٧ سورة يونس ، الآية : ٣٨ .

والذي يعنينا منها في هذا الباب هو ما يتعلق بموضوع أغراض الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، وهذا الباب يشتمل على ثلاث فصول و أما الفصل الأول منه هو في بيان غرض قصد العموم من بين الأغراض المختلفة للحذف البلاغي .

الفصل الأول : فلسفة قصد العموم في الآيات القرآنية
Philosophy of Aiming Totality in Quranic Ayaat

وفيه ثلاثة وعشرون مبحثا

- المبحث الأول : العموم في الاستعانة
المبحث الثاني : العموم في النعمة و الرهبة
المبحث الثالث : العموم في وكالة الله تعالى وحفظه إلى الخلق كله
المبحث الرابع : العموم في الحكم بتقوى الله
المبحث الخامس : جميع ما استقر وتحرك في العالمين لله سبحانه وتعالى
المبحث السادس : المجادلة بين فرعون و قومه في موسى و قومه
المبحث السابع : العموم في العتاب على بني إسرائيل لطلبهم أصناما لهم
المبحث الثامن : العموم في صفات المنافقين و المنافقات
المبحث التاسع : العموم في دعوة الله تعالى إلى دار السلام
المبحث العاشر : عاطفة الشيطان الثأرية و إقراره بها
المبحث الحادي عشر : القرآن تذكير
المبحث الثاني عشر : حكاية قول الكافرين في إدعائهم للرحمان ولدا
المبحث الثالث عشر : تخليق الإنسان من التراب بمراحل دليل على البعث
المبحث الرابع عشر : الأمر بالاجتناب من الشرك
المبحث الخامس عشر : القرآن كتاب مبين و موضح

المبحث السادس عشر : من غايات نزول القرآن الإنذار

المبحث السابع عشر : إن الله تعالى ينتقم من الكافرين

المبحث الثامن عشر : رعاية الأدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ

المبحث التاسع عشر : تكذيب عاد هود - عليه السلام - سبباً في تعذيبهم

المبحث العشرون : الإفساح في المجالس سبباً إلى الإفساح في الدنيا والآخرة

المبحث الحادي والعشرون : بيان ظاهر حال المنافقين

المبحث الثاني والعشرون : إن الله خالق الأشياء كلها

المبحث الثالث والعشرون : العموم في التقدير والهداية من الله

قد ورد الحذف في التنزيل كثيرا بأنواع مختلفة كحذف الجمل و حذف الجملة و حذف الصفة و حذف جواب الشرط و حذف المضاف و حذف الحروف و غير ذلك من الحذف^٨ . وكلما حذف كلمة أو جملة من الكلام فلا بد من أن تحذف لغرض من الأغراض البلاغية و منها قصد العموم ، ففي هذا الفصل نبحت عن هذا الغرض البلاغي للحذف في القرآن الكريم مع الشواهد القرآنية .

المبحث الأول : العموم في الاستعانة

قال الله تعالى : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^٩ ، فحذف في الآية متعلق الاستعانة لقصد العموم ليتيقن العبد في قلبه و يُظهِرَ من لسانه أنه يحتاج إلى عون الله تعالى و توفيقه في أمره كلها ، و إليه أشار السيوطي قائلا : إن من فوائد الحذف قصد العموم نحو في قوله تعالى : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، أي : على العبادة وعلى أمورنا كلها^{١٠} .

المبحث الثاني : العموم في النعمة و الرهبة

قال الله تعالى : ﴿ يَبْنِيْ إِسْرَائِيْلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَآرْهَبُونِ ﴾^{١١} ، أمرهم الله سبحانه وتعالى بأن يجعلوا خوفهم من خالقهم وحده ، فقال تعالى : ﴿ وَإِيَّايَ فَآرْهَبُونِ ﴾ أي : خافوني ولا تخافوا سواي ، و حُذِفَ متعلق الرهبة لقصد العموم ، أي : ارهبوني في جميع ما تأتون ، وما تدررون و

^٨ قد مضى ذكر أنواع الحذف بالتفصيل في الباب الأول ، راجع ، البحث ، ص : ٧٥

^٩ سورة الفاتحة ، الآية : ٥ .

^{١٠} الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ١١٢ .

^{١١} سورة البقرة ، الآية : ٤٠ .

خصوصاً في نقض العهد^{١٢}، حتى لا أنزل بكم من النقم مثل ما أنزلت بمن قبلكم من المسخ وغيره، فالآيات الكريمة قد تضمنت وعداً ووعيداً وترغيباً وترهيباً. والدليل على هذه المحذوفات ما روى عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن المعنى ارهبون أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آباءكم من النقمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره^{١٣}، وهو المناسب بحال هؤلاء المخاطبين.

المبحث الثالث: العموم في وكالة الله تعالى وحفظه إلى الخلق كله

قال الله تعالى: ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ^{١٤} ﴾ ، قد قُصِدَ بهذه الآية بيانُ سعة قدرته وهيمنته - سبحانه وتعالى - على هذا الكون أي: وكفى بالله أن يكل إليه الخلق كلهم أمورهم، فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه، فمفعول كفى محذوف للعموم أي: كفى كل أحد وكالة الله وحفظه وتدييره، فتوكلوا عليه وحده، ولا تتوكلوا على من تزعمونه ابنا له، لأن الله سبحانه وتعالى قائم بحفظ الأشياء كلها و مستغن عن من يخلقه أو يعينه^{١٥}.

^{١٢} راجع: الزمخشري، الكشاف: ١٥٩/١، والبيضاوي، أنوار الترتيل وأسرار التأويل: ٥٢/١، والسيوطي والمحلي، الجلالين: ٥٢/١، وتفسير ابن عباس: ٦/١، وروح المعاني: ٢٤٣/١، و أبا السعود، تفسير أبي السعود: ٩٦/١.

^{١٣} الآلوسي، روح المعاني: ٢٤٣/١، وأبو حيان، البحر المحيط: ٣٣١/١.

^{١٤} سورة النساء، الآية: ٨١، و ١٣٢، و ١٧١.

^{١٥} الزمخشري، الكشاف: ٦٢٧/١، والبيضاوي، أنوار الترتيل وأسرار التأويل: ٢٣٢/١، وأبو السعود، تفسير أبي السعود: ٢٦٠/٢، وابن عاشور، التحرير والتنوير: ٥٩/٦ (ملخص).

المبحث الرابع : العموم في الحكم بتقوى الله

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا^{١٦} وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ^{١٦}﴾ ، فحذف متعلق التقوى للعموم بحيث يذهب فهم السامع إلى ترك كل ما نهى عنه ، ومنه الخيانة والكذب و شهادة الزور و اليمين الكاذبة و غيرها من مخالفة أحكامه التي من جملتها ما ذكر حسب سياق الآيات .

المبحث الخامس : جميع ما استقر وتحرك في العالمين لله سبحانه و تعالى

قال الله تعالى : ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^{١٧}﴾ ، إن الله خص السكون بالذكر دون العكس لأن السكون أكثر وجوداً ، أو لأن عاقبة كل متحرك السكون، فذكر في الآية السكون و حُذف عكسه للدلالة على العموم والشمول وكما قيل أن عاقبة كل متحرك السكون فمعنى الآية أن الله جميع ما استقر وتحرك ووجد في كل زمان ومكان من إنسان وحيوان ونبات وغير ذلك من المخلوقات^{١٨} .

المبحث السادس : المجادلة بين فرعون و قومه في موسى و قومه

قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكُ وَءَ الْهَيْتَكَ^{١٩}﴾ ، ومفعول فعل الإفساد محذوف للتعميم ، أي : يفسدوا كل ما وجدوا صالحاً من الدنيا والدين، و إلى هذا الحذف قد أشار بعض المفسرين العظام^{٢٠} .

^{١٦} سورة المائدة ، الآية : ١٠٨ .

^{١٧} سورة الأنعام ، الآية : ١٣ .

^{١٨} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١٦٨/١٢ ، والقرطبي ، أحكام القرآن : ٣٩٤/٦ ، (ملخص) ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، د . ت .

^{١٩} سورة الأعراف ، الآية ١٢٧ .

^{٢٠} راجع : الألوسي ، روح المعاني : ٢٨/٩ .

المبحث السابع : العموم في العتاب على بني إسرائيل لطلبهم أصناما لهم

قال الله تعالى : ﴿ وَجَنُوزْنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَيَّ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَيَّ أَصْنَامٍ هُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ^{٢١} ﴾ ،
فوصف موسى - عليه السلام - قومه بالجهل لأنهم يعتادون الجهل حتى جعلوا
الإشراك بالله بدلا من شكره وزيادة عبادته على إنجائهم من آل فرعون وقومه ،
فحُذِفُ مفعول الجهل يدل على عمومه ^{٢٢} أي : تجهلون الحق فدخل فيه الجهل
بالربوبية بالطريق الأولى .

المبحث الثامن : العموم في صفات المنافقين و المنافقات

قد ذكر الله تعالى في القرآن المجيد المنافقين و المنافقات بالذم لخصائلهم السيئة بما هم
يأمرون بالمعاصي و ينهاون عن الخير و نسوا لقاء الله في الآخرة ، فذمهم الله تعالى
قائلا : ﴿ اَلْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمَعْرُوفِ ^{٢٣} ﴾ ، فحُذِفُ في الآية المفعول الأول قصدا للعموم أي : يأمرون الناس
بالمعصية ، وينهاون الناس عن المعروف ^{٢٤} .

^{٢١} سورة الأعراف ، الآية : ١٣٨ .

^{٢٢} و رأى البعض من المفسرين أنه حُذِفُ مفعول الجهل في الآية لقصد العموم ، لأن حذفه يدل على
عمومه أي : تجهلون كل شيء ، راجع : الألوسي ، روح المعاني : ٤١/٩ .

^{٢٣} سورة التوبة ، الآية : ٦٧ .

^{٢٤} إن في القرآن الكريم آيات كثيرة على هذا النمط قوله تعالى : ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (آل عمران، الآية: ١٠٤) ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ، (سورة التوبة، الآية: ٧١)
، فحذفت مفاعيل الأفعال الواردة في الآيتين قصدا للعموم .

المبحث التاسع : العموم في دعوة الله تعالى إلى دار السلام

قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾^{٢٥} ، وحُذِفَ في الآية مفعول الدعوة لقصد التعميم ، أي : يدعو كل أحد^{٢٦} ، و دعا بقوله تعالى : ﴿ يَدْعُوا ﴾ جميع الناس بالدعوة إلى دائرة الإيمان ، فهي دعوة عامة دعا فيها جميع الخلق إلى دار السلام .

المبحث العاشر : عاطفة الشيطان الثأرية و إقراره بها

قال الله تعالى حكاية عن قول الشيطان : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^{٢٧} ، فمفعول "أزینن" محذوف للعموم ، و أما تقديره فهو مختلف عند المفسرين فقال بعضهم تقديره : لأزینن لهم في الأرض الشهوات و المعاصي، و عند البعض الآخرين تقديره : لأزینن لهم في الأرض الشر والسيئات^{٢٨} .

المبحث الحادي عشر : القرآن تذكير

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾^{٢٩} ، فقوله تعالى : ﴿ صَرَّفْنَا ﴾ من التصريف وهو كثرة صرف الشيء من حال إلى حال ،

^{٢٥} سورة يونس ، الآية : ٢٥ .

^{٢٦} راجع : ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ١١ / ١٤٥ ، و السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ١١٢ .

^{٢٧} سورة الحجر ، الآية : ٣٩ .

^{٢٨} راجع : الألوسي ، روح المعاني : ١٤ / ٤٩ ، وابن عاشور ، التحرير و التنوير : ١٤ / ٥٠ ، و البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١ / ٥٤٢ ، و أبا السعود ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧٨ ، و لكن خير التقديرات من هذه كلها أن يُقدر : لأزینن لهم في الأرض الحياة الدنيا ، لأن القرآن نفسه ذكره في مقام آخر بقوله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ، (البقرة: ٢١٢) .

^{٢٩} سورة الإسراء (بني إسرائيل)، الآية : ٤١ .

ومفعوله هنا محذوف ويجوز أن يكون المعنى على العموم ، أي : لقد كررنا في هذا الكتاب ما أردنا تكريره عن نفي الولادة ، ونفي الشركة وغير ذلك ، ليفهم ويرسخ في القلوب ^{٣٠} .

المبحث الثاني عشر : حكاية قول الكافرين في إدعائهم للرحمان ولدا

قال الله تعالى : ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا^{٣١}﴾ ، فمعنى "دَعَوْا" ههنا : سَمَّوا ^{٣٢} ، وله مفعولان ، فحذف في الآية المفعول الأول للعموم ليحيط بكل ما دعي له ولداً ، أي : سموا عيسى وعزيراً والملائكة ولداً لله تعالى ^{٣٣} .

^{٣٠} راجع : أبا السعود ، تفسير أبي سعود : ١٧٤/٥ ، و الروح المعاني ، الآلوسي : ٧٠/١٥ ، و التحرير و التنوير ، ابن عاشور : ١٠٩/١٥ ، و أما الرازي فيقول : "ومفعول التصريف محذوف وفيه وجوه : أحدها : ولقد صرفنا في هذا القرآن ضرباً من كل مثل" ، (الرازي ، التفسير الكبير : ٢٠/٢١٦) ، و هذا التقدير الذي اختاره الرازي أقرب إلى الصواب لأنه يقويه قوله تعالى هذا : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ^{٣٤}﴾ (سورة الكهف ، الآية : ٥٤) .

^{٣١} سورة مريم ، الآية : ٩١ .

^{٣٢} قال البيضاوي : " دعا بمعنى سَمَّ المتعدي إلى مفعولين ، وإنما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولداً " ، راجع : البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٣/٢ ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

^{٣٣} وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم دعاوي اليهود و النصارى و مشركي العرب الكاذبة التي جعلوا فيها أولادا لله تعالى ، بقوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ، (التوبة : ٣٠) وكذلك وقال المشركون الملائكة بنات الله ، فكلهم داخلون في قوله تعالى : ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ .

المبحث الثالث عشر : تخليق الإنسان من التراب بمراحل دليل على البعث

قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ^{٣٤} ﴾ ، فحذف مفعول "لنبين" للعموم ، إيماء إلى أن تصريفه في أطوار الخلق و تحويله من حال إلى حال مظهر لعلو قدرته و حكمته ما لا يحيط به الذكر ^{٣٥} . وهذا الحذف بمنزلة قولنا : لنبين لكم قدرتنا و حكمتنا ما لا يحيط به الذكر، ومن ذلك أمر البعث وأن التخليق اختيار من الفاعل المختار .

المبحث الرابع عشر : الأمر بالاجتناب من الشرك

قال الله تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ^{٣٦} ﴾ ، فقوله تعالى : ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ حال كالأول ، فحذف

^{٣٤} سورة الحج ، الآية : ٥ .

^{٣٥} راجع : الزمخشري ، الكشاف : ١٤٥/٣ ، و البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٥/٢ ، وابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٩٩/١٧ ، ولكن جعل أبو السعود هذا الحذف للتفخيم إذ يقول : " ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ متعلقٌ بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفاً ، أي : خلقناكم على هذا النمط البديع ليبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها سرُّ البعث فإن من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجي تأملاً حقيقياً جزم جزمًا ضرورياً بأن من قدر على خلق البشر أولاً من تراب لم يشم رائحة الحياة قط وإنشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد أخرى بتصريفه في أطوار الخلق وتحويله من حال إلى حال مع ما بين تلك الأطوار والأحوال من المخالفة والتباين فهو قادرٌ على إعادته بل هو أهون في القياس نظراً إلى الفاعل والقابل " . (تفسير أبي السعود : ٩٤/٦ ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٤ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت) .

^{٣٦} سورة الحج ، الآية : ٣٠ - ٣١ .

المفعول للعموم ، أي : غير مشركين به شيئاً من الأشياء فيدخل في ذلك الأوثان دخولاً أولاً ثم الأشياء الأخرى التي تُعبد .

المبحث الخامس عشر : القرآن كتاب مبين و موضح

قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾^{٣٧} ، قد قال المفسرون^{٣٨} أنه يجوز أن يكون "المبين" من أبان المتعدي ، ومفعوله محذوف للعموم ، و التقدير : تلك آيات الكتاب الموضح لما خفى من الأخبار والأحكام ، والهدى والضلال والثواب والعقاب .

المبحث السادس عشر : من غايات نزول القرآن الإنذار

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾^{٣٩} ، الإنذار يتعدى إلى مفعولين ، فحذف في الآية المفعول الثاني أولاً والمفعول الأول ثانياً للعموم ، فحذف من الأول المنذر منه، تقديره : لتنذر أم القرى كل مخوف من الدنيا والآخرة ، وحذف من الثاني المنذر، تقديره : وتنذر كل أحد يوم الجمع^{٤٠} .

^{٣٧} سورة الشعراء ، الآية : ٢ .

^{٣٨} وقولهم هذا على الجواز أن يكون المراد من ﴿ مبين ﴾ في الآية الظاهر ، وهو من أبان مرادف بان ، أي : تلك آيات الكتاب الواضح كونه من عند الله لما فيه من المعاني العظيمة والنظم المعجز و هو من استعمال اللفظ في معنائه كالمشترك . راجع : التحرير و التنوير : ٩٢/١٩ ، و أبا السعود ، تفسير أبي السعود : ٢٣٣/٦ ، و الألوسي ، روح المعاني : ٥٨/١٩ .

^{٣٩} سورة الشورى ، الآية : ٧ .

^{٤٠} هذا التعبير البلاغي غير التعبير الذي ذكر في بعض التفاسير أنه بطريق الإحتباك . راجع : الألوسي ، روح المعاني : ١٤-١٣/١٤ ، و ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٣٧/٢٥ . ولتعريف الإحتباك ، راجع ،

المبحث السابع عشر : إن الله تعالى ينتقم من الكافرين

قال الله تعالى : ﴿فَأِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾^{٤١} ، أي : فإننا منهم منتقمون بعدك ، أو نرينك في حياتك ما وعدناهم من الذل والقتل ، فحذف المعمول للعموم ، و إن هذا الكلام يفيد كمال التسلية للرسول ﷺ لأنه تعالى بين أنه ينتقم لأجله منهم إما حال حياته أو بعد وفاته^{٤٢} .

المبحث الثامن عشر : رعاية الأدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ

قال الله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^{٤٣} ، إن المفسرين ذهبوا إلى وجهين في التوجيه البلاغي للآية و أولهما : لا تقدموا أمراً ، فحذف المفعول للعموم ليذهب الوهم إلى كل ما يمكن ، أو حذف المفعول اختصاراً للدلالة عليه^{٤٤} ، أي : لا تقدموا ما لا يصلح للقصد إلى نفس الفعل على طريقة قول العرب : فلان يُعطي ويمنع ، أي : يفعلُ الإعطاء والمنع .

^{٤١} سورة الزخرف ، الآية : ٤١ .

^{٤٢} الرازي، التفسير الكبير: ١٨٥/٢٧ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، (ملخص).

^{٤٣} سورة الحجرات ، الآية : ١ .

^{٤٤} راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٣٥١/٤ ، و أبا السعود ، تفسير أبي السعود : ١١٥/٨-١١٦ ، والآلوسي ، روح المعاني : ١٣١/٢٥-١٣٢ ، و البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٠٢/٢ .

المبحث التاسع عشر : تكذيب عاد لهود - عليه السلام - سبب في تعذيبهم

قال الله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ^{٤٥} ﴾ ، فمراد قوله تعالى ههنا : كذبت عادٌ هوداً عليه السلام ، فحذف المفعول به في الآية للعلم بالمحذوف ، أو للعموم لأنهم لما كذبوا به صاروا كمن كذب بالكل .

المبحث العشرون : الإفساح في المجالس سببٌ إلى الإفساح في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ^{٤٦} ﴾ ، فحذف المفعول به للعموم و هو مطلق في كل ما يتبغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك ^{٤٧} . و قال ابن عاشور : وحذف متعلق ﴿ يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ليعم كل ما يتطلب الناس الإفساح فيه بحقيقته ومجازه في الدنيا والآخرة من مكان ورزق ، أو جنة عرضها السماوات والأرض على حسب النيات ^{٤٨} .

^{٤٥} سورة القمر ، الآية : ١٨ .

^{٤٦} سورة المجادلة ، الآية : ١١ .

^{٤٧} قد ذهب كثير من المفسرين إلى هذا التوجيه راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٤٩١/٤ ، و الرازي ، التفسير الكبير : ٢٦٩/٢٩ ، و البيضاوي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل : ٤٦١/٢ ، والآلوسي ، روح المعاني : ٢٨/٢٨ ، وأبا السعود ، تفسير أبي السعود : ٢٢٠/٨ .

^{٤٨} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٣٤/٢٨ .

المبحث الحادي والعشرون : بيان ظاهر حال المنافقين

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ^{٤٩} ﴾ ،
 إن في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا ﴾ حذف ، تقديره : وَإِنْ يَقُولُوا كلاما تسمع
 لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم ، فحذف المفعول به للعموم .

المبحث الثاني والعشرون : إن الله خالق الأشياء كلها

قال الله تعالى : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ^{٥٠} ﴾ ، لقد ذكر فعل
 الخلق مطلقا وحذف المفعول للعموم ، و التقدير : الذي خلق كل شيء .
 و كذلك قال الله تعالى في مقام آخر : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ^{٥١} ﴾ ،
 لقد كثر أقوال المفسرين في التوجيه البلاغي للآية و ملخصها كما يلي : إن الآية
 تحتمل وجهين :

- أ - أن يكون ﴿ مَنْ خَلَقَ ﴾ في محل الرفع فيكون المفعولُ محذوفا للعموم المتناول
 للعاقل وغيره فيشتمل أعمال العباد ، هذا قول أهل السنة .
 ب - أن يكون ﴿ مَنْ خَلَقَ ﴾ في محل نصب ويكون الفاعل محذوفا ، والتقدير ألا
 يعلم الله من خلق ، و هذا قول المعتزلة . و قال الرازي : الاحتمال الأول أولى ، لأن
 الاحتمال الثاني يفيد كونه تعالى عالماً بذات من هو مخلوقه ، ولا يقتضي كونه عالماً
 بأحوال من هو مخلوقه ، والمقصود من الآية هذا لا الأول ^{٥٢} .

^{٤٩} سورة المنافقون ، الآية : ٤ .

^{٥٠} سورة الأعلى ، الآية : ١ - ٢ .

^{٥١} سورة الملك ، الآية : ١٤ .

^{٥٢} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٦٨/٣٠ .

المبحث الثالث والعشرون : العموم في التقدير والهداية من الله

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ^{٥٣} ﴾ ، إن مفعول "قدر" و "هدى" في هذه الآية محذوف للعموم ، لأن هذين فعلين تحيطان بالمخلوق كله ، فأشار إليه ابن عاشور قائلا : " فمفعول "هدى" لإفادة العموم وهو عام مخصوص بما فيه قابلية الهدى ، فهو مخصوص بذوات الإدراك والإرادة وهي أنواع الحيوان ^{٥٤} .

وأما الألوسي فقال أيضا أن مفعول هدى محذوف للعموم ، لأن هذه الأفعال تشمل جميع مخلوقاته - عز وجل - ، فقال : " فوجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه ، وينبغي له . فلو تتبعت أحوال النباتات والحيوانات ، لرأيت في كل منهما ما تحار فيه العقول ، وتضيق عنه دفاتر النقول ^{٥٥} .

ثم فرق الألوسي في فنون هداياته - سبحانه و تعالى - للإنسان و غيره من الحيوانات و النبات بين الخاص و العام بالمراحل التي لا يحيط بها ولا يعلمها كاملا إلا اللطيف الخبير .

^{٥٣} سورة الأعلى ، الآية : ٣ .

^{٥٤} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٣٠ / ٢٧٧ .

^{٥٥} الألوسي ، روح المعاني : ٣٠ / ١١٩ .

الفصل الثاني : رعاية الفاصلة

Regard of Rhyme

يشتمل هذا الفصل على مدخل ثلاثين مبحثاً :

المبحث الأول : الأمر بذكر الله و بالشُّكْرِ لَهُ

المبحث الثاني : أن الله لا يظلم عباده

المبحث الثالث : مجادلة قوم لوط معه عليه السلام

المبحث الرابع : و ما من ولي من دون الله تعالى

المبحث الخامس : الأجل لا يسبق و لا يتأخر

المبحث السادس : ذِكْرُ جِمالِ الأَنْعامِ عِنْدَ رَوْحِها بِالْعِشْيِ وَسِرْحِها بِالْغِداةِ

المبحث السابع : إن الله محيط بعلمه السرِّ و الجهرِ

المبحث الثامن :المقام المطلوب من موسى - عليه السلام - للقاء مع العبد الصالح

المبحث التاسع : التوجيهات لموسى و هارون - عليهما السلام - في دعوة فرعون

المبحث العاشر : أن الله هدى كل شيء إلى مصالحة

المبحث الحادي عشر: إخراج آدم و زوجته - عليهما السلام - من الجنة

المبحث الثاني عشر : شكوى النبيِّ إلى الله في قومهما

المبحث الثالث عشر : عصاء موسى - عليه السلام - تلقف ما يأفكون

المبحث الرابع عشر : أصنام المشركين لا ينفعهم و لا يضرهم

المبحث الخامس عشر : ذكر إبراهيم - عليه السلام - نِعَمَ الله تعالى عليه

المبحث السادس عشر : دعوة الأنبياء قومهم إلى طاعتهم

المبحث السابع عشر : الذاكرون لأنعم الله قليلون

المبحث الثامن عشر : وعد الأجر العظيم

المبحث التاسع عشر : عاقبة المكذبين

المبحث العشرون : إن الكافرين في شك عن العذاب

المبحث الحادي والعشرون : نصيحة الرجل المؤمن لفرعون و قومه

المبحث الثاني والعشرون : الإنذار من عذاب الله

المبحث الثالث والعشرون : الكفار لا يستطيعون السجود في الآخرة رغم رغبتهم لها

المبحث الرابع والعشرون : خلق الله الإنسان من علقة ثم سواه

المبحث الخامس والعشرون : من طغى و آثر الحياة الدنيا فالجحيم مأواه

المبحث السادس والعشرون : من خاف مقام ربه و هوى نفسه عن الهوى فالجنة مأواه

المبحث السابع والعشرون : حذف الياء في الفواصل

المبحث الثامن والعشرون : الإنسان عجول يئوس

المبحث التاسع والعشرون : التسلية من الله للرسول ﷺ

المبحث الثلاثون : دين المسلمين التوحيد و دين الكافرين الإشراك

المدخل

وفيه سبعة مطالب

المطلب الأول : السجع في اللغة

المطلب الثاني : السجع في الاصطلاح

المطلب الثالث : الفواصل في اللغة

المطلب الرابع : الفواصل في الاصطلاح

المطلب الخامس : الفرق بين الفواصل ورؤوس الآيات

المطلب السادس : الفرق بين الفواصل و السجع

المطلب السابع : ورود الفواصل في القرآن

إن علماء البلاغة عنوا عنايات خاصة في تعريف الحذف و بيان أسرارهِ في الكلام العربي ، حتى قيل^١ أن الحذف دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر في أسرار بلاغته ، فالمحذوف إذا دلت عليه القرينة يُحسن حذفه من أن يُذكر ، و لو ذُكر لكان ثقيلًا في موضعه ، لأنه تعريف لما عُرِّف و بيان لما بُيِّن . و إذا حُذف المعروف فُرِّع عن السامع الثقل الذي وُجد لكونه كلامًا مكرَّرًا لأن الكلمة الخالية من الفائدة كالثقل ، و حذفه سبب الأُنس ما يغمر القلوب سرورًا .

و كما قيل أنه إذا حُذِفَت كلمةٌ أو جملةٌ من الكلام فلا بد من أن تحذف لغرض من الأغراض البلاغية و منها رعاية للفواصل ، ففي هذا الفصل نبحت عن هذا الغرض البلاغي للحذف في القرآن الكريم مع الشواهد القرآنية ، ولكنه من الضروري أن نتناول بالبحث تعريف الفواصل و الفرق بين الفواصل و السجع ، و نبحت عن موقف العلماء عن عدم ورود السجع في القرآن الكريم و ثبوت الفواصل فيه .

كان العرب أهل بلاغة لم يستطع واحدٌ منهم على أن يأتي بسورة من مثله ، بل اعترفوا بعلو شأنه ، و عذوبة كلامه ، و حلاوة تعبيراته ، و تفوقه على كل فنون الكلام من الشعر و النثر ، حتى على السحر و الكهانة ، فاعترفوا بذلك وهم أفصح الناس و أكثرهم بلاغة ، و هذا كله من أجل إعجاز بلاغته ، فالحذف مع أغراضه المختلفة جزء مهم من بلاغة القرآن و منها الحذف لرعاية الفواصل .

المطلب الأول : السجع لغة

السَّجْعُ : الكلام المقفَّى ، و الجمع أسجاعٌ و أساجيعُ . و قد سَجَعَ الرجل سَجْعًا و سَجَّعَ تَسْجِيعًا ، و كلامٌ مُسَجَّعٌ ، و بينهم أسجوعَةٌ .

^١ إشارة إلى قول الإمام عبد القاهر الجرجاني .

وسجع كَمَنَع : نَطَقَ بكلامٍ له فَوَاصِلٌ ، فهو سَجَاعَةٌ وسَاجِعٌ ، و الحَمَامَةُ : رَدَّدَتْ صَوْتَهَا ، فهي سَاجِعَةٌ وسَجُوعٌ . والسَاجِعُ : القَاصِدُ في الكلامِ وغيره ^٢ .
وسمي السجع في الكلام بذلك لأن مقاطع الفصول تأتي على ألفاظ متوازنة متعادلة،
وكلمات متوازنة متماثلة .

المطلب الثاني : السجع في الاصطلاح

هو تَقْفِيَةٌ مقاطع الكلام من غير وزن ، أو هو تَواطُؤُ الفواصل من الكلام المنشور على حرف واحد ، ويقال للجزء الواحد منه سَجعة ، وتجمع على سَجعات ، ويقال للحرف الأخير منها : حرف الروي والفاصلة ^٣ .

والسجع ينفصل عن النثر غير المسجوع بالتَقْفِيَّةِ و لكن الكلام المسجوع لا يدخل بهذه التقفية في نطاق الشعر لأن للشعر مقومات و هي تلك الأوزان أو البحور المعروفة التي لها عناوين خاصة ، و الكلام المسجوع تفقده هذه المقومات ^٤ .

المطلب الثالث : الفواصل لغة

الفواصل جمع الفاصلة و هو من الفصل ، والفَصْلُ من الجسد موضع المَفْصِلِ وبين كل فَصْلَيْنِ وَصْلٌ . والفَصْلُ الحاجز بين الشئين ، فَصَلَ بينهما يفصِلُ فَصْلاً فانفَصَلَ وفَصَلْتُ الشئ فانصَلَ ، أي : قطعته فانقطع ، والمَفْصِلُ واحد مَفَاصِلِ : الأَعْضَاءُ

^٢ راجع : الجوهرى ، الصحاح : ١٠٢١/٣ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، وابن منظور ، لسان العرب : ١٥٠/٨-١٥١ ، دار صادر بيروت ، والزبيدي ، تاج العروس : ١٧٩/٢١-١٨٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٤ م ، و أبوبكر الرازي ، مختار الصحاح : ٢٨٢ ، الطبع التاسعة ، ١٩٦٢ م ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة .

^٣ القَلْقَشْنَدِي ، صبح الأعشى : ٢٧٠/٢ .

^٤ مجلة مجمع اللغة العربية ، الدكتور عبدالرحمن التاج ، السجع وتناسب الفواصل وما يكون من ذلك في القرآن الكريم ، الجز السادس و الثلاثون ، نوفمبر ١٩٧٥ م ، القاهرة .

والمفصل كل ملتقى عظيمين من الجسد ، والفاصلة الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام ، والفصل القضاء بين الحق والباطل وهو قضاء فيصّل وفاضل ، و الفاضل صفة من صفات الله عز وجل ، يفصل القضاء بين الخلق^٥.

المطلب الرابع : الفواصل اصطلاحاً

الفاصلة في العروض : أن تجتمع ثلاثة أحرف متحركة والرابع ساكن ، والفصل كلُّ عَرُوضٍ بُنيت على ما لا يكون في الحشو إما صحة وإما إعلال كمفاعِلن في الطويل فإنها فصلٌ لأنها قد لزمها ما لا يلزم الحشو لأن أصلها إنما هو مفاعِلن ومفاعِلن في الحشو على ثلاثة أوجه مفاعِلن ومفاعِلن ومفاعِلُ ، وأواخر الآيات في كتاب الله فواصلٌ بمتزلة قوافي الشعر و واحدتها فاصِلة ، وقوله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ له معنيان أحدهما تفصيل آياته بالفواصل ، والمعنى الثاني في فصلناه بيّناه ، وقوله تعالى : ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾^٦ ، أي : بين كل آيتين فصلٌ تمضي هذه وتأتي هذه و بين كل آيتين مهلة ، وقيل : مفصّلات أي : مبيّنات^٨.

الفصل في القوافي : كلُّ تَغْيِيرٍ اخْتَصَّ بِالْعَرُوضِ وَلَمْ يَجْزُ مِثْلُهُ فِي حَشْوِ الْبَيْتِ ، وهذا إنما يكونُ بِإِسْقَاطِ حَرْفٍ مُّتَحَرِّكٍ فَصَاعِدًا ، فإذا كان كذلك ، سُمِّيَ فَصْلًا^٩. والفصل في القرآن هي كلمات آخر الآية وهي حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني .

^٥ ابن منظور ، لسان العرب : ٥٢١/١١ - ٥٢٤ .

^٦ سورة الأعراف ، الآية : ٥٢ .

^٧ سورة الأعراف ، الآية : ١٣٣ .

^٨ ابن منظور ، لسان العرب : ٥٢٤/١١ .

^٩ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط : ٣١/٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، (فصل الفاء باب اللام).

المطلب الخامس : الفرق بين الفواصل ورؤوس الآيات

الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آية وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية^{١٠} .

المطلب السادس : الفرق بين الفواصل و السجع

إنه ليس الفرق بين السجع و الفواصل في الظاهر كبيرا إلا أن العلماء فرّقوا بينهما من حيث المعنى فقليل : إن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها^{١١} .

المطلب السابع : ورود الفواصل في القرآن

إن العلماء رفضوا ورود السجع في القرآن الكريم و كذلك الفواصل المتكلفة التي يتبعها المعنى ، ولكن أقرّوا بورود الفواصل المحمودة التابعة للمعاني في القرآن الكريم في كثير من السور والآيات وهذه دالة على فصاحة القرآن و بلاغته مع الحسن والرونق ،

وأشار إليه ابن سنان الخفاجي^{١٢} قائلا :

^{١٠} الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص : ٢٧٣ ، والسيوطي ، الإتقان في علوم القرآن: ٢/١٨٩ ، بتصريف .

^{١١} ابن سنان الخفاجي : سرّ الفصاحة ، ص : ٥٩ ، و ثم نقل الخفاجي قولاً من الرماني قائلا : إن الفواصل بلاغة ، والسجع عيب ؛ لأن السجع يتبعه المعاني والفواصل تتبع المعاني ، لكنه لم يقبل قول الرماني هذا و قال أنه غير صحيح لأن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول ، والفواصل على ضريين : المتماثل والمتقارب و إذا يكون يأتي كل واحد منهما طوعا سهلا وتابعا للمعاني فهو محمود دال على الفصاحة و حسن البيان و بالضد من ذلك حتى يكون متكلفاً يتبعه المعنى ، مذموم مرفوض .

فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوه في الفصاحة وقد ، وردت فواصله متماثلة ومتقاربة ؛ فمثال التماثلة قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ ۝ وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ١٣ ﴾ وقوله عز اسمه : ﴿ طه ۝ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۝ إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَن يَخْشَى ۝ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ۝ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ١٤ ﴾ .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝ فَالْغِيْرَاتِ ضَبْحًا ۝ فَاتْرَنَ بِهِ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ١٥ ﴾ ، هذه وكذلك السور و الآيات الأخرى ، ومثال المتقارب في الحروف قوله تبارك وتعالى : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ١٦ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ١٧ ﴾ ، وهذا لا يسمى سجعا لأن السجع ما كانت حروفه متماثلة ١٨ .

١٢ هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد الخفاجي الحلبي (٤٢٣ - ٤٦٦ هـ) ، كان أديبا و شاعرا ، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره . وكانت له ولاية بقلعة " عزاز " من أعمال حلب ، وعصي بها ، فاحتيل عليه بإطعامه " خشكناجة " مسمومة ، فمات و حمل إلى حلب . من آثاره: ديوان شعر، وسر الفصاحة ، راجع : الزركلي ، الأعلام : ١٢٢/٤ ، و عمر كحالة ، معجم المؤلفين : ١٢٠/٦ .

١٣ سورة الطور ، الآية : ١ - ٤ .

١٤ سورة طه ، الآية : ١ - ٥ .

١٥ سورة العاديات ، الآية : ١ - ٥ .

١٦ سورة الفاتحة ، الآية : ٣ - ٤ .

١٧ سورة ق ، الآية : ١ - ٢ .

١٨ ابن سنان الخفاجي ، سرّ الفصاحة ، ص : ٥٩ (بتصريف).

قد اتضح لنا من هذه البيانات أن الفواصل التي في القرآن ، فإن جماعة من العلماء سّموها فواصل ولم يسموها أسجاعاً ، و قالوا أن الفواصل بلاغة ، والسجع عيب ، و قالوا لم يرد السجع في القرآن الكريم . و لكن جماعة من العلماء و منهم ابن السنان الخفاجي الذي أقر بورود السجع في القرآن الكريم و قال : وأظن أن الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبة في تزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض في التسمية قريب . فأما الحقيقة فما ذكرناه لأنه لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجوعاً ، وبين مشاركة جميعه في كونه عرضاً وصوتاً وحروفاً وعربياً ومؤلفاً ، وهذا مما لا يخفى فيحتاج إلى زيادة في البيان . ولا فرق بين الفواصل التي تماثل حروفها في المقاطع وبين السجع^{١٩} .

^{١٩} ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص : ٦٠

وكذلك قال ابن الأثير^{٢٠} مثل ما قاله الخفاجي في توجيه تسمية الفواصل في القرآن باسم السجع فيقول : وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ، ولا أرى ذلك وجهاً سوى عجزهم أن يأتوا به وإلا فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم ، فإنه قد أتى منه بالكثير ، حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة ، كسورة الرحمن ، وسورة القمر ، وغيرهما وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور^{٢١} .

والآن يمكن لنا أن نقول في ضوء البيانات السابقة أننا ما نرى من آراء مختلفة في ورود السجع في القرآن الكريم و عدمه ، إنه اختلاف في الاسم لا في المسمى ، و خير دليل على هذا أن نفس الآيات و السور التي سُمّتها الجماعة من العلماء باسم الفواصل فسُمّتها الجماعة الأخرى من العلماء باسم السجع . و لكن من الأحسن أن نجتنب من تسمية كل ما في القرآن ما تماثلت حروفه سجعاً رغبة في تزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم من الشعراء ، لأن القرآن يُعلن أنه ليس بقول شاعر^{٢٢} ، وبذلك يمكن لنا أن نجعل القرآن بعيداً عن كلام الكهان الذين كانوا يتكلمون كلاماً مسجوعاً مذموماً لما فيه من التكلف والتعسف ، وكما روي

^{٢٠} هو محمد بن نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، الجزري ، أبو الفتح ، ضياء الدين ، المعروف بابن الأثير الكاتب (٥٨٥ - ٦٢٢) هـ ، ولد في جزيرة ابن عمر ، وتعلّم بالموصل ، واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين ، وولى الوزارة للملك الأفضل ابن صلاح الدين في دمشق . ولم تحمد سياسته ، فخرج منها مستخفياً في صندوق مقل ، ونحو إلى الموصل ، فكتب الإنشاء لصاحبها محمود بن عز الدين مسعود ، فبعثه رسولا في أواخر أيامه إلى الخليفة ، فمات ببغداد . كان قوي الحافظة ، من محفوظاته شعر أبي تمام والمنتبي والبحتري . ومن تأليفه : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، راجع : ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٣٨٩/٥ ، و الزركلي ، الأعلام : ٣١/٨ ، و عمر كحالة ، معجم المؤلفين : ٩٨/١٣ .

^{٢١} ابن الأثير ، المثل السائر : ٢١٠/١ ، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، الفجالة ، القاهرة .

^{٢٢} الإشارة إلى الآية رقم: ٤١ من سورة الحاقة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾.

أن رجلا قال: { كَيْفَ أَغْرَمُ مَنْ لَمْ يَشْرَبْ وَلَا أَكَلَ وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ مِنْ أَجْلِ سَجَعِهِ الَّذِي سَجَعَهُ ٢٣ } . فاستكره رسول الله ﷺ كلامه لكونه سجعا .

ففي هذا الفصل نبحت عن هذا الغرض البلاغي للحذف في القرآن الكريم .

المبحث الأول : الأمر بذكر الله و بالشكر له

قال الله تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ٢٤ ﴾ . قال الألوسي إنه حذف ياء المتكلم في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ ، تقديرها : ولا تكفروني ، تخفيفاً لتناسب الفواصل ٢٥ ، وقال أبو حيان أنه من كفر النعمة ، وهو على حذف مضاف تقديره : ولا تكفروا نعمتي . ولو كان من الكفر ضد الإيمان ، لكان تقديره : ولا تكفروا ، أو ولا تكفروا بي . وهذه النون نون الوقاية ٢٦ ، حذف ياء المتكلم بعدها تخفيفاً لتناسب الفواصل ٢٧ .

٢٣ راجع : البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب الطب ، باب الكهانة : ٨٥٧/٢ ، و المسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب القسامة ، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد ، ص : ٦٦٥ .

٢٤ سورة البقرة ، الآية : ١٥٢ .

٢٥ راجع : الألوسي ، روح المعاني : ١٩/٣ .

٢٦ نون الوقاية : إذا لحقت ياء المتكلم الفعل أو اسم الفعل ، وجب الفصل بينهما بنون تُسمى نون الوقاية ، لأنها تقي ما تتصل به من الكسر (أي تحفظه منه) . تقول " أكرمني ، ويكرمني ، وأكرمني ، وتكرموني . وإن لحقت الأحرف المشبهة بالفعل ، فالكثير إثباتها مع "ليت" وحذفها مع "عل" ، كما ورد في القرآن الكريم : ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة النساء ، الآية : ٧٣) ، وقال جل شأنه : ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابِ ﴾ (سورة غافر ، الآية : ٣٦) . وتسمى هذه النون نون العماد أيضا ، راجع : ابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ١٠٦/١ ، ٢٩٢/٢ ، ٢٥٢/٣ ، وأبو البقاء العكبري ، اللباب في علل البناء والإعراب : ٤٨٣/١ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م ، دار الفكر ، دمشق .

٢٧ أبو حيان ، البحر المحيط : ٦٢١/١ .

المبحث الثاني : أن الله لا يظلم عباده

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ^{٢٨} ﴾ ، إن في الآية تقديم مفعول لرعاية الفاصلة لا للتخصيص ، وهذا محمول على قراءة المشهورة و أما الزمخشري فذكر أنه قرىء " ولكن " بالتشديد ، و بهذا الوجه يكون أنفسهم اسمها ، و يظلمون خبرها ، والعائدُ محذوفٌ للفاصلة تقديره : ولكنَّ أنفسهم يظلمونها ^{٢٩} .

المبحث الثالث : مجادلة قوم لوط معه عليه السلام

قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ^{٣٠} ﴾ ، إن في إعراب قوله تعالى : ﴿ ما تريد ﴾ قولان :

أ - إنها ما مصدرية فلا حذف إذا ، فمعناه : إرادتنا .

ب - الظاهر أن " ما " مفعول لتعلم ، وهو بمعنى تعرف ، وهي موصولة و العائد محذوف ، أي : الذي نريده . و باعتبار الآية محمولة على القول الثاني يجوز أن يقال أنه حذف العائد رعاية للفاصلة .

المبحث الرابع : و ما من ولي من دون الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ^{٣١} ﴾ ، وحذف الياء من " وال " في الوصل والوقف تقديره : الوالي الذي يلي أمر أحد ، مشتق من ولي ، لمرعاة الفواصل ^{٣٢} .

^{٢٨} سورة آل عمران ، الآية : ١١٧ .

^{٢٩} راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٤٣٤/١ ، و الرازي ، التفسير الكبير : ٢٠٩/٨ ، و أبـ السعود ،

تفسير أبي سعود : ٧٥/٢ ، و الآلوسي ، روح المعاني : ٣٧/٤ .

^{٣٠} سورة هود ، الآية : ٧٩ .

^{٣١} سورة الرعد ، الآية : ١١ .

^{٣٢} السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٢٠٥ ، و ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ١٠٢/١٣ .

المبحث الخامس : الأجل لا يسبق و لا يتأخر

قال الله تعالى : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾^{٣٣} ، إنما حُذِفَ الجار و المجرور بعد "يستأخرون" ، والتقدير: يستأخرون عنه ، لأنه معلوم و لرعاية الفاصلة^{٣٤}.

المبحث السادس : ذِكْرُ جَمَالِ الْأَنْعَامِ عِنْدَ رَوْحِهَا بِالْعَشِيِّ وَسِرْحَانِهَا بِالغَدَاةِ

قال الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾^{٣٥} ، فمفعول الفعلين أي : الرّوح و السرح محذوف لدلالة الكلام عليه و لرعاية الفواصل و التقدير : حين تُرْجِحُونَهَا و حين تُسْرَحُونَهَا^{٣٦}.

المبحث السابع : إن الله محيط بعلمه السرّ و الجهر

قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾^{٣٧} .

فحُذِفَ العائد في الفعلين ، والتقدير : تُضمرونه و تظهرونه لمراعاة الفواصل ، أي : يستوي بالنسبة إلى علمه المحيط سرّكم و علنكم^{٣٨}.

المبحث الثامن : المقام المطلوب من موسى - عليه السلام - للقاء مع العبد الصالح

قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾^{٣٩} .

^{٣٣} سورة الحجر ، الآية : ٥ و سورة المؤمنون ، الآية : ٤٣ .

^{٣٤} تأنيث ضمير أمة في "أجلها" و تذكيره في يستأخرون للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى ، وصيغة الاستفعال للإشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له . (راجع : الألوسي ، روح المعاني : ١١/١٤)

^{٣٥} سورة النحل ، الآية : ٦ .

^{٣٦} راجع : الألوسي ، روح المعاني : ٩٩/١٤ ، و أبي السعود ، تفسير أبي السعود : ٩٧/٥ .

^{٣٧} سورة النحل ، الآية : ١٩ .

^{٣٨} راجع : الألوسي ، روح المعاني : ١١٩/١٤ ، و أبو السعود ، تفسير أبي السعود : ١٠٥/٥ .

^{٣٩} سورة الكهف ، الآية : ٦٤ .

ذكر الزجاج أن الياء في " نبغ " حُذفت للفاصلة فيقول : " و ما كنا نبغ تحذف هنا للفاصلة ^{٤٠} " ، إلا أن المفسرين الآخرين لم يذكروا أن الياء حذفت ههنا للفاصلة و لهم فيها وجهة غير هذا ^{٤١} .

المبحث التاسع : التوجيهات لموسى و هارون - عليهما السلام - في دعوة فرعون قال الله تعالى حكاية عن موسى و هارون عليهما السلام : ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ^{٤٢} ﴾ ، يحتمل أنه حذف متعلق يطغى ، وأن حذفه للدلالة نظيره عليه ، وأوثر بالحذف لرعاية الفواصل ، والتقدير : أو أن يطغى علينا ، وكذلك أشير إليه في بعض التفاسير أنه حذف الجار والمجرور في " يطغى " رعاية للفواصل ^{٤٣}

^{٤٠} الزجاج ، إعراب القرآن : ٩٠٧/٣ .

^{٤١} لقد وجه كل من المفسرين توجيهها لغويا حسب رأيه في قوله تعالى " نبغ " فمثلا قال الرازي : " وقوله نبغ أصله نبغي فحذفت الياء طلباً للتخفيف لدلالة الكسرة عليه ، وكان القياس أن لا يحذف لأنهم إنما يحذفون الياء في الأسماء وهذا فعل إلا أنه قد يجوز على ضعف القياس حذفها لأنها تحذف مع الساكن الذي يكون بعدها كقولك ما نبغي اليوم؟ فلما حذفت مع الساكن حذفت أيضاً مع غير الساكن " ، (راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١٤٧/٢١) و قال ابن عاشور : " وكتب "نبغ" في المصحف بدون ياء في آخره ، فقيل : أراد الكاتبون مراعاة حالة الوقف ، لأن الأحسن في الوقف على ياء المنقوص أن يوقف بحذفها . وقيل : أرادوا التنبيه على أنها رويت محذوفة في هذه الآية . والعرب يميلون إلى التخفيف " . (راجع : التحرير والتنوير : ٣٦٨/١٥)

^{٤٢} سورة طه ، الآية : ٤٥ .

^{٤٣} إسماعيل حقي ، تفسير روح البيان : ٣٩١/٥ ، مكتبة المثني ، بغداد ، ١٣٣١ هـ ، إلا أن كثيراً من المفسرين لم يذكروا أن حذف الجار و المجرور في الآية رعاية للفاصلة بل يحتمل أنه ترك فعل يطغى بدون ذكر متعلقه استهجاناً فيما طغى فرعون في المعصية و لأنه قال في شأنه تعالى ما لا ينبغي له ، فحذف متعلق يطغى حينئذ لتثريبه عن التصريح به في هذا المقام ، وفي التحرز من ذلك غيرة على جانب الله تعالى ، و ذلك مبني على حسن الأدب .

وللعلم به، تقديره: أن يطغى علينا ونظيره كما حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿وَمَا
وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾^{٤٤}.

المبحث العاشر: أن الله هدى كل شيء إلى مصالحه

قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ
خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾^{٤٥}، حذف مفعول الهداية للفاصلة، تقديره: هداه.
وكذلك حذف مفعول الهداية في قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾^{٤٦}،
تقديره: قومه، للفاصلة مع العلم به وللإختصار.

المبحث الحادي عشر: إخراج آدم وزوجته - عليهما السلام - من الجنة

قال الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ
فَتَشْقَىٰ﴾^{٤٧}، قد أسند الله تعالى ترتب الشقاء إلى آدم عليه السلام دون زوجته إيجازاً،
لأن في شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر لتلازمهما في الكون و لكن لم يُذكر إسناد
الشقاء إلى زوجته رعاية للفواصل فقال به كثير من المفسرين في تفسير الآية أن الله
تعالى اختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة^{٤٨}.

^{٤٤} سورة الضحى، الآية: ٣.

^{٤٥} سورة طه، الآية: ٥٠.

^{٤٦} سورة طه، الآية: ٧٩.

^{٤٧} سورة طه، الآية: ١١٧.

^{٤٨} الزمخشري، الكشاف: ٩٢/٣، والرازي، التفسير الكبير: ١٢٥/٢٢، وأبوحيان، البحر المحييط:

٢٨٤/٦، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، دارالفكر، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٦٢/٢.

المبحث الثاني عشر : شكوى النبيين إلى الله في قومهما

قال الله تعالى حكاية عن قول موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ^{٤٩} ﴾ ، و ثم قال الله تعالى حكاية عن قوله عليه السلام : ﴿ وَهُمْ عَلَيَّ ذُنُوبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ^{٥٠} ﴾ ، و قال الله تعالى أيضا حكاية عن قول نوح عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ^{٥١} ﴾ . إن الآيات الثلاثة على حذف المفعول وهو الياء ضمير المتكلم لرعاية الفاصلة ^{٥٢} . و أما تقدير المحذوفات في الآيات الثلاثة واحد ، فالمحذوف في الآية الأولى تقديره : أن يكذبوني ، و في الآية الثانية تقديره : أن يقتلوني ، و في الآية الثالثة تقديره : إن قومي كذبوني . فسقطت الياء من الآيات حتى تكون مشاهدة لرؤوس الآيات المتقدمة عليها ، والمتأخرة عنها .

المبحث الثالث عشر : عصاء موسى - عليه السلام - تلقف ما يأفكون

قال الله تعالى : ﴿ فَالْقَى مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ^{٥٣} ﴾ ، وكذلك قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ^{٥٤} فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ^{٥٤} ﴾ ، ففي قوله تعالى : " ما يأفكون " ما موصولة والعائد محذوف ، أي : ما يأفكونه ويكذبونه لرعاية الفاصلة .

^{٤٩} سورة الشعراء ، الآية : ١٢ .

^{٥٠} سورة الشعراء ، الآية : ١٤ .

^{٥١} سورة الشعراء ، الآية : ١١٧ .

^{٥٢} راجع : ابن عاشور : التحرير و التنوير : ١٠٨/١٩ .

^{٥٣} سورة الشعراء ، الآية : ٤٥ .

^{٥٤} سورة الأعراف ، الآية : ١١٧ .

المبحث الرابع عشر : أصنام المشركين لا ينفعهم و لا يضرهم

قال الله تعالى : ﴿ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ٥٥ ﴾ ، إن في قوله تعالى : " يضرّون " حذف المفعول للفاصلة ، تقديره : يضرّونكم ويدل عليه ما هو ظاهر قبله .

المبحث الخامس عشر : ذكر إبراهيم - عليه السلام - نعم الله تعالى عليه

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ٥ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ٥ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٥ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ٥ ﴾ ، قال صاحب عمدة القاري أن الياء حذفت في كل هذه الأفعال أي : " يهدين و يسقين و يشفين و يحيين " رعاية للفاصلة والتناسب وهذا نوع من أنواع البديع ٥٧ .

المبحث السادس عشر : دعوة الأنبياء قومهم إلى طاعتهم

قال الله تعالى حكاية عن قول الأنبياء : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥٨ ﴾ ، فحذفت ياء المتكلم في قوله تعالى : " وأطيعون " لرعاية الفاصلة كحذفها أثناء تكرار هذه الآية في هذه السورة ، وسقطت الياء من الآيات حتى تكون مشابهة لرؤوس الآيات المتقدمة عليها ، والمتأخرة عنها .

٥٥ سورة الشعراء ، الآية : ٧٣ .

٥٦ سورة الشعراء ، الآية : ٧٨ - ٨١ .

٥٧ راجع : العيني ، عمدة القاري : ٤/٢٠ ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، د.ت .

٥٨ سورة الشعراء ، الآية : ١٠٨ و تكرر ورودها في السورة نفسها مرات كما في الآيات التالية : ١١٠ ،

١٢٦ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٦٣ و ١٧٩ .

المبحث السابع عشر : الذاكرون لأنعم الله قليلون

قال الله تعالى : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ^{٥٩} ﴾ ، إن في الآية مفعول "تذكرون" محذوف للفاصلة ، تقديره : آلاءه أو نعمه .

المبحث الثامن عشر : وعد الأجر العظيم

قال الله تعالى : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ^{٦٠} ﴾ ، فمفعول الحافظات محذوف رعاية لرؤوس الفواصل و التقدير : و حافظاتها و دل عليه ما قبله من قوله تعالى : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ ﴾ ، وكذلك مفعول الذاكرات ^{٦١} .

المبحث التاسع عشر : عاقبة المكذبين

قال الله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ^{٦٢} ﴾ ، و قوله تعالى : نكير بكسرة في آخره دالة على ياء المتكلم المحذوفة تخفيفاً و رعاية للفاصلة ، وقال ابن عاشور : والنكير : اسم لشدة الإنكار ، وهو هنا كناية عن شدة العقاب لأن الإنكار يستلزم الجزاء على الفعل المنكر بالعقاب . وحذفت ياء المتكلم تخفيفاً ولرعاية الفواصل في الوقف لأن الفواصل يعتبر فيها الوقف ^{٦٣} .

وذهب المفسرون في توجيه كلمة النكير غير ما ذكرناه ، و منها : النكير بمعنى الإنكار كالنذير بمعنى الإنذار، و ياء المتكلم كمضاف إليه محذوفة للفاصلة . أو المراد

^{٥٩} سورة النمل ، الآية : ٦٢ .

^{٦٠} سورة الأحزاب ، الآية : ٣٥ .

^{٦١} راجع : ابن عادل ، اللباب في علوم الكتاب : ٥٥٠/١٥ ، وابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٢٢/٢٢ .

^{٦٢} سورة سبأ ، الآية : ٤٥ ، و سورة فاطر ، الآية : ٢٦ و سورة الملك ، الآية : ١٨ .

^{٦٣} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٣٠٠/٢٢ .

من النكير : كيف رأيتم أثر نكيري عليهم ، فحذف المضاف قبل النكير و ثم ياء المتكلم بعده لرعاية الفواصل ، فأَيّ توجيهٍ وُجّهَ لكلمة النكير من هذه التوجيهات ، نرى أن الرعاية للفاصلة سبب مشترك فيها ، فسقطت الياء من نكيري حتى تكون مشابهة لرؤوس الآيات المتقدمة عليها ، والمتأخرة عنها .

المبحث العشرون : إن الكافرين في شك عن العذاب

قال الله تعالى : ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلَّ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي ط بَلَّ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ٦٤﴾ ، قد حذفت ياء المتكلم في الآية تخفيفاً للفاصلة ، وأبقيت الكسرة دليلاً عليها تقديره : عذابي ، وهو حذف كثير في الفواصل والحكمة في إضافة عذاب إلى ياء المتكلم لاختصاصه بالله لأنه مُقَدَّرُه وقاض به عليهم ^{٦٥} .

المبحث الحادي والعشرون : نصيحة الرجل المؤمن لفرعون و قومه

قال الله تعالى : ﴿وَيَنْقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ٦٦﴾ .
قال الرازي : " التنادي تفاعل من النداء ، يقال تنادى القوم ، أي : نادى بعضهم بعضاً ، والأصل الياء وحذف الياء حسنٌ في الفواصل ^{٦٧} " .

^{٦٤} سورة ص ، الآية : ٨ .

^{٦٥} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٢١٥/١٣ .

^{٦٦} سورة غافر ، الآية : ٣٢ .

^{٦٧} الرازي ، التفسير الكبير : ٥٣/٢٧ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، (وَيَوْمَ التَّنَادِ هو يوم الحساب والحشر ، سمي يَوْمَ التَّنَادِ لأن الخلق يتنادون يومئذٍ وإما لأن الخلق ينادون إلى الحشر و كثير من الآيات القرآنية شاهدة على هذا) . (راجع : ابن عاشور ، التحرير : ١٣٦/٢٤) .

المبحث الثاني والعشرون : الإنذار من عذاب الله

قال الله تعالى : ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾^{٦٨} ، وحُذفت ياء المتكلم من "نذر" لرعاية الفاصلة ، والتقدير : نُذري . وحذفها كثير في القرآن عند الفواصل^{٦٩} .

المبحث الثالث والعشرون: الكفار لا يستطيعون السجود في الآخرة رغم رغبتهم لها
قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^{٧٠} ،
حذف المفعول في قوله تعالى: "فلا يستطيعون" رعاية للفاصلة، والتقدير: فلا يستطيعونه.

المبحث الرابع والعشرون : خلق الله الإنسان من علقه ثم سوّاه

قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾^{٧١} ، فمفعول "خلق" ومفعول "سوّى"
مخدوفان لدلالة الكلام عليهما و التقدير : فخلقه فسوّاه ، و مع ذلك حذف الأخير
لغرض بلاغي آخر أيضا و هو الرعاية الفاصلة أيضا .

المبحث الخامس والعشرون : من طغى وآثر الحياة الدنيا فالجحيم مأواه

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾^{٧٢} .

^{٦٨} سورة القمر ، الآية : ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٠ .

^{٦٩} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٤١/٢٩-٤٢ ، و أبا السعود ، تفسير أبي السعود : ١٧٠/٨ ، و
الآلوسي ، روح المعاني : ١١/١٤ ، و ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٨٧/٢٧ ، و النذر : جمع نذير
بمعنى الإنذار الذي هو اسم مصدر أنذر كالنذارة و يحتمل أنه جمعت لتكرار النذارة من الرسول لقومه طلباً
للإيمانهم . (نفس المصدر) .

^{٧٠} سورة القلم ، الآية : ٤٢ .

^{٧١} سورة القيامة ، الآية : ٣٨ .

^{٧٢} سورة النازعات ، الآية : ٣٧ - ٣٩ .

إن الآية الأخيرة على حذف الصلة لرعاية الفاصلة تقديرها : المأوى له ، و يمكن لنا أن نقول أن الصلة حذفت لوضوح المعنى كقولنا للرجل " غض الطرف " أي : غض طرفك ، فقريئة الحال و المقال دالة على الحذف .

المبحث السادس والعشرون: من خاف مقام ربه و هني نفسه عن الهوى فاجنحة مأواه
قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ ﴾^{٧٣} . لقد حذفت الصلة في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ ﴾ كما حذفت من قبله في ذكر عاقبة الطغاة لرعاية الفاصلة ، تقديرها : المأوى له ، أو حذفت لوضوح المعنى لأن قريئة الحال و المقال دالة على هذا الحذف .

المبحث السابع والعشرون : حذف الياء في الفواصل

قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ۗ ﴾^{٧٤} ، وكذلك قال الله تعالى : ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۗ ﴾^{٧٥} ، حذفت الياء من يسر طلبا للموافقة في الفواصل^{٧٦} . و قال الزمخشري : وكل واو أو ياء لا تحذف تحذف في الفواصل^{٧٧} ، فكذاك حذفت الياء في هذه الآية رعاية للفاصلة .

و أما قوله تعالى : ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۗ ﴾ ، فقال ابن عاشور أن كلمة " الواد " فيها لغتان : أن يكون آخره ذالاً ، وأن يكون آخره ياء ساكنة بعد

^{٧٣} سورة النازعات ، الآية : ٤٠ - ٤١ .

^{٧٤} سورة الفجر ، الآية : ٤ .

^{٧٥} سورة الفجر ، الآية : ٩ .

^{٧٦} راجع : الزجاج ، إعراب القرآن : ٩٠٧/٣ ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ م ، دارالكتاب اللبناني ، بيروت ، و

ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة : ٦٠ . و الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١٠٧/٣ .

^{٧٧} الزمخشري ، المفصل في علم العربية ، ص : ٣٤٠ ، دار نشر الكتب الإسلامية ، لاهور ، د.ت .

الدال ، وقرأ الجمهور بدون ياء ، وقرأه ابن كثير بياء في آخره وصلاً ووقفاً ، وهي قراءة مبنية على مراعاة الفواصل مثل ما تقدم في قوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾^{٧٨} .

المبحث الثامن والعشرون : الإنسان عجول يتوس

قال الله تعالى : ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ
 ○ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾^{٧٩} .

قال ابن الجوزي^{٨٠} : وما حذف من الياء في مثل قوله تعالى : ﴿ومن اتبعن^{٨١}﴾ و ﴿لئن أحرتن^{٨٢}﴾ و ﴿ربي أكرمن﴾ و ﴿ربي أهانن﴾ ، فهو على ضربين أحدهما : ما كان مع النون ، فإن كان رأس آية ، فأهل اللغة يميزون حذف الياء ، ويسمون أواخر الآي الفواصل ، فأما إذا لم يكن آخر آية أو قافية فإثبات الياء كثيراً ، وحذفها جيد أيضاً ، خاصة مع النونات^{٨٣} .

^{٧٨} ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ٣٠ / ٣٢٠ .

^{٧٩} سورة الفجر ، الآية : ١٥ - ١٦ .

^{٨٠} هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي الحنبلي البغدادي ، مولده ووفاته ببغداد ، كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ . صنف في فنون عديدة ، منها : زاد المسير ، في علم التفسير ، وله في الحديث تصانيف كثيرة ، وله المنتظم في التاريخ ، وهو كبير ، وله الموضوعات ، ذكر فيها كل حديث موضوع ، وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد . وكتب بخطه شيئاً كثيراً ، والناس يغالون في ذلك راجع : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣ / ١٤٠-١٤٢ ، الزركلي ، الأعلام : ٣ / ٣١٦ .

^{٨١} سورة آل عمران ، الآية : ٢٠ .

^{٨٢} سورة الإسراء ، الآية : ٦٢ .

^{٨٣} راجع : ابن الجوزي ، زاد المسير : ٣١١ / ١ (بتصريف) ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ م ، دار الفكر ، بيروت . و من الملحوظ أنه كما قال ابن الجوزي أن حذف من الياء على ضربين ، فحسب قوله يُمكن أن تُحتمل رؤوس الآيتين على حذف الياء لرعاية الفاصلة .

المبحث التاسع و العشرون : التسلية من الله للرسول ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ^{٨٤} ﴾ .

فحذف المفعول رعاية لفواصل السورة ، و أما المحذوف ، فتقديره : وما قلاك . وكذلك حذفت المفاعيل في رؤس الآيات من السورة و منها : آواك وهداك وأغناك، رعاية للفاصلة مع دلالة قرينة الحال أو المقال ^{٨٥} .

المبحث الثلاثون : دين المسلمين التوحيد و دين الكافرين الإشراك

قال الله تعالى تعليماً لرسول الله ﷺ : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَٰ دِينِ ^{٨٦} ﴾ ، إن الآية على حذف الياء ، تقديره : ديني ، وقرأ الجمهور بحذف الياء من ديني وقفاً ووصلاً ، وحذفها لرعاية الفواصل سائغ ، وإن كانت اسماً ^{٨٧} .

^{٨٤} سورة الضحى ، الآية : ٣ .

^{٨٥} راجع: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١٠٧/٣ ، ١٦٧ ، والسيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١١٢/٢ ، والرازي ، التفسير الكبير : ٣٢ / ٢١٠ ، وابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٣٠ / ٣٩٦-٣٩٧ .

^{٨٦} سورة الكافرون ، الآية : ٦ .

^{٨٧} الشوكاني ، فتح القدير : ٥٠٨/٥ .

الفصل الثالث : قصد البيان بعد الإبهام
Intending Elaboration after Ambiguity

وفيه خمسة عشر مبحثاً

- المبحث الأول : الزجر و الوعيد على المنافقين
المبحث الثاني : لو شاءَ اللهُ لَجَمَعَ على الهدى جميعَ خلقه
المبحث الثالث : احتجاج المشركين على أن ما ارتكبه حق و مرضي عند الله
المبحث الرابع : التحذير للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب من كانوا قبلهم
المبحث الخامس : العفو عن موسى عليه السلام
المبحث السادس : قصة الرجل الذي صار من زمرة الضالين بعد أن كان مهتدياً
المبحث السابع : دعوى الكفار باستطاعة المعارضة للقرآن الكريم
المبحث الثامن : الإبطال لدعوى الكفار أن القرآن ليس من عند الله
المبحث التاسع : الإيمان لا يحصل إلا بمشيئة الله تعالى و بإرشاده و هدايته
المبحث العاشر : إن بعثة محمد ﷺ كرسول للعالم كله
المبحث الحادي عشر : مشيئة الله في هداية النفوس
المبحث الثاني عشر : تعللات الكفار في التكذيب والإعراض عن الرسل
المبحث الثالث عشر : الردُّ على مقالة الكفار
المبحث الرابع عشر : إن الله أنبت الزرع و أبقاه برحمته ولو شاء لجعله حطاماً
المبحث الخامس عشر : التذكير بنعمة الماء

إيجاز الحذف نوع لا بديل له في البلاغة وله فوائد كثيرة ، و من بينها الحذف لقصد البيان بعد الإبهام . و إن هذا الغرض يفيد بلاغة أكثر من غيرها من أغراض الحذف و هو أن المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهماً فإنه يفيد السامع بلاغة و يكسبه إعجاباً و فخامة . و ذلك لأنه إذا قرعَ السمعَ على جهة الإبهام ، فإن السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب^١ ، و كذلك رأى الجرجاني أن الواجب في حكم البلاغة أن لا ينطق بالمحذوف ، ولا يظهر إلا اللفظ ، و أن البيان إذا ورد بعد الإبهام وبعد التحريك له جعل السامع مسروراً مطمئناً لأنه إذا قيل "لو شئت" علم السامع أنه قد علقته هذه المشيئة في المعنى بشيء فهو يضع في نفسه أن هنا شيئاً تقتضي مشيئته له^٢ .

ومصادق هذه المقالة قوله تعالى : ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ^٣ ﴾ ، فحذف مفعول المشيئة لأنه يلزم من وجود المشيئة وجود المشاء ، تقديره : فلو شاء هدايتكم لهداكم . فإذا سمع السامع فلو شاء تعلق نفسه بما شاء فأبهمه أولاً ثم فسّره بقوله تعالى : ﴿ لَهَدَيْنَاكُمْ ﴾ ، ففي إبهامه في أول وهلة ، ثم تفسيره ببيان المشيئة ، تفخيم للأمر و تعظيم لشأنه ، فإنه لو قيل فلو شاء هدايتكم لهداكم ، لم يكن فيه من الفخامة و ارتفاع مكانه في الفصاحة ، ولكن بحذف مفعول المشيئة أوقع الإبهام السامع في حيرة و تفكير و استعظام ، لِمَا قرعَ سمعه فلا تزال نفسه تنزعُ إليه و تشتاق إلى معرفته و لما ذكر الجواب استبان بعد ذلك .

^١ يحيى بن حمزة العلوي ، كتاب الطراز ، ص : ٢٤٠ .

^٢ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : ١٦٣-١٦٤ ، (ملخص) .

^٣ سورة الأنعام ، الآية : ١٤٩ ، و سورة النحل ، الآية : ٩ إلا أن فيها "ولو" بدلا من "فلو" .

و أما ورود هذا الغرض من الحذف أثناء الكلام فيكون أكثر في حذف مفاعيل المشيئة والإرادة بعد أداة شرط كما قال السيوطي : " وأكثر ما يقع ذلك بعد أداة شرط لأن مفعول المشيئة مذكور في جوابها ، وقد يكون مع غيرها استدلالاً بغير الجواب نحو : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^٤ ، وقد ذكر أهل البيان ° أن مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلا إذا كان غريباً أو عظيماً نحو : ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَّآتَّخِذْتَهُ مِن لَّدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^٦ ، وإنما أطرده أو أكثر حذف مفعول المشيئة دون سائر الأفعال لأنه يلزم من وجود المشيئة وجود المشاء، فالمشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مشيئة الجواب، ولذلك كانت الإرادة مثلها في أطرده حذف مفعولها^٧ . فكلما نرى أهمية هذا الغرض فذاك لأجل إهامه ثم لتفسيره .

وأما الزركشي فإنه ذكر قاعدة أنه يكثر من حذف مفعول المشيئة دون سائر الأفعال إلا أن في هذه القاعدة استثناء فقال : ويستثنى من هذه القاعدة ثلاثة أمور أحدها إذا كان مفعول المشيئة عظيماً أو غريباً فإنه لا يحذف كقوله تعالى : ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحٰنَهُ﴾^٨ ، فهو أبلغ في الرد لأنه لو حذفه فقال : "لو أراد الله لأصطفى" لم يظهر المعنى المراد لأن الأصطفاء قد لا يكون بمعنى

^٤ سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

^٥ فمراده من أهل البيان هم علماء هذا الفن مثل ما ذكر يحيى بن حمزة العلوي بقوله : " و لا تكاد ترد مفاعيل المشيئة إلا في الأشياء المستغربة المتعجب من حالها " . (كتاب الطراز ، ص : ٢٥٢) .

^٦ سورة الأنبياء ، الآية : ١٧ .

^٧ السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن : ١١٣ / ٢ .

^٨ سورة الزمر ، الآية : ٤ .

التبني ولو قال: "لو أراد الله لا يتخذ ولدا" لم يكن فيه ما في إظهاره من تعظيم جرم قائله^٩.

ففي هذا الفصل نبحت عن الآيات التي تتعلق بهذا الغرض للحذف لنطلع على أسرار الحذف ، و نبين تقدير المحذوفات في الآيات لنرى أهمية الحذف في الفصاحة و البلاغة و لنرى أنه إذا يُظهر المحذوف لم يكن فيه من الفخامة و ارتفاع مكانه في الفصاحة .

المبحث الأول : الزجر و الوعيد على المنافقين

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ^{١٠}﴾ ، لقد حُذِفَ مفعول المشيئة من الأول استغناء بدلالته في الثاني عليه لقصد البيان بعد الإهام و التقدير : ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما ، وقال الزمخشري : " ومفعول "شَاءَ" محذوف ، لأن الجواب يدل عليه ، والمعنى : ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ، ولقد تكاثر هذا الحذف في "شاء" و"أراد" لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله : فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ^{١١} " .

المبحث الثاني : لو شاء الله لجمع على الهدى جميع خلقه

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى^{١٢}﴾ ، فمفعول المشيئة محذوف لقصد البيان بعد الإهام على الطريقة السلوكة في فعل المشيئة ، وأما المحذوف ،

^٩ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٧٠-١٧١ ، (ملخص).

^{١٠} سورة البقرة ، الآية : ٢٠ .

^{١١} الزمخشري ، الكشاف : ١١٩/١ ، و الرازي ، التفسير الكبير : ٨٠/٢-٨١ ، و البيضاوي ، تفسير

البيضاوي : ٣٠/١ ، و الآلوسي ، روح المعاني : ١٧٩/١٧ ، و الزجاج ، إعراب القرآن : ٤٠٦/٢ .

^{١٢} سورة الأنعام : الآية : ٣٥ .

فتقديره : لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم^{١٣} ، وقال ابن عاشور هذا شرط امتناعي دلّ على أن الله لم يشأ ذلك^{١٤} .

المبحث الثالث : احتجاج المشركين على أن ما ارتكبهه حق و مرضي عند الله قال الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ^{١٥} ﴾ ، فحُذِفَ مفعول المشيئة في الآية لقصد البيان بعد الإبهام على الطريقة المسلوكة في فعل المشيئة إذا كان تعلّقه بمفعوله غير غريب ، و الدليل على الحذف ، هو الجواب المذكور بعده ، والتقدير : لو شاء الله أن لا نشرك به لما أشركنا^{١٦} .

المبحث الرابع : التحذير للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب من كانوا قبلهم

قال الله تعالى : ﴿ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ^{١٧} ﴾ ، حُذِفَ فمفعول المشيئة من الأول استغناء بدلالته في الثاني عليه ، لقصد البيان بعد الإبهام و التقدير : لو نشاء أن نصيبهم بذنوبهم لأصبناهم^{١٨} .

^{١٣} عبدالقاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : ١٦٤ .

^{١٤} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٢٠٦/٧ ، و في هذه الآية إشارة إلى تمييز الذين آمنوا من أهل مكّة على من بقي فيها من المشركين ، أي : لو شاء الله لجمعهم مع المؤمنين على ما هدى إليه المؤمنين من قومهم .

^{١٥} سورة الأنعام ، الآية : ١٤٨ .

^{١٦} هذا بالنسبة حذف مفعول المشيئة و تقديره و أما السؤال : هل الآية تحكي عذر المشركين أم

احتجاجهم على الشرك ، فللمفسرين فيه آراء مختلفة ، راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٢٢٥/١٣ ، و الألوسي ، روح المعاني : ٤٩/٨ - ٥٠ .

^{١٧} سورة الأعراف الآية : ١٠٠ .

^{١٨} أبو حيان ، البحر المحيط : ٣١٥/٤ ، (بتصريف).

المبحث الخامس : العفو عن موسى عليه السلام

قال الله تعالى حكاية عن قول موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّن قَبْلُ ^{١٩} ﴾ ، ومفعول "شئت" محذوف لقصد البيان بعد الإبهام تقديره : لو شئت إهلاكهم أهلكتهم من قبل ^{٢٠} .

المبحث السادس : قصة الرجل الذي صار من زمرة الضالين بعد أن كان مهتدياً

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ^{٢١} ﴾ ، ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة لقصد البيان بعد الإبهام ، والتقدير : لو شئنا رفعه لرفعناه ^{٢٢} . و قال الزركشي : " وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ فقدره النحويون فلم نشأ فلم نرفعه ، و يمكن توجيه كلام النحويين بأنهم جعلوا الأول شرطاً للثاني لأنهم عدّوا "لو" من حروف الشرط وانتفاء الشرط يوجب انتفاء المشروط ، وقد يكون الشرط

^{١٩} سورة الأعراف ، الآية : ١٥٥ .

^{٢٠} وقال أبو حيان أن جواب (لو) ، (أهلكتهم) ، و أتى دون لام وهو فصيح لكنه باللام أكثر . (البحر المحيط : ٣٩٨/٤) وقال الألوسي أن موسى عليه السلام أراد به تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فإن الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد ، وحمل الكلام على التمني ياباه قوله تعالى : ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ أي : الذين لا يعلمون تفاصيل شؤونك ولا يتنبئون في المداحض ، (روح المعاني : ٧٣/٩) .

^{٢١} سورة الأعراف ، الآية : ١٧٦ .

^{٢٢} أبو السعود ، تفسير أبي السعود : ٢٩٦/٣ ، و الألوسي ، روح المعاني : ١١٤/٩ ، و اختلف أهل التفسير في تعيين الرجل الذي ورد ذكره في الآية هل هو من بني إسرائيل أو من الكفار في عهد رسول الله عليه السلام ، ولكنهم اتفقوا على أنه صار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد أن كان مهتدياً ، راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٥٥/١٥ ، و أبو حيان ، البحر المحيط : ٤٢٢/٤ .

مساويا للمشروط بحيث يلزم من وجوده وجود المشروط ومن عدمه عدمه ، والمقصود في الآية تعليل عدم الرفع بعدم المشيئة لا العكس^{٢٣} . ومن الملحوظ أن الآية نفسها تبين سبب خسارته بعد الهداية و هو كما قال الله تعالى : ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ ، أي : ولكنه سكن إلى الدنيا ومال إليها ورضي بها واتبع الهوى فخسر ديناه وآخرتة ووقع في هاوية الردى والهلاك وبذلك هو ظلم نفسه ، وإليه أشار القرآن في مقام آخر بقوله : ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^{٢٤} .

المبحث السابع : دعوى الكفار باستطاعة المعارضة للقرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^{٢٥} ، إن الله تعالى حكى قول الكافرين في هذه الآية ، و الآية على حذف مفعول المشيئة لقصد البيان بعد الإبهام على الطريقة المسلوكة في فعل المشيئة . وأما الدليل فهو جواب "لو" من بعده ، والتقدير : لو نشاء أن نقول مثل هذا لقلناه^{٢٦} .

المبحث الثامن : الإبطال لدعوى الكفار أن القرآن ليس من عند الله

قال الله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ

^{٢٣} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٦٩ . (بتصريف بسيط)

^{٢٤} سورة هود ، الآية : ١٠١ .

^{٢٥} سورة الأنفال ، الآية : ٣١ .

^{٢٦} و أما الكفار فهم لما قالوا : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ ادعوا القدرة على قول مثل القرآن و لكنهم لم يستطيعوه و لو استطاعوا شيئاً من ذلك فما منعهم من المشيئة ، فالمقصود إنما يحصل لو أتوا بالمعارضة ، أما مجرد هذا القول فلا فائدة فيه .

فِيكُمْ عُمْرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ^{٢٧} ، فكما أن فعل المشيئة يكثر حذف مفعوله في جملة الشرط لدلالة الجزاء عليه ، فحذف ههنا مفعول المشيئة أيضا لدلالة الجزاء عليه و التقدير : لو شاء الله أن لا أتلوه عليكم ما تلوته ، وقال ابن عاشور في تفسير هذه الآية : إنما بني الاستدلال على عدم مشيئة الله نفي تلاوته لأن ذلك مدعى الكفار لزعمهم أنه ليس من عند الله ، فكان الاستدلال إبطالا لدعواهم ابتداء وإثباتا لدعواهم مآلا . وهذا الجمع بين الأمرين من بديع الاستدلال و هما :

أ - لو شاء الله أن لا آتيكم بهذا القرآن لما أرسلني به ولبقيت على الحالة التي كنت عليها من أول عمري .

ب - لو شاء الله ما تلوته لكنني تلوته عليكم ، وتلاوته هي دليل الرسالة لأن تلاوته تتضمن إعجازه علمياً إذ جاء به من لم يكن من أهل العلم والحكمة ، وتتضمن أيضا إعجازا بلاغياً لأنه إذا جاء به أعجز أهل اللغة كلهم مع تضافرهم في بلاغتهم وتفاوت مراتبهم ، وليس من شأن أحد من الخلق أن يكون فائقاً على جميعهم ولا من شأن كلامه أن لا يستطيع مثله أحد منهم^{٢٨} .

المبحث التاسع : الإيمان لا يحصل إلا بمشيئة الله تعالى و يارشاده وهدايته

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ^{٢٩}﴾ ، فمفعول المشيئة هنا محذوف حسب المعهود في نظائره لقصد البيان بعد الإهام و التقدير : لو شاء سبحانه و تعالى إيمان من في الأرض

^{٢٧} سورة يونس : الآية : ١٦ .

^{٢٨} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ١٢٠/١١ ، (بتصريف) .

^{٢٩} سورة يونس ، الآية : ٩٩ .

من الثقلين لآمن كلُّهم بحيث لا يشد منهم أحد جميعاً ، و بين المفسّرون النكات العديدة في ضمن هذه الآية ^{٣٠} .

المبحث العاشر : إن بعثة محمد ﷺ كرسول للعالم كلّ

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ ^{٣١} ، فمفعول المشيئة حذف لقصد البيان بعد الإهمام ، لأن الأصل لو شئنا أن نبعث لبعثنا في كل قرية نذيرا ، ثم حذف ذلك من الأول استغناء بدلالته في الثاني عليه ، ولا يخفى أننا لو رجعنا فيه إلى ما هو أصله فيقال : لو شئنا أن نبعث لبعثنا في كل قرية نذيرا ، و أما حذف مفعول المشيئة فهو كثير في اللغة العربية و ذكر الجرجاني أهميته قائلا : أن الواجب في حكم البلاغة أن لا ينطق بالمحذوف ، و لكن إذا يُنطق صار إلى كلام غث ، وإلى شيء يستكره السمع وتعافه النفس . وذلك أن في البيان إذا ورد بعد الإهمام ، وبعد التحريك له أبداً لطفاً ونبلاً لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرك ^{٣٢} . و بذلك إذا قلنا : لو شئنا ، علم السامع أننا قد علقنا هذه المشيئة في المعنى بشيء فهو يضع في نفسه أن هنا شيئاً تقتضي مشيئته له فإذا قلنا : لبعثنا ، عرف ذلك الشيء .

فالأيات التي ذكرت في هذا الفصل و كذلك الآيات الأخرى في القرآن الكريم التي وردت فيها فعل المشيئة أو الإرادة بعد حرف الشرط ، فأكثرها على حذف مفعول

^{٣٠} فمثلا قال الألوسي : " الآية حجة على المعتزلة الزاعمين أن الله تعالى شاء الإيمان من جميع الخلق فلم يؤمن إلا بعضهم " ، و قال ابن العربي : " وهذه آية لا يؤمن بها إلا أهل السنة الذين يعتقدون ما قام الدليل عليه من أن الله سبحانه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، وأن مشيئته وإرادته تتعلق بالخير والشر ، والإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية " .(راجع : الألوسي ، روح المعاني : ١١ / ١٩٣ ، و ابن العربي ، أحكام القرآن : ٣ / ١٠٧٠ ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، بدون السنة .

^{٣١} سورة الفرقان ، الآية : ٥١ .

^{٣٢} الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : ١٦٣-١٦٤ ، (بتصريف قليل) .

المشيئة لقصد البيان بعد الإهـام . وبلاغة هذا الأسلوب هي تحريك الشعور ، وتشويق النفس إلى عـقبى الكلام كيف تكون ، فيتمكن المعنى المسوق من أجله الكلام في النفوس كل التمـكن ؛ لأن النفس إذا ظفرت بالشـيء بعد انتظاره استقر ذلك الشـيء فيها إعجابا و فخامة و أفاد السامع بلاغة .

المبحث الحادي عشر : مشيئة الله في هداية النفوس

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى^{٣٣}﴾ ، إن الآية على حذف مفعول المشيئة لقصد البيان بعد الإهـام على الطريقة المسلوكة في فعل المشيئة إذا كان تعلقه بمفعوله غير غريب ، كما قال ابن عاشور : "مفعول فعل المشيئة محذوف على ما هو الغالب في فعل المشيئة الواقع شرطاً استغناء عن المفعول بما يدل عليه جواب الشرط^{٣٤}" ، و التقدير : لو شئنا أن نؤتي كل نفس هداها لأتيناها^{٣٥} ، و فسّر المفسرون الآية بالتفصيل و قدروا المعاني فيها ما تطابق التقدير الذي ذكر سابقا ، فمثلا يقولون : لو شئنا ، أي : لو تعلقت مشيئتنا تعلقاً فعلياً بأن نُعطي كل نفس من النفوس البرّة والفاجرة ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصالح لأعطيناها إياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما أخرناه إلى دار الجزاء ولكن حقّ القول مني ، فبموجب ذلك القول لم نشأ

^{٣٣} سورة السجدة ، الآية : ١٣ .

^{٣٤} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٢٢٦/٢١ .

^{٣٥} قد ذكر الزركشي أنه لا يصح هنا إلا هذا التقدير فيقول : " فإن التقدير كما قاله عبد القاهر الجرجاني : ولو شئنا أن نؤتي كل نفس هداها لأتيناها ، لا يصح إلا على ذلك ؛ لأنه إن لم يقدر هذا المفعول أدى - والعياذ بالله - إلى أمر عظيم ، وهو نفي أن يكون لله مشيئة على الإطلاق ؛ لأن من شأن ((لو)) أن يكون الإثبات بعدها نفياً ألا ترى أنك إذا قلت لو جئتني أعطيتك كان المعنى على أنه لم يكن مجيء ولا إعطاء " ، راجع : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٦٩ .

إعطاء الهدى على العموم ، بل معناه من أتباع إبليس الذين أنتم من جملتهم حيث صرّفتم اختياركم إلى الغيِّ بإغوائه ، ومشيتنا لأفعال العباد منوطاً باختيارهم إيّاها ، فلمّا لم تختاروا الهدى واحترّم الضلالة لم نشأ إعطاءه لكم وإنما أعطيناها للذين اختاروه من النفوس البرّة ، فيكون مناط عدم مشيئته إعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول^{٣٦} .

المبحث الثاني عشر : تعللات الكفار في التكذيب والإعراض عن الرسل

قال الله تعالى حكاية عن الكفار :

﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ^{٣٧}﴾ . فإن مفعول المشيئة محذوف في الآية لقصد البيان بعد الإهام على الطريقة المسلوكة في فعل المشيئة ، تقديره : لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة ، لأن المشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مشيئة الجواب ، وإذا حُذف بعد لو ، فهو المذكور في جوابها أبداً ، لأن المعنى معين على ذلك .

المبحث الثالث عشر : الردُّ على مقالة الكفار

قال الله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَفَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا^{٣٨} فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُخَيِّمَ عَلَى قَلْبِكَ^{٣٩} وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ^{٤٠} إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ^{٤١}﴾ ، لقد كثر كلام المفسرين في هذه الآية و تأولوا الآية على مفاهيم عديدة و منها أن الله قال : فإن يشاء

^{٣٦} الألوسي ، روح المعاني : ١٢٨/٢١ ، و أبو السعود ، تفسير أبي السعود : ٨٣/٧ ، و ابن عاشور ،

التحرير و التنوير : ٢٢٢/٢١-٢٢٣ ، (بتصريف) .

^{٣٧} سورة فصلت ، الآية : ١٤ .

^{٣٨} سورة الشورى ، الآية : ٢٤ .

اللَّهِ يَخْتَمُّ عَلَى قَلْبِكَ بِالصَّبْرِ لِأَذَى الْكُفَّارِ^{٣٩}. و لكن هذا التأويل لا يتضمَّن الردَّ على مقالة الكفار الواردة في الآية من قبل بقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ، ونظرا إلى هذا السباق فمن المناسب أن نقول أن قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ تَحْتَمَّ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ على حذف مفعول المشيئة لقصد البيان بعد الإبهام على الطريقة السلوكية في فعل المشيئة إذا كان تعلُّقه بمفعوله غير غريب ، تقديره : إن يشاء الله أن يختم على قلبك لفعل فلا تَعْقِلُ ، ولا تنطق ، والمراد الردُّ على مقالة الكُفَّار ، وبيانُ إِبْطَالِهَا ، كأنَّه تعالى يقولُ : وكيف يَصِحُّ أن تكون مفترياً ، وأنت رسوله و هو قَادِرٌ لو شاء أن يختم على قلبك ؛ فلا تَعْقِلُ ، ولا تنطق ، ولا يستمرُّ افتراؤك ؛ فمقصد اللفظ : هذا المعنى ، وحُذِفَ ما يَدُلُّ عليه الظاهر ؛ اختصاراً واقتصاراً^{٤٠}.

المبحث الرابع عشر : إن الله أنبت الزرع و أبقاه برحمته ولو شاء لجعله حطاما

قال الله تعالى : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ^{٤١} ﴾ . فمفعول نشاء محذوف دلَّ عليه الجواب من بعده لقصد البيان بعد الإبهام و التقدير : لو نشاء أن نجعل الزرع حطاما لجعلناه حطاما .

^{٣٩} ابن عطية ، المحرر الوجيز : ٣٥/٥ ، و ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ٨٦/٢٥ .

^{٤٠} الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ١٠٨/٤ ، (ملخص) ، و أيضا من الممكن أن يُقدَّر : ولم نشأ ختم قلبك ، فلم نختمه ، أو أن يكون التقدير : فلم نختمه فلم نشأ لأن يوجب نفي اللازم يوجب نفي الملزوم فوجود الملزوم يوجب وجود اللازم فيلزم من وجود المشيئة وجود الختم ومن نفي الختم نفي المشيئة ، وأما نفي الملزوم فلا يوجب نفي اللازم ولا وجود اللازم وجود الملزوم ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ﴾ فإن المقصود انتفاء وجود الآلهة لانتفاء لازمها وهو الفساد .

^{٤١} سورة الواقعة ، الآية : ٦٥ .

فمن الملحوظ أن الآية ما بعدها يبدو أنه وقع الالتفات فيها من الخطاب إلى التكلم في الظاهر ، حيث يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمُعْرَمُونَ ﴾ ، و لكن الأمر ليس كذلك لأن الآية على حذف القول ، تقديره : فتقولون إنا لمعرمون ، و قال الزركشي : " قد كثر حذف القول في القرآن العظيم حتى إنه في الإضمار بمنزلة الإظهار كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^{٤٢} ، أي : يقولون مانعبدهم إلا للقربة^{٤٣} .

المبحث الخامس عشر : التذكير بنعمة الماء

قال الله تعالى : ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾^{٤٤} ، وحذف مفعول المشيئة لقصد البيان بعد الإبهام على الطريقة المسلوكة في فعل المشيئة تقديره : لو نشاء أن نجعله أجاجا جعلناه ، و أما حذف الام التي شأنها أن تدخل على الجواب " لو " ، فقد كثرت التعبيرات فيها ، فقال ابن عاشور أنها لام زائدة لا تفيد إلا التوكيد فكان حذفها إيجازاً في الكلام^{٤٥} . وقال أبو حيان أن هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة ، واستكره أن يطول الكلام فيه وقال : وطول الزمخشري في مسوغ ذلك وأنه ليس كما ذكر ، إنما هذا قول ضعفاء المعريين^{٤٦} .

^{٤٢} سورة الزمر ، الآية : ٣ .

^{٤٣} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٩٦ .

^{٤٤} سورة الواقعة ، الآية : ٧٠ .

^{٤٥} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٣٢٤ / ٢٧ .

^{٤٦} أبو حيان ، البحر المحيط : ٢١١ / ٨ ، (ملخص) .

الباب الرابع

أثر الإيجاز البلاغي في الأحكام الشرعية Affect of the Rhetorical Brevity on Islamic Sharia

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : أثر الإيجاز البلاغي في العقائد

الفصل الثاني : أثر الإيجاز البلاغي في المعاملات

الفصل الثالث : أثر الإيجاز البلاغي في العبادات

الفصل الأول : أثر الإيجاز البلاغي في العقائد
Affect of the Rhetorical Brevity on Beliefs

وفيه أحد عشر مبحثاً

المبحث الأول : القرآن هداية للمتقين الذين يؤمنون بالغيب

المبحث الثاني : الخير والشر بيد الله تعالى

المبحث الثالث : القول بالتثليث

المبحث الرابع : يوسف و امرأة العزيز

المبحث الخامس : مشيئة الله تعالى في الهداية للناس كلهم

المبحث السادس : نسبة الإتيان و المجيء إلى الله

المبحث السابع : الدليل العقلي على التوحيد

المبحث الثامن : كيفية جنة الخلد

المبحث التاسع : الإقرار بتوحيد الله

المبحث العاشر : يوم البعث

المبحث الحادي عشر : معنى الضلالة أثناء نسبتها إلى الرسل

كما هو معلوم أن كل كلمة القرآن جمعت معاني كثيرة ، فهي من جوامع الكلم ، و هذا الاختصار يدل على الغرض المطلوب مع الحذف أو الإضمار ، و العرب لا يحذفون ما لا دلالة عليه لأنه مُتَنَافٍ لغرض وُضِعَ الكلام لأجله من الإفادة و الإفهام . وفائدة الحذف تقليل الكلام و تقريب معانيه إلى الإفهام .

و الأحكام الشرعية على نوعين أصلية و فرعية . و منهما ما تتعلق بالاعتقاد تُسمى أصلية ، و العلم المتعلق بها يُسمى علم التوحيد و الصفات ، و في القرآن آيات كثيرة تتعلق بالعقائد الأساسية ، و أخطأ من لم يراع في فهم معانيها رعاية الإيجاز و هو حذف أو إضمار . فمثلا الآيات التي تشير إلى مجيء الله سبحانه و تعالى فهي موضع الخطاء إذا لم تفسر حسب شأنه تعالى ، لأن الله محال أن يأتي كمجيء الخلق وهو مُنَزَّه عن الجسد .

فتحدث عن مثل تلك الآيات في هذا الفصل خلال دراستنا في التفاسير المختلفة و نطلع على مواقف المفسرين و نرى بأنه من منهم الذي رعى الإيجاز البلاغي و من لم يفعل ذلك و كم أثرت مواقفهم على العقائد الإسلامية .

المبحث الأول : القرآن هداية للمتقين الذين يؤمنون بالغيب

قال الله تعالى :

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ .

الإيجاز في الآية

إن من المفسرين من يرى أنه وقع الحذف في الآيتين مرتين ، وقع في المرة الأولى في قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ، تقديره : هدى للمتقين والكافرين ، والدليل على هذا التقدير ، تصريحه في المقام الآخر بقوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ

فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ^٢ ، ووقع الحذف في الآية الثانية في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ، تقديره : والذين يؤمنون بالغيب والشهادة ، لأن الإيمان بكل منهما واجب ، وآثر الغيب لأنه أمدح ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس و نظائر هذا الأسلوب من الحذف كثيرة في القرآن الكريم مثل : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ^٣﴾ ، أي : والمغرب ، فحذف ذكر المغرب لدلالة المشارق عليه ، أو كما قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ^٤﴾ ، أي : والبرد ، فحذف ذكر البرد لدلالة الحر عليه .

رعاية الحذف في الآية و موقف المفسرين منها :

نرى أن الرازي سلّم الحذف في قوله تعالى : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ، وقال في تفسير هذه الآية : "إنه تعالى بين أن القرآن هدى للناس في قوله : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ، ثم قال ههنا في القرآن : إنه هدى للمتقين ، فهذا يدل على أن المتقين هم كل الناس ، فمن لا يكون متقياً كأنه ليس بإنسان^٥ . وكذلك سلّم كثير من العلماء الحذف في الآية^٦ باختلاف بسيط في تقدير المحذوف الذي لا يُغَيِّرُ المعنى .

^٢ سورة البقرة ، الآية : ١٨٥ .

^٣ سورة الصافات ، الآية : ٥ .

^٤ سورة النحل ، الآية : ٨١ .

^٥ راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٢١/٢ .

^٦ راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٧٧-٧٨، ٨٠، ٧٨ ، والآلوسي ، روح المعاني : ١٠٩/١ ، والخصاص ، أحكام القرآن : ٤٢٩/١ ، و الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١٢٠/٣ ، مكتبة دار التراث العربي ، القاهرة ، والسيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١٠٦ / ٢ .

حكمة التخصيص بذكر المتقين دون غيرهم

قد ثبت من التصريحات السابقة أن القرآن هدى لجميع الناس حسب قوله تعالى :
 ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ، لأنه ليس في قوله تعالى :
 ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ نفي أن يكون هدى لغيرهم ، فثبت أن القرآن هدى للمتقين
 ولغيرهم بمقتضى الآية ، وأما تخصيص المتقين بالذكر فهو لوجوه منها :
 أ - خصَّ الله تعالى المتقين بالذكر لانتفاعهم بالقرآن و إن كانت الآية عمت
 لجميع الناس ، ونظيره في القرآن كما قال الله تعالى حكاية عن قول مريم بنت
 عمران : ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾^٧ ، لأن التقي هو الذي
 يعيد من استعاذ بالله .

ب - إن الإقتصار على المتقين في الآية بناء على أن الهداية مدح لهم لبيان أنهم
 الذين اهتموا وانتفعوا به كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن تَخْشَاهَا﴾^٨ ،
 مع عموم إنذاره ﷺ لأن الخاشعين هم الذين ينتفعون من إنذار الرسول ﷺ .

ج - إن المتقين خصصوا بالذكر دون الضالين لغرض خاص وهو كما ذكره
 الزمخشري أن الضالين فريقان : فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على
 قلوبهم ، وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى ، فلا يكون هدى للفريق الباقي على
 الضلالة ، فبقى أن يكون هدى لهؤلاء ، فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقليل :
 هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال ، فاختصر الكلام بإجرائه على طريق
 الحذف البلاغي ، فقليل : هدى للمتقين .

^٧ سورة مريم ، الآية : ١٨

^٨ سورة النازعات ، الآية : ٤٥ .

الخلاصة

إن تفسير هذه الآية برعاية الإيجاز البلاغي يسبب إلى رفع الإشكالات الكثيرة التي تنشئ من ظاهر الآية ، و من بين تلك الإشكالات أن القرآن إذا كان هدى للمتقين فقط فكيف يمكن لغيرهم أن يهتدوا به ، فلا سبيل إلى رفع هذه الإشكالات إلا إذا فسّرت الآية برعاية الإيجاز البلاغي .

المبحث الثاني : الخير والشر بيد الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^٩ .

الإيجاز في الآية

إن في الآية نوع معروف من أنواع الحذف يسمى بالاكْتفاء ، وهو أن يقتضي المقام شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكته . فمن خير أمثلة هذا النوع قوله تعالى في هذه الآية : ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ ، فوقع الحذف في الآية^{١٠} تقديره : وَالشَّرُّ ، أي : بيدك الخير و الشرُّ .

الغرض من الحذف في الآية :

ويمكن تخصيص الخير بالذكر لأغراض مختلفة منها :

أ - إنما حُصِّصَ الخير بالذكر لأن إضافة الشر إلى الله تعالى ليس من باب الآداب ، وهذا الاحتمال يقويه الحديث الذي قال النبي ﷺ فيه : {والشر ليس إليك }^{١١} .

^٩ سورة آل عمران ، الآية : ٢٦ .

^{١٠} السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١١٩/٢ .

^{١١} المسلم ، الجامع الصحيح ، ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الدّعاء في صلاة الليل وقيامه ، ص : ٢٨١ ، الترمذي ، الجامع ، كتاب الدعوات ، باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل : ١٨٠/٢ ، و النسائي ، السنن ، كتاب افتتاح الصلاة : ١٤٢/١ ، و أبو داود ، السنن ، كتاب الصلاة ، باب ما يستفتح به الصّلاة من الدّعاء : ١١٠/١ ، والدارمي ، السنن ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال بعد افتتاح الصلاة : ٢٢٥/١-٢٢٦ ، دار المحاسن للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

ب - أو تخصيصه بالذكر لأنه مطلوب العباد .

ج - أو خصّ الله الخير بالذكر لأنه أكثر وجوداً في العالم . ومن الممكن أن يكون هناك أغراض أخرى مع هذه الأغراض في حذف الشرّ في الآية .

أثر الحذف في الآية

بناء على ما قيل في الآية اختلف المفسّرون في فهم المعنى المراد من الآية و اختلفا فهم هذا يبني على رعاية الحذف و عدمها ، وانقسموا إلى فئتين :

رأي الفئة الأولى

قالت المعتزلة أنه لا حذف في قوله تعالى : ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ ، ومعناه أنه ليس بيدك إلا الخير ، وهذا يقتضي أن لا يكون الكفر والمعصية واقعين بتخليق الله . فحسب قولهم الآية حجة على أهل السنة الذين يعتقدون أن أفعال العباد من الإيمان والكفر والخير والشر بتخليق الله .

رأي الفئة الثانية

و هم غير المعتزلة منهم أهل السنة الذين قالوا أن قوله تعالى : ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ يفيد أن بيده الخير لا بيد غيره ، وهذا ينافي أن يكون بيد غيره ولكن لا يقتضي أنه ليس بيده إلا الخير . و قال الرازي أن الله تعالى خص الخير بالذكر لأنه الأمر المنتفع به فوق التنصيص عليه لهذا المعنى^{١٢} .

القول الراجح

إن في الآية حذفاً لأن المقام اقتضى شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فاكتفى بأحدهما عن الآخر وخص الله تعالى الخير بالذكر وحذف ذكر الشر لغرض من الأغراض ، أشير إلى بعضها آنفاً ، وأما الدليل على كون الشر بيد الله المحمول على الحذف ، فهو قوله تعالى من بعده : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، أي: بيده كل شيء ،

^{١٢} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٩/٨ .

وبهذا لا يخرج الشر من كل شيء ، فنبت أن رعاية الحذف في الآية صحيح والخير والشر بيد الله تعالى إلا أن ذكر الشر حذف لدلالة الخير عليه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ۗ ۱٣ ﴾ ، أي : تقيكم الحر والبرد ، فحذف ذكر البرد لدلالة الحر عليه .

المبحث الثالث : القول بالتشليث

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۗ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۗ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ سُبْحَانَهُ ۗ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۗ ۱٤ ﴾ .

الإيجاز في الآية

إن للمفسرين وعلماء البلاغة أقوالاً مختلفة في تقدير المحذوف في هذه الآية : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ﴾ منها :

أ - قيل إن الآية على حذف المبتدأ تقديره : لا تقولوا آلهتنا ثلاثة ، والجملة من هذا المبتدأ والخبر في محلّ نصب بالقول ، أي : ولا تقولوا : "آلهتنا ثلاثة" وذلك لأن القرآن يدل على أن النصارى يقولون : إن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة ، والقرآن يحكي عن اعتقادهم هذا إشارة حيث يقول : ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ ۱٥ ﴾ .

١٣ سورة النحل ، الآية : ٨١ .

١٤ سورة النساء ، الآية : ١٧١ .

١٥ سورة المائدة ، الآية : ١١٦ .

ب - وقيل إن الآية على حذف المبتدأ و لكن تقديره غير تقدير سابق بل تقديره : لا تقولوا الأقانيم ثلاثة ، وفيه إشارة إلى قول النصارى بالتثليث و هو أب ، وابن ، وروح القدس .

ج - و القول الثالث أن قوله تعالى : ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ صفة مبتدأ مؤخر تقديره : "ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة" ، ثم حذف الخبر المقدم الذي هو "لنا" فبقي : "ولا تقولوا آلهة ثلاثة" ، ثم حذف الموصوف الذي هو "آلهة" ، فبقي ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ .

د - و القول الرابع في الآية أنها على حذف المبتدأ تقديره : لا تقولوا الله ثالث ثلاثة، ثم حذف المضاف من الخبر أيضا، وأقيم المضاف إليه مقامه، لموافقة قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾^{١٦} ، فبقي : ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ .

هذه بعض التقديرات التي وردت في الكتب المختلفة^{١٧} ، واتضح منها أن العلماء متفقون على وقوع الحذف في الآية مع اختلاف في تقدير المحذوفات .

تحليل الآراء و أثر الحذف في فهم المعنى المراد من الآية

إن كل واحد من الآراء الأربعة يحتمل المفهوم الصحيح في ظاهر الأمر ولكن منها الرأي الأول و الثاني لو نحتمل المعنى عليهما لأفسدا العقيدة في توحيد الله تعالى ، فحمل الآية عليهما يكون باطلا لأنه يلزم انصراف التكذيب إلى الخبر فقط . فمثلا إذا قدرنا "ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة" على الرأي الأول أو "لا تقولوا الأقانيم ثلاثة" على الرأي الثاني كُنَّا قد نَفَيْتَا أن تكون هذه الآلهة ثلاثة ولكن لم ننف أن تكون آلهة . فظهر من الرأيين الأول و الثاني أن فيهما نفي الآلهة لكونها ثلاثة و مع ذلك فيهما اعتراف بوجود الآلهة . وأما إذا قيل : "لا تقولوا لنا آلهة ثلاثة" لا يلزم إثبات

^{١٦} سورة المائدة ، الآية : ٧٣ .

^{١٧} راجع : الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص : ٣٧٩ ، والرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ،

ص : ٢١٤-٢١٥ ، والزرركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١٣٧/٣-١٣٨ .

أصل الآلهة، لأنه يصحّ أن يُقال: "لا تقولوا في الوجود آلهة ثلاثة ولا إلهان"، فصح الفرق.

هذا ما لخصنا من آراء العلماء اللغويين والبلاغيين^{١٨} ، و منهم الجرجاني الذي يقول : "قد ذهبوا في رفع "ثلاثة" إلى أنها خبر مبتدأ محذوف ، وقالوا : إن التقدير: "ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة". وليس ذلك بمستقيم . وذلك أنا إذا قلنا : "ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة" ، كان ذلك -والعياذ بالله- شبه الإثبات أن ههنا آلهة ، من حيث أنك إذا نفيت ، فإنما تنفي المعنى المستفاد من الخبر عن المبتدأ ، ولا تنفي معنى المبتدأ . فإذا قلت : "ما زيد منطلقاً" ، كنت نفيت الانطلاق الذي هو معنى الخبر عن زيد ، ولم تنف معنى زيد ، ولم توجب عدمه . كان ذلك كذلك ، فإذا قلنا : "ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة" ، كنا قد نفينا أن تكون عدة الآلهة ثلاثةً ، ولم ننف أن تكون آلهة ، -جل الله تعالى عن الشريك والنظير- كما أنك إذا قلت : "ليس أمراؤنا ثلاثة" ، كنت قد نفيت أن تكون عدة الأمراء ثلاثة، ولم تنف أن يكون لكم أمراء. هذاما لاشبهة فيه. وإذا أدى هذا التقدير إلى هذا الفساد وجب أن يعدل عنه إلى غيره .

والوجه -والله أعلم- أن تكون "ثلاثة" صفةً مبتدأ لا خبر مبتدأ ، ويكون التقدير : "ولا تقولوا لنا ثلاث ، أو في الوجود آلهة ثلاثة" ، ثم حُذِفَ الخبر الذي هو "لنا" أو "في الوجود" كما حذف من "لا إله إلا الله" ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾^{١٩} ، فبقي :

^{١٨} قد ذكر البحث الطويل في هذا ، راجع : الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : ٣٧٩ ، والرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص : ٢١٤-٢١٥ ، والزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٣/١٣٧-

"ولا تقولوا آلهة ثلاثة" ، ثم حذف الموصوف الذي هو "آلهة" ، فبقي: "ولا تقولوا ثلاثة" ٢٠.

القول الراجح

إن في أجوبة هذه نظر حيث أورد كل واحد من العلماء شبهات على آراء الآخرين وأثبت رأيه بالأدلة إلا أن رأيه لا يستقيم من الشبهات ، و أما إذا نحمل الآية على القول الرابع فيستقيم القول من الشبهات و هو أن الآية على حذف المبتدأ تقديره : لا تقولوا الله ثالثُ ثلاثةٍ ، ثم حُذف المضافُ من الخير وأقيم المضافُ إليه مقامه ، لموافقة قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ ٢١ ، فبقي : ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ . فهذا القول قريب من معنى المراد من الآية و على سلامة من الشبهات و الدليل على كونه أقرب إلى الصواب تصريحه في مقام آخر كما ذكر ، و هذا الدليل من بين الأدلة الكثيرة للحذف و ذلك شائع في اللغة العربية .

المبحث الرابع : يوسف و امرأة العزيز

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا^ع أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ^ع كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ٢٢ .

الإيجاز في الآية : إن في الآية حرف الشرط "لَوْلَا" التي تدل على امتناع الجزاء لوجود الشرط و يُحذف جوابها دائما ، فكذلك حُذف جواب الشرط في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا^ع أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ^ع﴾ .

^{٢٠} الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص : ٣٧٩ ، الطبعة الخامسة ٢٠٠٤ م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

^{٢١} سورة المائدة ، الآية : ٧٣ .

^{٢٢} سورة يوسف ، الآية : ٢٤ .

أثر الإيجاز في الآية و اختلاف المفسرين في فهم المعنى المراد

كما قيل أنه حُذِفَ جواب الشرط في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا
 أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ، و اختلف المفسرون في تقدير المحذوف باختلاف تفسير همّ
 يوسف عليه السلام بها و همّ زليخا به ، و أظن المفسرون الكلام في تفسير هذين
 الهمين ، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبه لآحاد الفساق - و العياذ بالله
 - ، فمن المناسب أن نقسمهم في هذا الاختلاف إلى فرقتين :

قول الفرقة الأولى في تفسير الآية و أثره في المعنى

لقد اختلف المفسرون في رعاية الحذف في تفسير الآية ولم يرع كثير من المفسرين
 رعاية الحذف كما رعاه الآخرون أثناء تفسيرهم للآية ، فبذلك بُعد مرادهم . إن
 فرقة المفسرين الأولى فهموا المراد من همّ يوسف عليه السلام بها مثل همّ امرأة
 العزيز به ، و هو أنه بلغ همّ يوسف عليه السلام فيما روت هذه الفرقة إلى أن
 جلس بين رجلي زليخا وأخذ في حل ثيابه ونحو هذا^{٢٣} وهي قد استلقت له فلما
 رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة عنه ، و هم يقدرون المحذوف تقديره : لولا
 أن رأى برهان ربه لارتكب المعصية ، ثم اختلفوا كيف يصدر هذا من مثل يوسف
 وهو نبي ؟ فبهذا الوجه أصبحوا على رأيين .

الرأي الأول - قال أصحاب هذا الرأي أنه صدر من يوسف عليه السلام هذا الهمُّ
 بهذا الطريق ، ولما اعترض المعترضون أن نسبة مثل هذا الفعل إلى الأنبياء خلاف
 لعصمتهم فقالوا ؛ ذلك ليريه الله تعالى موقع العفو والكفاية ، وقيل الحكمة في ذلك

^{٢٣} ذكر ابن عطية في تفسيره نسبة هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنه و إلى جماعة من السلف ، و كذلك
 ذكر الطبري الروايات الكثيرة في هذا الموضوع راجع : ابن عطية ، المحرر الوجيز : ٢٣٣/٣-٢٣٤ ، و
 الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٨٣/١٢ ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٤م ، مكتبة مصطفى الباني
 الحلبي ، مصر .

أن يكون مثلاً للمذنبين ليروا أن توبتهم ترجع بهم إلى عفو الله كما رجعت بمن هو خير منهم ولم يوبقه القربُ من الذنب .

الرأي الثاني - قال أصحاب هذا الرأي في همّه عليه السلام بها ، أنما كان بخبرات القلب التي لا يقدر البشر عن التحفظ منها ، ونزع عند ذلك ولم يتجاوزها ، فلا يبعد هذا على مثله عليه السلام ، و يستدلون في هذا من الرواية : { من هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها }^{٢٤} ، فقد يدخل يوسف عليه السلام في هذا الصنف ، و أما جواب لولا فهو محذوف عندهم تقديره : لولا أن رأى برهان ربه لخالطها .

قول الفرقة الثانية في تفسير الآية و أثره في المعنى

إن فرقة المفسرين الثانية فهمت المراد من همّ يوسف عليه السلام بها غير ما فهمت الفرقة الأولى ، و أن الكلام على ظاهر هذه الآية يقع عندهم في احتمالين :

الاحتمال الأول

إنهم لا يسلّمون أن يوسف عليه السلام هم بها ، والدليل عليه أن الكلام تمّ في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ﴾ ، وأن جواب "لولا" مقدم في قوله تعالى : ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ وأن المعنى : لولا أن رأى البرهان لهمّ أي فلم يهم يوسف عليه السلام وهو كما يقال : قد كنت من الهالكين لولا أن فلاناً خلصك ، و إن كان هذا القول أحسن من نسبة عصمة الأنبياء إلا أنه لم يقبله بعض اللغويين وأوردوا شبهات على هذا الجواب منها :

أ - إن تقدم جواب "لولا" شاذ وغير موجود في الكلام الفصيح .

ب - إن "لولا" يجاب جوابها باللام ، فلو كان الأمر على ما ذكر لقال الله تعالى : ولقد همت ولهمّ بها .

ج - لو لم يوجد لهمّ لما كان فائدة لقوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾ .

^{٢٤} ابن أبي شيبة ، المصنّف : ٣٠٠/٤/١ .

الاحتمال الثاني

إنهم يرون أن الهمّ قد حصل إلا أنهم يقولون: إن قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ لا يمكن حمله على ظاهره لأن تعليق الهم بذات المرأة محال لأن الهم من جنس القصد والقصد لا يتعلق بالذوات الباقية ، فثبت أنه لا بد من إضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم وذلك الفعل غير مذكور فهُمْ زعموا أن المراد أنه عليه السلام هَمَّ بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك القبيح لأن الهم هو القصد كما يقال : هممت بفلان أي بضربه ودفعه ، فوجب أن يحمل في حق كل أحد على القصد الذي يليق به ، فاللائق بالمرأة القصد إلى تحصيل اللذة والتنعيم والتمتع واللائق بالرسول المبعوث إلى الخلق القصد إلى زجر العاصي عن معصيته وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

القول الراجح

لقد كثر كلام الناس و تعليقاتهم حول معنى هذه الآية و إذا نمعن النظر فيها نرى أن بعض الأقوال وردت خلافا لعصمة الأنبياء كقول الأول و على بعضها أورد اللغويون إشكالات ، فبقي لنا أن نقول أنه عليه السلام لم يرتكب المعصية قط ، ولولا حفظُ الله و رعايته له لَهَمَّ بها ، فالرجحان يرجع إلى الرأي الأول من قول الفئة الثانية بما هو يحمل التوجيه يناسب بعصمة الأنبياء ، و هذا الرجحان يقوم على الأدلة القويمة .

الأدلة على القول الراجح

أ - إن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بأقبح القبائح ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه ، فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام المؤيد بالمعجزات الباهرة .

ب - إن الله تعالى قال في نفس الآية : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ^{٢٥} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ، وذلك يدل على أن ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه ، فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئاً من السوء مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء .

ج - إن الآية تفيد المدح العظيم والثناء البالغ ، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكى عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة ثم إنه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح بعد أن حكى عنه ذلك الذنب العظيم .

د - إن الأنبياء عليهم السلام متى صدرت منهم زلة ، استعظموا ذلك وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والتواضع ، ولو كان يوسف عليه السلام أقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله تعالى عنه إتيانه بها كما حكى في قصص آدم و يونس عليهما السلام ، وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية .

ه - إن كل من كان له تعلق بتلك الواقعة شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية ، ومنهم المرأة التي اعترفت بذلك وقالت للنسوة : ﴿وَلَقَدْ رَاودْتُهُ^{٢٥} عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ ، وأما زوجها فقال : ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ^{٢٥} إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا^{٢٦} وَأَسْتَغْفِرِ لِدُنُوبِكِ^{٢٦} إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ، وأما الشاهد من أهلها فقال الله تعالى : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا^{٢٧}﴾ ،

^{٢٥} سورة يوسف ، الآية : ٣٢ .

^{٢٦} سورة يوسف ، الآية : ٢٨ - ٢٩ .

^{٢٧} سورة يوسف ، الآية : ٢٦ .

وأما يوسف عليه السلام فادعى البراءة عن الذنب بقوله عليه السلام : ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ^{٢٨} ﴾ و ثم قال : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ^{٢٩} ﴾ ، و فوق كل هذا ، شهادة الله أكبر على برأته عليه السلام إذ قال الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ .
 وأما شبهات اللغويين المذكورة آنفا على هذا القول حول معنى هذه الآية فردت بالتوجيهات و ذكرها الرازي ^{٣٠} .

المبحث الخامس : مشيئة الله تعالى في الهداية للناس كلهم

قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ^{٣١} ﴾ .

الإيجاز في الآية

لقد وقع الحذف في الآية في الموضعين :

أ- إن قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ على حذف المضاف ، تقديره : وعلى الله بيان قصد السبيل ، وهو بيان طريق الهدى من الضلالة .

ب - يُحذف مفعول المشيئة دون سائر الأفعال في اللغة العربية كثيرا لأنه يلزم من وجود المشيئة ، وجود المشاء و لا يُذكرُ إلا إذا كان غريبا أو عظيماً . فحذف مفعول المشيئة في هذه الآية ، تقديره : فلو شاء هدايتكم لهداكم .

^{٢٨} سورة يوسف ، الآية : ٢٦ .

^{٢٩} سورة يوسف ، الآية : ٣٣ .

^{٣٠} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١١٥/١٨ - ١٢١ .

^{٣١} سورة النحل ، الآية : ٩ .

الغرض من الحذف في الآية

قد حُذِفَ المضاف من الشطر الأول من الآية للاختصار ويدل عليه قول الله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ^{٣٢} ﴾ ، ومن الشطر الثاني من الآية حُذِفَ مفعول المشيئة لقصد البيان بعد الإبهام فإنه إذا سمع السامع "فلو شاء" تعلقت نفسه بمشأ لا يدري ما هو ، فلما ذُكِرَ جواب لو ، فَهَمَّ السامع أنه حُذِفَ مفعول المشيئة وقوله تعالى : ﴿ لَهْدَنكُمْ ﴾ يدل على هذا الحذف .

أثر الحذف في المعنى المراد من الآية

قد تأوَّلت المعتزلة الآية عدولاً عن ظاهرها و قالت : معناه لو شاء لعرض عليكم آية تضطركم إلى الإيمان والاهتداء ، وإنما تأوَّلوها الآية عن ظاهرها ليثبتوا مذهبهم أن الله لا يخلق أفعال العباد .

ولكن لم يقبل جمهور المفسرين تأويل المعتزلة هذا و قالوا أن قول المعتزلة قول سوء ، و قالوا معنى الآية أنه لو شاء لخلق الهداية في قلوب جميعكم ولم يضل أحد ^{٣٣} ، فتدل على أنه تعالى ما شاء هداية الكفار ، وما أراد منهم الإيمان ، لأن كلمة "لو" تفيد انتفاء شيء لانتفاء شيء غيره ^{٣٤} . فقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ، معناه : لو شاء هدايتكم لهداكم ، وذلك يفيد أنه تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم ، وذلك يدل على المقصود .

^{٣٢} سورة النحل ، الآية : ٣٥ .

^{٣٣} راجع : ابن عطية ، المحرر الوجيز : ٣/٣٨١ ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، والرازي ، التفسير الكبير : ١٩/٢٣١-٢٣٢ ، والآلوسي ، روح المعاني : ١٤/١٠٤ ، و ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٤/١٤٨ (ملخص) .

^{٣٤} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١٩/٢٣٢ ، (ملخص) .

القول الراجح

إن قول الجمهور من المفسرين ثابت من القرآن والسنة و قول المعتزلة باطل لأن العبد عليه أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته فإن مشيئته لا تكون عذراً لأحد في فعله ، فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يأمر به بل يبعث الرسل إلى الناس ويأمرهم بالإيمان ، و ورود الأمر على خلاف الإرادة غير ممتنع . و خير دليل على هذا هو قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ^{٣٥} ﴾ ، فاتضح من هذه الآية أنه تعالى حكى عن الكفار أنهم يتمسكون بمشيئة الله تعالى في شركهم وكفرهم ، ولا يتبعون أمره بالتمسك بدعوة الأنبياء عليهم السلام ، فغضب الله تعالى عليهم و قال : ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ و فيه إشارة أن تمسك المشركين بمشيئته فاسد باطل ، فإنه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى في كل الأمور ، دفع دعوة الأنبياء عليهم السلام .

المبحث السادس : نسبة الإتيان و المجيء إلى الله

قال الله تعالى : ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ^{٣٦} ﴾ .

الإيجاز في الآية

العرب تستعمل الإتيان على وجهين :

^{٣٥} سورة النحل ، الآية : ٣٥ .

^{٣٦} سورة النحل ، الآية : ٢٦ .

أحدهما حقيقة ، وهو الانتقال من حيز^{٣٧} إلى حيز والآخَر مجازاً . و بذلك اختلف العلماء في فهم المعنى المراد من قوله تعالى : ﴿ فَأَتَى اللَّهَ ﴾ ، و من الممكن أن نجعلهم على مذهبين في فهم المعنى المراد من الآية .

المذهب الأول

جعل أصحابُ هذا المذهبِ الإتيانَ على الحقيقة بدون حذف ، فأما كيفية مجيئه تعالى ، فكيف يليق بجلاله وتفردِه ، وهم لا يُحدِّثون في ذلك شيئاً وهم على رأي أننا لا نتأوَّلُه بتأويل ولا نحمِله على تشبيهه ولا نفسره ولا نُترجم عن صفاته بلغة غير العربية .

قد تعرَّض أصحاب هذا المذهب لأنواع الحذف ، كحذف المضاف ، و الموصوف و المفعول ، و غير ذلك من الأنواع ، و من بينهم ابن قيم الجوزية^{٣٨} الذي رأيه يخالف الآراء المشهورة لعلماء اللغة و البلاغة ، حيث اعتبر كثير من العلماء وجوب الحذف في الآيات منها :

^{٣٧} الحيز : كلُّ ناحيةٍ حيزٌ ، وأصله من الواو ، راجع : الجوهري ، الصحاح : ٨٧٦/٣ ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ م ، الطابع ، حسن عباس الشربتلي ، القاهرة ، (المادة : حوز) .

^{٣٨} هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١) هـ ، من أركان الإصلاح الإسلامي ، وأحد كبار العلماء ، مولده ووفاته في دمشق . تتلمذ لابن تيمية . ألف ابن القيم تصانيف كثيرة منها : إعلام الموقعين ، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، والصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة ، والتبيان في أقسام القرآن ، ولحمد أويس الندوي كتاب : التفسير القيم ، استخرجه من مؤلفاته ، راجع : ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : ٢٤٣/٣ - ٢٤٥ ، والزركلي ، الأعلام : ٥٦/٦ .

قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ ﴾^{٣٩} ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ۗ ﴾^{٤٠} ، وكذلك في الآيات الأخرى .

فوجه أصحاب المذهب الأول توجيهات أخرى مع الاحتفاظ على المعنى التي تتعارض مع وجهة النظر المشهورة للعلماء . فمثلا يقول ابن القيم في تلك الآيات : جميع الآيات الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته يجب على المرء المسلم المؤمن الإيمان بكل واحدة منها كما وردت ولا نفسرها ولا نكيّفها ولا نُترجم عن صفاته بلغة غير العربية ، بل نُطلق ما أطلقه الله عز وجل ونفسر ما فسره النبي ﷺ وأصحابه والتابعون ، لا نقول بتأويل بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل ، ونقول : الإيمان بها واجب ، والقول بها سنة ، وابتغاء تأويلها بدعة^{٤١} .

قد اتضح من تصريحات ابن القيم أنه أنكر من أي توجيه لهذه الآيات وأنكر أن يُبين الأسرار البلاغية و اللطائف اللغوية في مثل هذه الآيات لتحذير المسلمين من الفساد في الاعتقاد بوحداية الله تعالى ، فمن أجل الحصول على هذا الغرض نفى أصحاب هذا المذهب حذف المضاف في كثير من الآيات .

المذهب الثاني

إن الآيات المذكورة الدالة على ثبوت صفة الجيء و الإتيان لله تعالى محمولة على حذف مضاف عند أصحاب المذهب الثاني ، ومدار الكلام في هذا الباب عندهم أنه تعالى إذا ذكر فعلاً وأضافه إلى شيء ، فإن كان ذلك محالاً فالواجب صرفه إلى

^{٣٩} سورة الفجر، الآية: ٢٢ .

^{٤٠} سورة البقرة، الآية: ٢١٠ .

^{٤١} ابن قيم الجوزية ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، ص : ١٠١ ، (ملخص) ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

التأويل ، كما قال العلماء في قوله تعالى : ﴿ وَسَعَلَ الْقَرْيَةَ ^{٤٢} ﴾ أن هذه الآية على حذف المضاف ، تقديره : واسأل أهل القرية ^{٤٣} ، فكذا في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ^{٤٤} اللَّهُ ﴾ ، والمراد به : يأتيهم أمر الله ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَاءُ رَبُّكَ ﴾ المراد : جاء أمر ربك ^{٤٤} ، وليس فيه إلا حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه ، وهو مجاز مشهور .

أدلة أصحاب المذهب الأول

قال أصحاب هذا المذهب و على رأسهم ابن القيم أن مواضع حذف المضاف له أماكن غير هذه فقال :

"هذا المسلك ضعيف جدا لأن حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه لا يسوغ ادعاؤه مطلقا وإلا لالتبس الخطاب وفسد التفاهم وتعطلت الأدلة إذ ما من لفظ أمر أو نهي أو خبر متضمن مأمورا به ومنهيا عنه ومخبرا إلا ويمكن على هذا أن يقدر له لفظ مضاف يخرج عنه عن تعلق الأمر والنهي والخبرية ^{٤٥} ."

ثم جاء بالآية القرآنية : ﴿ وَسَعَلَ الْقَرْيَةَ ﴾ ، و أنكر أنها من قبيل المجاز بالحذف ، بل يجعلها من قبيل الحقيقة ، فيقول : "وليس منه واسأل القرية وإن كان أكثر الأصوليين يمثلون به ، فإن القرية اسم للسكان في مسكن مجتمع ، ثم إنهم لكثرة استعمالهم لهذه اللفظة ودورانها في كلامهم أطلقوها على السكان تارة وعلى

^{٤٢} سورة يوسف ، الآية : ٨٢ .

^{٤٣} إن حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه شائع في القرآن الكريم و في لغة العرب .

^{٤٤} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٠٩ .

^{٤٥} ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد : ٣ / ٨٧١ .

المسكن تارة بحسب سياق الكلام وبساطه ، وإنما يفعلون هذا حيث لا لبس فيه فلا إضمار في ذلك ولا حذف^{٤٦} .

فاتضح من التوجيهات التي وجهها أصحاب هذا المذهب أن صفة المحيي في هذه الآيات من المشابهات ، فبذلك علينا أن نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل لأن الإيمان بها واجب ، والقول بها سنة ، وابتغاء تأويلها بدعة .

تأويل الإتيان برعاية الحذف

وجعل أصحاب هذا المذهب الإتيان مجازاً برعاية الحذف في الآية ، و أما تعيين المحذوف فهم اختلفوا في تقديره ، وتأولوا الإتيان وإسناده على وجوه :

١- أسند بعضهم الإتيان بمضاف محذوف تقديره : أتى أمره ، فأما هو عزوجل فدائم لا يزول ، لأن الانتقال من حيز إلى حيز صفة الجسد و هو مستحيل بالنسبة إلى الله تعالى لأنه منزّه عن الجسد .

٢ - ومنهم من قال أن يكون متعلق الإتيان محذوفاً تقديره : أتى الله بما وعدهم من العقاب .

٣ - و ذهب بعضهم إلى أنه ليس المراد من إتيان الله إتيان نفسه بل قدرته . فهذه بعض الآراء و التأويلات في نسبة كلمة الإتيان إلى الله تعالى التي نجدتها في التفاسير المختلفة ، ونستعرض أدلة أصحاب المذهبين في تثبيت آرائهم نقداً و تحليلاً فيما سيأتي .

آراء المفسرين في الحذف

لقد اعتقد كثير من المفسرين أن نسبة الإتيان إلى الله تعالى محال لكونه منزّها عن الجسد ، و تأولوا الآية بحذف مضاف ، تقديره : أمره أو عذابه ، كما يتضح ذلك من آراء المفسرين فيما سيأتي :

^{٤٦} ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد : ٨٧٢/٣ .

قال القرطبي^{٤٧} : "معنى ﴿ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ ﴾ ، أي : أتى أمره البنيان ، إما زلزلة أو ريحا فخربته^{٤٨} ". وقال البغوي^{٤٩} : "قصد تخريب بنيانهم"^{٥٠}. وإليه ذهب عز الدين بن عبد السلام^{٥١} بقوله : " تقديره فأتى الله نقض بنيانهم أو شق بنيانهم أو قلع بنيانهم من القواعد أو فأتى تخريب الله أو نقض الله بنيانهم من القواعد"^{٥٢}.

^{٤٧} هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي ، (المتوفى : ٦٧١ هـ) ، فقيه مفسر عالم باللغة ، وُلد في مدينة قرطبة ، وقد رحل بعد سقوطها إلى الإسكندرية . كان القرطبي عالماً كبيراً منقطعاً إلى العلم منصرفاً عن الدنيا ، فترك ثروة علمية تقدر بثلاثة عشر كتاباً مابين مطبوع ومخطوط ، أبرزها تفسيره "الجامع لأحكام القرآن الكريم" ، وهو تفسير كامل عُني فيه بالمسائل الفقهية إلى جانب العلوم الأخرى ، توفي القرطبي ودفن في صعيد مصر ، راجع : السيوطي ، طبقات المفسرين ، ص : ٧٩ ، و الزركلي ، الأعلام : ٥ / ٣٢٢ .

^{٤٨} القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٩٧/١٠ ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

^{٤٩} هو الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء ، البغوي الشافعي (٤٣٦ - ٥١٠ هـ) ، الملقب بركن الدين ، وبمحيّ السنة . محدّث فقيه مفسر . من مصنفاته : شرح السنّة ، ومعالم التنزيل ، والمصاييح ، والتهذيب في فقه الشافعية ، والجمع بين الصحيحين ، وكتاب الأربعين حديثاً وغيرها . توفي بمرور الزود ، راجع : السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى : ٤/٢١٤-٢١٧ ، الطبعة الأولى ، مطبعة الحسينية المصرية ، مصر ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٢/٢٤٧-٢٤٨ ، و الزركلي ، الأعلام : ٢ / ٢٥٩ .

^{٥٠} البغوي ، معالم التنزيل : ٦٦/٣ ، مكتبة العلم ، ملتان ، باكستان ، د . ت .

^{٥١} هو عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الدمشقي ، الملقب بسلطان العلماء ، (٥٧٨ - ٦٦٠ هـ) ، برع في الأصول و الفقه و العربية ، بلغ رتبة الاجتهاد مع الصلاح و قوة الشخصية ، قرأ الأصول على الآمدي ، و الحديث على ابن عساكر ، من أجل آثاره قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، والقواعد الصغرى ، راجع : الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٥/١٦-١٨ ، وابن العماد الجنبلي ، شذرات الذهب : ٧/٥٢٢ ، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م ، دار ابن كثير ، دمشق ، وشعبان محمد إسماعيل ، أصول الفقه تاريخه و رجاله : ٢٣٦ ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨ م ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، و الزركلي ، الأعلام : ٤/٢١ .

^{٥٢} عز الدين عبد العزيز ، كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع الحجاز ، ص : ١٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م .

وأبو حيان يفسر نفس الآية في ضوء الآية : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلْتِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ٥٣ ﴾ و يقول : الإتيان : حقيقة في الانتقال من حيز إلى حيز ، وذلك مستحيل بالنسبة إلى الله تعالى ، ثم ذكر قول ابن عباس^{٥٤} أنه قال : هذا من المكتوم الذي لا يفسر ، ولم يزل السلف يؤمنون في هذا وأمثاله ، ويكلون فهم معناه إلى علم المتكلم به ، وهو الله تعالى^{٥٥} . و يستطرد قائلاً بأنه الأولى أن يكون المعنى : أمر الله ، إذ قد صرح به في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَّبِّكَ ٥٦ ﴾ ، وتكون عبارة عن بأسه وعذابه ، لأن هذه الآية إنما جاءت مجيء التهديد والوعيد ، وقيل المحذوف : آيات الله ، فجعل مجيء آياته مجيئاً له على التفخيم لشأها^{٥٧} .

^{٥٣} سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

^{٥٤} هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (المتوفى : ٥٦٨هـ) القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ. يكنى أبا العباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان ابن ثلاث عشرة سنة إذ توفي رسول الله ﷺ ، وروى عن النبي ﷺ أنه قال لعبد الله بن عباس : " اللهم علّمه الحكمة وتأويل القرآن". وفي بعض الروايات : " اللهم فقّهه في الدين، وعلمه التأويل". وفي حديث آخر : "اللهم بارك فيه ، وانشر منه ، واجعله من عبادك الصالحين " . وفي حديث آخر " اللهم زده علماً وفقهاً " . وهي كلها أحاديث صحاح . ومات عبد الله بن عباس بالطائف في أيام ابن الزبير وكان ابن الزبير قد أخرجته من مكة إلى الطائف ، راجع : ابن عبد البر ، الإستيعاب في معرفة الأصحاب : ٣٤٢/٢-٣٤٩ ، وابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة : ٣٢٢/٢-٣٢٦ ، و تهذيب التهذيب : ٢٧٦/٥-٢٧٩ .

^{٥٥} أبو حيان ، البحر المحيط : ١٣٣/٢ .

^{٥٦} سورة النحل، الآية: ٣٣.

^{٥٧} أبو حيان ، البحر المحيط : ١٣٣/٢ .

والبيضاوي^{٥٨} يتأول كلمة الإتيان في الآية بقوله : "فأتاها أمره من جهة العمدة التي بنوا عليها بأن ضعفت"^{٥٩} .

فيتضح من هذه التصريحات أنها تعبيرات مختلفة و المعنى واحد بأنه كثير من المفسرين على رأي أنه لا بد من تقدير محذوف في مثل هذه الآيات .

أدلة أصحاب المذهب الثاني

قد جرت في كتب التفاسير بحوث طويلة في هذا الموضوع و ذكر المفسرون الآراء المختلفة مع التحليل الكلامي لا حاجة لنا أن نذكرها لأنها خارجة عن الموضوع إلا أنه من المناسب أن نلخص ما قاله الرازي لأنه يتعلق بموضوعنا .

فذكر الرازي أنه ثبت بالدلائل القاطعة أن المحيء و الذهاب على الله محال و السلف الصالح كانوا عليه و كذلك ذكر قول الجمهور من المتكلمين أنه لا بد من التأويل على سبيل الفصيل ، فإذا لا بد منه إلا بالتأويل ، فتكون التأويلات عديدة منها :

أ - المراد من قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ آيات الله ، فجعل مجيء الآيات مجيئاً له على التفخيم لشأن الآيات ، كما يقال : جاء الملك إذا جاء جيش عظيم من جهته ، والذي يدل على صحة هذا التأويل أنه تعالى قال في الآية

^{٥٨} هو عبدالله بن عمر بن محمد القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي (المتوفي : ٥٦٨٥ هـ) ، كان إماماً مبرزاً في الفقه و الأصول ولي قضاء شيراز ، له منهاج الوصول إلى علم الأصول ، و شرح مختصر ابن الحاجب ، و الغاية القصوى في الفقه ، و أنوار التنزيل في التفسير ، راجع : ابن العماد الجنبلي ، شذرات الذهب : ٣٩٢/٥ ، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م ، دار ابن كثير ، دمشق ، و الأندروني ، طبقات المفسرين ، ص : ٢٥٤ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، و محمد إسماعيل ، أصول الفقه تاريخه و رجاله ، ص : ٢٦٧ ، الطبعة الأولى ١٩٨١ م ، دار المريخ ، الرياض .
^{٥٩} البيضاوي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل : ٥٥٣/١ ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ م ، مطبعة مصطفى بابي الحلبي و أولاده ، مصر .

المتقدمة ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^{٦٠} فذكر ذلك في معرض الزجر والتهديد ، ثم إنه تعالى أكد ذلك بقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾^{٦١} ومعلوم أن مجرد الحضور لا يكون سبباً للتهديد والوعيد ، فلما كان المقصود من الآية إنما هو الوعيد والتهديد ، وجب أن يضمّر في الآية مجيء الهيبة والقهر والتهديد ، ومتى أضمرنا ذلك زالت الشبهة بالكلية ، وهذا تأويل حسن موافق لنظم الآية .

ب - من الممكن أن نقول أن الآية : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾^{٦١} محمولة على حذف مضاف و أقيم المضاف إليه مقامه تقديره : أمر الله ، ومدار الكلام في هذا الباب أنه تعالى إذا ذكر فعلاً وأضافه إلى شيء ، فإن كان ذلك محلاً فالواجب صرفه إلى التأويل ، كما قاله العلماء في قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ^{٦١} أَي : واسأل أهل القرية^{٦٢} ، فكذا قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾^{٦١} والمراد به يأتيهم أمر الله ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءُ رَبُّكَ^{٦٣} ﴾^{٦٣} المراد : جاء أمر ربك ، وليس فيه إلا حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه ، وهو مجاز مشهور ، يقال : ضرب الأمير فلاناً وصلّبه وأعطاه ، والمراد أنه أمر بذلك ، لا أنه تولى ذلك العمل بنفسه .

الحاجة إلى رعاية الحذف في الآية

^{٦٠} سورة البقرة ، الآية : ٢٠٩ .

^{٦١} سورة يوسف ، الآية : ٨٢ .

^{٦٢} إن حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه شائع في القرآن الكريم و في لغة العرب .

^{٦٣} سورة الفجر ، الآية : ٢٢ .

إتجه المفسرون و علماء البلاغة إلى التأويلات القريبة على طريقة الخلف من أئمة الأشعرية^{٦٤} لدفع مطاعن الملاحظة مستعينا بعلوم اللغة لكي لا يقع الخلل في عقيدة التوحيد . فمن هؤلاء المفسرين ابن عاشور^{٦٥} الذي يرى جوازاً لتأويل مثل هذه الآيات لدفع المطاعن فيقول :

" أسند الإتيان إلى الله تعالى في هذه الآية على وجه الإثبات فاقتضى ظاهره اتصاف الله تعالى به ، ولَمَّا كان الإتيان يستلزم التنقل أو التمدد ليكون حالاً في مكان بعد أن لم يكن به حتى يصح الإتيان ، وكان ذلك يستلزم تنقل الجسم والله متره عنه ، تعين صرف اللفظ عن ظاهره بالدليل العقلي ، فإن كان الكلام خبيراً فلا حاجة للتأويل ، لأن اعتقادهم ذلك مدفوع بالأدلة وإن كان الكلام وعيداً من الله لزم التأويل ، لأن الله تعالى موجود في نفس الأمر لكنه لا يتصف بما هو من صفات الحوادث كالتنقل والتمدد لما علمت ، فلا بد من تأويل هذا عندنا على أصل الأشعري في تأويل المتشابه ، وهذا التأويل إما في معنى الإتيان أو في إسناده إلى الله أو بتقدير محذوف من مضاف أو مفعول^{٦٦} ."

فيتضح لنا من تصريحات ابن عاشور و غيره من المفسرين أنفاً أن سلف الأمة كانوا يؤمنون بالصفات المتشابهة بدون أيّ التأويل فكان الإتيان لله ثابتاً عندهم و لكن بدون كيف و ما كانت التشكيكات في أذهانهم آنذاك في هذه المسألة ، و بذلك ما لجئوا إلى التوجيهات البلاغية أو الفلسفية . الصراع بدأ لَمَّا إتسعت الثقافة

^{٦٤} الطائفة الأشعرية هي طائفة من أهل السنة ، و تُنسب إلى أبو الحسن الأشعري ، راجع : ابن

خلكان ، وفيات الأعيان : ٣ / ٢٨٤ ، و عمر كحالة : معجم المؤلفين : ٣٥ / ٧ .

^{٦٥} هو محمد بن الطاهر بن عاشور (١٢٩٦-١٣٩٤هـ) ، الإمام الضليح في العلوم الشرعية و اللغوية و الأدبية ، التحق بجامع الزيتونة و قرأ على جماعة من أعلامه ، أصبح شيخ الإسلام المالكي في تونس ، من أجل آثاره : مقاصد الشرعية ، و التحرير و التنوير في التفسير و غيرهما كثير بين مطبوع و مخطوط ، راجع : محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين : ٣ / ٣٠٤ ، و عادل نويهض ، معجم المفسرين : ٥٤١ / ٢ .

^{٦٦} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٢ / ٢٨٤ .

الإسلامية و إزدهرت الحضارة و إختلطت مع الحضارات الأخرى كاليونانية و الرومية و أخذ الفلاسفة و المناطقة يقيسون المبادي الدينية بالقياسات العقلية و الفلسفية على النمط المعتاد في الأمور الدنيوية . فأورد الملاحدة الفلاسفة الشبهات و أخذوا يدسّون ضد أسس الإسلام على مبادي العقل الضيق أفقه ، فتأثر المعتزلة من بين المسلمين من هؤلاء الفلاسفة و حللوا صفات الله تعالى تحليلاً فلسفياً و أوضحوا معنى التوحيد في ضوء العقل و كان طبيعياً بعد ذلك أن يقفوا عند الآيات الأخرى و يؤولونها^{٦٧} .

فنتيجةً لذلك لجأ المفسرون و العلماء إلى فنون عقلية عديدة و كانت البلاغة واحدة منها للدفع الشبهات و رد المطاعن . وبذلك البلاغة أثرت في تشريح العقائد الإسلامية و بياها و الإيجاز من أنواع البلاغة الذي لعبت توجيهاته دوراً هاماً في حلّ المشاكل اللغوية .

الدليل على صحة تأويل الآية بتقدير حذف المضاف

قد مرّنا في الباب الأول أن العرب لا تحذف من الكلام جزءاً ما لا دلالة عليه ، و أما الأدلة فهي كثيرة ، من بينها دليل التصريح به في مقام آخر ، و هذا هو الدليل الذي يؤكد القول بصحة هذا التأويل و تفصيله كما يلي :

دليل التصريح به في مقام آخر

قد يكون التصريح بالمحذوف في موضع آخر دليلاً على تعيين المحذوف في موضع غيره وعدّه السيوطي من أقوى الدلائل^{٦٨} ، وجاء باستشهاد قرآني عليه وهو كما في قوله تعالى : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِرِ^{٦٩}) ، أي يأتيهم

^{٦٧} أحمد أمين ، ضحى الإسلام : ٢٤/٣ (ملخص) ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، القاهرة .

^{٦٨} السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن : ١١٥/٢ .

^{٦٩} سورة البقرة ، الآية : ٢١٠ .

أمره بدليل قوله تعالى في مقام آخر : ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ٧٠﴾ ، فقد صرّحت الآية بذكر المحذوف في هذا المقام صراحة و وضوحا حتى لا تبقى حاجة إلى غيره في تعيين المحذوف ، و نظائره كثيرة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ ٧١﴾ ، أي : من عند الله ، و يدل على هذا التعيين قول الله تعالى في مقام آخر حيث يقول : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ ٧٢﴾ ، فإن قوله تعالى ههنا : ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَجَاءُ رَبُّكَ﴾ إخبار عن حال القيامة ، و ذكرت هذه الواقعة بعينها في سورة النحل حيث قال الله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ٧٣﴾ فصار هذا الحكم مفسراً لذلك المتشابه ، لأن كل هذه الآيات لمّا وردت في واقعة واحدة لم يبعد حمل بعضها على البعض ، فرفع إشكال أصحاب المذهب الأول أن التأويل في هذه الآيات بدعة .

القول الراجح من بين آراء المذهبيين

وإذا ناقش الآراء فيتضح أن الآراء لأصحاب المذهب الأول مبنية على نوع من الشدة و الغلظة . فمثلا قول ابن القيم : " لا تُترجم عن صفاته بلغة غير العربية " فحسب قوله هذا لا يمكن للمسلمين منهم الأعاجم خاصة أن يقنعوا بقوله من جهتين :

٧٠ سورة النحل ، الآية : ٣٣

٧١ سورة البينة ، الآية : ٢

٧٢ سورة البقرة ، الآية : ١٠١

٧٣ سورة النحل ، الآية : ٣٣ .

أ - إنه لا يمكن لهم جميعاً أن يفهموا القرآن بالعربية مباشرة ، بل هم في حاجة إلى من يترجمه إلى لغاتهم .

ب - ليس في مقدرة المسلمين أن يمنعوا المستشرقين من ترجمة القرآن ، و إذا حاول المستشرقون في ترجمته ، فلا بد من تخريبهم و مكربهم في العقائد الإسلامية . إذاً على المسلمين بأنفسهم أن يقبلوا على ترجمة القرآن و الأحاديث إلى اللغات الأخرى في إطار الشريعة الإسلامية لكي لا يقع الخلل و الفساد فيها .
 وأمّا قوله : " بل نُطَلِّقُ ما أطلقه الله عز وجل ونفسّر ما فسّره النبي ﷺ وأصحابه والتابعون ، لا نقول بتأويل بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل ، ونقول : الإيمان بها واجب ، والقول بها سنة ، وابتغاء تأويلها بدعة "٧٤ .

فلا شكّ في أن بعض الفرق في مباحثهم الكلامية تعرّضوا عن القرآن و السنة و خرجوا حيناً أو آخر عن إطار الشريعة الإسلامية ولكن لا يصدّق القول في كلهم بل البعض منهم يتمسّكون بطريق الوحي و طريق الصحابة و التابعين .

وأمّا عدم ورود الصحابة في المباحث الكلامية فنتيجة استغنائهم عنها كما بيّنه صاحب شرح العقائد النسفيّة فيقول : "وكانت الأوائل من الصحابة و التابعين رضوان الله عليهم أجمعين لصفاء عقائدهم وبركة صحبة النبي ﷺ و قرب العهد بزمانه و لقلّة الوقائع والاختلافات وتمكّنهم من المراجعة إلى الثقات مستغنين عن تدوين العُلَمَين^{٧٥} و ترتيبهما أبواباً و فصولاً^{٧٦} .

^{٧٤} ابن قيم الجوزية ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، ص : ١٠١ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^{٧٥} أي : علم العقائد و الأحكام .

^{٧٦} سعد الدين التفتازاني ، شرح العقائد النسفية ، ص : ٥-٦ ، مكتبة رحمانية ، لاهور ، باكستان ، د . ت .

فهذا يتضح لنا أن المباحث الكلامية في الأحكام الشرعية عامة و في العقائد خاصة كانت نتيجة اقتضاء الحال حينئذ ولم تكن بدعة^{٧٧} و لا افتراءً في الدين ، بل كل الجهود من الأشاعرة كانت لدفاع الدين و لتعبير أحكامه في إطار الشريعة و ردّ الشبهات الكلامية^{٧٨}.

و إذا ندّعى أن الإسلام دين و نظام و بذلك أحاط جميع نواحي الحياة حتى يوم القيامة ، فكيف يمكن لأتباعه أن لا يقبلوا على رقي العلوم و الفنون المختلفة ، و لا يقتضى الدين منّا أن نؤمن به فقط دون أن نشكّل تعاليمه في حياتنا اليومية . و لو كان الأمر كذلك لما كانت النهضة العلمية في العالم و لا نمت الحركة التقدمية في الحياة الإنسانية ، و لم يكن الإسلام ديناً إلا لجمعية قصيرة .

إذاً الاشتراك العملي في تنمية الفنون ، كالفلسفة و الكلام و المنطق و البلاغة و العلوم الكونية و التكنولوجيا الحديثة و غيرها من العلوم و الفنون من قبل المسلمين و القيام بها فريضة بعد فريضة الإيمان و الاستقامة . و القرآن شاهد على هذه البيانات بآياته الكثيرة التي ترشدنا إلى التفكير في الآفاق و الأنفس .

^{٧٧} كل جديد ليس ببدعة ضالة كما عرفها عز الدين بن عبد السلام قائلاً : *الْبِدْعَةُ فَعْلٌ مَا لَمْ يُعْهَدْ فِي عَصْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَهِيَ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى : بَدْعَةٍ وَاجِبَةٍ ، وَبَدْعَةٍ مُحَرَّمَةٍ ، وَبَدْعَةٍ مَنْدُوبَةٍ ، وَبَدْعَةٍ مَكْرُوهَةٍ ، وَبَدْعَةٍ مُبَاحَةٍ ، وَالطَّرِيقُ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ أَنْ تُعْرَضَ الْبِدْعَةُ عَلَى قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ : فَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْإِجَابِ فَهِيَ وَاجِبَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ التَّحْرِيمِ فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمُنْدُوبِ فَهِيَ مَنْدُوبَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمَكْرُوهِ فَهِيَ مَكْرُوهَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمُبَاحِ فَهِيَ مُبَاحَةٌ ، راجع : عز الدين بن عبد السلام ، قواعد الأحكام ، ص : ٤٧٧ ، دار ابن حزم ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .*

^{٧٨} المباحث الكلامية المفسدة للشريعة جعلها الإمام عز الدين عبدالعزيز بن عبد السلام من البدع المحرمة و جعل ردّها من البدع الواجبة حيث يقول : *"وَلِلْبِدْعِ الْمُحَرَّمَةِ أَمْثَلَةٌ مِنْهَا : مَذْهَبُ الْقَدَرِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْحَبَرِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُرْجِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُجَسِّمَةِ ، وَالرَّدُّ عَلَى هَؤُلَاءِ مِنَ الْبِدْعِ الْوَاجِبَةِ"* (قواعد الأحكام ، ص : ٤٧٨) .

ومع ذلك القرآن يطلب منا قوّة في الأسباب الماديّة مع القوّة الإيمانية ليكون الدين لله تعالى حسب قوله تعالى : ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ^{٧٩}﴾ ، فمن الملحوظ أن القتال مع الكفار المتمرّدين في هذا الزمان خاصة لا يمكن إلا بتوفير الآلات الحربية الحديثة بالضبط . و القرآن يأمرنا بالاستعداد الحربي الحديث بقوله : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ^{٨٠}﴾ فنظرا إلى مثل هذه الآيات يفهم عامة المسلمين أن الحصول للتكنولوجية الحديثة ليس من الممنوعات الشرعية بل استخدامها ضرورة لا يمكن إهمالها ، ونفس الأمر في علوم اللغة و البلاغة .

الخلاصة

إن موقف أصحاب المذهب الأول نحو عدم رعاية حذف المضاف ، ففيه نوع من الشدة و الغلظة و عدم الاعتراف بالوجهة المضادة ، و لو يُطبّق هذا الموقف كاملا في تفسير القرآن الكريم فتنشأ العراقيل للاستعمالات العربية ، ويُقيّد الأسلوب العربي المعروف ، و يلجأ هذا الموقف إلى إنكار كثير من الشواهد القرآنية التي استشهد بها العلماء قديما و حديثا في آلاف من كتب التفسير و الحديث و الفقه الإسلامي ، و الاعتبار على هذا الموقف يسبب إلى إهمال تراث الأمة وافر من الكتب التي تحمل تفسير القرآن الكريم و تشریح السُّنَّةِ المطهرة . فلا مانع في أن يكون المضاف محذوفا في مثل هذه الآيات و كذلك ليس من حرج أن يُستخدم علوم اللغة و البلاغة في فهم القرآن و تعبير معانيه ، أي : إذا استدعى الأمر أن يفسّر القرآن تفسيرا بلاغيا أو كلاميا فلا مانع من ذلك بشرط أن لا يخرج ذلك

^{٧٩} سورة البقرة ، الآية : ١٩٣ .

^{٨٠} سورة الأنفال ، الآية : ٦٠ .

التفسير من إطار الشريعة الإسلامية ، بل هو أمر محمود مستحسن كما يتضح ذلك من تصريحات^{٨١} الإمام عز الدين أنفا .

المبحث السابع : الدليل العقلي على التوحيد

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّآ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ^{٨٢} ﴾ .

الإيجاز في الآية

لقد ذكر في الآية جواب لشرط محذوف تقديره : وما كان معه من إله ولو كان معه آلهة إذا لذهب كل إله بما خلق ، وأما الدليل على هذا الحذف قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ ، و سبب الحذف هو الاختصار لأنه مفهوم من دلالة الكلام عليه فبذلك حذفه أحسن من ذكره . وهذه الآية حجة عقلية تقديرها أنه لو كان خالقان لاستبدت كل منهما بخلقها فكان الذي يقدر عليه ، لا يقدر عليه الآخر ويؤدي إلى الفساد .

أثر عدم رعاية الحذف في الحكم المستتبط من الآية

كما قيل إن الآية على حذف الشرط و لا بد من رعايته و لو لم يُرْع الحذف في الآية للزم الفساد في الآية ، لأن "إذا" لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب ، فكيف وقع قوله تعالى "لذهب" جزاء وجواباً ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل ، فمن المعلوم أن كلام الله تعالى على سلامة من الفساد ، فوجب أن نقول أن الشرط

^{٨١} الاشتغال بعلم البلاغة - الذي هو وسيلة في فهم القرآن الكريم - من البدع الواجبة كما صرحها الإمام العز بقوله: "وَلِلْبَدْعِ الْوَاجِبَةِ أَمْثَلَةٌ. أَحَدُهَا: الْإِسْتِعْجَالُ بِعِلْمِ النَّحْوِ الَّذِي يُفْهَمُ بِهِ كَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ ﷺ، وَذَلِكَ وَاجِبٌ لِأَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ وَاجِبٌ وَلَا يَتَأْتَى حِفْظُهَا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ، وَمَا لَا يَسْتَمُ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ. الْمِثَالُ الثَّانِي: حِفْظُ غَرِيبِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ اللَّغَةِ" (قواعد الأحكام ، ص : ٤٧٧) .

^{٨٢} سورة المؤمنون ، الآية : ٩١ .

محذوف، وتقديره : ولو كان معه آلهة ، وإنما حذف للدلالة قوله : ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ عليه ، فرأينا أن عدم رعاية الإيجاز أدى إلى تنقيص كلام الله تعالى فبذلك يجب على قارئه عامة و على المفسر خاصة أن يراعى لأن في الآية استدلالا على امتناع أن يكون مع الله آلهة .

المبحث الثامن : كيفية جنة الخلد

قال الله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^{٨٣} .

حكمة الإيجاز في الآية :

إن الآية على حذف جواب "إذا" وحذف الجواب تفخيما لأمره وتعظيما لشأنه على عادة العرب في حذف الجوابات لهذا المقصد ، فحذف الجواب في الآية لأن الكلام لا يحيط وصفا ما يجذونه ويلقونه فهو لا يتناهى ، فَجُعِلَ الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه و تُركت النفوس تقدر ما شأته ولكن مع ذلك لا تبلغ كنه ما هنالك . وقال ابن القيم في حكمة الحذف في الآية : " الجنة لما كانت ذات الكرامة وهي مأدبة الله وكان الكريم إذا دعا أضيافه إلى داره شرع لهم أبوابها ثم استدعاهم إليها مفتحة الأبواب أتى بالواو العاطفة ههنا الدالة على أنها جاءوها بعدما فتحت أبوابها وحذف الجواب تفخيما لشأنه وتعظيما لقدرة كعادتهم في حذف الأجوبة^{٨٤} .

أثر رعاية الحذف و عدمها في فهم المعنى المراد

لقد ذهب المفسرون في تعيين جواب الشرط في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ إلى عدة وجوه ومنها :

^{٨٣} سورة الزمر ، الآية : ٧٣ .

^{٨٤} ابن القيم ، بدائع الفوائد ، ٩١٩/٣ .

أ - إن الجواب محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على أنه بلغ في الكمال إلى حيث لا يمكن ذكره .

ب - إن الجواب هو قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ ، و الواو زائدة .

ج - إن الجواب هو قوله تعالى : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ ، و الواو زائدة .

القول الراجح

والصحيح هو الوجه الأول و اتفق كثير من المفسرين أن جوابه محذوف و فيه أسرار بلاغية منها :

أ - إنما حذف الجواب لأنه في صفة ثواب أهل الجنة ، فدل على أنه شيء لا يحيط به الوصف .

ب - إنما مضت آية قبلها في ذكر ورود أهل النار في جهنم في نفس الأسلوب بقوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا ۗ ﴾^{٨٥} ولم تُذكر الواو ، فثبت أن عدم ذكر الواو في الآية الأولى لا بد لسرٍّ و هو كما ذكره

المفسرون^{٨٦} أن جواب إذا : ﴿ فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ ، ودل ذلك على أنه لا يفتح إلا إذا جاءت ؛ كسائر أبواب السجون ، فإنها لا ترال مغلقة حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها فيفتح ثم يغلق عليهم . وأما الواو في الآية الثانية ليست بزائدة بل فيها أيضا سرٌّ من أسرار بلاغية وهو أن الواو في قوله تعالى : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ ، تشير

^{٨٥} سورة الزمر ، الآية : ٧١ .

^{٨٦} راجع : ابن عطية ، المحرر الوجيز : ٥٤٣/٤ ، و أبو الحيان ، البحر المحيط : ٤٢٤/٧ ، والرازي ،

التفسير الكبير : ٢١/٢٧ .

إلى أنها قد فتحت قبل وصولهم إليها ، وناسب كونها حالاً أن أبواب الأفراح تكون مفتوحة لانتظار من تجيء إليها ، بخلاف أبواب السجون .

المبحث التاسع : الإقرار بتوحيد الله

إن من شروط الإيمان الإقرار بالكلمة الطيبة والشرط الأول منها: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، أو كما قال الله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^{٨٧}﴾ .

الإيجاز في الآية و أثره في المعنى

قال بعض النحاة أن الخبر محذوف في الآية ، تقديره : موجود ، كما قال الزجاج : "ومن ذلك قوله وما من إله إلا الله ، قوله إلا الله بدل من موضع الجار والمجرور، والخبر مضمّر، والتقدير ما من إله في الوجود إلا الله، كقوله لا إله إلا الله^{٨٨}" . ولكن لم يقبله بعض البلغاء من المفسرين و أنكروه كما نقل الزركشي و السيوطي قائلاً : "وقد أنكره الإمام فخر الدين وقال : هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير ، وتقدير النحاة فاسد لأن نفي الحقيقة مطلقة أعم من نفيها مقيدة ، فإنها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلاً على سلب الماهية مع القيد ، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر^{٨٩}" . و لكن أجيب لاعتراض الرازي أن تقديرهم موجود يستلزم نفي كل إله غير الله قطعاً ، فإن العدم لا كلام فيه ، فهو في الحقيقة نفي للحقيقة مطلقة لا مقيدة ، ثم لا بد من تقدير خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ظاهرٍ أو مقدرٍ ، وإنما يقدر النحوي ليعطي القواعد حقها وإن كان المعنى مفهوماً و للنحويين تقديران إعرابي ومعنوي ، واعتراض المعارض من جهة المعنى و خفي عليه جهة الإعراب ، فبقي لنا أن نقول أنه لا حرج في تقدير النحوي .

^{٨٧} سورة محمد ، الآية : ١٩ .

^{٨٨} الزجاج ، إعراب القرآن : ٧٤٩/٢ ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

^{٨٩} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١١٥/٣ ، والسيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١١٥/٢ .

المبحث العاشر : يوم البعث

قال الله تعالى في بيان حقيقة البعث في يوم القيامة : ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۗ﴾ .

الإيجاز في الآيات و آراء المفسرين

لقد ذكر المفسرون في جواب القسم وجوها عديدة ويمكن لنا أن نلخصها في ثلاثة احتمالات :

أ - الاحتمال الأول

إن جواب القسم محذوف في الآية ، والتقدير : لَتُبْعُنَّ ، ودلّ عليه يوم القيامة المقسم به وما بعده من قوله تعالى : ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۗ﴾ ، وحُذِفَ جواب القسم ههنا للدلالة على أن أمر البعث واضح لكل من كان له قلب يتفكر به و أذن يسمع بها و عين يبصر بها .

ب - الاحتمال الثاني

إنه وقع القسم على قوله تعالى من بعد : ﴿بَلَىٰ قَدَرِينًا ۗ﴾ .

ج - الاحتمال الثالث

إن هذا ليس بقسم بل هو نفي للقسم فلا يحتاج إلى الجواب ، فكأنه تعالى يقول : لا أقسم بكذا وكذا على شيء ، ولكني أسألك أيحسب الإنسان أن نجتمع عظامه .

القول الراجح

الرجحان يرجع إلى الاحتمال الأول كما اختاره كثير من المفسرين لأن غرض السورة وصف بيوم القيامة ، ولأن الغرض فيه تفخيم أحواله تنبيهاً على زيادة مكانته ، فمثلا من المفسرين من قال : " وصيغة لا أقسم صيغة قسم ، أدخل حرف النفي على فعل "أقسم" لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به بحيث يؤهم

للسامع أن المتكلم بهم أن يقسم به ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به فيقول : لا أقسم به ، أي ولا أقسم بأعزّ منه عندي ، وذلك كناية عن تأكيد القسم وفيه محسن بديعي من قبيل ما يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم^{٩١} .

و أما ما قاله ابن عاشور أن ذكر القسم بيوم القيامة لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به و باعتباره ظرفاً لما يجري فيه من عدل الله وإفاضة فضله وما يحضره ، فقوله هذا في محل النظر ، و لو نسلم ما قاله في سبب حرمة المقسم به فما سبب حرمة المقسم به في الأقسام القرآنية بنفس الأسلوب مثل قوله تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ^{٩٢}﴾ و مثله من الأقسام في الآيات الأخرى ، فبقي لنا أن نقول أن الغرض من هذه الأقسام هو الاستدلال بالمقسم به على المذكور بعده^{٩٣} .

المبحث الحادي عشر : معنى الضلالة أثناء نسبتها إلى الرسل

إن في القرآن آيات تبين نسبة الضلالة ظاهرة إلى الرسول ﷺ مثل قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى^{٩٤}﴾ فمن الممكن أن يقول المشكك أنه إذا كان الرسول عليه الصلاة و السلام ضالاً في زمن ما ، فكيف تكون حياته من ذلك الزمن أسوة حسنة للناس أجمعين . و لقد اختلفت مواقف المفسرين ضمن الآية : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ، فمن الممكن أن نقسمها إلى ثلاثة مطالب .

^{٩١} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٣٣٨/٢٩ .

^{٩٢} سورة الواقعة ، الآية : ٧٥ .

^{٩٣} راجع : حميد الدين فراهي ، أقسام القرآن ، ص : ٤٢ (بتصريف) ، مكتبة أنجمن خدام القرآن ،

لاهور باكستان ، ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م .

^{٩٤} سورة الضحى ، الآية : ٧ .

المطلب الأول

ذهب بعض منهم أنه ﷺ كان لا يعرف عن الإيمان و التوحيد و كان على دين قومه قبل النبوة ، فهده الله للتوحيد و جعله نبياً . و رويت هذه الوجهة من الكثيرين^{٩٥} إما قبولاً أو نقلاً محضاً .

ولكن نرى أنه لم يقبل كثير من المفسرين أن يُحمَلَ الضلالُ الذي يقابله الهدى في الآية ، بل ردوا إمكان نسبته إلى رسول الله ﷺ أو إلى النبيين الآخرين - صلوات الله عليهم - كما سنبينه حسب تصريحات المفسرين فيما سيأتي .

فيقول الزمخشري : " ومن قال : كان على أمر قومه أربعين سنة ، فإن أراد أنه كان على خلوتهم عن العلوم السمعية ، فنعْم ؛ وإن أراد أنه كان على دينهم وكفرهم ، فمعاذ الله ؛ والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة ، فما بال الكفر والجهل بالصانع ﴿ مَا كَان لَتَأَنَّ ذُشْرَكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^{٩٦} ، وكفى بالنبي ﷺ ، نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر^{٩٧} .

وقال أبو حيان تصريحاً : " ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾ : لا يمكن حمله على الضلال الذي يقابله الهدى ، لأن الأنبياء معصومون من ذلك . ولبعض المفسرين أقوال فيها بعض ما لا يجوز نسبته إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام^{٩٨} .

^{٩٥} راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٧٧٢/٤ ، قديمي كتب خانه ، كراتشي ، باكستان ، د . ت ، و الرازي ، التفسير الكبير : ٢١٦/٣١ ، مكتبة و مطبعة عبد الرحمان محمد ، القاهرة ، و ابن الجوزي ، زاد المسير : ٢٦٩/٨ ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م ، دار الفكر ، بيروت .

^{٩٦} سورة يوسف ، الآية : ٣٨ .

^{٩٧} الزمخشري ، الكشاف : ٧٧٢/٤ .

^{٩٨} أبو حيان ، البحر المحيط : ٤٨١/٨ .

وقد ذكر الرازي وجوها كثيرة في تفسير هذه الآية ، وأما قول الناس في نسبة الكفر إليه فلم يقبله مطلقا بل يقول في هذا : "وأما الجمهور من العلماء فقد اتفقوا على أنه عليه السلام ما كفر بالله لحظة واحدة"^{٩٩} .

و ذكر الثعالبي^{١٠٠} اختلافَ الناس في تأويل الآية وأنكر من أن يُنسب الكفر إليه صلى الله عليه و سلم فيقول : "اِخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَأْوِيلِهِ ، وَالضَّلَالُ يُخْتَلَفُ ، فَمِنْهُ الْبَعِيدُ وَمِنْهُ الْقَرِيبُ ؛ فَالْبَعِيدُ ضَلَالُ الْكُفَّارِ ، وَهَذَا قَدْ عَصَمَ اللَّهُ مِنْهُ نَبِيَّهُ ﷺ فَلَمْ يَعْبُدْ صَنَمًا قَطْ ، وَلَا تَابَعَ الْكُفَّارَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ"^{١٠١} .

و خير الكلام في إنكار نسبة الكفر إلى رسول الله ﷺ ما قاله الخازن^{١٠٢} وبه تنتهي من هذا المطلب، فيقول: "وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّهُ ﷺ كَانَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ عَلَى مِلَّةِ قَوْمِهِ ، فَهَدَاهُ اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، لِأَنَّ نَبِيْنَا ﷺ ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ مِنْذُ وَلِدُوا نَشَرُوا عَلَى التَّوْحِيدِ ، وَالْإِيمَانِ قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا ، وَأَنْهُمْ مَعْصُومُونَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ مِنَ الْجَهْلِ بِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ"^{١٠٣} .

^{٩٩} الرازي ، التفسير الكبير : ٢١٦/٣١ .

^{١٠٠} هو أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف ، الثعالبي ، مُفسِّرُ جزائري (٧٨٦ - ٨٧٦) هـ ، وُلِدَ فِي الْجَزَائِرِ ، وَرَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَى الْمَشْرِقِ ثُمَّ عَادَ إِلَى بِلَادِهِ بَعْلَمَ غَزِيرَ . اتَّفَقَ النَّاسُ فِي عَهْدِهِ عَلَى صِلَاحِهِ وَإِمَامَتِهِ ، فَقَدْ كَانَ عَالِمًا زَاهِدًا . تَرَكَ الثَّعَالِبِيُّ كِتَابًا كَثِيرًا نَافِعًا ، أَبْرَزَهَا الْجَوَاهِرُ الْحَسَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَقَدْ انْتَقَاهُ — كَمَا يَقُولُ — مِنْ كِتَابِ التَّفْسِيرِ السَّابِقَةِ وَأَضَافَ إِلَيْهِ مَا تَيَسَّرَ لَهُ ، فَجَاءَ كِتَابُهُ مَمْلُوءًا بِنَفَائِسِ الْحُكْمِ وَجَوَاهِرِ السُّنَنِ الصَّحِيحَةِ . وَلَهُ كِتَابُ الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ فِي غَرَائِبِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ ، تَوَفِّيَ الثَّعَالِبِيُّ فِي الْجَزَائِرِ وَدُفِنَ فِيهَا ، رَاجِعٌ : الزُّرْكَلِيُّ ، الْأَعْلَامُ : ٣ / ٣٣١ .

^{١٠١} الثَّعَالِبِيُّ ، جَوَاهِرُ الْحَسَانِ : ٤ / ٤٢٢ ، مَوْسُةُ الْأَعْلَمِيِّ لِلْمَطْبُوعَاتِ ، بَيْرُوتِ .

^{١٠٢} هُوَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الشَّيْخِيِّ عَلَاءِ الدِّينِ الْمَعْرُوفِ بِالْخَازَنِ (٦٧٨ - ٧٤١) هـ : عَالِمٌ بِالتَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ ، مِنْ فُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ ، بَغْدَادِي الْأَصْلِ ، نَسَبَتْهُ إِلَى " شَيْخَةٍ " مِنْ أَعْمَالِ حَلَبِ . وَوُلِدَ بِبَغْدَادِ ، وَسَكَنَ دِمَشْقَ مَدَّةً ، وَكَانَ خَازِنَ الْكُتُبِ بِالمَدْرَسَةِ السَّمِيسَاطِيَّةِ فِيهَا ، وَتَوَفِّيَ بِحَلَبِ ، وَلَهُ تَصَانِيفٌ ، مِنْهَا : لِبابِ التَّأْوِيلِ فِي مَعَانِي التَّرْتِيلِ يَعْرِفُ بِتَفْسِيرِ الْخَازَنِ ، رَاجِعٌ : الزُّرْكَلِيُّ ، الْأَعْلَامُ : ٥ / ٥ .

^{١٠٣} الْخَازَنُ ، لِبابِ التَّأْوِيلِ فِي مَعَانِي التَّرْتِيلِ : ٤ / ٣٨٧ ، نَعْمَانِيَّةُ كُتُبِ خَانِهِ ، لَاهُورِ ، د . ت .

المطلب الثاني

ومن المفسرين من ذهب إلى أن المراد من الضلالة فقدّه في صغره فردّه الله إلى جدّه مرة وثم إلى عمّه ثانياً أو أنه لما خرج مع ميسرة - غلام خديجة رضي الله عنها - أخذ إبليس بزمام ناقته ، فعدل به عن الطريق ، فردّه الله إلى القافلة ، و منهم من قال : وجدك طالباً للقبلة ، فهداك إليها ، كما في قوله : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ^{١٠٤} ﴾ هذا و مثله نقله كثير من المفسرين ^{١٠٥} .

وإذا نعن النظر في موضوعات الآيات قبل الآية : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾ ، ففرى أن السورة تذكر إحسانا عظيما على النبي ﷺ من ربه ، و الإحسان الذي أشير إليه في المطلب الثاني ليس في درجة مثل ما ذكر في سياق السورة كلها، وبه احتج صاحب الروح المعاني في تصريحاته حيث يقول : "هذه الروايات من ضل في طريقه إذا سلك طريقاً غير موصلة لمقصده وضعف حمل الآية على ذلك بأن مثله بالنسبة إلى ما تقدم لا يعد من نعم الله تعالى على مثل نبيه ﷺ التي يمتن سبحانه بها عليه ^{١٠٦}" .

المطلب الثالث

والمطلب الثالث يهمننا من وجه بلاغي وسنرى أثناء البحث أنه كم يختلف من الآخرين . فمن المفسرين من قال أن في الآية حذف ، تقديره : ووجد رهطك ضالا فهداه بك . هذا قول أبي حيان حيث يقول : "ولقد رأيت في النوم أبي أفكر

^{١٠٤} سورة البقرة ، الآية : ١٤٤ .

^{١٠٥} راجع : الزمخشري ، الكشاف ، ٧٧٢/ ٤ ، وابن الجوزي ، زاد المسير : ٢٦٩/٨ ، و الرازي ، التفسير الكبير : ٢١٦/٣١ ، وأبا حيان ، البحر المحيط : ٤٨١/٨ ، والبغوي ، معالم التنزيل : ٤٩٩/٤ ، وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٨٧٠/٤ ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

^{١٠٦} راجع : الألوسي ، روح المعاني : ١٨٧/٣٠ ، مكتبة الحاقانية ، ملتان ، د . ت .

في هذه الجملة فأقول على الفور: ﴿وَوَجَدَكَ﴾ ، أي : وجد رهطك ، ﴿ضَالًا﴾ ، فهداه بك . ثم أقول : على حذف مضاف ، نحو : ﴿وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ^{١٠٧}﴾^{١٠٨} . وذكر الآلوسي قول أبي حيان هذا استحسانا حيث يقول : " ورأى أبو حيان في منامه أن الكلام على حذف مضاف والمعنى ووجد رهطك ضالاً فهدى بك وهو كما ترى في يقظتك^{١٠٩} . وكذلك يتضح من قول الرازي لم يعترض على كون المضاف محذوفا في الآية بل قد جعله قويا إذا نقل وجهها في تفسير الآية فيقول : "إنه قد يُخاطبُ السيدُ ، ويكون المرادُ قومَه فقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًا﴾ ، أي : وجد قومك ضالاً ، فهداهم بك وبشرعك^{١١٠} ."

القول الرابع

و احتج السيوطي من قول ابن عباس رضي الله عنه على الحذف في الآية فيقول : " عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَى﴾ قال : وجدك بين ضالين فاستنقذك من ضاللتهم^{١١١} ."

فرأينا أن التأويلات في المطلب الأول بعيدة في المعنى عن التأويلات في المطلبين الآخرين ، بل التأويلات في المطلب الأول أكثر ضارة للإيمان و أجدر أن لا يؤمن بها لأنه لا شك في عصمة الأنبياء من الكفر و الشرك عامة و القرآن شاهد على هذا

^{١٠٧} سورة يوسف ، الآية : ٨٢ .

^{١٠٨} أبو حيان ، البحر المحيط : ٤٨١/٨ ، وأما استدلاله بالآية : ﴿وسئل القرية﴾ ، على سبيل المجاز بحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه ، تقديره : وأسأل أهل القرية ، وهذا الحذف معتاد عند الأصوليين و علماء البلاغة ، كما صرحه الباقلاني في كتابه ، إعجاز القرآن : ص : ٢٦٨ .

^{١٠٩} الآلوسي ، روح المعاني : ١٨٨/٣٠ .

^{١١٠} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٢١٧/٣١ .

^{١١١} السيوطي ، الدر المنثور : ٣٦٢/٦ ، المطبعة الميمنية ، ١٣١٤ هـ ، مصر .

حيث يقول حكاية عن قول يوسف: ﴿ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ ۱١٢ ﴾ ،
 ولا ريب في عصمة الرسول ﷺ خاصة بشهادة الله تعالى وهو أصدق القائلين
 فيقول: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۗ ۱١٣ ﴾ ، فما قيل في المطلب الثالث فهو
 أرجح على غيرها من البيانات ولامانع من قبوله لأنه يستدل من القرآن و السنة به
 وبذلك نستطيع أن نطرد عن عصمة الرسول على صاحبها الصلوة والسلام الاتهام
 الذي ينشأ من التأويلات البعيدة ١١٤ .

١١٢ سورة يوسف ، الآية : ٣٨ .

١١٣ سورة النجم ، الآية : ٢ .

١١٤ وهناك التأويلات الأخرى ذات اللطائف و المعارف في تفسير الآية مثل ما نقله الألويسي بقوله:
 "قال الجنيد قدس سره ، أي : وجدك متحيراً في بيان الكتاب المتزل عليك فهذاك لبيانه ، وقال جعفر
 الصادق عليه السلام : كنت ضالاً عن محبتي لك في الأزل فمنتت عليك بمعرفتي" ، راجع : الألويسي ، روح
 المعاني : ١٨٧/٣٠ ، (ملخص) .

الفصل الثاني : أثر الإيجاز البلاغي في المعاملات

Affect of the Rhetorical Brevity on Mutual Affairs

وفيه أحد وعشرون مبحثا

المبحث الأول : حكم الإحسان بالوالدين

المبحث الثاني : الحرام من المآكل .

المبحث الثالث : الإنفاق في فك الرقاب

المبحث الرابع : حكمة القصاص

المبحث الخامس : الحيض و أحكامه

المبحث السادس : المحافظة على الصلوات في حالة الخوف

المبحث السابع : النهي عن بطلان الصدقة باليمن و الأذى

المبحث الثامن : الربا و أضراره على الفرد و الجماعة

المبحث التاسع : تعظيم رابطة القرابة و حق الرحم

المبحث العاشر : المحارم من النساء

المبحث الحادي عشر : ميراث الكلالة و أحكامها

المبحث الثاني عشر : عدة اليائسة و الصغيرة

المبحث الثالث عشر : أصول الأخلاق الإجتماعية

المبحث الرابع عشر : إعلان براءة الله و رسوله من المشركين

المبحث الخامس عشر : فضلُ المؤمن المجاهد على صاحب سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام

المبحث السادس عشر : بيان الرضا بقسمة الله و رسوله ، وما يترتب على مخالفتها

المبحث السابع عشر : إقدامُ المنافقين على اليمين الكاذب و بيان إرضاءِ الله

المبحث الثامن عشر : الطريق الوسط بالصلاة

المبحث التاسع عشر : حذف جواب "لولا" ليدلّ قهويله على تفخيم مضمون الشرط

المبحث العشرون : قذف المحصنات

المبحث الحادي والعشرون : الخبيثات للخبيثين و الطيبات للطيبين

إن المصدر التشريعي الأول للإسلام هو القرآن الكريم ، فهو دستور المسلمين بلسان عربي مبين و السنة المطهرة هي المصدر التشريعي الثاني و هي أيضا بلسان عربي مبين . و كما هو معلوم أن المسلمين يستنبطون من هذين المصدرين الأحكام الشرعية المتضمنة لسعادتهم في الدنيا و الآخرة . و لا يكون فهم الأحكام صحيحا إلا إذا رُعي فيها مقتضى أساليب اللغة و البلاغة العربية ، و هذا هو السبب الذي به ارتبطت اللغة العربية ارتباطا وثيقا بالمسلمين لأنها الأداة الموصلة إلى فهم الكتاب و السنة فهما صحيحا و استنباط الأحكام الشرعية منها إضافة إلى معرفة سحر بيان القرآن و جوامع كلم النبي ﷺ و استنباط الأحكام منهما .

الكتاب و السنة نصان يجري عليهما ما يجري على أي نص لغوي عند فهمه و تفسيره ، لاسيما و اللغة العربية واسعة الألفاظ و المعاني و متعددة الأساليب ففيها المشترك الذي يُحمل على أكثر من معنى ، و فيها التعبير الدقيق الذي لا يعتبر إلا معنى واحدا ، و فيها العام و الخاص ، و الإيجاز و الإطناب و غير ذلك مما يحتاج إلى فهم و إتقان فهي أوسع من غيرها و أفصح .

واقترضت حكمة الله العليم الحكيم أن يكون في دين هذه الأمة مجال واسع لاستنباط المجتهدين على ضوء المنصوص عليه ليكون وافيا في كل زمان رعاية الأحوال المتغيرة، فنجد فيه المحكمات و المتشابهات ، و القطعيات و الظنيات ، و الجمل و المفسر ، و المطلق و المقيد ، و الصريح و المؤول ، و ما يُفهم من عبارة النص و ما يُفهم من إشارته و في كل ذلك ما دلالة قطعية و ما دلالة محتملة ، راجحة أو مرجوحة و كل ذلك يحتمل وجهين أو أكثر لتسع حدودها مع الأحوال و الأوضاع . فالله سبحانه و تعالى اختار هذه اللغة على اللغات الأخرى في العالم و أورد نصوص الأحكام القرآنية مجملة كلية لتكون الشريعة مرنة و مسايرة للمصالح العامة في كل زمان و مكان و ليتمكن الوصول إلى الغايات الدينية من استنباط الأحكام في المسائل المحدثه .

قد يتضح لنا من هذه التصريحات أنه لا يمكن للمفسر أن يُفسّر مجمل القرآن أو للمجتهد أن يستنبط الأحكام منه إلا برعاية الأساليب اللغوية و البلاغية و كلما حاول المفسر أو المجتهد تفسير القرآن أو استنباط الأحكام منه بعدم رعاية هذه الأساليب أبعده موقفه هذا من مراد الشارع في أكثر الأحوال . فنطلع في هذا الفصل على مواقف المفسرين و المجتهدين و سلوكهم برعاية أساليب اللغوية و البلاغية و عدمها أثناء تفسير آيات الأحكام و استنباطها و نرى كم أثرت مواقفهم هذه على النتائج نهائيا .

المبحث الأول : حكم الإحسان بالوالدين

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ، وقال أيضا : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾^١.

الإيجاز في الآية

اتفق المفسرون على أن الباء في قوله تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ متعلق بفعل محذوف ، وكذلك النصب في ﴿ إِحْسَانًا ﴾ يدل على أنه لا بد من حذف عامله في الآية الذي لأجله ظهر النصب عليه .

الأراء المختلفة في تقدير المحذوف

رغم اتفاق المفسرين على وقوع الحذف في الآية إلا أنهم على آراء مختلفة في تعيين المحذوفات ، و فيما يلي تفصيله :

- أ - فمنهم من ذهب إلى تعيين المحذوف ، تقديره : أحسنوا بالوالدين إحساناً .
- ب - و منهم من أراد المحذوف بتقديره : وَوَصَّيْنَاهُمْ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا .

^١ سورة البقرة ، الآية : ٨٣ .

^٢ سورة الإسراء ، الآية : ٢٣ .

ج - ومن المفسرين من اختار تعيينه بتقدير : و تحسنون أو تحسنوا^٣ بالوالدين إحساناً .

فهذه التقديرات الثلاثة توضح المعنى المراد من الآية إلا أن التقدير الأول و الثالث أبين من التقدير الثاني لأن قوله تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ متعلق بمضمر ، تقديره : و تحسنون ، أو أحسنوا ، وبهذا أصبحت الجملة معطوفة على "تعبدون" وجوز تعلقه ب " إحسانا" .

ومن العلماء من قال^٤ : إن الترجيح للتقدير الثاني على معنى : وَصَيَّنَاهُمْ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، و دليله أن اتصال الباء به أحسن على هذا الوجه ولو كان على الأول أو الثالث لكان "وإلى الوالدين" .

وفي الحقيقة لا اعتبار لهذا الرأي والترجيح يرجع إلى ما قلناه لأن الفعل " أَحْسَنَ " يتعدى بالباء كقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ۖ ﴾ ، و كذلك يتعدى بحرف "إلى" ، و استعماله شائع في القرآن الكريم كما جاء فيه : ﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ .

فقه الأحكام من الآية على رعاية الحذف

قد دلت الآية على البرِّ بالوالدين وإكramهما ، و الآية تحيط بمعان لطيفة كثيرة رغم وجازتها ، و من الممكن أن نلخص تلك المعاني في نكات تالية :

^٣ يُقَدَّرُ الفعل " تحسنون" في الآية : ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ لمناسبة المقام في الآية ،

و يُقَدَّرُ الفعل "تحسنوا" في الآية : ﴿ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ لمناسبة المقام هناك .

^٤ كما نقل الرازي هذا الرأي من بعض العلماء ، راجع : التفسير الكبير : ١٦٥/٣ - ١٦٦ .

^٥ سورة يوسف ، الآية : ١٠٠ .

^٦ سورة القصص ، الآية : ٧٧ .

أ - قد أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين بعد أمر التمسك بعبادته لأن الوالدين هما الأصل والسبب في كون الوالد وجوده كما أنهما منعمان عليه بالتربية ، و أن إنعامهما أعظم وجوه الإنعام بعد إنعام الله تعالى .

ب - إن الله تعالى هو المؤثر في وجود الإنسان في الحقيقة والوالدان هما المؤثران في وجوده بحسب العرف الظاهر ، فلما ذكر المؤثر الحقيقي أردف بالمؤثر العرفي .

ج - إن الله تعالى لا يطلب بإنعامه على العبد عوضاً ألبتة بل المقصود إنما هو محض الإنعام والوالدان كذلك ، فإنهما لا يطلبان بإنعامهم على الولد عوضاً ، فمن هذا الوجه أشبه إنعامهما إنعام الله تعالى ، فقرن الله ذكرهما مع ذكره .

د - إن الله تعالى أوجب تعظيم الوالدين وإن كانا كافرين ، ويدل عليه قوله تعالى في هذه الآية : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ غير مقيد بكونهما مؤمنين أم لا ، فدللت هذه الآية على أن الأمر بتعظيم الوالدين لمحض كونهما والدين وذلك يقتضي العموم .

هـ - إن الإحسان إليهما هو ألا يؤذيا ألبتة ويوصل إليهما من المنافع قدر ما يحتاجان إليه ، فيدخل فيه دعوتهما إلى الإيمان إن كانا كافرين وأمرهما بالمعروف على سبيل الرفق إن كانا فاسقين .

هذه و بعض النكات الأخرى التي بينها المفسرون^٧ ، كلها مستفادة من هذه الآية رغم وجازتها ، لوقوع الحذف فيها، ومن لم يرعها برعاية الإيجاز البلاغي ، لم يبلغ إلى المعنى المراد من تعظيم الوالدين .

المبحث الثاني : الحرام من المآكل

قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِعَٰبِرٍ ۗ اللَّهُ ۗ فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۗ﴾^٨ .

^٧ راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١٦٥/٣-١٦٦ ، و الآلوسي ، روح المعاني : ١/٣٠٧-٣٠٨ .

^٨ سورة البقرة ، الآية : ١٧٣ .

إن الله تعالى جمع في هذه الآية أحكاما كثيرة في تحريم المأكول ، وأضاف على هذه المحرمات في مقام آخر بقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ^٩ ﴾ .

وجرت أبحاث طويلة عند الفقهاء والمفسرين في بيان الحيوان المأكول و غير المأكول بأنواع ثلاثة : ماءي ، بري ، و برمائي (بري - ماءي) لا ندخل فيها بل نأخذ منها ما يتعلق بموضوع الإيجاز البلاغي وبذلك نطلع على أثره في الأحكام المستنبطة من آية رقم : ١٧٣ من السورة البقرة ، ففي الآية مقامان وقع الحذف فيهما .

الحذف في الآية : إن الجزء الأول من الآية وهو : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ على حذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه ، تقديره : حرّم عليكم تناولها^{١٠} .

ثم اختلف علماء البلاغة في تسمية الدليل على الحذف وهم على المذهبين : **المذهب الأول :** من أدلة الحذف أن يدل العقل على الحذف والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ ، فإن العقل يدل على أن في الآية حذفاً لأن الأحكام الشرعية إنما تتعلق بأفعال المكلفين دون الذوات ، وهذا مذهب القزويني والتفتازاني^{١١} .

المذهب الثاني : من أدلة الحذف العقل حيث تستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير المحذوف كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ... ﴾ ، فإن العقل يدل على أصل الحذف من غير دلالة على تعيينه ، وأما تعيينه وهو تناول ،

^٩ سورة المائدة ، الآية : ٣ .

^{١٠} وقع اختلاف بسيط بين المفسرين في تقدير المحذوف في هذه الآية فمنهم من قدر : حرّم عليكم أكلها ، ولكن كلمة "تناول" شامل لجميع هذه المعاني المستفادة منها .

^{١١} راجع : القزويني ، الإيضاح ، ص : ١٩٤ ، و التفتازاني ، مختصر المعاني ، ص : ٢٨٩ .

فمستفاد من دليل آخر و هو الشرع حسب قوله ﷺ : { إِنَّمَا حُرِّمَ أَكْلُهُ } لأن العقل لا يدرك محل الحل و لا الحرمة ، و هذا مذهب السيوطي^{١٢} .

تحليل أدلة المذهبيين

قد اتضح لنا في ظاهر الأمر أن الفرق بين المذهبيين في أدلة الحذف بسيط ، ولكن لو يُنحصر على العقل كلياً في تعيين المحذوف كما قاله أصحاب المذهب الأول فمن الممكن أن يقع الفساد في التفسير ويشدد الأمر ، وأما دليل أصحاب المذهب الثاني فليس فيه إمكان الفساد في تعيين المحذوف حسب آرائهم لأنه ما كانت دعوتهم للانحصار على العقل كلياً بل هم ينحصرون على العقل و على الشريعة معاً في تعيين المحذوف وذلك الطريق محمود^{١٣} .

^{١٢} راجع : السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، القسم الأول ، ص : ٣١١ . و من الملحوظ أن السيوطي تعاقب القزويني لأنه تابع أصول المعتزلة فيقول : " و أما قول صاحب التلخيص إنه من باب دلالة العقل أيضا ، فتابع فيه السكاكي من غير تأمل أنه مبني على أصول المعتزلة " . [نفس المصدر] . و أما إسناد التحريم في هذه الآية إلى الأفعال على مذهب المعتزلة يؤدي إلى أن المحرم هو الفعل المحذوف و هو الأكل فقط دون سائر وجوه الانتفاع ، و أما اسناد التحريم إلى الأعيان على مذهب الأحناف فيؤدي إلى تحريم سائر وجوه الانتفاع كما قال الجصاص : " إِنَّهُ يَتَنَاوَلُ سَائِرَ وُجُوهِ الْمَنَافِعِ ، وَ لِذَلِكَ قَالَ أَصْحَابُنَا : لَا يَجُوزُ الْإِنْتِفَاعُ بِالْمَيْتَةِ عَلَى وَجْهِهَا وَلَا يُطْعَمُهَا الْكَلْبُ وَالْحَوَارِحُ لِأَنَّ ذَلِكَ ضَرْبٌ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا ، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ الْمَيْتَةَ تَحْرِيماً مُطْلَقاً مُعَلِّقاً بِعَيْنِهَا مُؤَكِّداً بِهِ حُكْمَ الْحَظَرِ فَلَا يَجُوزُ الْإِنْتِفَاعُ بِشَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا أَنْ يُخَصَّ شَيْءٌ مِنْهَا بِدَلِيلٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ . [الجصاص ، أحكام القرآن : ١٠٧/١] .

^{١٣} هذا تحليل للمذهبيين المشهورين في أدلة الحذف و تعيين المحذوف ، إلا أنه هناك مذهب ثالث الذي يعتبر دلالة العقل على الحذف و يعتبر العرف الغالب في الإستعمال على تعيين المحذوف ، وأصحاب هذا المذهب يرون أن في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ قد دل العقل في هذه الآية على أن في النظم الكريم شيئا محذوفا و العرف الغالب في استعمال هذا الكلام يرجح تقدير : تناولها ، لأنه أشمل و أدل على المقصود بالتحريم من أي تقدير آخر ، راجع : عبد الجواد محمد طبق و عبد الحميد محمد العيسوي ، بحوث في علم المعاني ، ، ص : ١٩١ .

أثر رعاية الحذف و عدمها في الأحكام

اتفق المفسرون على أنه وقع الحذف في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ
الْمَيْتَةَ ﴾ ، فمنهم الزمخشري الذي يقول : " يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ،
ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله "١٤ .

ومنهم من قال : " وإضافة التحريم إلى ذات الميتة وما عطف عليها هو من المسألة
الملقبة في أصول الفقه بإضافة التحليل والتحريم إلى الأعيان ، ومحمله على تحريم ما
يُقصد من تلك العين باعتبار نوعها نحو ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ أو باعتبار المقام
نحو : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ فيقدر في جميع ذلك مضاف يدل عليه السياق "١٥ .
وكذلك قال أبو حيان : هذا مما حذف منه المضاف لأنه إذا قيل : حرم عليك
الخمر ، إنما يفهم منه شربها ، وحرمت عليك الميتة أي : أكلها "١٦ .

فأينا أن هذه الفئة من المفسرين استدلوا على الحذف في تفسير هذه الآية إشارة أو
صريحا لأنه ليس لأحد أن يتعين المراد بدون رعاية الحذف في مثل هذه المواضع .
فمن المفروض أنه لا بد للمفسر أن يتقي من التفسير المذموم و التأويل الباطل
وذلك لا يُحصَل عليه في مثل هذه الآيات إلا برعاية الحذف، ومن لم يرعه لم يسلم
من فساد المعنى بل وقع في الأودية المظلمة العميقة لا سبيل له إلى الخروج منها إلا
ما شاء الله .

الحذف الثاني في الآية و أثره في المعنى

وإنَّ الجزء الآخر من الآية و هو : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ ﴾ على حذف الفعل ، تقديره :
فمن اضطرَّ فأكل ، و العقل دال على الحذف لأنه معلوم أنَّ الاضطرار ليس من

١٤ الزمخشري ، الكشاف : ٥٢٥/١ .

١٥ ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ١١٥/٢ ، (ملخص) .

١٦ أبو حيان ، البحر المحيط : ٢١٨/٣ .

فعل المكلف حتى يقال : إثم لا إثم عليه ، فلذلك لا بدّ من حذف فعلٍ آخرٍ و هو فأكل كما ذكر ، و أما الدليل على المحذوف هو دلالة الخطاب عليه و هو الحرام من الماكل كما تقدم ذكره في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ۖ ﴾ ونظائر مثل هذا الحذف كثيرة في القرآن المجيد: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ^{١٧} ﴾ ﴿ فَحُذِفَ "فَأَفْطَرَ" وكذلك في : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِمْ أذىٌ مِّنْ رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ ^{١٨} ﴾ .
فإنّما جاز الحذف لعلم المخاطب به ، ودلالة الخطاب عليه ، إلا أن المفسرين و الفقهاء اختلفوا في قيد : ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ وهم في هذا على مذهبين و تفصيلهما كما يلي :

المذهب الأول : وهو مذهب الأحناف الذين يجعلون الضمير المستتر في قوله تعالى : ﴿ اضْطُرُّ ﴾ فاعل فعلٍ محذوفٍ تقديره : فَمَنْ اضْطُرَّ فَأَكَلَ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ، كما أنهم قصدوا بذلك أن يجعلوه قيداً في الأكل لا في الاضطرار فمعنى الآية عندهم غَيْرَ بَاغٍ فِي الْمَيْتَةِ وَلَا عَادٍ فِي الْأَكْلِ . و أباحوا للبغاة الخارجين على المسلمين أكل الميته عند الضرورة كما أباحوه لأهل العدل ^{١٩} .

المذهب الثاني : وهو مذهب الشافعي و أصحابه الذين يجعلون الضمير المستتر فاعل فعلٍ ﴿ اضْطُرُّ ﴾ فقط ، منعزلاً عن فعلٍ محذوفٍ ، ثم يتعلقون ﴿ اضْطُرُّ ﴾ بقوله تعالى ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ ، و بذلك هم قصدوا أن يجعلوه قيداً في البغي و العدوان ومعنى الآية عندهم : فمن اضْطُرَّ فَأَكَلَ فلا إثم عليه إذا لم يخرج باغياً على

^{١٧} سورة البقرة ، الآية : ١٨٤ .

^{١٨} سورة البقرة ، الآية : ١٩٦ .

^{١٩} الجصاص ، أحكام القرآن: ١/١٢٦ ، مطبعة الأوقاف الإسلامية، القسطنطينية، ١٣٣٥هـ (ملخص) .

إمام المسلمين ولم يكن سفره في معصية وإن كان سفره في معصية أو كان باغياً على الإمام لم يجز له أن يأكل^{٢٠}.

القول الراجح

إن دعوى الأحناف يشده استدلالهم أن الآية على عمومها و لم يجز لنا تخصيص عموم الآية بالاحتمال ، بل الواجب حملها على ما يوافق معنى العموم من غير تخصيص . و مع ذلك حصل اتفاق الجميع على أنه لو لم يكن سفره في معصية بل كان سفره لحج أو غزو أو تجارة وكان مع ذلك باغياً على رجل في أخذ ماله أو عادياً في ترك صلاة أو زكاة ، لم يكن ما هو عليه من البغي والعدوان مانعاً من استباحة الميتة للضرورة فثبت بذلك أن قوله تعالى : ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ لم يرد به انتفاء البغي والعدوان في سائر الوجوه ، وليس في الآية ذكر شيء منه مخصوص ، فلا يجوز تخصيص الآية به لتعذر استعماله على حقيقته وظاهره . و كذلك موقف الأحناف يشدّ قوله تعالى في مقام آخر قوله : ﴿ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾^{٢١} فهذه الآية توجب الإباحة للجميع من المطيعين والعصاة .

ومتى حمل ذلك على البغي والتعدي في الأكل استعمل اللفظ على عمومه وحقيقته فيماورد فيه ، فكان حملة على ذلك أولى لأنه يكون مستعملاً على عمومه وقد ثبت عند الجميع أن إقامته على بعض المعاصي لا تمنع استباحته للميتة عند الضرورة ، فثبت أن قول الأحناف أرجح .

^{٢٠} راجع : الجصاص ، أحكام القرآن : ١/١٢٨ (ملخص) . و الجلالين : ١/٩٦ ، الطبعة الثانية

١٩٦٨م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، و ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٢/١٢١ .

^{٢١} سورة الأنعام ، الآية : ١١٩ .

المبحث الثالث : الإنفاق في فك الرقاب

قال الله تعالى في بيان مظاهر البر الحقيقي : ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
الزَّكَاةَ﴾^{٢٢} ، ثم قال سبحانه وتعالى في بيان مصارف الزكاة : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ
لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ﴾^{٢٣} .

إننا نرى اتفاق المفسرين و الفقهاء في قوله تعالى : ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ على
أن المراد منه الصدقة المندوبة مع احتمال أنه يُرادُ به الصدقة الواجبة إلا أن في سياق
الآية ما يدل على أنه لم يُردْ به الزكاة ، لقوله تعالى في آخر الآية : ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾ ، كما أشار إليه الجصاص بقوله : " وليس في الآية دلالة على
أنها الواجبة ، وإنما فيها حثٌّ على الصدقة ، ووعدهم بالثواب عليها ، لأن أكثر ما
فيها أنها من البر ، وهذا لفظ ينطوي على الفرض والتفل ، إلا أن في سياق الآية ،
ونسق التلاوة ما يدل على أنه لم يُردْ به الزكاة لقوله تعالى : ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
الزَّكَاةَ﴾ فلما عطف الزكاة عليها دلَّ على أنه لم يُردْ الزكاة بالصدقة المذكورة
قبلها^{٢٤} .

^{٢٢} سورة البقرة ، الآية : ١٧٧ .

^{٢٣} سورة التوبة ، الآية : ٦٠ .

^{٢٤} الجصاص ، أحكام القرآن : ١٣١/١ .

وكذلك قال ابن العربي^{٢٥} : " لَيْسَ فِي الْمَالِ حَقُّ سِوَى الرِّكَاءِ^{٢٦} " ، فالمراد من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ الصدقة الواجبة و هي الزكاة بإجماع العلماء .

الإيجاز البلاغي في الآيتين

تُستنبط أحكام كثيرة من هذين الآيتين ويهمننا منها الجانب البلاغي من نوع الإيجاز فقط ، فنتركز على الجزء من الآيتين و هو ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ لما وقع الحذف فيه . لقد اختلف العلماء في تقدير المحذوف في قوله تعالى : ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ ، فمنهم من ذهب إلى تقدير : في فكِّ الرقابِ ، وقيل في ابتياع الرقابِ وإعتاقها ، وقيل في تحرير الرقاب^{٢٧} .

ومهما كان الأمر في المحذوفات فلا حرج (أي: لا يتغير المعنى) من جهة تقديرها ، إلا أن المفسرين والمجتهدين أصبحوا على الآراء المختلفة في تعيين المعنى المراد ،

^{٢٥} هو محمد بن عبدالله بن محمد المعافري ، أبو بكر ابن العربي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) ، إمام من أئمة المالكية . وهو فقيه محدث مفسر أصولي أديب متكلم ، برع في الأدب ، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين . ولد بأشبيلية وأخذ العلم من علماء الأندلس ثم رحل إلى المشرق مع أبيه فأخذ العلم عن الخولاني ، وأبي الحسن الخلعي ، وأبي نصر المقدسي وأبي سعيد الزنجاني ، وأبي حامد الغزالي ، وأبي بكر الطرطوشي ، والصيرفي وغيرهم كثير . ومن أشهر تلامذته : القاضي عياض ، والإمام السهيلي . ولي قضاء إشبيلية ، ومات بقرب فاس ودفن بها ، له مؤلفات كثيرة منها : المحصول في أصول الفقه ، و أحكام القرآن ، راجع : ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٤/٢٩٦-٢٩٧ ، والزركلي ، الأعلام : ٦/٢٣٠ .

^{٢٦} ابن العربي ، أحكام القرآن : ١/٥٩ ، دار المعرفة ، بيروت .

^{٢٧} هذه المحذوفات ومثلها كثيرة ذكرت في التفاسير ، راجع : الزمخشري ، الكشاف : ١/٢٤٤-٢٤٥ ، والرازي ، التفسير الكبير : ١٦/١١٢ ، وابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٠/٢٣٦ ، و أبو حيان ، البحر المحيط : ٢/٧ ، و أبو السعود ، تفسير أبي السعود : ١/١٩٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، والسيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ٢/١٢٠ .

فمنهم من أراد من فك الرقاب أو تحريرها المكاتبين ، أي : هم المكاتبون^{٢٨} يعانون في فك رقابهم ، ومنهم من قال : إن المراد من فك الرقاب هم عبيد ، يُشْتَرُونَ ويُعْتَقُونَ ، أو الأسارى يقدون وتفك رقابهم من الأسر ، وقيل : هؤلاء الأصناف الثلاثة^{٢٩} .

تعيين المعنى المراد من "في الرقاب" و أثره في الأحكام

بعد ما ذكرنا تقدير المحذوفات في هذا الجزء من الآيتين عند المفسرين ، فتظهر أمامنا التقديرات الأربعة من هذه المحذوفات ، وهي :

أ - هم المكاتبون يُعانون في فك رقابهم .

ب - هم عبيد يُشْتَرُونَ ويُعْتَقُونَ .

ج - هم الأسارى يُقدون وتُفك رقابهم من الأسر .

د - هم هؤلاء الأصناف الثلاثة .

فإن كان هذا الإيتاء هو غير الزكاة ، أي : الصدقات المندوبة فلا خلاف في إنفاقها في التعيينات الأربعة المذكورة كليةً ، وإن كانت الزكاة ففيها أقوال :

القول الأول : إن سهم الرقاب موضوع في المكاتبين ليعتقوا به ، وهذا مذهب الشافعي^{٣٠} ، واحتج بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قوله تعالى :

^{٢٨} المكاتب : هو العبد الذي كاتبه سيده على أقساط معينة ، فإذا وفاها صار حراً ، راجع : أ. د. وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته : ٢٠١٨/٣ ، الطبعة الرابعة ١٩٩٧م ، دار الفكر ، دمشق ، السورية .
^{٢٩} أبو حيان ، البحر المحيط : ٧/٢-٨ ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، (ملخص).

^{٣٠} هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، القرشي المطلبي الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) ، يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف . هو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . وإليه نسبة الشافعية كافة . ولد في غزة (بفلسطين) وحُمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين . وقصد مصر سنة ١٩٩ هـ فتوفي بها ، وقبره معروف في القاهرة . برع أولاً في الشعر واللغة وأيام العرب ، ثم أقبل على الفقه والحديث وكان ذكياً مفرطاً . له تصانيف كثيرة ، أشهرها كتاب الأم في الفقه ، و الرسالة في أصول الفقه ، راجع : ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ١٦٣/٤-١٦٩ ، والزركلي ، الأعلام : ٢٦ / ٢ .

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ يريد المكاتب^{٣١} وتأكد هذا بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ
الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا^ط وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ
الَّذِي ءَاتَاكُمْ^ج﴾^{٣٢} .

القول الثاني: إنه موضوع لعتق الرقاب يُشْتَرَى به عبيد فيعتقون^{٣٣} ، وعليه مالك^{٣٤} .
القول الثالث: قول أبي حنيفة^{٣٥} وأصحابه ، أنه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة
ولكنه يُعطى منها في رقبة ويعان بها مكاتب لأن الإعتاق إسقاط الملك

^{٣١} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١١٢/١٦ .

^{٣٢} سورة النور ، الآية : ٣٣ .

^{٣٣} ابن رشد ، بداية المجتهد : ١ / ٢٢١ ، و ابن عادل ، تفسير اللباب : ١٢٦/١٠ .

^{٣٤} هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصحبي الحميري (٩٣ - ١٧٩) هـ ، إمام دار الهجرة ،
وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب المالكية ، مولده و وفاته في المدينة . أخذ القراءة
عرضا عن نافع بن أبي نعيم ، وسمع الزهري ونافعا مولى ابن عمر رضي الله عنه . كان كثير التعظيم للأحاديث
النبوية و للمدينة المنورة ، حتى إذا أراد أن يحدث تواضاً و تمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث ، فقليل
له في ذلك فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدث به إلا متمكنا على طهارة ،
وكان يكره أن يحدث على الطريق أو قائما أو مستعجلا ، وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر
سنه ، ويقول : لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفونة ، راجع : ابن خلكان ، وفيات
الأعيان : ٤/١٣٥-١٣٨ ، و الزركلي ، الأعلام : ٥/٢٥٧ .

^{٣٥} هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠ - ١٥٠) هـ ، إمام الحنفية ، الفقيه المجتهد المحقق ، أحد
الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ولد ونشأ بالكوفة . كان قوي الحججة ، من أحسن الناس منطقا ، قال
الإمام مالك ، يصفه : رأيت رجلا لو كلمته في السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته ، وعن الإمام
الشافعي : الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة ، له مسند في الحديث ، جمعه تلاميذه ، وأدرك أبو
حنيفة زمان أربعة من الصحابة ، رضوان الله عليهم وهم : أنس بن مالك رضي الله عنه و عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه
بالكوفة ، وسهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه بالمدينة ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه بمكة . توفي ببغداد
وأخباره كثيرة ، راجع : ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٥/٤٠٥-٤١٥ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء :
٦/٣٩٠-٤٠٣ ، و الزركلي ، الأعلام : ٨/٣٨ .

وليس بتمليكٍ و لأن قوله تعالى : ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ يقتضي أن يكون له فيه مدخل وذلك ينافي كونه تاماً فيه^{٣٦} .

القول الرابع : قول الزُّهري^{٣٧} : قال سهم الرقاب نصفان ، نصف للمكاتبين من المسلمين ، ونصف يشتري به رقاب ممن صلوا وصاموا ، وقُدِّمَ إسلامهم فيعتقون من الزكاة^{٣٨} .

القول الرابع : و أما الترجيح فيرجع إلى قول الرازي و الذي قال : الاحتياط في سهم الرقاب دفعه إلى السيد بإذن المكاتب ، والدليل عليه أنه تعالى أثبت الصدقات للأصناف الأربعة الذين تقدم ذكرهم في آية رقم: ٦٠ من السورة التوبة بلام التملك وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ ولما ذكر الرقاب أبدل حرف اللام بحرف "في" ، و قال سبحانه و تعالى : ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ ، فلا بد لهذا الفرق من فائدة ، وتلك الفائدة هي : أن تلك الأصناف الأربعة المتقدمة في الآية يدفع إليهم نصيبهم من الصدقات حتى يتصرفوا فيها كما شاؤوا ، وأما المكاتبون فيوضع نصيبهم في تخليص رقبتهم عن الرقِّ ، ولا يدفع إليهم ولا يمكنوا من التصرف في ذلك النصيب كيف شاؤوا^{٣٩} .

^{٣٦} أبو محمد المقدسي ، المغني : ٣٢١/٧ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ ، دار الفكر ، بيروت .

^{٣٧} هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الزهري (٥١ - ١٠٥) هـ ، أحد الفقهاء والمحدثين ، والأعلام التابعين بالمدينة ، رأى عشرة من الصحابة رضوان الله عليهم ، وروى عنه جماعة من الأئمة : منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وكان أبوه أسلم مع مصعب بن الزبير ، ولم يزل الزهري مع عبد الملك ثم مع هشام بن عبد الملك ، وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه ، راجع: ابن خلكان ، وفيات الأعيان: ١٧٧/٤ .

^{٣٨} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١١٢/١٦ ، وأبو حيان ، البحر المحيط : ٦١/٥ ، (ملخص) .

^{٣٩} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١١٢/١٦ .

الخلاصة : إن لفظ الرقاب عام يدخل في عمومه كل أصناف الرقاب من المكاتبين و العبيد و الأسارى ، إلا أن في الأصناف الأربعة الأولى من مصارف الزكاة ، يصرف المال إليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤوا ، وفي الأربعة الأخيرة لا يصرف المال إليهم ، بل يصرف إلى جهات الحاجات المعتبرة في الصفات التي لأجلها استحقوا سهم الزكاة ، و ذلك كله يحصل برعاية الإيجاز .

المبحث الرابع : حكمة القصاص

قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^{٤٠} .

إن الآية على نهاية الإيجاز الذي هو من أعلى طبقات الفصاحة مكانا ، و أحاطت الآية بمعان كثيرة مع وجازتها حتى لا يمكن حصرها . قال البيضاوي : " كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده ، وعرّف القصاصُ ونكّر الحياةُ ، ليدلّ على أن في هذا الجنس من الحكم نوعاً من الحياة عظيمًا ، وذلك لأن العلم به يردع القاتل عن القتل ، فيكون سبب حياة نفسين . ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل ، والجماعة بالواحد ، فتثورُ الفتنةُ بينهم . فإذا اقتص من القاتل سلم الباقيون فيكون ذلك سبباً لحياتهم . وعلى الأول فيه إضمار وعلى الثاني تخصيص . وقيل : المراد بها الحياة الأخروية ، فإن القاتل إذا اقتص منه في الدنيا لم يُؤاخَذ به في الآخرة^{٤١} " .

بلاغة الإيجاز في آية القصاص و فضلها على قول العرب

ذكر المفسرون و أئمة البلاغة في كتبهم قولَ العرب في هذا المعنى الذي كان يمتاز

^{٤٠} سورة البقرة ، الآية : ١٧٩ .

^{٤١} البيضاوي ، تفسير البيضاوي : ٩٩/١ .

في الفصاحة بوجازته وهو "القتل أنفى للقتل"^{٤٢} ، ثم ذكروا ترجيح الآية على قولهم كمفاضلة بلاغية ، فقال صاحب الطراز : " وقد تميّزت الآية عنه بوجوه ثلاثة ، أما أولاً فلأن قوله تعالى : (القصاص حياة) لفظتان ، وما نُقل عنهم فيه أربع كلمات ، وأما ثانياً فالتكرير فيما قالوه ، وليس في الآية تكرير ، وأما ثالثاً فلأنه ليس كل قتل نافياً للقتل وإنما يكون نافياً إذا كان على جهة القصاص"^{٤٣} .

وكذلك أثبت الرازي ترجيح الآية على قول العرب هذا من جهة الفصاحة و البلاغة وقال : "كان الناس يضربون المثل بقولهم : "القتل أنفى للقتل" استحساناً له ، فلما جاءت الآية تركوا ذلك"^{٤٤} ، و بين الرازي وجه الترجيح من وجوه سبعة . ثم نرى كثيراً من علماء البلاغة الذين بينوا فضيلة الآية من جهة البلاغة حتى جاء السيوطي الذي لخص هذه الوجوه في كتابه^{٤٥} إلى عشرين وجه التي من أهمها كما يلي :

الأول : إن ما يناظره من كلامهم وهو قولهم القصاص حياة أقل حروفاً ، فإن حروفه عشرة وحروف القتل أنفى للقتل أربعة عشر .

الثاني : إن نفي القتل لا يستلزم الحياة ، والآية ناصة على ثبوتها .

الثالث : إن تنكير حياة يفيد تعظيماً ، فيدل على أن في القصاص حياة متطاولة ولا كذلك المثل .

الرابع : إنه ليس كل قتل أنفى للقتل ، بل قد يكون أدعى له وهو القتل ظلماً ، وإنما ينفيه قتل خاص وهو القصاص ، ففيه حياة أبداً و ذلك ثابت في الآية .

^{٤٢} لقد ذكر هذا القول في كثير من كتب التفسير و كتب البلاغة ، راجع : السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : ١٣٣ ، و العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص : ١٨١ ، و الرماني ، النكت و العيون في إعجاز القرآن ، ص : ٧٧ ، و الخفاجي ، سرّ الفصاحة ، ص : ٢٠٩ ، و القزويني ، الإيضاح ، ص : ١٨١ .
^{٤٣} العلوي ، الطراز ، ص : ٢٦٢ .

^{٤٤} الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص : ٢١٥ .

^{٤٥} السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١٠٨/٢ - ١١٠ .

الخامس : إن الآية خالية من تكرار لفظ القتل الواقع في المثل .
 السادس : إن في الآية طباقاً ، لأن القصاص يشعر بضد الحياة بخلاف المثل .
 السابع : إن الآية اشتملت على فن بديع وهو جعل أحد الضدين الذي هو الموت محلاً لضده الذي هو الحياة ، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة .
 الثامن : إن لفظ القتل المشعر بالوحشة ، بخلاف لفظ الحياة فإن الطباع أقبل له من لفظ القتل .

التاسع : إن لفظ القصاص مشعر بالمساواة و العدل ، بخلاف مطلق القتل .
 العاشر : إن المثل لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن القتل قصاصاً أنفى للقتل و الآية مفهومة من أول وهلة .

الحادي عشر: إن الآية رادعة عن القتل والجرح معاً لشمول القصاص لهما ، والحياة أيضاً في قصاص الأعضاء لأن قطع العضو ينقص مصلحة الحياة وقد يسري إلى النفس فيزيلها ، ولا كذلك المثل .

فهذه بعض الوجوه في ترجيح الآية على قولهم من جهة البلاغة فقط دون المفاضلة في كل الجوانب لأنه لا يساوي كلام المخلوق بكلام الخالق و ما أحسنه من قال :
 "لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق"^{٤٦} . فبعيدا عن التشبيه بين الآية و بين قولهم ، إن الآية تضمنت سرا من أسرار التشريع الجليلة التي عليها مدار سعادة المجتمع البشري ، وهو الاحتفاظ على الحياة الإنساني ، وذلك يُفهم من ظاهر الآية بألفاظ قليلة و هو خير دليل على إعجاز كلامه سبحانه و تعالى .

فقه الأحكام من آية القصاص

امتازت الشريعة الإسلامية بجمع الأمور في تطبيق القصاص منها :

^{٤٦} هو قول ابن الأثير ، نقله السيوطي ، راجع : الإتيان في علوم القرآن : ١٠٨/٢ .

أ - جَمَعَتُ الشريعةُ الإسلاميةُ القصاصَ و الديةَ وخيارَ العفو مطلقاً حسب مقتضى الحال لإرداع جريمة القتل .

ب - إن الشريعة الإسلامية لم تسمح للأفراد أن يُطبَّقوا القصاص بأنفسهم بل قرَّرت أن تطبيق القصاص وإقامة الحدود حق على ولاية الأمور .

ج - إنها قرَّرت أن يُطبَّق القصاصُ على القاتل فقط دون الجماعة أو القبيلة كما كان يجري في الجاهلية ، وبذلك هدَّبت الشريعةُ عادةَ أخذِ الثأر و أغلقت باب الظلم في أخذه .

د - أجازت الشريعة العفو عن القصاص إلى الدية أو بلا دية .

هـ - ليس المراد من هذه الآية أن نفس القصاص حياة لأن القصاص إزالة للحياة وإزالة الشيء يمتنع أن تكون نفس ذلك الشيء ، بل المراد أن شرع القصاص يفضي إلى الحياة في حق من يريد أن يكون قاتلاً ، وفي حق من يُرادُ جعله مقتولاً وفي حق غيرهما أيضاً .

و - إن الفتنة تعظم بسبب القتل ، فتؤدي إلى المحاربة التي تنتهي إلى قتلِ عالمٍ من الناس وفي تصور كون القصاص مشروعاً زوال كل ذلك وفي زواله حياة الكل .

المبحث الخامس : الحيض و أحكامه

قال الله سبحانه و تعالى :

﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۗ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۗ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ۗ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۗ﴾^{٤٧}

دراسة الآية من ناحية الإيجاز البلاغي :

إنما يَهْمُنَا كدراسة بلاغية الجزء الأول من الآية :

^{٤٧} سورة البقرة ، الآية : ٢٢٢ .

﴿وَدَسَّوْنَاكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلَّ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ ، بما وقع الحذف البلاغي فيه ،
والمواضع التي وقع أثر البلاغة فيها هي :

أ - المراد من السؤال عن المحيض ، السؤال عن قربان النساء في المحيض بدلالة الاقتضاء ، والجواب عنه أدلّ عليه .

ب - النساء اسم الجمع للمرأة ، والمراد به هنا الأزواج^{٤٨} لا عامة النساء كما يقتضيه لفظ : ﴿فَأَعْتَرَلُوا﴾ ، أن المخاطب به الأزواج من الرجال لا غيرهم ، لأنه يعتزل من كان يخالط .

ج - و في قوله تعالى : ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ المجرور بفي وقت و هو محذوف ، تقديره : في زمن المحيض وقد كثرت إنابة المصدر^{٤٩} عن ظرف الزمان كما يقولون : آتيك طلوع النجم ومقدم الحاج .

^{٤٨} إنما استعمل القرآن كلمة "النساء" في هذا المقام للأزواج فقط وللآماء إن وجدت، و الدليل الشرعي يقوي هذا المفهوم لأن الشريعة الإسلامية حرّمت نكاح المحارم مثل الأمهات و الأخوات و غيرها من النساء ، و حرّمت الزناء أيضا ، فبذلك خرج نكاح المحارم و الزناء من الحكم : ﴿فَأَعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ ، و إطلاق كلمة "النساء" (بالإضافة) على الأزواج شائع في القرآن الكريم و في اللغة العربية ، و كذلك بدون الإضافة إذا وجدت القرينة كما هنا في هذه الآية ، فالمراد اعتزلوا نساءكم ، أي : اعتزلوا ما هو أخص الأحوال بمن و هو الجماعة .

^{٤٩} إنابة المصدر عن ظرف الزمان شائع في كتب اللغة ، راجع : السيبويه ، الكتاب : ٢٢٢/١ ، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، عالم الكتب ، بيروت، و ابن هشام ، مغني اللبيب ، ص : ٨١٣ ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٥م ، دار الفكر ، بيروت . و قال عباس حسن : يكثر حذف الظرف الزماني المضاف إلى مصدر ، و إقامة المصدر مقامه فينصب مثله باعتبار نائباً عنه مثل : أخرج من البيت شروق الشمس ، و أعود إليه غروبها ، (تريد : أخرج من البيت وقت طلوع الشمس ، و أعود إليه وقت غروبها) ، راجع : عباس حسن ، النحو الوافي : ٢ / ٢٣٠ ، قديمي كتب خانة ، كراتشي ، باكستان ، د . ت .

د - وقوله تعالى : ﴿فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ﴾ المراد من الاعتزال التباعد بمعزل وهو هنا كناية عن ترك مجامعتهم .

هـ - و المراد بقوله : ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ جاء النهي عن قربانهن تبيناً للمراد من الاعتزال وإنه ليس التباعد عن الأزواج بالأبدان كما كان عند اليهود بل هو النهي عن الجماع^{٥٠} ، إن مقتضى جملة ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ أنها مؤكدة لمضمون جملة ﴿فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ﴾ وكلا الأمرين يقتضي الفصل ، ولكن خولف مقتضى الظاهر اهتماماً بهذا الحكم ليكون النهي عن القربان مقصوداً بالذات معطوفاً على التشريعات و هو الكناية عن الجماع لا الاعتزال بالأبدان .

رعاية الإيجاز و عدمها في تفسير الآية و أثره في الأحكام

فهذه المعاني تُستفاد من الآية إذا نمن النظر فيها برعاية الإيجاز البلاغي مع الأدلة الشرعية وبذلك نستطيع أن نعمل بأحكام الآية حسب مراد الله تعالى و رسوله ﷺ ونتجنب من فساد في التفسير .

وأما إذا نأخذ بظاهر الآية و خاصة في كلمة الاعتزال و النساء ، لوجب إخراج النساء من البيوت في الحيض و لو كن الأمهات أو الأخوات أو البنات أو الأزواج لأن ظاهر الآية لا يفرق بين المحارم من النساء و الأزواج .

^{٥٠} قد دلّ عليه الحديث كدليل شرعي بما روي عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا خاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها و لم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ ، إلى آخر الآية فقال رسول الله ﷺ اصنعوا كل شيء إلا التكااح فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ، راجع : المسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب الحيض ، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ، ص : ١٢٨ ، و الترمذي ، السنن ، كتاب تفسير القرآن ، باب تفسير سورة البقرة : ٥٥/١ .

و إلى هذا الفساد أشير في بعض التفاسير إلى القصة التي أنتجت من مفهوم ظاهر الآية و هي : روي أن أهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يؤاكلوهن كدأب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك ، و قيل : أخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناسٌ من الأعراب : يا رسول الله البردُ شديدٌ والثيابُ قليلة فإن آثرناهن هلك سائرُ أهل البيت وإن استأثرنا بها هلكت الحيضُ فقال ﷺ : { إنما أمرتم أن تعتزلوا بجامعتهن إذا حضنَ ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم^{٥١} } ، و قيل : إن النصارى كانوا يجامعوهن ولا يباليون بالحيض ، واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فأمر المسلمون بالاعتزال بين الأمرين .

المبحث السادس : المحافظة على الصلوات في حالة الخوف

قال الله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۝ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا^{٥٢} .

إن الآية تدل على أحكام صلاة الخوف و هي قسمان : أحدهما الصلاة التي يؤديها المسلمون بالإمام وهم يضافون العدو في ساحة الحرب ، وليست هذه الآية لبيان صلاة الجيش في الحرب جماعةً بل تلك الصلاة مذكورة في سورة النساء ،

^{٥١} لم أجد هذا الحديث في الكتب المشهورة للأحاديث إلا أنه رواه بعض المفسرين ، فلتفصيل راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٢٩٢/١-٢٩٣ ، والرازي ، التفسير الكبير : ٦/٦٦ ، و أبا السعود ، تفسير أبي السعود : ٢٢٢/١ ، والذي صحَّ في ذلك ما أخرجه المحدثون عن أنس قال : كانت اليهود إذا حاضت امرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يُشاربوها ولم يُجامعوها في البيوت فسئل النبي ﷺ عن ذلك فأُنزل الله تعالى : ﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ ، (البقرة : ٢٢٢) ، راجع : المسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب الحيض ، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ، ص : ١٢٨ ، و النسائي ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب تأويل قول الله تعالى : ويسألونك عن المحيض : ٥٥/١ ، والترمذي ، الجامع ، كتاب تفسير القرآن ، باب تفسير سورة البقرة : ١٢٧/٢ ، و أبو داؤد ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب في مؤكلة الحائض ومجامعتها : ٣٤/١ .

^{٥٢} سورة البقرة ، الآية : ٢٣٨ - ٢٣٩ .

وثانيهما الصلاة التي يؤديها المسلمون فرادى في حالة الخوف وتلك الصلاة التي
مذكورة في هذه الآية .

الإيجاز في الآية

قد اشتملت هذه الآية على بيان كل خوف من سباع أو قطاع طريق أو من سيل
الماء أو غير ذلك ، و ما ورد تفصيله في الآية صريحا بل بطريق الحذف و هو لون
من ألوان الإيجاز البلاغي ، وقد وقع الحذف في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا
أَوْ رُكْبَانًا ﴾ ، لدلالة الإعراب عليه و لتصريحه من قبله ، و أما المحذوف فهو يُقَدَّرُ
باحتمالين كما سيأتي :

التقدير الأول : و أما تعيين المحذوف في تقدير الأول ففيه آراء عند المفسرين و
من بينها أقرب إلى الصواب رأي الزمخشري الذي قال في معنى الآية : " فإن كان
بكم خوفٌ من عدوٍّ ، أو غيره ^{٥٣} " ، فبذلك أصبح المحذوف واضحا ، تقديره :
فإن خفتم عدوًّا أو غيره لدلالة العلم به و لأن هذا الحكم ثابتٌ عند حصول
الخوف ، سواء كان الخوف من عدوٍّ ، أو غيره .

وتعيين المحذوف في قوله تعالى : ﴿ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ ، واضح كل الوضوح وهو
أن هذا الجزء منصوبٌ على الحال ، والعامل فيه محذوفٌ ، تقديره : فَصَلُّوا رِجَالًا
أَوْ رُكْبَانًا ، أو فَحَافِظُوا عَلَيْهَا رِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا وهذا أولى ؛ لأنه يناسب سباق الآية .
التقدير الثاني : معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ ، أي : إذا
أَخْرَجْتُمُ الصَّلَاةَ إِلَى أَنْ تَأْمَنُوا ، فإن خفتم فوات الوقت ، فصلُّوا رِجَالًا ، أو رُكْبَانًا .

أثر الإيجاز البلاغي في الأحكام

تدل هذه الآية بوجازتها على عظيم قدر الصلاة وتأکید طلبها ، فالصلاة المفروضة
إذا لم تسقط بالخوف ، فلا تسقط بغيره من مرض وشغل ونحوه ، حتى المريض إذا

^{٥٣} الزمخشري ، الكشاف : ٣١٦/١ .

لم يمكنه فعلها لزمه الإشارة عند أكثر العلماء ، وبهذا تميزت عن سائر العبادات لأنها كلها تسقط بالأعذار ولكن عبادة الصلاة لا تسقط بالأعذار بل يترخص في ترك القيام ، والركوع ، والسجود . فتضمنت الآية على أحكام كثيرة منها :

أ - الآية تدلُّ على تأكيد فرض الوقت ؛ حتى يترخص لأجل المحافظة عليه في ترك القيام ، والركوع ، والسجود .

ب - إن هذه العبادة لا تسقط عن العبد في حال ، ورُخصَّ العبادة في الصلاة رجلاً على الأقدام ، أو ركباناً على الخيل والإبل ونحوه ، إيماءً وإشارةً حيث ما توجهوا ، مستقبلي القبلة وغير مستقبلها ويومئ بالركوع والسجود ويجعل السجود أخفض من الركوع وهذا هو مذهب الشافعي وأصحابه^{٥٤} .

ج - وقال الأحناف : إنَّ الرجل إذا كان في الحرب - ولا يُمكنه النزولُ عن دابته - أنَّ له أنَّ يصليَّ عليها إيماءً وكذلك لو أنَّ رجلاً كان على الأرض ، فنخاف إنَّ سجد أن يفترسه سبُعٌ أو يضربه رجل بسيف ، فله أنَّ يصليَّ قاعداً ، إنَّ كان يخاف ذلك في القيام ويومئ إيماءً ، و لكن لا يصلي الماشي بل يؤخر^{٥٥} .

القول الراجح

إن الترخيص يرجع إلى احتجاج الشافعي بدليل :

وهو أن الخوف الذي تجوز معه الصلاة مع الترجل والمشي ومع الركوب والركض لا يمكن معه المحافظة على الاستقبال ، فصار قوله تعالى : ﴿ فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ يدل على الترخيص في ترك التوجه ، وأيضاً يدل على الترخيص في ترك الركوع والسجود إلى الإيماء لأن مع الخوف الشديد من العدو لا يأمن الرجل على نفسه إن وقف في مكانه لا يتمكن من الركوع والسجود ، فصح بما ذكر الشوافع دلالة

^{٥٤} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١٦٥/٦ .

^{٥٥} الطحاوي ، شرح معاني الآثار ، كتاب الصلاة ، باب الرجل يكون في الحرب فتحضره الصلاة وهو راكب هل يصلي أم لا : ٣٢١/١ ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

رجالاً أو ركبناً على جواز ترك الاستقبال ، وعلى جواز الاكتفاء بالإيماء في الركوع والسجود .

المبحث السابع : النهي عن بطلان الصدقة بالْمَنِّ و الأَذَى

إن الله نهي عن الْمَنِّ و الأَذَى عقب الصدقة لأهما يبطلان أجرها فقال : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^{٥٦} .

القولان في الآية في تثبيت الحذف و عدمه

قد روى المفسرون^{٥٧} قولين في رعاية الحذف وعدمه في الآية و هما :

القول الأول : و هو قول المعتزلة أن في الآية الحذف ، تقديره : لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمن و الأذى لأنه معلوم أن الصدقة قد وقعت وتقدمت ، فلا يصح أن تُبْطَل ، فالمرادُ إبطال أجرها وثوابها ، لأن الأجر لم يحصل بعد بل هو مُسْتَقْبَلٌ ، فَيَصِحُّ إِبْطَالُهُ بما يأتيه من المن والأذى . فقالوا لا يصح المراد من ظاهر الآية إلا بتعيين المحذوف تقديره : أجور صدقاتكم و بذلك يُفهم من الآية أنه تعالى أكد بالنهي عن إبطال أجر الصدقة ، لا عن الصدقة بنفسها لأنها قد وقعت .

القول الثاني : و هو قول أهل السنة الذين قالوا : أنه لا حاجة إلى تقدير محذوف في الآية ، لأنه ليس المراد بقوله تعالى : ﴿ لَا تُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ ﴾ النهي عن إزالة هذا الثواب بعد ثبوته بل المراد به النهي عن العمل الباطل ، وذلك لأنه إذا قصد المرائي بالصدقة غير وجه الله تعالى فقد أتى بها من الابتداء على نعت البطلان .

^{٥٦} سورة البقرة ، الآية : ٢٦٤ .

^{٥٧} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٥٣/٧ ، و الألويسي ، روح المعاني : ٣٤/٣ ، و ابن عاشور ،

التحرير و التنوير : ٤٨/٣ .

فنظرا إلى ما مضى لا حاجة إلى أيّ تقدير في فهم المعنى المراد من الآية ، لأنه واضح بدون تقدير الحذف من ظاهر الآية ، خلافا ما قاله المعتزلة .

أدلة المعتزلة^{٥٨} على وجوب رعاية الحذف في الآية

قالت المعتزلة أنه لا بد من تقدير المحذوف في الآية لتلازم اجتماع النقيضين في المعنى و أدلتهم فيه كما يلي :

أ - كما هو معلوم أن الصدقة قد وقعت وتقدمت ، فلا يصح أن تُبطل فالمراد إبطال أجرها وثوابها ، لأن الأجر لم يحصل بعد وهو مُسْتَقْبَلٌ فيصح إبطاله بما يأتيه من المن والأذى .

ب - إنه تعالى ذَكَرَ مَثَلَيْنِ لِكَيْفِيَةِ إِبْطَالِ أَجْرِ الصَّدَقَةِ بِالْمَنْ وَالْأَذَى :

المثل الأول : فَمَثَلُهُ أَوْلَى بِمَنْ يُنْفِقَ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ ، وهو مع ذلك كافر لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، لأن بطلان أجر نفقة هذا المرأى الكافر أظهر من بطلان أجر صدقة مَنْ يَتَّبِعُهَا بِالْمَنْ وَالْأَذَى .

المثل الثاني : ثم مثله ثانياً بالصفوان الذي وقع عليه التراب والغبار ، ثم أصابه المطر القوي ، فيزيل ذلك الغبار عنه حتى يصير كأنه ما كان عليه غبار ولا تراب أصلاً ، فالكافر كالصفوان ، والتراب مثل ذلك الإنفاق والوابل كالكفر الذي يجبط عمل الكافر ، وكالمن والأذى اللذين يجبطان عمل هذا المنفق .

فكما أن الوابل أزال التراب الذي وقع على الصفوان ، فكذا المن والأذى يوجب أن يكونا مبطلين لأجر الإنفاق بعد حصوله ، وذلك صريح في الآية .

ج - إنه من أطاع وعصى ، فلو استحق ثواب طاعته وعقاب معصيته لوجب أن يستحق النقيضين ، لأن شرط الثواب أن يكون منفعة خالصة دائمة مقرونة بالإجلال ، وشرط العقاب أن يكون مضرة خالصة دائمة مقرونة بالإذلال ، فبدون

^{٥٨} قد ذكر المفسرون أدلة المعتزلة و أدلة أهل السنة في تثبيت مذاهبهم ضمن هذه الآية ، و كلما

ذكرناها ملخصة من التفسير الكبير ، راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٧/ ٥٢-٥٧ .

رعاية الحذف إذا حُمِلت الآية على ظاهرها لحصل استحقاق النقيضين وذلك محال ، ولأنه حين يعاقبه - وهذا العقاب عدل - فقد منعه في نفس الوقت من الإثابة ، ومنع الإثابة ظلم ، فيلزم أن يكون هذا العقاب عدلاً من حيث إنه حقه ، وأن يكون ظلماً من حيث إنه منع الإثابة ، فيكون ظالماً بنفس الفعل الذي هو عادل فيه وذلك محال ، فصح بهذا قولنا بدلالة العقل .

أدلة أهل السنة على حمل الآية على ظاهرها بعدم رعاية الحذف

قد استدل أهل السنة على تثبيت مذهبهم بالأدلة النقلية و العقلية منها :

أ - قالوا : الكاف في قوله تعالى : ﴿ كَالَّذِي ﴾ فيه قولان ، إما أن يكون الكاف في محل النصب على الحال ، أي : لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق ماله رثاء الناس ، و إما أنه متعلق بمحذوف ، تقديره : لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كإبطال الذي ينفق ماله رثاء الناس ، فبيّن الله تعالى أن المن و الأذى يُبطلان الصدقة ، كما أن النفاق والرياء يبطلانها ، وتحقيق القول فيه أن المنافق والمرائي يأتيان بالصدقة لا لوجه الله تعالى ، ومن يقرن الصدقة بالمن والأذى ، فقد أتى بتلك الصدقة لا لوجه الله أيضاً ، إذ لو كان غرضه من تلك الصدقة مرضاة الله تعالى لَمَا مَنَّ عَلَى الْفَقِيرِ وَلَا آذَاهُ ، فثبت أنه ما أتى بها لوجه الله تعالى ، وهذا يُحَقِّقُ مَا قَلْنَاهُ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْإِبْطَالِ آتِيَانُهُ بِهَا مِنَ الْإِبْتِدَاءِ بَاطِلًا ، فإذا أتى بها من الابتداء بطريق الباطل فلا يستحق الأجر على عمله الباطل وهذا يَزِيلُ إِشْكَالَ الْمُعْتَزِلَةِ فِي قَوْلِهِمْ بِاجْتِمَاعِ النَّقِيضَيْنِ .

ب - ليس التشبيه في وقوع الغبار على الصفوان مع حصول الأجر للكافر ، بل التشبيه في صدور هذا العمل الذي لولا كونه مقروناً بالنية الفاسدة لكان موجباً لحصول الأجر والثواب ، فالتشبيه في التراب الواقع على الصفوان مع العمل الصادر منه ، و الغبار إذا وقع على الصفوان لم يكن ملتصقاً به ولا غائصاً فيه ألبتة ، بل كان ذلك الاتصال كالانفصال ، فهو في مُرَائِيِ الْعَيْنِ مُتَّصِلٌ ، وفي الْحَقِيقَةِ غَيْرُ

متصل ، فكذا الإنفاق المقرون بالمن والأذى ، يرى في الظاهر أنه عمل من أعمال البر ، وفي الحقيقة ليس كذلك ، فظهر أن استدلالهم بهذه الآية ضعيف .

ج - قد ثبت من نص القرآن والسنة أن الحسنات يُذهبن السيئات: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ ۗ﴾ ، أو كما جاء في الحديث: {اتبع السيئة الحسنة تمحها} ، والسيئات لا تبطل الحسنات ، فبذلك حمل الآية - على أن المراد بإبطال الصدقة هو نفس الصدقة التي قد بطلت من الابتداء - أولى ، خلافاً للمعتزلة الذين يُثبتون الصدقة المبטولة ثم يتأولون بطلانها بطلان أجرها .

د - إن هؤلاء المعتزلة يقولون : إن شرب جرعة من الخمر يحبط ثواب الإيمان وطاعة سبعين سنة على سبيل الإخلاص^{٦١} ، وذلك محال من وجهين :

١ - إن جميع المعاصي بالنسبة إلى رحمة الله تعالى أقل من خردلة ، لأنه تعالى يقول: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۗ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۗ﴾^{٦٢} .

٢ - إن قول المعتزلة السابق يُبطل بقوله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۗ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۗ﴾^{٦٣} ، وكذلك الحديث في هذا المفهوم : {من همَّ بالحسنة فلم يَعْمَلْهَا كتب الله له حسنة و من عملها كتب الله له بها عشرا إلى سبعمائة ضعف و أضعاف كثيرة و من همَّ بسيئة

^{٥٩} سورة هود ، الآية : ١١٤ .

^{٦٠} الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، كتاب الإيمان : ١٢١/١ ، تحقيق مصطفى عبد

القادر عطا ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^{٦١} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٧/ ٥٢-٥٧ .

^{٦٢} سورة الأعراف ، الآية : ١٥٦ .

^{٦٣} سورة الأنعام ، الآية : ١٦٠ .

و لم يَعْمَلْهَا كتب الله له بها حسنة كاملة و من همَّ بها فعملها كتب الله عليه سيئة واحدة^{٦٤} } ، فظهر أن ما قالت المعتزلة على خلاف نص القرآن والسنة .

تحليل الآراء و القول الراجح

قد جرت أبحاث طويلة في هذا الموضوع بين علماء المعتزلة وعلماء أهل السنة المتكلمين لا تمنا كلها بما كانت خارجة عن موضوعنا إلا أننا ذكرنا من بينها النكات المهمة ، وبعيدا عن هذه الأبحاث الكلامية نقول : إن الحذف من أهم أبواب البلاغة في اللغة العربية إلا أن العرب لا تحذف ما لا دلالة عليه . فالمراد من قوله تعالى ضمن نهي بطلان الصدقات واضح كل الوضوح بدون رعاية الحذف ، و هو كما قاله أهل السنة أنه من يُؤتي الفقير الصدقة ثم يتبعها بالمن و الأذى أو يأتي بالصدقة مرثيا فكأنه أبطله من الابتداء ، فهذا حاصل من ظاهر الآية فلا حاجة إلى تقدير المحذوف بدلالة بعيدة عليه .

المبحث الثامن : الربا و أضراره على الفرد و الجماعة .

قال الله سبحانه و تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^{٦٥} .

قد بين الله سبحانه و تعالى الربا و أضراره على الفرد و الجماعة في هذه الآية و أحل البيع و حرّم الربا ، ففي الآية أحكام كثيرة بينها المفسرون بالتفصيل و لكن

^{٦٤} البيهقي ، شعب الإيمان ، باب في حشر الناس بعد ما يبعثون من قبورهم ، فصل فيما يجاوز الله عن عباده و لا يؤاخذهم به فضلا منه و رحمة : ٢٩٩/١ ، تحقيق : محمد السعيد بسبوي زغلول ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^{٦٥} سورة البقرة ، الآية : ٢٧٥ .

يهنأ الأمر منها ما يتعلق بالإيجاز البلاغي و بذلك نبحت عن الجزء من الآية :
﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ .

إن في هذا الجزء من الآية صنعة قصر من نوع الإيجاز البلاغي يُسمى "إيجاز التقدير"^{٦٦} ، فقدّرت المعاني زائدة على المنطوق ، و نُقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه و هذا أسلوب بلاغي معروف في القرآن الكريم ، ولكن اختلفت وجهات نظر المفسرين فيه حسب فهمهم بمقتضيات الأسلوب . فمنهم من فهم أن معنى الآية : فلا يؤخذ بما مضى منه ، لأنه أخذ قبل نزول التحريم و ليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به بل أمره إلى الله يحكم في شأنه يوم القيامة، ومنهم من فهم غير هذا ، فنرى أثر إختلافهم في فقه الأحكام فيما سيأتي :
فقه الأحكام من الآية حسب آراء المفسرين

لقد اجتمع المفسرون على أن الآية مجملة و فيها لون من بلاغة الإيجاز و استنبط كل واحد منهم من الآية أحكاما على وجهين .

الوجه الأول : و عليه جماعة من المفسرين كما سيأتي :

أ - قال الزمخشري^{٦٧} إن المراد من الآية : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ، أي : فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهاي عن الربا

^{٦٦} السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١٠٦/٢ .

^{٦٧} هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله ، أبو القاسم (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ ، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب ، وكان معتزلي المذهب . ولد في زمخش (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقّب بجار الله . وتنقل في البلدان ، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها. و من أشهر كتبه: الكشاف ، وأساس البلاغة و المفصل ، راجع: السيوطي ، طبقات المفسرين ، ص : ١٠٤-١٠٥ ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية ، بيروت ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان: ١٦٨/٥-١٨٤ ، و ابن كثير ، البداية والنهاية ١٢ / ٢٧٢ ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٢/٤٣٠-٤٣٢ .

فتبع النهي وامتنع فلا يؤخذ بما مضى منه ، لأنه أخذ قبل نزول التحريم ، يحكم الله في شأنه يوم القيامة ، وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به^{٦٨} .

ب - و أضاف بعض من المفسرين على قول الزمخشري أن الله يجازيه على انتهائه إن كان من قبول الموعدة وصدق النية ، ويحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه^{٦٩} .

ج - وقال أبو حيان في الآية : ﴿فَأَنْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ ، أي : ما تقدم له أخذه من الربا لا تبعة عليه منه في الدنيا ولا في الآخرة ، وهذا حكم من الله لمن أسلم من كفار قريش وثقيف ، ومن كان يتجر هنالك . وهذا على قول من قال : الآية مخصوصة بالكفار ، ومن قال : إنها عامة فمعناه : فله ما سلف ، قبل التحريم .

﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الظاهر أن الضمير في : أمره ، عائد على المنتهى ، إذ سياق الكلام معه ، وهو بمعنى التأنيس له وبسط أمله في الخير . وقيل : أمره إلى الله يحكم في شأنه يوم القيامة ، لا إلى الذين عاملهم ، فلا يطالبونه بشيء ، وقيل : المعنى فأجره على الله لقبوله الموعدة^{٧٠} .

أدلتهم

أ - إن فهم المراد من الآية ﴿فَأَنْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي : صفح له عما مضى ، صحيح وهو كقوله سبحانه و تعالى : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^{٧١} .

^{٦٨} الزمخشري ، الكشاف : ٣٤٨/١ .

^{٦٩} البيضاوي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل : ١٤٢/١ ، وأبو السعود ، تفسير أبي السعود : ٢٦٦/١ ،

والشوكاني ، فتح القدير : ٢٩٤/١ .

^{٧٠} أبو حيان ، البحر المحيط : ٣٤٩/٢ .

^{٧١} سورة الأنفال ، الآية : ٣٨ .

ب - ﴿لَهُدَا مَا سَلَفَ﴾ أي : له ما أكل من الربا ، وليس عليه رد ما سلف ، فأما من لم يقض بعد فلا يجوز له أخذه ، وإنما له رأس ماله فقط كما بينه بعد ذلك بقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^{٧٢} .

ج - الحديث دال على هذه المعاني حيث صرح النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع قائلاً : { أَلَا إِنَّ كُلَّ رَبٍّ مِنْ رَبِّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ }^{٧٣} .

الوجه الثاني : لم يقبل بعض من المفسرين ، أقوال المفسرين ذكرت في الوجه الأول ، وردوا على أدلتهم بغير هذه الأدلة ، والتفصيل كما سيأتي :

أ - قال الرازي في تفسير الآية : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ، إن هذه الآية مختصة بمن ترك استحلال الربا من غير بيان أنه ترك أكل الربا ، أو لم يترك^{٧٤} .

ب - و أراد الألوسي من الآية : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي : إن انتهى بعد التحريم باستحلال الربا فأمره إلى الله إن شاء عصمه من الربا فلم يأكل وإن شاء لم يفعل . ومن الناس من جعل الضمير المحرور ﴿أمره﴾ لما سلف أو للربا وكلاهما خلاف الظاهر .

^{٧٢} سورة البقرة ، الآية : ٢٧٩ .

^{٧٣} أبو داؤد ، السنن ، كتاب البيوع ، باب في وضع الربا : ١١٧/٢ ، ايح ام سعيد كمبني ، كراتشي .

^{٧٤} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١٠٠/٧ .

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ أي : رجع إلى ما سلف ذكره من فعل الربا واعتقاد جوازه والاحتجاج عليه بقياسه على البيع و هو الجمع بين البيع و الربا باعتبار المعنى ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي : ما كانوا أبداً لكفرهم^{٧٥}.

أدلتهم

أ - الدليل عليه مقدمة الآية ومؤخرتها . أما مقدمة الآية فلأن قوله تعالى ﴿فَمَنْ جَاءَهُدْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ ليس فيه بيان أنه انتهى عماذا ، فلا بد وأن يصرف ذلك المذكور إلى السابق ، وأقرب المذكورات في هذه الكلمة ما حكى الله أنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا ، فكان قوله ﴿فَانْتَهَى﴾ عائداً إليه ، فكان المعنى : فانتهى عن هذا القول .

ب - وأما مؤخرة الآية فقوله تعالى ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ومعناه : عاد إلى الكلام المتقدم ، وهو استحلال الربا .

ج - و الإنسان الذي انتهى عن استحلال الربا ، إن انتهى أيضاً عن أكل الربا ، كان هذا الشخص مقراً بدين الله عالماً بتكليف الله ، فحينئذ يستحق المدح والتعظيم والإكرام ، لكن قوله تعالى ﴿وَأْمُرُهُدْ إِلَى اللَّهِ﴾ ليس كذلك ، لأنه يفيد أنه تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، فثبت أن هذه الآية لا تليق بالكافر ولا بالمؤمن المطيع ، فلم يبق إلا أن يكون مختصاً بمن أقر بجرمة الربا ثم أكل الربا فههنا أمره الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وهو كقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

^{٧٥} راجع : الآلوسي ، روح المعاني : ٥١/٣ .

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ^{٧٦} ، فيكون ذلك دليلاً ظاهراً على صحة القول أن العفو من الله مرجو .

د - أما قوله تعالى ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فالعنى : ومن عاد إلى استحلال الربا حتى يصير كافراً . و الدليل على كفره قاطع في أن الخلود لا يكون إلا للكافر لأن قوله تعالى : ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يفيد الحصر فيمن عاد إلى قول الكافر وكذلك قوله : ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يفيد الحصر ، وهذا يدل على أن كونه صاحب النار ، وكونه خالداً في النار لا يحصل إلا في الكفار .

هـ - و قولهم بتأويل الآية ﴿فَأَنْتَهُيْ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي : (صُفِحَ لَهُ عَمَّا مَضَى مِنْ ذَنْبِهِ مِنْ قَبْلِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ^{٧٧}) ، وهو كقوله تعالى : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ^{٧٨}﴾ ، فهذا التأويل ضعيف لأنه قبل نزول الآية في التحريم لم يكن ذلك حراماً ولا ذنباً ، فكيف يقال المراد من الآية الصّفح عن ذلك الذنب مع أنه ما كان هناك ذنب ، والنهي المتأخر لا يؤثر في الفعل المتقدم ولأنه تعالى أضاف ذلك إليه بلام التمليك ، وهو قوله تعالى ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ فكيف يكون ذلك ذنباً .

تحليل الآراء

إن الطائفة الأولى من المفسرين تابعة في أكثر الأحوال لقول الزمخشري أن المراد من

^{٧٦} سورة النساء ، الآية : ٤٨ و ١١٦ .

^{٧٧} الكلام الذي بين القوسين هو قول كثير من المفسرين ، وقد ذكر هذا القول في الوجه الأول ، إلا أن الرازي أنكره بالأدلة القوية التي نحن فيها .

^{٧٨} سورة الأنفال ، الآية ٣٨ .

الآية : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾
 ، أي : فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهاي عن الربا فتبع النهي وامتنع فلا يؤخذ
 بما مضى منه ، لأنه أخذ قبل نزول التحريم ، وليس من أمره إليكم شيء فلا
 تطالبوه به و يحكم الله في شأنه يوم القيامة ، ففي هذا القول شبهتان :
 الشبهة الأولى : الإنسان الذي انتهى عن استحلال الربا و أكله ، فحينئذ يستحق
 المدح والتعظيم والإكرام ، و لو اعتبرنا قولهم لفسد المراد لأن قوله تعالى :
 ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يفيد أنه تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، والأمر ليس
 كذلك كما هو ظاهر من قولهم ، فبقي الاعتراض على عكس المعنى .

الشبهة الثانية : جعل الزمخشري الربا متعلق لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ، أي : من أكل الربا بعد نزول التحريم
 فهو من أصحاب النار و يخلد فيها ، فاستدل بالآية على تخليد مرتكب الكبيرة وهو
 جارٍ على مذهبه الاعتزالي^{٧٩} في : أن الفاسق يخلد في النار أبداً ولا يخرج منها .
 وأما الطائفة الثانية من المفسرين وعلى رأسهم الرازي على رأي أن هذه الآية
 مختصة بمن ترك استحلال الربا من غير بيان أنه ترك أكل الربا ، أو لم يترك ، فلا
 مانع من قبول قوله هذا إلا أن أحد أدلته في شبهة شديدة و هو قوله : " قبل نزول
 الآية في التحريم لم يكن الربا حراماً ولا ذنباً ، فكيف يقال المراد من الآية الصفح
 عن ذلك الذنب مع أنه ما كان هناك ذنب^{٨٠} . ويكفي في بطلانه أن المعاصي
 الكثيرة مثل الشرك و القتل و الزنا وغير ذلك و الربا من بينها ، كانت جارية في
 الجاهلية و لما بُعث النبي ﷺ نهى الله سبحانه و تعالى بالوحي من ارتكابها . و ليس

^{٧٩} من الملاحظ أن أبا حيان أخذ الزمخشري على اعتزاله في هذه المسألة ، راجع : البحر المحيط :

أحد من يستدل بجواز تلك المعاصي بوجودها في الجاهلية قبل الوحي ، فالعصيان عصيان مهما كان قبل الوحي أو بعده إلا أن نهيه يأتي بالوحي .

القول الراجح : وقول الألووسي راجح أي : إن انتهى بعد التحريم باستحلال الربا فأمره إلى الله إن شاء عصمه من الربا فلم يأكل وإن شاء لم يفعل ، ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ ، أي : رجع إلى ما سلف ذكره من فعل الربا واعتقاد جوازه والاحتجاج عليه بقياسه على البيع وهو الجمع بين البيع و الربا باعتبار المعنى : ﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، أي : ماكنون أبداً لكفرهم .

المبحث التاسع : تعظيم رابطة القرابة و حق الرحم

قد حثَّ الله سبحانه و تعالى الناس على تعظيم رابطة القرابة و حقَّ الرحم فقال : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ^{٨١} ﴾ .

اختلاف القرآت في الآية

قد وقع اختلاف القرآت في ﴿ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ، فمن قرأه بالنصب ، عطفه على اسم الله تعالى ، وتقديره : واتقوا الله و اتقوا الأرحام أن تقطعوها ، و من قرأه بالجر ، عطفه على الضمير المجرور في : ﴿ بِهِ ﴾ ، و تقديره : و تساءلون بالأرحام ، و أورد علماء اللغة شبهات ^{٨٢} على القراءة بالجر و لكن لا يهمننا الأمر لتلك الأبحاث اللغوية ، ونبحث عن موضوعنا الإيجاز الذي وقع في الآية بناء على قراءة الجمهور.

^{٨١} سورة النساء ، الآية : ١ .

^{٨٢} من تلك الشبهات قول أكثر النحويين أنه لا يجوز العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار ، لأن المضمرة المجرور كالتنوين و لا يعطف على التنوين . وشنع من شنع على أصحاب القراءة بالجر و منهم أبو العباس المبرد الذي قال لا تحل القراءة بها ، و لو قرأ الإمام بهذه القراءة لأخذت نعلي و خرجت من الصلاة ، ولكن قوله هذا ليس بصحيح لشدته و غلوه ، و خير كلام في هذا ، قول جوازها ، لأنها قراءة من القرآت السبعة المتواترة عن رسول الله ﷺ . و مع ذلك توجيه هذه القراءة ثابتة من جهة قول =

الحذف في الآية بناء على قراءة الجمهور

فسر المفسرون الآية على قراءة الجمهور برعاية حذف المضاف على المعنى المصدرى كما قال ابن عاشور : " فعلى قراءة الجمهور يكون الأرحام مأموراً بتقواها على المعنى المصدرى أي : اتقائها ، وهو على حذف مضاف ، أي : اتقاء حقوقها ، فهو من استعمال المشترك في معنييه^{٨٣} . " وكذلك قال أبو حيان : فأما النصب فظاهره أن يكون معطوفاً على لفظ الجلالة ، ويكون ذلك على حذف مضاف تقديره : واتقوا الله ، وقطع الأرحام ، والجامع بين تقوى الله وتقوى الأرحام هذا القدر المشترك ، وهو من باب عطف الخاص على العام ، لأن المعنى : واتقوا الله أي اتقوا مخالفة الله . وفي عطف الأرحام على اسم الله دلالة على عظم ذنب قطع الرحم^{٨٤} .

المعاني المصدرية برعاية الحذف و تثبتها في الكتاب و السنة :

المراد بالرحم الأقارب ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب وإن بُعد ، وورد الأمر بالإحسان إلى الأقارب مطلقاً ، فالآية ترشد الناس إلى تقوى الله في حقوق الأرحام لأن العلاقات الثنائية بين ذوي الأرحام أجدر للمحافظة عليها و لأن المتصرفين في أموال اليتامى في غالب الأحوال هم أهل قرابتهم . و قد كثر ورود الأمر بصلة الأقارب و مودتها في الكتاب و السنة ، الذي يؤيد قراءة الجمهور في تأييد المراد بصلة الأرحام و أما ما جاء في الكتاب المجيد فمنها :

=العرب لأنها جاءت تعظيماً لشأن الأرحام كما روي في الصحيح أن النبي ﷺ ، حين قرأ على عتبة بن ربيعة سورة فصلت حتى بلغ : ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود﴾ فأخذت عتبة رهبة و قال : ناشدتك الله و الرحم . [راجع : الألوسي ، روح المعاني : ٤/١٨٤-١٨٥ ، وابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٤/٢١٧-٢١٨ .

^{٨٣} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٤/٢١٧-٢١٨ .

^{٨٤} أبو حيان ، البحر المحيط : ٣/١٦٥ ، (ملخص) .

أ - ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ^{٨٥} ﴾ .

ب - ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ ^{٨٦} ﴾ .

ج - ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ^{٨٧} ﴾ .

د - ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ^{٨٨} ﴾ .

و أما ما جاء في الأحاديث فمنها :

أ - { إِنَّ هَذِهِ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ^{٨٩} } .

ب - { إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ تَقُولُ يَا رَبِّ إِنِّي قُطِعْتُ يَا رَبِّ إِنِّي أُسِيءُ إِلَيْكَ يَا رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ يَا رَبِّ يَا رَبِّ قَالَ فَيَجِيبُهَا أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ^{٩٠} } .

ج - { وَمَا مِنْ طَاعَةٍ لِلَّهِ شَيْءٌ أَعْجَلُ ثَوَابًا مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ ، وَمِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٌ أَعْجَلُ عَقُوبَةً مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ ^{٩١} } .

فبناء على هذه الأدلة النقلية ، اتضح أن عطف ﴿ الْأَرْحَامَ ﴾ على اسم الله قريب من مراد الشارع ، و المعنى المصدرى الذي يظهر بتقدير المحذوف تشدُّه الآيات القرآنية و الأحاديث الكثيرة ومن بينها هذه النصوص التي تبين أهمية الصلة

^{٨٥} سورة الإسراء ، الآية : ٢٣ .

^{٨٦} سورة البقرة ، الآية : ٨٣ .

^{٨٧} سورة الشورى ، الآية : ٢٣ .

^{٨٨} سورة محمد ، الآية : ٢٢ .

^{٨٩} أحمد بن حنبل، مسند ، باب سعيد بن زيد: ١/١٩٠، الطبعة الأولى ، ١٩٦٩م، دار صادر، بيروت.

^{٩٠} أحمد بن حنبل ، مسند ، باب أبي هريرة : ٢/٣٨٣ .

^{٩١} عبد الرزاق ، المصنّف ، كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي ، باب صلة الرحم ، ١١/١٧٠ ،

تحقيق : حبيب الرحمان الأعظمي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت.

بالأرحام و تنتهي من كلام ابن العربي حيث يقول في : ﴿ الأَرْحَامُ ﴾ معناه اتَّقُوا اللَّهَ أَنْ تَعْصُوهُ ، وَاتَّقُوا الأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا ، وقد اتفقت الملة أن صلة ذَوِي الأَرْحَامِ واجبة وأن قطيعتها محرمة^{٩٢} .

المبحث العاشر : المحارم من النساء

قد بين الله سبحانه وتعالى المحارم من النساء في القرآن المجيد بقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ.....^{٩٣} ﴾ .

إن الله تعالى جمع في هذه الآية أحكاما كثيرة لا يستطيع الخلق كله أن يأتي مثل هذا الكلام الموجز قليل الألفاظ كثير المعاني ، وهو أنه تعالى نص على تحريم أربعة عشر صنفا من النساء : سبعة منهن من جهة النسب ، وهن الأمهات والبنات^{٩٤} والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت . وسبعة أخرى لا من جهة النسب : الأمهات من الرضاعة والأخوات من الرضاعة وأمهات النساء وبنات النساء بشرط أن يكون قد دخل بالنساء ، وأزواج الإبناء والآباء ، إلا أن أزواج الأبناء مذكورة ههنا ، وأزواج الآباء مذكورة في الآية المتقدمة ، والجمع بين الأختين وهذا دليل على كلام الخالق المعجز بوجازته . إنه خارج عن موضوعنا أن نبحث الآية بتمامها وبذلك نتناول منها ما يهْمُنَا من جهة الإيجاز البلاغي .

^{٩٢} ابن العربي ، أحكام القرآن : ٣٠٧/١ ، (ملخص) .

^{٩٣} سورة النساء ، الآية : ٢٣ .

^{٩٤} إن استعمال كلمتي الأمهات و البنات في هذه الآية من الإعجاز القرآني بما فيهما الإيجاز البلاغي لأنه ثبت من الإجماع أن كلمة الأمهات تشمل الجدات من جهة الأب و الأم و إن علون لأن الأم تطلق على الأم المباشرة و الجدة من باب المشترك المعنوي و كذلك كلمة البنات تشمل بنات الأولاد و إن سفلن ، راجع : وهبة الزحيلي ، التفسير المنير : ٦٥٣/٢ .

الحذف في الآية

لقد وقع حذف المضاف في الآية و أُقيم المضاف إليه مقامه ، تقديره : حُرِّمَتْ عليكم نكاح أمهاتكم .

أدلة الحذف في الآية و اختلاف البلاغيين

اختلف علماء البلاغة في تسمية الدليل على الحذف في مثل هذه الآية و هم على مذهبين :

المذهب الأول : من أدلة الحذف أن يدل العقل على الحذف و المقصود الأظهر على تعيين المحذوف كما في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ ، فإن العقل يدل على أن في الآية حذفاً لأن الأحكام الشرعية إنما تتعلق بأفعال المكلفين دون الذوات ، وهذا مذهب القزويني و التفنازاني^{٩٥} .

المذهب الثاني : من أدلة الحذف العقل حيث تستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير المحذوف كما في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ ، فإن العقل يدل على أصل الحذف من غير دلالة على تعيينه ، و أما تعيينه و هو النكاح ، فمستفاد من دليل آخر و هو الشرع لأنه قد تقدم ما يدل عليه وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾^{٩٦} .

تحليل أدلة المذهبيين

قد اتضح لنا في ظاهر الأمر أن الفرق بين المذهبيين في أدلة الحذف بسيط ، ولكن لو يُنحصر على العقل كلياً في تعيين المحذوف كما قاله أصحاب المذهب الأول فمن الممكن أن يقع الفساد في التفسير و يشتد الأمر و أما أدلة أصحاب المذهب الثاني فليس فيه إمكان الفساد في تعيين المحذوف حسب آرائهم لأنه ما كانت

^{٩٥} راجع : القزويني ، الإيضاح ، ص : ١٩٤ ، و التفنازاني ، مختصر المعاني ، ص : ٢٨٩ .

^{٩٦} سورة النساء ، الآية : ٢٢ .

دعوتهم للانحصار على العقل كلياً بل هم ينحصرون على العقل و على الشريعة معاً في تعيين المحذوف و ذلك الطريق محمود^{٩٧} .

أثر رعاية الحذف و عدمها في الأحكام

اتفق المفسرون على أنه وقع الحذف في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ... ﴾ ، فمنهم الزمخشري الذي يقول : " معنى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ... ﴾ تحريم نكاحهن لقوله : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ولأن تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ، ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله^{٩٨} .

وكذلك منهم من قال : "وتعلق التحريم بأسماء الذوات يُحمل على تحريم ما يُقصد من تلك الذات غالباً فنحو : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ ... ﴾ ، معناه حُرِّمَ أكلها ، ونحو : حُرِّمَ اللهُ الخمر ، أي : شربها ، وفي ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ معناه تزوجهن^{٩٩} " .

^{٩٧} هذا تحليل للمذهبيين المشهورين في أدلة الحذف و تعيين المحذوف ، إلا أنه هناك مذهب ثالث الذي يعتبر دلالة العقل على الحذف و يعتبر العرف الغالب في الإستعمال على تعيين المحذوف ، وأصحاب هذا المذهب يرون أن في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَحُمُ الْخَنزِيرِ... ﴾ قد دل العقل على أن في النظم الكريم شيئاً محذوفاً و العرف الغالب في استعمال هذا الكلام يرجح تقدير : تناولها ، لأنه أشمل و أدل على المقصود بالتحريم من أيّ تقدير آخر . [بحوث في علم المعاني ، لعبد الجواد محمد طيب و عبد الحميد محمد العيسوي ، ص : ١٩١ .] فمن الملحوظ أنه لا فرق بينه و بين المذهب الأول ، والشئ الذي يسمونه أصحاب المذهب الأول باسم المقصود الأظهر فيسمونه أصحاب هذا المذهب باسم العرف الغالب ، فالفرق في الاسم لا في المسمى و يرد عليه نفس الاعتراض الذي يرد على الأول .

^{٩٨} الزمخشري ، الكشاف : ٥٢٥/١ .

^{٩٩} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٢٩٤/٤ .

ومن المفسرين مَنْ قال : " ليس المرادُ تحريمَ ذواتهن بل تحريمَ نكاحهن وما يُقصد به من التمتع بهن^{١٠٠} " .

و قال البيضاوي مثله : " ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لأنه معظم ما يقصد منهن ، ولأنه المتبادر إلى الفهم كتحريم الأكل من قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ ﴾ ولأن ما قبله وما بعده في النكاح^{١٠١} " .

فرأينا أن هذه الفئة من المفسرين استدلوا على الحذف في تفسير هذه الآية و لو بالإشارة لأنه ليس لأحد أن يتعين المراد بدون رعاية الحذف في مثل هذه المواضع .
ومع ذلك هناك كثير من المفسرين الذين قدّروا الحذف في الآية بالتعيين .

فمثلا منهم الآلوسي الذي ينكر قول الإجمال في الآية فيقول : " ليس المراد تحريم ذواتهن لأن الحرمة وأخواتها إنما تتعلق بأفعال المكلفين ، فالكلام على حذف مضاف بدلالة العقل ، والمراد تحريم نكاحهن لأنه معظم ما يقصد منهن ولأنه المتبادر إلى الفهم ولأن ما قبله وما بعده في النكاح ، ولو لم يكن المراد هذا كان تخلل أجنبي بينهما من غير نكتة فلا إجمال في الآية^{١٠٢} " .

و كذلك ردّ أبو حيان على من قال أن هذه الآية مجملة فينكر هذا القول و يقول : "وليس هذا من الحمل ، بل هذا مما حذف منه المضاف لدلالة المعنى عليه . لأنه إذا قيل : حرم عليك الخمر ، إنما يفهم منه شربها . وحرمت عليك الميتة أي : أكلها . وهذا من هذا القبيل ، فالمعنى : نكاح أمهاتكم . ولأنه قد تقدم ما يدل عليه وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾^{١٠٣} " . فمن المفروض

^{١٠٠} أبو سعود، تفسير أبي سعود: ١٦٠/٢ .

^{١٠١} البيضاوي، أنوار الترتيل و أسرار التأويل : ٢١١/١-٢١٢ .

^{١٠٢} راجع : الآلوسي ، روح المعاني : ٢٤٩/٤ .

^{١٠٣} أبو حيان ، البحر المحيط : ٢١٨/٣ .

أنه لابد للمفسر أن يتقي من التفسير المذموم و التأويل الباطل وذلك لا يُحْصَل عليه في مثل هذه الآيات إلا برعاية الحذف ، و من لم يرعه لم يسلم من فساد المعنى بل وقع في الأودية المظلمة العميقة لا سبيل له إلى الخروج منها .

المبحث الحادي عشر : ميراث الكلاله و أحكامها

آية ميراث الكلاله من أصعب الآيات ، في فهم المراد و في استنباط الأحكام . و جدير بالذكر أن الله سبحانه و تعالى ذكر ميراث الكلاله مرتين ، مرة في أول سورة النساء بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَوَلَدًا أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ ١٠٤ ﴾ ، و أنزلت هذه الآية في الشتاء ، و بذلك تُسمى آية الشتاء ١٠٥ ، و الأخرى في الصيف وهي : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وُلْدٌ وَوَلَدٌ لِأُخْتٍ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وُلْدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ١٠٦ ﴾ يبين الله لكم أن تضلوا ١٠٧ و الله بكل شئ عليم ١٠٨ ، و بذلك تسمى هذه الآية ، آية الصيف .

الصعوبة في فهم المراد و الإيجاز في الآيتين

كما ذكر أن آية ميراث الكلاله أصعب الفهم ، و سبب الصعوبة فيها هو اختلاف المفسرين و الفقهاء في تعيين المحذوف و إطلاق اسم الكلاله على الوارث و الموروث

١٠٤ سورة النساء ، الآية : ١٢ .

١٠٥ راجع : البغوي ، معالم التنزيل : ٤٠٤/١ ، إدارة التأليفات أشرفية ، ملتان ، و محمد شمس الحق ،

عون المعبود : ٦٩/٨ ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٠٦ سورة النساء ، الآية : ١٧٦ .

معا. وقبل أن نبحت في تعيين المحذوف و في فهم المراد من اسم الكلالة ، أنسب أن نفهم معنى الكلالة لغة و اصطلاحا .

الكلالة لغة و اصطلاحا

الكلالة في اللغة : مصدر بمعنى الكلال : وهو التعب وذهاب القوة من الإعياء ، أو هو مشتق من الإكليل : بمعنى الإحاطة : من تكلله أحاط به . قال ابن منظور : "كَلَّ يَكِلُّ كَلًّا وَكَلَالًا وَكَلَالَةً وَالْكَلُّ قَفَا السِّيفِ وَالسَّكِينُ الَّذِي لَيْسَ بِحَادٍّ وَكَلَّ السِّيفُ وَالْبَصْرُ وَغَيْرَهُ مِنَ الشَّيْءِ الْحَدِيدِ يَكِلُّ كَلًّا وَكَلَّةً وَكَلَالَةً وَكُلُولَةٌ وَكُلُولًا وَكَلَّلَ فَهُوَ كَلِيلٌ وَكَلٌّ لَمْ يَقْطَعْ وَ الْكَلِيلُ السِّيفُ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ وَالْكَالَّةُ الرَّجُلُ الَّذِي لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ وَيُقَالُ هُوَ مَصْدَرٌ مِنْ تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ أَي : تَطَرَّفَهُ كَأَنَّهُ أَخَذَ طَرَفِيهِ مِنْ جِهَةِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمَا أَحَدٌ فَسُمِيَ بِالمَصْدَرِ"^{١٠٧}

أما في الاصطلاح : فقد اختلف أهل العلم في المراد من الكلالة فقيل : الكلالة اسم للورثة ما عدا الوالدين والأولاد ، وقالت طائفة : الكلالة اسم للميت الذي لا والد له ولا ولد ، فالأب والابن طرفان للميت فإذا ذهب تكلله النسب أي : أطافوا بالميت من جوانبه ، و قال البخاري : " الْكَلَالَةُ مَنْ لَمْ يَرِثْهُ أَبٌ أَوْ ابْنٌ وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ"^{١٠٨} .

قال الرَّاغِب : إن الكلالة مصدر يجمع الوارث والموروث جميعا^{١٠٩} .

فاسم الكلالة إن وقع على الوارث فهو من سوى الوالد والولد ، وإن وقع على الموروث فهو الذي مات ولا يرثه أحد الوالدين ولا أحد من الأولاد .

^{١٠٧} ابن منظور ، لسان العرب : ١١/٥٩١-٥٩٢ ، (مادة : كلل) .

^{١٠٨} البخاري ، الجامع الصحيح : ١٤/١١٧ ، كتاب التفسير ، باب ، قل الله يفتيكم في الكلالة .

^{١٠٩} الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن : ٤٣٩ .

أثر رعاية الحذف و عدمها في فهم المراد من آية الشتاء^{١١٠}

إن في حكم إرث الكلاله حسب قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ^{١١١}﴾ ، قد وقع الحذف فيه تقديره : وله أخ أو أخت أم ، ويدل على هذا الحذف دليلان منهما :

الدليل الأول : لأن الفرض هنا الثلث أو السدس و هو فرض الأم ، فناسب أن يكون هذا فرض الإخوة الذين هم الإخوة لأم ، و أما الإخوة الأشقاء أو لأب ، فلهم المال كله إن انفردوا ، و الأخت لها النصف كما سيأتي حكمهم في آخر سورة النساء بقوله تعالى : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ^{١١٢} إِنْ أَمْرٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ^{١١٣}﴾ .

الدليل الثاني : إن المراد بالأخ و الأخت في آية الشتاء هم الإخوة لأم و تؤيده قراءة سعد بن أبي وقاص^{١١٢} : " وله أخ أو أخت من أم " . وذكر الرازي أنه حصل إجماع المفسرين على هذا ، إذ يقول : " أجمع المفسرون ههنا على أن المراد من الأخ والأخت : الأخ والأخت من الأم ، وكان سعد بن أبي وقاص يقرأ : وله أخ أو أخت من أم ، فأثبت للأختين الثلثين ، وللإخوة كل المال ، وههنا أثبت للإخوة

^{١١٠} المراد من آية الشتاء ، آية رقم : ١٢ من سورة النساء كما مرّ سبب تسميتها بهذا الاسم .

^{١١١} سورة النساء ، الآية : ١٢ .

^{١١٢} هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري (المتوفى : ٥٥ هـ) الصحابي الشهير ، فاتح العراق ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ويقال له : فارس الإسلام . أسلم وهو ابن ١٧ سنة ، وشهد بدرًا ، وافتتح القادسية ، ومات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة وحمل إلى المدينة على أعناق الرجال ودفن بالبقيع وصلى عليه مروان بن الحكم ، راجع : ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ٢/١٨-٢٥ ، وابن حجر العسقلاني ، الإصابة في معرفة الصحابة : ٢/٣٠-٣٢ ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١/٩٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

^{١١٣} الرازي ، التفسير الكبير : ٩/٢٢٢ .

والأخوات الثلث ، فوجب أن يكون المراد من الإخوة والأخوات ههنا غير الإخوة والأخوات في تلك الآية ، فالمراد ههنا الإخوة والأخوات من الأم فقط ، وهناك الإخوة والأخوات من الأب والأم ، أو من الأب ^{١١٤} .

فأبنا أنه لو لم يُرَع بتقدير المحذوف في الآية مثل ما ذكر لأصعب التطبيق بين الآيتين في حكم الكلالة أي : آية الشتاء و آية الصيف .

أثر رعاية الحذف و عدمها في فهم المراد من آية الصيف ^{١١٥}

كذلك في حكم إرث الكلالة حسب قوله تعالى : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْراً هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وُلْدٌ وَلَهُدْ أختٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾ ، قد وقع الحذف في هذا القول تقديره : وله أخت شقيقة أو أخت لأب ، و أما الإخوة و الأخوات لأم ففيهم نزلت الآية السابقة في صدر السورة يُقال لها آية الشتاء ، و قال ابن عاشور مثل ذلك في تفسيره إذ يقول : " والمراد بالأخت هنا الأخت الشقيقة أو التي للأب في عدم الشقيقة بقرينة مخالفة نصيبها لنصيب الأخت للأم المقصودة في آية الكلالة الأولى ، و بقرينة قوله تعالى : ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا ﴾ لأن الأخ للأم لا يرث جميع المال إن لم يكن لأخته للأم ولدٌ ، إذ ليس له إلا السدس ^{١١٦} .

وقد ذكر الدكتور وهبة الزحيلي ^{١١٧} أنه وقع الإجماع على هذا إذ يقول :

^{١١٤} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٢٢٢/٩ .

^{١١٥} المراد من آية الصيف ، آية رقم : ١٧٦ من سورة النساء كما مرّ سبب تسميتها بهذا الاسم .

^{١١٦} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٦٦/٦ .

^{١١٧} هو وهبة بن مصطفى الزحيلي ولد بدير عطية ريف دمشق سنة ١٩٣٢م ، دكتوراه في الشريعة الإسلامية و مدرس في الكلية الشريعة بدمشق ، له كثير من المؤلفات أهمها : الوسيط في أصول الفقه ، و الفقه الإسلامي و أدلته ، و تفسير منير و غيرها ، انظر ترجمته : عبدالقادر عياش ، معجم المؤلفين السوريين : ٢١٩ ، الطبعة الأولى دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٥م ، و الدكتور بديع السيد اللحام ، وهبة الزحيلي العالم و الفقيه و المفسر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م ، دار القلم ، دمشق .

"والمقصود بالأخت هنا : الأخت الشقيقة أو لأب ، أما الأخت لأم فقد بيّن الله حكمها في أول السورة بالإجماع^{١١٨} . ويدل على هذا الحذف قولُ أبي بكر رضي الله عنه أنه قال في خطبة له : { "ألا أن الآية التي أنزلها الله في سورة النساء في الفرائض ، فأولها : في الولد والوالد ، وثانيها : في الزوج والزوجة والإخوة من الأم ، والآية التي ختم بها سورة النساء أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم^{١١٩} } .

فأينما أنه لو لم يُرَع في الآية رعاية الحذف لوقع التعقيد المعنوي فيها ، فمن الممكن أن يفهم واحد من ظاهر الآية أنه إذا لم يكن للميت ولد فإن الأخت تأخذ النصف وليس كذلك ، بل الشرط أن لا يكون للميت ولد ولا والد ، وذلك أن الأخت لا ترث مع الوالد بالإجماع^{١٢٠} .

فهذه المعاني التي تُفهم من التفاسير المشهورة في تفسير آية ميراث الكلالة ، والأمر الملحوظ فيها أن الاستنباط لكل هذه المعاني في حكم الاجتهاد و ليس بأمر قطعي لأنه كما قيل سابقا أنها من أشكال الآيات في تعيين المراد منها استنباطا حتى أشكل حكم الكلالة على عمر رضي الله عنه ، فروي : { "خَطَبَ عُمَرُ رضي الله عنه عَلَى مَنبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ أَلَا وَإِنَّ الْخَمْرَ نَزَلَ تَحْرِيمُهَا يَوْمَ نَزَلَ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالْتَّمْرِ وَالزَّبِيبِ وَالْعَسَلِ وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ وَثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ ، وَدَدْتُ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ عَهْدَ إِلَيْنَا فِيهَا الْجَدُّ وَالْكَالَّةُ وَأَبْوَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرَّبِّ ^{١٢١} } .

^{١١٨} وهبة الزحيلي ، التفسير المنير : ٤٠٥/٣ ، مكتبة رشيدية ، كوتة ، باكستان ، د . ت .

^{١١٩} قد نُقل هذا القول لأبي بكر رضي الله عنه في التفاسير ، راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١٢١/١٦ ، و

أبا السعود ، تفسير أبي السعود : ٢٦٤/٢ ، وأبا حيان ، البحر المحيط : ٤٢٢/٣ .

^{١٢٠} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١٢٠/١١-١٢٢ ، (ملخص) .

^{١٢١} المسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب التفسير ، باب في نزول تحريم الخمر ، ص : ١١٥٦ ، و الرواية الأخرى في هذا المفهوم " أن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، خَطَبَ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَذَكَرَ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ إِنِّي لَأَدْعُ بَعْدِي شَيْئًا أَهَمُّ عِنْدِي مِنَ الْكَالَةِ مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي شَيْءٍ مَا =

فهذا البحث كان في أهمية الحذف و أثر رعايته و عدمه في أمر الكلالة ، و أما ما وقع الحذف في آخر سورة النساء فلا مشكلة في تعيينه ، إلا أن عدم رعاية الحذف يؤثر المعنى المطلوب في سياق الكلام ، فقال الله تعالى : ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا^{١٢٢}﴾ ، قد اتفق أهل اللغة و المفسرون على وقوع الحذف في هذا الشطر من الآية إلا أن النحاة من البصريين و الكوفيين على مذهبين في تعيين المحذوف .

مذهب البصريين في تعيين المحذوف

قال البصريون^{١٢٣} : إن المضاف هاهنا محذوف وتأولوا الآية على تقدير المضاف يدل عليه السياق و هو المفعول لأجله ، أي : كراهة أن تضلوا .

مذهب الكوفيين في تعيين المحذوف

و ذهب الكوفيون^{١٢٤} إلى أن حرف النفي محذوف ، تقديره : يبين الله لكم لئلا تضلوا ، ونظيره قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا^{١٢٥}﴾ ، أي : لئلا تزولا .

تحليل الآراء في تقدير المحذوف و أثر عدم رعاية الحذف فيها

قد اتضح من البيانات السابقة أن الجمهور من النحاة و المفسرين اتفقوا على وقوع الحذف في الآية إلا باختلاف بسيط في تعيين المحذوف الذي لا يؤثر في المعنى المراد .

= راجعته في الكلالة وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه حتى طعن بإصبعه في صدري وقال يا عمر أألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء . [نفس المصدر ، كتاب الفرائض ، باب ميراث الكلالة ، ص : ٦٢٧] .

^{١٢٢} سورة النساء ، الآية : ١٧٦ .

^{١٢٣} من النحاة البصريين المبرّد الذي على هذا الرأي ، راجع : تفسير أبي السعود : ٢٦٤/٢ .

^{١٢٤} من النحاة الكوفيين الكسائي و الفراء الذين على هذا الرأي ، راجع : أبا السعود ، تفسير أبي

السعود : ٢٦٤/٢ .

^{١٢٥} سورة فاطر ، الآية : ٤١ .

وأما إذا لم يُرَع في الآية رعاية الحذف مطلقا ، فتغيّر المعنى المراد لأن الله تعالى لا يريد الضلالة للعباد بل هو يريد الهداية لهم ، وهذا واضح من سياق الكلام كل الوضوح ، والذين قالوا أنه ليس هناك حذفٌ ولا تقديرٌ فلا اعتبار لقولهم هذا عند الجمهور من المفسرين^{١٢٦} .

المبحث الثاني عشر : عدة اليائسة و الصغيرة

قال الله سبحانه و تعالى في القرآن المجيد : ﴿وَأَلَّتِي يَيْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ آرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَأَلَّتِي لَمْ يَحْضَنْ^{١٢٧}﴾ .

الحذف و التقدير في الآية

قد بيّن الله تعالى هنا مقدار عدة اليائسة و الصغيرة اللتين لا تريان الدم ، فبيّن عدة اليائسة صريحا بقوله تعالى : ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ﴾ ، وبيّن عدة الصغيرة بإيجاز الحذف عطفًا على عدة اليائسة ، فحذف الخبر من قوله تعالى : ﴿وَأَلَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾ ، تقديره : فعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أشهر أيضا ، إذا قُدِّرَت الجملة ، و أما إذا قُدِّرَ المفرد ، فالتقدير : مثلهن .

الدليل على الحذف و تقدير المحذوف و سبب حذفه

من أدلة الحذف العقل ، حيث تستحيل صحة الكلام عقلا إلا بتقدير محذوف كما في هذه الآية : ﴿وَأَلَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾ ، فإن العقل يدل على أصل الحذف من غير الدلالة على تعيينه و أما تعيينه ، فمستفاد من دلالة المذكور من قبل و السبب في حذفه الاحتراز عن العبث لدلالة الأول عليه .

^{١٢٦} راجع : ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٦٧/٦ .

^{١٢٧} سورة الطلاق ، الآية : ٤ .

الحذف في الآية و فقه الأحكام منه

أ - قد ثبت من الآية صحة طلاق الصغيرة التي لم تحض ، والطلاق لا يقع إلا في نكاح صحيح ، فتضمنت هذه الآية جواز تزويج الأب الصغيرة ، ويدل عليه السيرة المطهرة أن النبي ﷺ تزوج عائشة وهي بنت ست سنين ، زوجها إياه أبو بكر الصديق رضي الله عنه^{١٢٨} .

ب - و ثبت أيضا أن لا فرق في حكم مُطلقة قد وطئها أجنبي بشبهة و بين من لم تُوطأ ، فافتضى ذلك أن تكون عدتها ثلاثة أشهر في الوجهين جميعاً^{١٢٩} .

المبحث الثالث عشر : أصول الأخلاق الإجتماعية

إن في القرآن آية جمعت مكارم الأخلاق حتى قال جعفر الصادق عليه السلام^{١٣٠} أنه ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية^{١٣١} : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^{١٣٢} .

^{١٢٨} راجع : الجصاص ، أحكام القرآن : ٥٤/٢ .

^{١٢٩} الجصاص ، أحكام القرآن : ٤٢٦/١ ، (ملخص) .

^{١٣٠} هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٨٠ - ١٤٨) هـ ، الهاشمي القرشي ، أبو عبد الله ، الملقب بالصادق : سادس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية . كان من أجلاء التابعين . وله منزلة رفيعة في العلم . أخذ عنه جماعة ، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك . ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط ، وله أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئاً عليهم صداعاً بالحق . له (رسائل) مجموعة في كتاب يقال إن جابر بن حيان قام بجمعها . مولده ووفاته بالمدينة ، راجع :

وفيات الاعيان ١ : ١٠٥ ، والأعلام للزركلي ٢ / ١٢٦ .

^{١٣١} راجع : الزمخشري ، الكشاف : ١٧٩/٢ ، والرازي ، التفسير الكبير : ٩٦/١٥ ، و البغوي ، معالم التنزيل : ٢٢٥/٢ .

^{١٣٢} سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩ .

الإيجاز البلاغي في الآية

فهذه الآية الكريمة على قمة الفصاحة و البلاغة ، إذ وقع الإيجاز بالقصر فيها و بذلك أصبحت من جوامع الكلم ، وانطوى تحتها كثير من مكارم الأخلاق منها :

أ - الأخذ بالعفو

العفو في اللغة الصَّفْحُ ، وتركُ عقوبةِ المستحقِّ ، والمحو، والإمحاء، وأحلُّ المالِ وأطيبه، وخيارُ الشيءِ وأجودُه، والفضلُ، والمعروفُ^{١٣٣} ، و هو فعول من العفو وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله المحوُّ والطُّمس وهو من أبنية المبالغة يقال عفا يعفو عفواً فهو عافٍ وعفوٌّ^{١٣٤} .

و العفو في الإصطلاح الصَّفْحُ عمن أساء ، و الأخذ بالتسامح و الإغضاء في الحقوق ، والرفق و اللين في دعوة الدين و في كل الأمور . و كذلك قال الراغب : (خذ العفو) أي : ما يسهل قصده وتناوله ، وقيل معناه تعاطي العفو عن الناس ، وقوله : ﴿وَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْاَعْفُو^{١٣٥}﴾ أي : ما يسهل إنفاقه^{١٣٦} .

قد أمر الله سبحانه و تعالى بأخذ ما تيسر أخذه و تسهّل ، كالصفح عمن أساء ، والإغضاء في الحقوق ، واللين و الرفق في الأمور كلها عامة ، و في الدعاء إلى الدين خاصة كما وضحه العلوي بقوله : " العفو : الصفح عمن أساء ، و الرفق في كل الأمور ، والمسامحة و الإغضاء^{١٣٧}" . و قال السيوطي : "لأن في أخذ العفوالتساهل والتسامح في الحقوق واللين والرفق في الدعاء إلى الدين^{١٣٨}" . فبذلك

^{١٣٣} الفيروز آبادي ، القاموس المحيط : ٣٦٦/٤ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٢ م ،

(مادة : عفو) .

^{١٣٤} ابن منظور ، لسان العرب : ٧٢/١٥ (مادة : عفا) .

^{١٣٥} سورة البقرة ، الآية : ٢١٩ .

^{١٣٦} الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص : ٣٤٢ .

^{١٣٧} العلوي ، الطراز ، ص : ٢٦٢ .

^{١٣٨} السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١٠٧/٢ .

جُمعت المعاني الكثيرة في حكمه تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ ، كالسهل من أخلاق الناس و أعمالهم ، و يدخل فيه صلة الأرحام و العفو عن المذنبين ، و الرفق بالمؤمنين دون تكليفهم بما يشق عليهم ، و يشمل فيه ترك التشدد في الحقوق المالية ، و ترك الغلظة و الفظاظة من الأقوال في المعاملات .

ب - الأمر بالعرف

ثم أمر سبحانه و تعالى بالعرف و هو لغة : ع ر ف عرفه يَعْرِفُه بالكسر مَعْرِفَةً و عَرَفَانًا بالكسر . و المَعْرُوفُ ضدُّ المُنْكَرِ و العُرْفُ ضدُّ التُّكْرِ يُقَالُ أَوْلَاهُ عُرْفًا أي مَعْرُوفًا . و قيل أُرْسِلَتْ بِالْعُرْفِ أي المَعْرُوفِ . و العَارِفَةُ المَعْرُوفِ . و العَرِيفُ و العَارِفُ بمعنى كالعليم و العالم . و تَعَارَفَ القَوْمُ عَرَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^{١٣٩} . و المَعْرُوفُ اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه^{١٤٠} ، و إليه أشار العلوي تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ، " و في قوله تعالى صلة الأرحام ، و منع اللسان عن الكذب و الغيبة ، و غضَّ الطرف عن كل مُحَرَّمٍ و غير ذلك^{١٤١} " . و أما السيوطي فقال : " و في الأمر بالمعروف كف الأذى و غض البصر و ما شاكلهما من المحرمات^{١٤٢} " . فالمعروف - من العرف كما مرّ بنا - هو اسم جامع لكل خير من طاعة و برٍّ و إحسان إلى الناس . فهذا أيضا إعجاز كلامه سبحانه و تعالى الذي يفهم من رعاية الإيجاز .

ج - الإعراض عن الجاهلين : العرض خلاف الطول و أصله أن يقال في الاجسام ثم يستعمل في غيرها كما قال (فذو دعاء عريض) و العرض خص بالجانب و عرض الشيء بدا عرضه و عرضت العود على الاناء و اعترض الشيء في حلقة و وقف فيه

^{١٣٩} الرازي ، مختار الصحاح ، ص : ٤٧٢ ، (مادة : عرف) .

^{١٤٠} الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص : ٣٣٤ - ٣٣٥ .

^{١٤١} العلوي ، الطراز ، ص : ٢٦٢ .

^{١٤٢} السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن : ١٠٧/٢

بالعرض وإذا قيل أعرض عني فمعناه ولي مبديا عرضه قال (ثم أعرض عنها - فأعرض عنهم وعظهم - وأعرض عن الجاهلين - ومن أعرض عن ذكرى - وهم عن آياتها معرضون)^{١٤٣} ، و أما إذا دخل حرفٌ عَنَ بعدَ الإعراض فتحول معناه إلى غض البصر عن أمرٍ أو عن شيءٍ و نظائره في اللغة كثيرة ، و استعمله القرآن في هذا المعنى بقوله تعالى حكاية عن عزيز مصر : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا^{١٤٤}﴾ ، أي : اكنمه ولا تذكره .

وأما المعاني في قوله سبحانه و تعالى : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ، أي: أعرض عن السفهاء ، واحلم عنهم ، ولا تُكافئهم على أفعالهم ، وكذلك قال العلوي تشریحا عن قوله تعالى : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ، " وفي الإعراض عن الجاهل ، الصبرُ و الحلمُ ، و كظم الغيظ ^{١٤٥} " . و مثل ذلك من القول ما قاله السيوطي فيقول : " وفي الإعراض : الصبر والحلم ^{١٤٦} " . فمعنى ذلك أنه إذا تكلم الجاهل الأحقق بما يسوء الإنسان ، فليعرض عنه ، و يقابله بالعفو و الصفح لقوله تعالى : ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ^{١٤٧}﴾ . فهذه الآية و إن قلت ألفاظها ولكن كثرت معانيها وجمعت المكارم و المحاسن من الأخلاق الحسنة التي لا تُعد و لا تُحصى ، فبذلك قيل : ليس في القرآن آية أجمع من هذه الآية .

أمر الإمتثال بالآية للمسلمين و فقه الأحكام منها

قد جمعت المعاني المتكاثرة في هذه الآية حتى تمثلت في شخصية رسول الله ﷺ كل

^{١٤٣} الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص : ٣٣٣ .

^{١٤٤} سورة يوسف ، الآية : ٢٩ .

^{١٤٥} العلوي ، كتاب الطراز ، ص : ٢٦٢ .

^{١٤٦} السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن : ١٠٧/٢ . (التؤدة ، الثاني في الأمر ، راجع : لسان

العرب : ١٠١/٣ ، مادة : تود .)

^{١٤٧} سورة البقرة ، الآية ٢٣٧ .

هذه المفاهيم بل أزيدها التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى وهو يقول : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ^{١٤٨} ﴾ ، و يجب على أمته أن يتمثلوا بكل هذه المحاسن التي سنَّ بها رسول الله عليه الصلاة والسلام سنة في حياته الطيبة ، من حسن المعاملة وكريم العشرة ، و من جميل الأفعال و ألوان الخير ، و من الصبر على سوء أخلاقهم و غرض البصر عن سفاهتهم . و من المعلوم أن هذه الأوامر الخلقية ، وإن كان الخطاب فيها من الله تعالى لنبيه ﷺ ، فهو مع ذلك تأديب لجميع خلقه بواسطته .

غوص المفسرين في الآية و أخذ المفاهيم منها

إن المفسرين فسروا هذه الآية بالتفصيل و أخرجوا من بحر معانيها اللآلي الجميلة من المفاهيم و منهم الرازي الذي قال : العفو الفضل و ما أتى من غير كلفة . و الحقوق التي تستوفى من الناس و تؤخذ منهم ، إما أن يجوز إدخال المساهلة و المسامحة فيها ، و إما أن لا يجوز .

القسم الأول : فهو المراد بقوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ و يدخل فيه ترك التشدد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية ، و يدخل فيه أيضاً التخلق مع الناس بالخلق الطيب ، و ترك الغلظة و الفظاظة كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَأَنفَضُوكَ ^{١٤٩} مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ، و من هذا الباب أن يُدعى الخلق إلى الدين الحق بالرفق و اللطف ، كما قال الله سبحانه و تعالى : ﴿ وَجَدِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ ^{١٥٠} ﴾ .

القسم الثاني : وهو الذي لا يجوز دخول المساهلة و المسامحة فيه ، فالحكم فيه أن يأمر بالمعروف ، و العرف ، و العارفة ، و المعروف هو كل أمر عرف أنه لا بد من

^{١٤٨} سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

^{١٤٩} سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

^{١٥٠} سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

الإتيان به ، وأن وجوده خير من عدمه ، وذلك لأن في هذا القسم لو اقتصر على الأخذ بالعفو ولم يأمر بالعرف ولم يكشف عن حقيقة الحال ، لكان ذلك سعياً في تغيير الدين وإبطال الحق وأنه لا يجوز ، ثم إنه إذا أمر بالعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه ، فرما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والإيذاء ، فلهذا السبب قال تعالى في آخر الآية : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وقال في آية أخرى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ١٥١ ﴾ ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ١٥٢ ﴾ ، فنظرا إلى ما سبق أن هذه الآية مشتملة على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع الغير . وأما قوله : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فالمقصود منه أمر الرسول ﷺ بأن يصبر على سوء أخلاقهم ، وأن لا يقابل أقوالهم الركيكة ولا أفعالهم الخسيسة بأمثالها ١٥٣ .

فهذه بعض المعاني التي بيّنها المفسرون في التفاسير ، و أخذناها ملخصة من مفاتيح الغيب، وأخيرا نقول أنه ليس بوسع الناس أن يحيطوا بجميع معاني الآية، لأن الله تعالى جمع بقدرته المعاني الجمّة في الألفاظ القليلة و هو من إيجاز القصر وبذلك أصبح كلامه معجزة خالدة و حجة على الخلق .

المبحث الرابع عشر : إعلان براءة الله و رسوله من المشركين

قال الله عزّ و جلّ : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ١٥٤ ﴾ .

١٥١ سورة الفرقان ، الآية : ٧٢ .

١٥٢ سورة المؤمنون ، الآية : ٣ .

١٥٣ راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٩٧/١٥ ، (ملخص) .

١٥٤ سورة التوبة ، الآية : ٣ .

إن في هذه الآية إشارة إلى أن المسلمين عاهدوا مع المشركين بعد الإذن من الله ثم انقض المشركون العهد فأوجب الله النبد إليهم بقوله تعالى : ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ^{١٥٥}﴾ . ثم أعلن بقوله تعالى : ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ ، و أشير بتكرير البراءة إلى فوائد كثيرة منها : أنه تعالى في الكلام الأول ، أظهر البراءة عن المشركين الذين عاهدوا ونقضوا العهد . وفي هذه الآية أظهر البراءة عن المشركين من غير وصف معين ، تنبيهاً على أن الموجب لهذه البراءة كفرهم وشركهم .

الإيجاز البليغ في الآية و الإشارة إلى نكتة بليغة

وقوع الحذف في قوله تعالى : ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ واضح على السامع ، ليعلم المحذوف في رفع قوله تعالى : ﴿وَرَسُولُهُ﴾ تقدير: ورسوله ﷺ بريء من المشركين، ففي هذا الرفع معاني بليغة من الإيضاح مع الإيجاز في اللفظ ، وهذه نكتة قرآنية بليغة تشير إلى علو فضل رسول الله ﷺ ، وتشير إلى كما أن نطقه من وحي الله و كما أن طاعته طاعة الله ، فمثله هذا الأمر ، و لا فرق بين براءة الله من المشركين و براءة رسول ﷺ منهم .

عدم رعاية الحذف في الآية و أثره في المعنى المراد

اتضح من التصريحات السابقة أن وقوع الحذف في الآية واضح حتى على عامة من الناس الذين عندهم مذاق أدبي بسيط و بذلك رعى المفسرون كلهم الحذف في

^{١٥٥} سورة التوبة ، الآية : ١ .

تفاسيرهم^{١٥٦}. وأما القاريء و السامع الذي لم يُحِظْ بمذاق أدبي فمن الممكن أن يؤدي إلى فساد في فهم المعنى المراد من الآية^{١٥٧}.

فبقي لنا أن نقول أنه يجب على القاريء عامة و المفسرين خاصة أن يراعوا في مثل هذه الآيات رعاية الإيجاز البلاغي اتقاء الفساد في المعنى .

المبحث الخامس عشر : فضل المؤمن المجاهد على سقاة الحاج وعمرة المسجد

الحرام

بين الله عزوجل فضيلة المؤمن المجاهد لإيمانه و جهاده على سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام بقوله عزوجل : ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ^{١٥٨}﴾ .

اتفق المفسرون على أن الآية في بيان المفاضلة ، و أما المفاضلة فهي على احتمالين :

الاحتمال الأول والدليل عليه :

تحتمل هذه المفاضلة أن تكون قد جرت بين المسلمين فيما بينهم ، وأما الدليل عليه فهو قوله تعالى في الآية بعدها : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

^{١٥٦} راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٢٣٣/٢ ، والرازي ، التفسير الكبير : ٢٢٢/١٥-٢٢٣ ، و أبا

السعود ، تفسير أبي السعود : ٣٩/٣ ، وابن عاشور ، التحرير و التنوير : ١٠٩/١٠-١١٠ .

^{١٥٧} كما روى المفسرون القصص في هذا الصدد و منها قصة الأعرابي الذي سمع بجر "رسوله" فتوهم

عطفه على المشركين ، فقال الأعرابي : إن كان الله بريئاً من رسوله ﷺ فأنا منه بريء ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فعندها أمر عمر بتعلم العربية ، وأمر أن لا يقرأ القرآن إلا من يحسن العربية ، راجع :

القلقشندي ، صبح الأعشى : ١٦٩/١ ، و كذلك نسبت مثل هذه الرواية إلى علي ابن أبي طالب و

أبي الأسود الدؤلي ، التي أدت إلى وضع علم النحو ، راجع : القلقشندي ، صبح الأعشى : ١٦٩/١ ،

و ياقوت الحموي ، معجم الأدباء : ٤٢/١٤ .

^{١٥٨} سورة التوبة ، الآية : ١٩ .

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَوْلَتْكَ هُمُ الْفَائِزُونَ^{١٥٩} ، وهذا يقتضي أن يكون للمرجوح درجة أيضاً عند الله ، وذلك لا يليق إلا بالمؤمنين .

الاحتمال الثاني و الدليل عليه

ويحتمل أن تكون المفاضلة قد جرت بين المسلمين والكفار والدليل عليه قوله تعالى ﴿ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ، وهذا يدل على أن هذه المفاضلة وقعت بين من لم يؤمن بالله وبين من آمن بالله .

الإيجاز في الآية

قد ورد في الآية تشبيه السقاية و العمارة بمن آمن بالله واليوم الآخر و جاهد في سبيله ، وكما قال صاحب الكشاف : أن السقاية و العمارة : مصدران من سَقَى و عَمَرَ^{١٦٠} ، فأصبحا مشبهتين و الطرف الثاني من هذا التشبيه قوله تعالى : ﴿ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، أصبح المشبه به لما فيه إشارة إلى الفاعل ، فظاهر اللفظ يقتضي تشبيه الفعل بالفاعل ، والصفة بالذات وأنه محال ، فلا بد من تعيين المحذوف وهو من وجهين ، إما في طرف المشبه و إما في طرف المشبه به و هو كما يلي :

أ - ظاهرة الحذف في المشبه : من الممكن أن نقول أن في الآية حذف المضاف ، تقديره : أجعلتم أهل سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كم آمن بالله ، وتقويه قراءة من قرأ : سُقَاةَ الْحَاجِّ وَعَمْرَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^{١٦١} .

ب - ظاهرة الحذف في المشبه به :

ففي هذه الحالة لابد من تعيين المحذوف بتقدير: أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن

^{١٥٩} سورة التوبة ، الآية : ٢٠ .

^{١٦٠} راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٢٤٣/٢ .

^{١٦١} هذه القراءة منسوبة إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١٦/١٢ .

بالله ، ونظيره هذه الظاهرة قوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ^{١٦٢}﴾ . فثبت من ذلك البحث أنه لا بد من
تأويل الحذف في الآية لتعيين المعنى المراد لكون الآية على أحد من الاحتمالين ،
وكتيجة ذلك الحذف انحصر تفهيمُ المعنى المراد في الإيجاز .

أثر الإيجاز في فهم المعنى المراد من بين احتمالين

كما ذكر أن المفسرين ذهبوا إلى احتمالين في المفاضلة ، وهي جرت بين المسلمين
فيما بينهم أم جرت بين المسلمين و الكفار ، و لكل واحد منهم أدلة من الكتاب و
السنة ، وأما من ناحية الإيجاز البلاغي فيبدو أن الاحتمال الأول أقرب إلى الصواب .

سبب ترجيح الاحتمال المبني على الإيجاز

وقد دلّ ذكرُ السقاية والعمارة في جانب المشبه ، وذكر من آمن وجاهد في
جانب المشبه به ، على أنّ العمليين ومن عملهما لا يساويان العمليين الآخرين ومن
عملهما . فوقع الاحتباك^{١٦٣} في طرفي التشبيه ، أي : لا يستوي العملان مع العمليين
ولا عاملوا هذين بعاملتي ذينك العمليين ، والتقدير : أجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله ، وجعلتم سقاية
الحجاج وعمرة المسجد الحرام كالمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله . ولما ذكر عدم
التسوية في قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ، أسندت التسوية إلى ضمير العاملين ،

^{١٦٢} سورة البقرة ، الآية : ١٧٧ .

^{١٦٣} الاحتباك من اللفظ أنواع الحذف و أبداعها ، و هو أن يُحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني
، و يُحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول . و أيضا يُقال له الحذف المقابلي و هو أن يجتمع في
الكلام متقابلان ، فيحذف من كلّ واحد منهما مقابله للدلالة الآخر عليه . (راجع : السيوطي ،
الإتقان في علوم القرآن : ١١٩/٢ ، و الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١٢٨/٣) . وقد مضى
ذكره بالتفصيل ، راجع ، البحث ، ص : ٨٣ .

دون الأعمال ؛ لأن التسوية لم يُشْتَهَرْ تعليقها في الكلام بالأفعال بل بالذوات .
 وإن نظم القرآن يقتضي لذلك إذ مضت الآيتان سابقاً في نفس الموضوع بقوله
 تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ۗ
 أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ
 ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ
 أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝١٦٤﴾ . فتشير هاتان الآيتان أنه لا فائدة للكفار
 لأعمالهم الصالحة في الآخرة ولا يُقام لها وزن ، ولأن المفسرين نقلوا^{١٦٥} في تفسير
 الآيات : أن العباس عم الرسول ﷺ احتج على فضائله نفسه إذا كان هو في حالة
 الكفر ، بأنه عمّر المسجد الحرام ، وسقى الحاج ، فأجيب عنه أن عمارة المسجد
 الحرام توجب الفضيلة إذا كانت صادرة عن المؤمن ، أمّا إذا صدرت عن الكافر ،
 فلا فائدة فيها ألبتة .

فاختار الله الإيمان بالله والجهاد مع النبي ﷺ على عمران المشركين البيت وقيامهم
 على السقاية لأنهم يستكبرون و يعرضون عن القرآن والنبي ﷺ ، فمن أجل هذا
 لم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به .

و كذلك قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ،
 يعني : الذين زعموا أنهم أهل العمارة ، فسماهم الله "ظالمين" ، بشركهم ، فلم تغن
 عنهم العمارة شيئاً ، وبهذا الطريق حصل النظم الصحيح لهذه الآية بما قبلها .

^{١٦٤} سورة التوبة ، الآية : ١٧ - ١٨ .

^{١٦٥} نقل المفسرون الأحاديث الكثيرة ضمن تفسير التوبة ، الآية : ١٧ - ١٨ ، راجع : الطبري ، تفسير

الطبري ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣هـ ، مطبعة مصطفى الباي الحلبي ، مصر ، والرازي ، التفسير

الكبير : ١١/١٦ .

فأرأينا أن الإيجاز البلاغي أثرت كثيرا في تعيين المعنى المراد من بين الاحتمالين في هذه الآية ، والنظم بين الآيات شاهد على ذلك .

المبحث السادس عشر : بيان الرضا بقسمة الله ورسوله ، وما يترتب على

مخالفتها

قد نبه الله تعالى الذين يلتمزون الرسول ﷺ في تقسيم الصدقات تنبيها بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾^{١٦٦} .

الإيجاز البلاغي في الآية

إن الآية خيرٌ مثال في الفصاحة و البلاغة بإيجازها ، و أما سبب الإيجاز فهو حذف جواب الشرط من الآية لدلالة ظاهر الكلام عليه، وقبل أن نبحت بتقديره وسببه ، فمن المناسب أن نذكر الشبهة^{١٦٧} التي قيل فيها إنه ما في الآية حذف و جواب الشرط موجود في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ ، و أما الواو فهي زائدة .

فهذه شبهة محضة و ليس الأمر كذلك بل ظاهر الكلام يدل على إنكارها ويدل أيضا على أن الآية كلها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره ، تقديره: لكان خيرا لهم، كما صرح القرآن هذا التقدير في مقام آخر وهو: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾^{١٦٨} ، فثبت أن تقدير المحذوف في تلك

^{١٦٦} سورة التوبة ، الآية : ٥٩ .

^{١٦٧} نقلها بعض المفسرين إلا أن صاحب روح المعاني أنكر هذه الشبهة ، راجع : الألوسي ،

روح المعاني : ١٠ / ١٢٠ .

^{١٦٨} سورة الحجرات ، الآية : ٥ .

الآية هو: "لو أن هؤلاء المنافقين رضوا قسمة الله الرزق لهم وما أعطاهم على يدي رسوله ورجوا أنفسهم فضل الله ورسوله ﷺ، لكان خيراً لهم".

سبب الحذف في الآية و أثره في فقه الأحكام

كُلما حُذِف من الكلام جزء بقرينة الحال أو لدلالة أخرى عليه ، فإنه أحسن من أن يُنطق به و أما الآية فسبب الحذف فيها عظيم كما أشار إليه الرازي بقوله : "وترك الجواب في هذا المعرض أدل على التعظيم والتهويل ، وهو كقولك للرجل : لو جئتنا ، ثم لا تذكر الجواب ، أي لو فعلت ذلك لرأيت أمراً عظيماً^{١٦٩}".

و أما أثر هذا الإيجاز في العظات و في فقه الأحكام كثير ، و يمكن لنا أن نلاحظه في النكات التالية أن هذه الآية أبا عظيماً و :

أ - ترشدنا و تعلمنا الرضا بقسمة الله فينا من النعم الكثيرة و التوكل عليه .

ب - تعلم المسلمين في رعاية الأدب ظاهراً و باطناً عند رسوله ﷺ.

ج - تُميّز الفرق بين المؤمن و المنافق بمقياس ، وهو أن المؤمن لا يجد حرجاً مما قضى الرسول ﷺ ، و يسلمه تسليماً و المنافق لا يرضى به .

د - تُوضّح أنه لا فرق بين قضاء الله و رسوله ﷺ ، فهو لا يفعل إلا العدل و يفعل ما فيه المصلحة العامة للإسلام و أهله .

هـ - يُبين أنه من طلب الدنيا وحدها آل أمره إلى النفاق ، و على المؤمن أن يطلب الدنيا بقدر ما أذن الله فيه و كان غرضه في طلبه أن يتوسل إلى مصالح الدين .

المبحث السابع عشر : إقدام المنافقين على اليمين الكاذب و بيان إرضاء الله

قال الله سبحانه و تعالى : ﴿مُخَلَّفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾^{١٧٠} .

^{١٦٩} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٩٩/١٦ .

^{١٧٠} سورة التوبة ، الآية : ٦٢ .

الوجهات اللغوية و البلاغية في توحيد الضمير " يُرضوه "

اختلف اللغويون في معنى هذا الضمير إلى ماذا يعود ، و من الممكن أن نلخص
كلما قيل فيه إلى أقوال ثلاثة كما يلي :

القول الأول : الضمير عائد إلى رسوله ﷺ والكلام جملتان حذف خبر الأولى
تقديره : والله أحقُّ أن يرضوه ، لدلالة خبر الثانية عليه ^{١٧١} .

القول الثاني : الضمير عائد إلى الله تعالى على أن المذكور خبر الجملة الأولى وخبر
الجملة الثانية محذوف تقديره : ورسوله أحقُّ أن يرضوه ^{١٧٢} .

القول الثالث : إنما أفرد الضمير في ﴿ يُرْضُوهُ ﴾ - مع أن الظاهر التثنية بعد
العطف بالواو لأنه لا فرق بين إرضاء الله تعالى و إرضاء الرسول ﷺ ، فلتلازمهما
جُعلا كشيء واحد ، واكتفي بذكر أحدهما عن الآخر فعاد إليهما الضمير
المفرد ^{١٧٣} .

القول الراجح و أدلته

إن الأقوال الثلاثة في إعراب الآية تعبيرات لغوية مختلفة و لكن صارت في منزلة
واحدة باعتبار المعنى . و لكن إذا دار الأمر بين ترجيح القول الواحد على الآخرين
فلا بد أن يبنى ذلك الترجيح على أسس قويمة و أدلة متينة ، فبذلك نرجع إلى
أسلوب القرآن للتحكيم .

^{١٧١} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١١٨/١٦-١١٩ ، و الألويسي ، روح المعاني : ١٢٨/١٠ ، وأبي
السعود ، تفسير أبي السعود : ٧٨/٣ ، وابن عطية ، المحرر الوجيز : ٥٣/٣ ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م ،
دارالكتب العلمية ، بيروت .

^{١٧٢} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١١٨/١٦-١١٩ ، و الألويسي ، روح المعاني : ١٢٨/١٠ ، وأبي
السعود ، تفسير أبي السعود : ٧٨/٣ ، وابن عطية ، المحرر الوجيز : ٥٣/٣ .

^{١٧٣} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١١٨/١٦-١١٩ ، و الألويسي ، روح المعاني : ١٢٨/١٠ ، وأبي
السعود ، تفسير أبي السعود : ٧٨/٣ ، وابن عطية ، المحرر الوجيز : ٥٣/٣ .

وحسب الأسلوب القرآني الترجيح يرجع إلى القول الثالث لأن القرآن استولى على هذا الأسلوب حيث نطق عن رسول الله ﷺ ، و هو أسلوب قرآني معروف ، ومن أمثلتها كما يلي :

أ - ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ ﴾^{١٧٤} .

ب - ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۗ ﴾^{١٧٥} .

ج - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ۗ ﴾^{١٧٦} .

د - ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۗ ﴾^{١٧٧} .

هـ - ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ

رِضْوَانَهُ ۗ ﴾^{١٧٨} .

فرأينا أن القرآن استولى على هذا الأسلوب كثيرا و أنسب أفعال الرسول ﷺ في أمور الشريعة إلى الله تعالى ، لأنه ﷺ مأمور من الله تعالى و بذلك شهد القرآن في مقام آخر حيث قال : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾^{١٧٩} . و يتضح من ذلك أن رضا الله و رضا رسوله ﷺ شيء واحد ، فلذلك جعل الضميران ضميراً واحداً ، تنبيهاً على ذلك و احترازا عن العبث مع الدلالة على المعنى بالإيجاز .

^{١٧٤} سورة التوبة ، الآية : ٧٤ .

^{١٧٥} سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

^{١٧٦} سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

^{١٧٧} سورة الأنفال ، الآية : ١٧ .

^{١٧٨} سورة المائدة ، الآية ١٥ ، ١٦ .

^{١٧٩} سورة النجم ، الآية : ٣-٤ .

فقه الحياة

اتضح من هذه التصريحات أن أفراد الضمير في ﴿يُرْضَوْهُ﴾ إبلاغ للأمة كلها بأن رضاه ﷺ مندرجٌ تحت رضاه سبحانه وتعالى ، وإرضاءؤه ﷺ إرضاءً لله تعالى . و في الآية إشارة إلى من يلتمس محبة الله ورضاه فعليه أن يلتمس محبة رسوله ﷺ و اتباعه لقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ .

النكته البلاغية اللطيفة

وكان الظاهر من سياق الآية أن يقال: "يرضوهما" ونكته العدول عنه إلى ﴿يرضوه﴾ : للإعلام بأن إرضاء رسوله ﷺ إرضائه سبحانه وتعالى عينه ، وهذا من بلاغة القرآن في صورة الإيجاز . ولو قيل "يرضوهما" لما أفاد هذا المعنى بل كان يجوز في نفس العبارة أن يكون إرضاء كل منهما في غير ما يكون به إرضاء الآخر ، و كان خلاف المراد هنا . وكذلك لو قيل : "والله أحق أن يرضوه ، ورسوله أحق أن يرضوه" لتفوت به النكته التي ذكرناها ولا يفيد هذا المعنى أيضاً لما فيه من الركاكة والتطويل .

المبحث الثامن عشر : الطريق الوسط بالصلاة

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^{١٨١} .
ففي الآية أقوال مختلفة عند المفسرين^{١٨٢} يتعلق بعضها بسبب النزول و البعض الأخرى بمعنى الصلاة منها :

القول الأول : كان رسول الله ﷺ يرفع صوته بالقراءة فإذا سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فأوحى الله تعالى إليه : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمع

^{١٨٠} سورة آل عمران ، الآية : ٣١ .

^{١٨١} سورة الإسراء ، الآية : ١١٠ .

^{١٨٢} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ٧١-٧٠/٢١ .

المشركون فيسبوا الله عدواً بغير علم : ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ فلا تسمع أصحابك وابتغ بين ذلك سبيلاً .

القول الثاني : كان أبو بكر رضي الله عنه يخفي صوته بالقراءة في صلاته وكان عمر رضي الله عنه يرفع صوته فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه أن يرفع صوته قليلاً وعمر رضي الله عنه أن يخفض صوته قليلاً .

القول الثالث : المراد بالصلاة الدعاء .

القول الرابع : ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلاً بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار .

فكما قلنا أن هذه الأقوال تتعلق بسبب التزول و معنى الصلاة فبذلك لا نبحت بكلها إلا القول الرابع ، نتناوله بالبحث لما فيه تعارض بنسبة الإيجاز البلاغي .

الإيجاز في الآية

إن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ﴾ على حذف مضاف ، تقديره : بقراءة صلاتك ، ويدل عليه العقل لأن الجهر والمخافتة صفتا الصوت لا غيره ، فبذلك إذا حذف "القراءة" قبل الصلاة فلا يُلبَسُ حذفه على أحد بكونه مفهوماً من الكلام كما قال الزمخشري في تفسير الآية : ﴿ بِصَلَاتِكَ ﴾ بقراءة صلاتك على حذف المضاف ؛ لأنه لا يلبس ، من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير ^{١٨٣} .

أثر الإيجاز في المعنى

كما قيل إن الآية على حذف مضاف ، تقديره : قراءة الصلاة ، ومعلوم لنا أن الحذف نوع من نوعي الإيجاز البلاغي ، فرعاية الإيجاز هنا تؤيد في تعيين المعنى المراد لأن الصلاة عبارة عن مجموع الأفعال والأذكار . وكما أن الجهر والمخافتة

^{١٨٣} الزمخشري ، الكشاف : ٦٥٥/٢ .

من عوارض الصوت فلا يصحّ تطبيقهما على أفعال الصلاة مثل القيام و الركوع و السجدة و القعدة ، فبقي لنا أن نطبقهما على الشرط الثاني من الصلاة و هو الأذكار ، فبذلك يصحّ في تعيين المعنى المراد بأمر الجهر و المخافتة أن نراعي في الآية رعاية الحذف بتقدير القراءة^{١٨٤} و هو من باب إطلاق اسم الكل على الجزء .

الرجحان بين رعاية الإيجاز و بين الأقوال الأخرى

و أما قول القائل أن معنى الآية ، ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلاً بأن تجهر بصلاة الليل و تخافت بصلاة النهار فلا يرجع الرجحان إليه بأسباب :

أ - لقد أراد القائل هذا المعنى من الآية نظراً إلى كيفية الصلاة في الموجود لأنها تجهر في الليل و تُخافت في النهار .

ب - لو نُختار هذا القول في تعيين المعنى من الآية للزم تطبيق نهي الجهر و المخافتة في قراءة القرآن فقط أثناء الصلاة دون التسيحات و التمجيدات في مثل الركوع و السجدة و القعدة وهو خلاف المراد .

ج - من عمل بهذا القول اشترط نهي الجهر و المخافتة بقراءة الفاتحة و الجزء الآخر من القرآن فقط و أما الأذكار الأخرى فلا قيد فيها فمن شاء فذكر بالجهر و من شاء فذكر بالمخافتة و ليس هذا المراد من الآية .

د - إن النهي عن الجهر و المخافتة بالصلاة يتعلق بمطلق جهر الصوت و مخافتها بدون أي تقييد و ذلك يُحصل برعاية الحذف فقط دون القول .

^{١٨٤} راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٦٥٥/٢ ، و الرازي ، التفسير الكبير : ٧٠-٧١/٢١ ، و ابن

عاشور ، التحرير و التنوير : ٢٣٧/١٥ ، و أبا السعود ، تفسير أبي سعود : ٢٠٠/٥ ، و أبا حيان ،

البحر المحيط : ٨٦/٦-٨٧ .

و أما إذا نختار قولَ رعاية الحذف فلا التباس فيه بل يمكن لنا أن نطبق نهي الجهر والمخافتة على كل الصلاة المتضمنة من الأجزاء القرآنية و الأذكار الأخرى الداخلة في الصلاة فبذلك يمكن لنا أن نعمل على حكم الآية إمتثالا بالتوسط بينهما . فنظرا إلى هذه النكات يرجع الرجحان إلى القول برعاية الإيجاز البلاغي في الآية .

المبحث التاسع عشر : حذف جواب "لولا" ليدلّ تهويله على التفخيم

لقد كرر الله سبحانه و تعالى قوله : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ^{١٨٥} ﴾ في سورة النور أربع مرات وحذف في الأول والثالث جواب "لولا" لتذهب النفس كلّ مذهبٍ ممكنٍ في تقديره بحسب المقام .

وقد حُذِفَ في المرة الأولى جواب "لولا" و ذُكِرَ بعده وصفُ الله بأنه تَوَّابٌ حكيم للمناسبة المتقدمة ، و في المرة الثانية ذُكِرَ جواب "لولا" و هو : "لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" ، و في المرة الثالثة حُذِفَ جواب "لولا" من الآية و هي منتهى الآيات العشر التي نُزِلَتْ في أصحاب الإفك على عائشة رضي الله عنها ، و من المرة الأخيرة ذُكِرَ جواب الشرط و هو : "مَا زَكَأَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا" للمناسبة المقام لأنه خطاب عام للمؤمنين و بيّن أن هذا من فضل الله عليكم أنه زَكَأَكُمْ ، و لو لا فضله عليكم ما زكى منكم من أحد أبدا ، و سيأتي تفصيل حذف جوابي الشرط من الآيتين فيما يلي :

الغرض البلاغي في حذف جواب الشرط من الآية في المرة الأولى

قد يُحذف جواب الشرط اختصارا وقد يُحذف لغرض بلاغي آخر، و أما قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ^{١٨٦} ﴾ ، فغرض الحذف ههنا ليس الاختصار فقط . و إذا نمنع النظر في المناسبة ما تقدّم فيظهر لنا أنه تعالى

^{١٨٥} سورة النور ، الآية : ١٠ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢١ .

^{١٨٦} سورة النور ، الآية : ١٠ .

بين حُكْم اللعان ، و غني عن البيان أن اللعان أغلظ الأمور و أشدها في تدمير العلاقات الزوجية و إفسادها فبذلك التفت الخطاب إلى الرامين والمرميات و حُذف جواب "لَوْلَا" لتهويله حتى كأنه لا توجد عبارة تحيط ببيان أضراره .

الغرض البلاغي في حذف جواب الشرط من الآية في المرة الثانية

وأما إذا حُذف جواب الشرط من قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ^{١٨٧} ﴾ ، ففيه أيضا أغراض بلاغية عظيمة كما صرّح بها المفسّرون وهو كما يلي :

تقدير المحذوف و الأغراض البلاغية

كما قيل أن هذه الآية هي منتهى الآيات العشر التي نزلت في أصحاب الإفك على عائشة رضي الله عنها ، فالغرض الظاهر من هذا الحذف من بين الأغراض الأخرى هو التهويل على تفخيم مضمون الشرط تنبيها لأصحاب الإفك و للمصدقين لهم مع الاختصار لتذهب النفس كل مذهب ممكن في تقديره بحسب المقام .

و أما تقدير الحذف فعند الرازي فيه وجوه ^{١٨٨} :

أ - إن جوابه محذوف ، والتقدير : لأهلككم أو لعذبكم الله لكنه رؤوف رحيم ، ويجوز أن يكون الخطاب خاصا للذين جاؤا بالإفك ويجوز أن يكون عاما لكل من يعود مثله .

ب - جوابه محذوف ، تقديره : لكانت الفاحشة تشيع فتعظم المضرة .

ج - إن جوابه مقدر في الآية القادمة بقوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا

خُطُوتِ الشَّيْطَانِ ^٢ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ^٣ وَلَوْلَا

^{١٨٧} سورة النور ، الآية : ٢٠ .

^{١٨٨} راجع : الرازي ، التفسير الكبير : ١٨٤/٢٣ .

فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَايَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٩﴾ .

القول الراجح في تعيين المحذوف

الأقرب أن جوابه محذوف للتهويل على تفخيم مضمون الشرط تنبيها بدون أية التعيينات المذكورة لتذهب النفس كل مذهب ممكن في تقديره بحسب المقام . و أما ما قيل أن جوابه محذوف في الآية اللاحقة بقوله : ﴿ وَلَوْلَا فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَايَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ ففيه نظر ، لأنه كالمفصل من الأول إذ كان الخطاب لأصحاب الإفك ، و ههنا التفات الخطاب للمؤمنين جميعا فلا يجب أن يكون جواباً للأول ، وقد وقع بين الكلامين كلام آخر .

المبحث العشرون : قذف المحصنات

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ۚ ﴾ ١٩٠ ، فإن للمفسرين و للفقهاء أبحاثا طويلة في تفسير هذه الآية تركها لما لا تهمنا من جهة الموضوع و نتناول منها ما تتعلق بالإيجاز البلاغي .

الإيجاز البلاغي في الآية

نرى في الآية أثر الإيجاز غير مرة وهو الحذف الذي له أهمية كبيرة في تعيين المعنى المراد وإذا لم يُرَع به لَوَقَعَ الفساد في تعيين المعنى المراد و يمكن الخطاء في إجراء حد القذف .

المحل الأول للحذف في الآية

إن ظاهر الآية لا يدل على أمر معين الذي رموا المحصنات به وذكر الرمي مطلقا لا يدل على الزنا و قد يمكن أن يُراد به الرمي بسرقة أو بشرب الخمر أو كفر و فسق ،

١٨٩ سورة النور ، الآية : ٢١ .

١٩٠ سورة النور ، الآية : ٤ .

وقد أجمع العلماء على أن المراد في الآية الرمي بالزنا لا غيره فبذلك لا بد من تسليم المحذوف في الآية تقديره : الذين يرمون المحصنات بالزنا .

القرائن الدالة على تعيين المحذوف :

أما القرينة الدالة على هذا التعيين فهي غير واحدة منها :

أ - المراد برمي المحصنات في الآية هو الرمي بالزنا لأنه تقدم ذكره في الآيتين المتصلتين مباشرة بقوله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهَّدَ عَلَيْكُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ٥ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكَةٌ وَحُرْمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ١٩١ ﴾ .

ب - إن الله تعالى ذكر المحصنات وهن العفاف ، فدل ذلك على أن المراد بالرمي رميهن بضد العفاف و هو الزنا .

ج - إن قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءٍ﴾ يعني على صحة ما رموهن به ، ومعلوم أن هذا العدد من الشهود غير مشروط إلا في الزنا .

د - قد وقع الإجماع^{١٩٢} على أنه لا يجب الجلد بالرمي بغير الزنا فوجب أن يكون المراد هو الرمي بالزنا .

فاتضح من ذلك أن رعاية الإيجاز في مثل هذه المواضع واجب أن لا يفسد المعنى المراد .

^{١٩١} سورة النور ، الآية : ٣ - ٤ .

^{١٩٢} إن الفقهاء اتفقوا بالإجماع أن المراد بالرمي في الآية هو الرمي بالزنا كما قيل : " والمراد الرمي بالزنا حتى لو رماه بسائر المعاصي غيره لا يجب الحد بل التعزير، وفي النص إشارة إليه ، راجع : المرغيناني ، الهداية ، ٢٥٤/٢ ، ايج ام سعيد كمبني ، كراتشي . وقال الجصاص : " إذ حصول الإجماع على أن الزنا مراد بمثله ذكره في اللفظ ، فوجب بذلك أن يكون وجوب حد القذف مقصورا على القذف بالزنا دون غيره " . راجع : أحكام القرآن : ٢٦٧/٣ ، (ملخص) .

المحل الثاني للحذف في الآية

ومعلوم أن جميع الآيات القرآنية جمعت معاني كثيرة بألفاظ قليلة فكذلك الآية هذه ، التي على غاية الإيجاز إذ وقع الحذف مرة ثانية في شطرها الأخير بقوله تعالى : ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ ، فإذا أخذنا الآية بظاهرها لَلَزِمَ ثمانين جلدة لجماعة القاذفين كلهم و ليس هو المراد من هذه الآية ، فلذلك لا بد من الحذف في قوله تعالى : ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ﴾ ، تقديره : فاجلدوكل واحد منهم^{١٩٣} .

فإذا قدرنا مثل هذه المحذوفات في شطري الآية لَسَهَلَ الأمر و رُفِعَ الإشكال في تعيين المعنى المراد و أما إذا لم يُرْعَ في الآية برعاية الإيجاز البلاغي لوقع الإشكال في فهم المراد الحقيقي من الآية .

المبحث الحادي والعشرون : الخبيثات للخبيثين و الطيبات للطيبين

قال الله تعالى : ﴿ اَلْخَبِيْثَاتُ لِلْخَبِيْثِيْنَ وَالْخَبِيْثُوْنَ لِلْخَبِيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِيْنَ وَالطَّيِّبُوْنَ لِلطَّيِّبَاتِ اُولٰٓئِكَ مُبَرَّءُوْنَ مِمَّا يَقُوْلُوْنَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَّرِزْقٌ كَرِيْمٌ ﴾^{١٩٤} .

الإيجاز في الآية

كما هو واضح من ظاهر الآية أنه وقع الحذف فيها لا بد من تعيين محذوفه لأن الأسماء "الخبيثات" و "الخبيثون" و "الطيبات" و "الطييون" وقعت صفات لموصوفٍ محذوفٍ . وذهب المفسرون في تقديره إلى الاحتمالين :

الاحتمال الأول في تقدير المحذوف

الخبيثات و الطيبات صفتان للكلم و الخبيثون و الطييون صفتان للخبيثين و للطيبين من الناس .

^{١٩٣} الحلبي و السيوطي ، الجلالين : ١١٨/٢ ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨ م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

^{١٩٤} سورة النور ، الآية : ٢٦ .

وقوله تعالى : ﴿الْحَبِيثُونَ﴾ ، شامل للرجال و النساء على سبيل التغليب وكذلك قوله تعالى : ﴿الطَّيِّبُونَ﴾ ، شامل للرجال و النساء أيضا . وهذا القول اختاره كثير من المفسرين و منهم : الإمامية^{١٩٥} و إليه ذهب الزمخشري و الرازي و الآلوسي^{١٩٦} و غيرهم من المفسرين على سبيل الترجيح^{١٩٧} ، وجاء في الروايات عن ابن عباس و غيره من الرواة^{١٩٨} .

الاحتمال الثاني في تقدير المحذوف

إن أسماء الصفات التي وردت في الآية كلها صفات حذفت موصوفاتها وتقديره : النساء الحبيثات للرجال الحبيثين وكذا التقدير في باقيها ، فحذفت الموصوفات للعلم بها وأقيمت الصفات مقامها لأنها المقصود ببيانه . وذهب إلى هذا القول بعض المفسرين و ذكروه كاحتمال من احتمالين بدون ترجيحه وذكره أحد المحدثين في رواية أن الله تعالى بقوله : ﴿الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ﴾ ، يُريدُ

^{١٩٥} الإمامية : فرقة من المسلمين تقول بإمامة علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله ، وأنها لأبناء علي يتوارثونها . وهم متفقون على أن الأئمة اثنا عشر ، وأنهم ختموا بالمهدي المنتظر ، راجع : الزركلي ، الأعلام : ١٩٩/٢ .

^{١٩٦} هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ، شهاب الدين ، (١٢١٧-١٢٧٠) هـ ، مفسر ، محدث ، أديب ، من المجدين ، من أهل بغداد ، مولده ووفاته فيها . تقلد الافتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ . وعزل ، فانقطع للعلم . ثم سافر إلى الموصل ، و الآستانة ، و من أشهر كتبه : روح المعاني في التفسير ، راجع : الزركلي ، الأعلام : ١٧٦/٧ و عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين : ١٧٥/١٢ .

^{١٩٧} راجع : الزمخشري ، الكشاف : ٢٢٩/٣ ، و الرازي ، التفسير الكبير : ١٩٥/٢٣ ، و الآلوسي ، روح المعاني : ١٣١/١٨ .

^{١٩٨} راجع : الطبراني ، المعجم الكبير ، باب تأويل قوله : الحبيثات للحبيثين ، ١٥٥/٢٣-١٥٨ ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ م ، مكتبة العلوم و الحكم ، الموصل .

مَثَالَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ^{١٩٩} ، وَمَنْ شَكَ فِي اللَّهِ وَيَقْذِفُ مِثْلَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ ، يُرِيدُ الطَّيِّبَاتِ عَائِشَةَ طَيِّبَهَا اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ^{٢٠٠} .

أثر الإيجاز في فهم المعنى المراد على الاحتمال الأول

إذا نَحْتَمَلُ الآيَةَ عَلَى الاحتمال الأول من الحذف فيكون المعنى العام : أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس ، والطيب من القول لا يليق إلا بالطيب من الناس . و أما المعنى الخاص على الاحتمال الأول بنسبة قصة الإفك في عائشة - رضي الله عنها - لا يليق بها الخبيثات من القول ، لأنها طيبة ، فيضاف إليها طيبات الكلام من الثناء الحسن وما يليق بها .

و يمكن أن يراد بالخبيثات أنه لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء ، ويراد بالطيبات أنه لا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء وهذا ذمٌ للذين قذفوا عائشة رضي الله عنها ، ومدحٌ للذين برأوها بالطهارة على وجه الخصوص ، ويشمل هذا المعنى لقاذفي المحصنات في الذم ، و مبريها بالطهارة في المدح عامة .

أثر الإيجاز في فهم المعنى على الاحتمال الثاني

و أما إذا نَحْتَمَلُ الآيَةَ عَلَى الاحتمال الثاني من الحذف فيكون المعنى : أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ،

^{١٩٩} هو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق ، كان رأس المنافقين ، ونزلت في ذمّه آيات كثيرة مشهورة ، كان شديد العداوة لله ورسوله ، حسد النبي ﷺ على ما أتاه الله من فضله ، لأنه كان يتوقع أن تكون له السيادة على أهل المدينة . وتوفى في زمن رسول الله ﷺ وصلى عليه وكفنه في قميصه قبل النهي عن الصلاة على المنافقين ، وإنما صلى عليه لكرامة ابنه وإحساناً وكرماً وحلماً ، راجع : ابن عبد البر ، الاستيعاب : ٣٢٧-٣٢٨ ، والنووي ، تهذيب الأسماء واللغات : ٢٦٠/١/١ ، إدارة الطباعة المنيرية و دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

^{٢٠٠} الطبراني ، المعجم الكبير ، باب تأويل قوله : الخبيثات للخبيثين ، ١٥٥/٢٣ .

أمثالُ عبد الله بن أبيّ والشاكين في الدين ، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء أمثال عائشة و أمهات المؤمنين اللاتي طيَّهنَّ الله لرسوله الطيب ﷺ .

وأنه أريد بالخبيثات والطيبات : النساء ، أي : الخبيثات يتزوَّجن الخبيثين ، والخبيثون يتزوجون الخبيثات . وكذلك الطيبات يتزوَّجن الطيبين ، و الطيبون يتزوَّجون الطيبات .

الخلاصة في فهم المعنى المراد من الاحتمالين

اتضح من التصريحات السابقة أنه لا بد من رعاية الإيجاز البلاغي في الآية و هو الحذف، و أما تعيين المحذوفات ففيها اختلاف بسيط الذي لا يغيّر المعنى إلا بقليل . فمثلا حمل المحذوفات على الاحتمال الأول يُوصِلُها إلى الأقوال و الأفعال ، أي : لا يقولها ولا يرضاها إلا الخبيث من الناس ، فهي لهم وهم لها بهذا الوجه و كذلك الطيبات من الأقوال و الأفعال التي لا يقولها إلا الطيب من الناس ولا يرضاها ، فهي لهم وهم لها بهذا الوجه .

و إذا حُمِلت المحذوفات على الاحتمال الثاني فَيُوصِلُها إلى الرجال و النساء فيكون المعنى : الخبيثات من النساء لا تليق إلا بالخبيثين من الرجال وبالعكس ، و يؤيده قوله تعالى : ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^{٢٠١} . والطيبات من النساء لا تليق إلا بالطيبين من الرجال و بالعكس .

اللطيفة

قد ذُكِرَ كِلَا الاحتمالين في تعين المحذوفات و أثرهما في تغيير المعنى في الآية بالتفصيل و لكن مهما يكن الأمر في حمل هذه الآية على الاحتمالين ، فالآية تُحْمَل في

^{٢٠١} سورة النور ، الآية : ٣ .

كليهما على تصديق عفة عائشة رضي الله عنها ، و برأها الله تعالى بذلك من التهمة التي جاء بها أهل الإفك .
وهذه ميزة من ميزات الإعجاز ظهرت في صورة الإيجاز لكلام الخالق لا يقدر عليها إلا هو سبحانه و تعالى .

الفصل الثالث : أثر الإيجاز البلاغي في العبادات
Affect of the Rhetorical Brevity on Worship

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول : حُكم العزيمة و الرخصة في فرضية الصيام

المبحث الثاني : حكم الهدي حالة الإحصار في الحج

المبحث الثالث : تحريم الصلاة في حالة السكر

المبحث الرابع : فرضية الوضوء و التيمم

المبحث الخامس : أجمع آية في القرآن للخير و الشر

المبحث السادس : تقدير حذف في البسملة

الترابط بين العلوم الشرعية وبين علوم اللغة العربية نشأ منذ صدر الإسلام، ولا يزال يمتد إلى يومنا هذا . إنه من شروط المفسر أن يكون عالماً باللغة العربية و أحوالها ، مطلعاً بأسرارها و قوانينها و ينبغي له أن يكون خبيراً بأساليب العرب في الكلام ليتمكن له إيضاح ما فيه خفاء من النصوص. وعليه أن يكون عنده معرفة من أساليب البلاغة ليفرّق بين الحقيقة و المجاز وأن يكون عنده ملكة ليستطيع بها من تقدير المحذوف و تفسير الموحز .

فينحصر اهتمام المفسرين عامة و المجتهدين خاصة في تعيين المعنى المراد من النصوص بتفسيرها و تحديدها من جهة المعنى و من جهة اللفظ، و اختلفت وجهاتهم و مسالكهم في ذلك. ولقد اختلف العلماء في مسائل كثيرة تتعلق باللغة العربية و وضعها و معانيها و استعمالها . وكان لهذه المسائل أثر كبير في استنباط الأحكام و تعيين المراد من النصوص . فنظرا إلى هذه التصريحات ، تتبين لنا أهمية البلاغة العربية . وكما أن الإيجاز البلاغي نوع مهم من أنواع البلاغة فيبين في هذا الفصل أثر الإيجاز البلاغي في العبادات . و من فوائد ذلك البيان هو الإطلاع على الطريقة العلمية و المعايير العميقة التي كانت متحكمة في أذهان المجتهدين و الفقهاء ليطمئن القارئ و عابر تراث الفقه الإسلامي إلى أنهم لم يكتبوا ذلك إرضاء لترعة شخصية أو تحقيقاً لمطلب دنيوي بل إنما فعلوه في الله طلباً لرضائه و تتبع سنة رسوله ﷺ .

وما كانت هذه المشاكل و الاختلاف في عهد رسول ﷺ و لا في عهد الصحابة رضي الله عنهم ، بما هم رزقوا من مصاحبة صاحب القرآن ، و كانوا مُخْبِرِينَ عن أسباب النزول و بأن القرآن نزل بلغتهم و هم فهموا معنى منطوقه بقرينة جبلوا عليها . و خير ما قاله ابن القيم الجوزية في هذا الصدد : "النوعُ الأولُ من الرأْيِ المحمودِ رأْيُ أَفْقهِ الأُمَّةِ ، و أَيْرُ الأُمَّةِ قلوباً ، و أعمقهم علماً ، و أقلهم تكلفاً ،

^١ راجع : ابن رشد ، بداية المجتهد و نهاية المقتصد : ٢٢٣/١ ، دار نشر الكتب الإسلامية ، لاهور ، باكستان ، و أبو إسحاق الشيرازي ، طبقات الفقهاء : ٣٥/١ ، ١٩٧٠م ، دار الرائد العربي ، بيروت .

وأصحهم قصودًا ، وأكملهم فطرةً ، وأتمهم إدراكًا ، وأصفاهم أذهانًا ، الذين شاهدوا التنزيل ، وعرفوا التأويل ، وفهموا مقاصد الرسول ﷺ ؛ فنسبة آرائهم وعلومهم وقصودهم إلى ما جاء به الرسول ﷺ كنسبتهم إلى صحبته^٢ . ولكن لما مضت تلك الطبقة وداخلهم العجم و تركت تلك اللغة و استصعب فهم المراد في بعض المواضع. و صعوبة عدم الوصول إلى فهم المراد باللفظ تكون تارة بسبب استعمال لفظ غريب و تارة بسبب حذف المضاف أو الموصوف أو غير هما. و نشاء تارة بسبب انتشار الضمائر و تعدد المراد من لفظ واحد و تارة بسبب التكرار و الإطناب و مرة بسبب الاختصار و الإيجاز أو بسبب استعمال الكناية و التعريض و التشبيه و المجاز العقلي^٣ .

و احتيج إلى تفتيش اللغة العربية وعلومها ، والعلماء لجئوا إلى التصنيفات اللغوية و البلاغية، فصنفت كتب التفسير في ضوء علوم اللغة وفاءً لتلك الحاجات^٤ ، وكما نرى الاختلاف في فهم المعاني و في استنباط الأحكام من الآيات ، ذلك منحصر في وجوه الخفاء في معاني نظم القرآن بين المفسرين و المجتهدين . ونبحث في هذا الفصل عن الآيات التي وقع الاختلاف فيها في استنباط الأحكام بين الفقهاء على أساس رعاية الإيجاز البلاغي و عدمها ، و الإيجاز يكون إما بالحذف أو بالقصر كما مرّ بنا .

المبحث الأول : حكم العزيمة و الرخصة في فرضية الصيام

قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا

^٢ ابن القيم الجوزية ، إعلام الموقعين : ٧٩/١ ، مطبعة دار السعادة ، مصر ، ١٣٨٩ هـ .

^٣ شاه ولي الله الدهلوي ، الفوز الكبير، ص: ٣٧، ٣٨ ، قديمي كتب خانة، كراتشي، (ملخص) .

^٤ فنظرا إلى هذه التصريحات بطلت دعاوي من ينكر و يهمل أهمية التفاسير اللغوية و البلاغية .

أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ^ط فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ^د وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ^ط إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ^و .

الإيجاز البلاغي في الآية

الآية تشتمل على الموضعين الإثنيين نرى أثر الإيجاز البلاغي فيهما كما يلي :

موضع الحذف الأول : إن الآية : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ

مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ على الحذف ، تقديره : من كان منكم مريضا فأفطر أو على

سفر فأفطر ، ونظيره في القرآن كثير ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِذِ اسْتَسْقَاهُ

قَوْمُهُ آبَ آضْرِبَ بَعْصَاكَ الْحَجَرَ ^ط فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ^٧ ﴾ أي :

فضرب فانبجست ، و كما قال الله تعالى في مقام آخر : ﴿ أَنِ اصْرِبِ بَعْصَاكَ

الْبَحْرَ ^ط فَانْفَلَقَ ^٧ ﴾ أي : فضرب فانفلق .

ب - إن الآية ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ على حذف

حرف النفي ، تقديره : لا يطيقونه ^٨ .

أما الجزء الأول من الآية ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ

أُخَرَ ﴾ فاستنبط منها الفقهاء أحكاما كثيرة مثل : مقدار شدة المرض المبيح للفطر ،

ومسافة السفر المبيحة للفطر و غير ذلك من الأحكام ، فنتركها لما لايهمنا الأمر

بها ، و نرتكز في الجانب البلاغي من ناحية الإيجاز فقط بما هو موضوع بحثنا .

^٥ سورة البقرة ، الآية : ١٨٣-١٨٤ .

^٦ سورة الأعراف ، الآية : ١٦٠ .

^٧ سورة الشعراء ، الآية : ٦٣ .

^٨ السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ١٢٤/٢ .

قد تُسْتَنْبَط من الآية أحكامٌ على مذهبين إذا يُرعى في الآية الجانب البلاغي برعاية الإيجاز ، منهما :

المذهب الأول

وهو مذهب أهل الظاهر ، فَهُم ذهبوا إلى أنه في الآية ليس حذف ، و أن قولَ الله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ معناه : فعليه عدة من أيامٍ أُخر ، و هذا يقتضي وجوب الإفطار ، و يرون أن أداء الصوم في السفر لا يجوز^٩ .

أدلتهم في استنباطهم

- أ - إن الآية على ظاهرها توجب على المريض و المسافر أن يفطرا ، و يصوما عدة من أيامٍ أُخر ، فهذا لو صاما لا يُجزىء صومهما .
- ب - إن النبي ﷺ قال : { لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ }^{١٠}
- ج - و هم يستدلون بقوله تعالى : ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فصار هذا الوقت^{١١} في حقه كالشهر في حق المقيم فلا يجوز الأداء قبله .

المذهب الثاني

وعليه الجمهور من الأحناف و الشوافع و الحنابلة و المالكية ، وقالوا أن في الآية حذفاً ، أي : من كان منكم مريضاً ، أو على سفر فأفطر بعذر المرض ،

^٩ السرخسي ، المبسوط : ٩١/٣ ، (ملخص) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٩ م ، و الصابوني ، تفسير آيات الأحكام : ٢٠٥/١ - ٢٠٦ ، (ملخص) ، الطبعة الأولى ١٩٧١ م ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، سوريا .

^{١٠} أبوداؤد ، السنن ، كتاب الصوم ، باب اختيار الفطر : ٣٢٧/١ ، و الترمذي ، السنن ، كتاب الصوم ، باب ما جاء في كراهية الصوم في السفر : ١٥١/١ ، و النسائي ، السنن ، كتاب الصيام ، باب ما يكره من الصيام في السفر : ٢١٤/١ .

^{١١} أي : وقت قضاء صيام رمضان من غير رمضان .

أو السفر فعدة من أيام أخر ، دلّ أنّ المرض ، والسفر سببا الرخصة ^{١٢} ،
فَيَسْتَنْبِطُونَ مِنْهُ :

أ - فيه إشارة إلى الرخصة ، أن للصائم المريض أو المسافر اختيارا بين الصوم و
الفطر ، فإن شاء أفطرا و إن شاء صاما .

ب - أن المسافرة في رمضان لا بأس بها .

ج - إذا أنشأ السفر في رمضان فله أن يترخص بالفطر .

د - إن الصوم في السفر أفضل من الفطر عند الأحناف ، و الفطر أفضل عند
الشوافع . فهذه من أهم المسائل التي يستنبطها الجمهور من هذه الآية على رعاية
الحذف ، و بينوها مع الأدلة الشرعية ، و فيما يلي بيانها :

أدلتهم في استنباطهم

أ - إن قوله تعالى : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ، يَعْمُ الْمَسَافِرَ وَالْمَقِيمَ ثُمَّ قَوْلُهُ
وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ لْيَبْيانِ التَّرْخِصَ بِالْفِطْرِ فَيَنْتَفِي بِهِ وَجُوبُ الْأَدَاءِ لِاجْوَاذِهِ .

ب - وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا { أَنَّ حَمْرَةَ بِنَ عَمْرِو الْأَسْلَمِيَّ قَالَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ : إِنِّي أُسَافِرُ فِي رَمَضَانَ أَفَأَصُومُ فَقَالَ ﷺ : صُمْ إِنْ شِئْتَ ^{١٣} } .

ج - وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : { سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فِي رَمَضَانَ فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ لَأَ يَعِيبُ الْبَعْضُ عَلَى الْبَعْضِ ^{١٤} } .

^{١٢} الكاساني ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ١٤٢/٢ .

^{١٣} المسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب الصيام ، باب التخيير في الصوم والفطر في السفر ، ص : ٤٠٦ ، و
أبوداؤد ، السنن ، كتاب الصوم ، باب الصوم في السفر : ٣٢٦/١ ، و النسائي ، السنن ، كتاب الصيام
، باب سرد الصيام : ٣٢٤/١ .

^{١٤} المسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب الصيام ، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في
غير معصية ، ص : ٤٠٥ ، و الترمذي ، السنن ، كتاب الصوم ، باب ما جاء في الرخصة في السفر :
١٥٢/١ ، و النسائي ، السنن ، كتاب الصيام ، ذكر الاختلاف على أبي نضرة المنذر بن مالك بن
قطعة : ٣١٦/١ ، و أحمد بن الحنبل ، المسند ، باب أبي سعيد الخدري : ٥٠/٣ .

د - و أما ما روى : { أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يُظَلُّ عَلَيْهِ وَالزَّحَامُ عَلَيْهِ فَقَالَ ﷺ : لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ ^{١٥} } يَعْنِي لِمَنْ هَذَا حَالُهُ ^{١٦} .

ه - أَنَّ الْمُسَافِرَةَ فِي رَمَضَانَ لَا بَأْسَ بِهَا وَالذَّلِيلُ عَلَى جَوَازِ الْمُسَافِرَةِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ { أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ لِلْيَلْتِنِ خَلْتَنَا مِنْ رَمَضَانَ فَصَامَ حَتَّى أَتَى قَدِيدًا فَشَكَا النَّاسُ إِلَيْهِ فَأَفْطَرَ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ مُفْطِرًا حَتَّى دَخَلَ مَكَّةَ ^{١٧} } فَمَنْ سَافَرَ فِي رَمَضَانَ فَقَدْ سَافَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَمَنْ صَامَ فَقَدْ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَمَنْ أَفْطَرَ فَقَدْ أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكُلُّ ذَلِكَ وَاسِعٌ ^{١٨} .

و - قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : الْفِطْرُ أَفْضَلُ ^{١٩} ؛ لِأَنَّ ظَاهِرَ مَا رَوَيْنَا مِنَ الْأَثَارِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّوْمَ فِي السَّفَرِ لَا يَجُوزُ ، فَإِنْ تَرَكَ هَذَا الظَّاهِرُ فِي حَقِّ الْجَوَازِ بَقِيَ مُعْتَبَرًا فِي أَنَّ الْفِطْرَ أَفْضَلُ ، وَقَاسَ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ الْاِقْتِصَارَ عَلَى الرَّكْعَتَيْنِ فِي السَّفَرِ أَفْضَلُ مِنَ الْإِثْمَامِ فَكَذَلِكَ الصَّوْمُ ؛ لِأَنَّ السَّفَرَ يُؤْتَرُ فِيهِمَا قَالَ ﷺ : { إِنْ اللَّهُ وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ شَطْرَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ ^{٢٠} } .

^{١٥} أبوداؤد ، السنن ، كتاب الصوم ، باب اختيار الفطر : ٣٢٧/١ .

^{١٦} السرخسي ، المبسوط : ٩١/٣ .

^{١٧} الرواية بهذه الألفاظ : "خرج نبي الله ﷺ من المدينة إلى مكة حين أفتتحها وذلك في رمضان، وهو صائم، فصام حتى أتى قديداً، فبلغه أن الناس قد أصابهم عطشٌ وجهدٌ فدعا بماءٍ ، فشرب وأفطر، فمن شاء صام ومن شاء أفطر ، راجع : الطبراني ، المعجم الكبير ، باب العين ، أحاديث عبد الله بن العباس : ١٤٩/١١ .

^{١٨} السرخسي ، المبسوط : ٩١/٣ ، (ملخص) ، والرازي ، التفسير الكبير : ٨٣/٥ ، والنووي ، المجموع : ٢٦١/٦ .

^{١٩} نقل هكذا في المبسوط ، راجع : السرخسي ، المبسوط : ٩١/٣ ، وأما صاحب المجموع فنقل : له الصوم وله الفطر (وأما) أفضلهما فقال الشافعي والأصحاب : إن تضرر بالصوم فالفطر أفضل وإلا فالصوم أفضل ، راجع : النووي ، المجموع شرح المذهب : ٢٦١/٦ .

^{٢٠} النسائي ، السنن : ٣١٦/١ .

و قال الأحناف أن الصَّوْمَ أَفْضَلُ ثُمَّ الْفِطْرُ رُخْصَةٌ ، وَأَدَاءُ الصَّوْمِ عَزِيمَةٌ وَالتَّمَسُّكُ بِالْعَزِيمَةِ أَوْلَى مِنَ التَّرْخِصِ بِالرُّخْصَةِ ٢١ .

تحليل الآراء للمذهبيين

إن استدلال الجمهور استدلال قوي مبني على أسس قويمه و هو بينٌ على من قارن بين آرائهم ، والضعف أظهرٌ في مذهب أهل الظاهر، وتفصيلهما فيما يلي :

أ - إن قوله تعالى : ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ : مِنْ لَطِيفِ الْفَصَاحَةِ ، لِأَنَّ تَقْدِيرَهُ : فَأَفْطَرَ فَعِدَّةً مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِمْ أَذًى مِّنْ رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ ٢٢﴾ تَقْدِيرُهُ فَحَلَقَ فِدْيَةً ، والحذف على مثله كثير في القرآن كما مرّ آنفا .

ب - إن جزالة هذه الآية وفصاحتها تقتضي أنها على الحذف ، تقديره : "فأفطر" فهو دليل على مذهب الجمهور ، لا على مذهب غيرهم .

ج - أما الحديث الذي استدل به أهل الظاهر ، فهذا وارد على سبب خاص و هو أن النبي ﷺ رأى رجلاً يُظَلَّلُ و الزحام عليه شديد فسأل عنه فقالوا : هو صائم أجهده العطش فقال ﷺ : { لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ } ، فمقتضى الحال دال على أن الحديث يشير إلى من يجهد على نفسه إلى هذا الحد .

فيتضح من هذه البيانات أن رعاية الإيجاز البلاغي في هذه الآية تفيد كثيرا و تلك حسب ما يستفاد من الآية : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ٢٣﴾ ، و أما مذهب أهل الظاهر على عدم رعاية الإيجاز فضعفه أظهر و بذلك أنكره الجمهور من المفسرين و الفقهاء .

٢١ السرخسي ، المبسوط : ٩٢/٣ ، (ملخص) .

٢٢ سورة البقرة ، الآية : ١٩٦ .

٢٣ سورة البقرة ، الآية : ١٨٥ .

موضع الحذف الثاني : فأما الجزء الثاني من الآية ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ فاستنبط منه الفقهاء أحكاما كثيرة مثل : إن الصيام كان قد شرع ابتداء على التحجير ، ثم نُسخ بقوله تعالى : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ، و يرى الآخرون أن الآية غير منسوخة ، و أنها نزلت في الشيخ الكبير والمرأة العجوز ، لأنهما في حالٍ ، لن يأتيهما يوم يستطيعان فيه الصوم ، و غير ذلك من الأحكام ، و أما نحن فيهما الأمر من جهة البلاغة فقط ، و نركز في الجانب البلاغي من ناحية الإيجاز بما هو موضوع بحثنا .

و إذا يُرعى في الشطر الثاني من الآية رعاية الجانب البلاغي من الإيجاز فُتستنبط منها الأحكام على مذهبين منهما :

المذهب الأول : إن هذه الآية على حذف حرف النفي^{٢٤} ، أي : لا يطيقونه لكبر أو مرض لا يُرجي برؤه ، و اختاره الأحناف^{٢٥} كراي واحد من بين الآراء .

أدلتهم

أ - رأى السرخسي^{٢٦} أن في الآية حذف حرف النفي فيقول : "قِيلَ حَرْفٌ لَّا مُضْمَرٌ فِيهِ مَعْنَاهُ وَعَلَى الَّذِينَ لَّا يُطِيقُونَهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

^{٢٤} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٢١٥/٣ ، و السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١٢٤/٢ ، و نقله الأستاذ وهبة الزحيلي في تفسيره ، راجع : التفسير المنير : ٤٩٤/١ .

^{٢٥} راجع : السرخسي ، المبسوط ، ١٠٠/٣ ، و الكاساني ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : ١٤٢/٢ ، والزيلعي ، تبين الحقائق : ٣٣٧/١ ، مكتبة إمدادية ، ملتان ، و كمال الدين محمد بن عبدالواحد ، فتح القدير شرح الهداية : ٢٧٧/٢ ، مكتبة رشيدية ، كويت ، باكستان ، د . ت .

^{٢٦} هو محمد بن أحمد بن سهل ، أبو بكر ، شمس الأئمة (المتوفى : ٤٨٣ هـ) : قاض ، من كبار الأحناف ، مجتهد ، من أهل سرخس (في خراسان) . من أشهر كتبه المبسوط ، في الفقه والتشريع ، أملاه وهو سجين بالحب في أوزجند (بفرغانة) وله أيضا شرح الجامع الكبير للإمام محمد ، و كان سبب سجنه كلمة نصح بها الخاقان ولما أطلق سكن فرغانة إلى أن توفي ، راجع : الزركلي ، الأعلام : ٣١٥/٥ ، و عمر كحالة ، معجم المؤلفين - ٨ / ٢٦٧ .

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا^{٢٧}﴾ أَي : لِنَلَّا تَضِلُّوا وَ ﴿جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ

بِكُمْ^{٢٨}﴾ أَي : لِنَلَّا تَمِيدَ بِكُمْ^{٢٩}.

ب - ذَكَرَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَرَأَ : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ ،
وَقَالَ : لَيْسَتْ بِمَنْسُوحَةٍ ، وَهُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ ، وَالْمَرَأَةُ الْكَبِيرَةُ لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ
يَصُومَا فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا^{٣٠} .

المذهب الثاني : يرى أصحاب هذا المذهب أنه لا داعي لرعاية الحذف في هذه
الآية ، لأن الطاقة تعني تحمّل الشيء بمشقة و شدة ، والمعنى : يتحملونه بجهد شديد .
وهو قول أكثر المفسرين أن المراد من قوله : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ المقيم
الصحيح فخيّر الله تعالى أولاً بين أن يصوم وبين أن يفطر مع الفدية ثم نسخ ذلك
وأوجب الصوم عليه بقوله تعالى : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ . فَأَثَبَتَ اللَّهُ تَعَالَى
صِيَامَهُ عَلَى الْمُقِيمِ الصَّحِيحِ ، وَرَخَّصَ فِيهِ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ .

^{٢٧} سورة النساء ، الآية : ١٧٦ .

^{٢٨} من الملحوظ أنه ليست في القرآن آية بهذا اللفظ . بل كرّر القرآن الآية مرّات أثناء السور بألفاظ
مختلفة ، مرة منها : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة
النحل ، الآية : ١٥) ، و ثم ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ (سورة
لقمان ، الآية : ١٠) و مرة ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾ (سورة فصلت ، الآية : ١٠) و
أما الآية التي ذكّرت في المبسوط ، فهو الجمع بين الآيات تشاهماً .

^{٢٩} السرخسي ، المبسوط ، ١٠٠/٣ .

^{٣٠} الشوكاني ، فتح القدير : ١٨١/١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٩ م . وأما هذا قول ابن عباس

فأخرجه البخاري ، راجع ، الجامع الصحيح ، كتاب التفسير ، تفسير سورة البقرة : ٤٤٧/٢ .

أدلتهم

أ - حُكِمَ الآيَةُ مَنْسُوخٌ لِمَا بَعْدَهَا وَ دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ^{٣١} رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ { لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ كَانَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُفْطِرَ وَيَفْتَدِيَ حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا فَسَخَّطَهَا ^{٣٢} }

ب - إن في الآية تكرارا في بيان فرضية الصوم ، ولو لا تجديد الفرض فيه وتحديدُهُ وتأكيده ما كان لتكرار ذلك فائدة مقصودة ، وهذا مُنتزَعٌ عن النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَلِهَذَا الْمَعْنَى كَرَّرَهُ .

تحليل الآراء للمذهبيين

و إذا نمنع النظر في الأدلة للمذهبيين فنرى فيها النكات التالية :

أ - يقال في العرف للقادر القوي : إنه يستطيع هذا الفعل ، ولا يقال له : إنه يطيق هذا الفعل ، لأن اللفظ "يطيق" لا يستعمل إلا في حق من يقدر عليه مع ضرب من المشقة ^{٣٣} . فأصحاب المذهب الثاني يعنون من الآية بهذا المعنى ، و أما أصحاب المذهب الأول فهُمْ يَقْدِرُونَ فِي الْآيَةِ حَرْفَ النَّفْيِ ، وَ بِهَذَا مَرَادُهُمْ عَدَمُ اسْتَطَاعَةِ الْفِعْلِ . فَالْفَرْقُ بَسِيطٌ بَيْنَ الْمَرَادَيْنِ وَ بِهَذَا تَطَابَقَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي مَرَادِهِ فِي مَعْنَى الْفِعْلِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ .

^{٣١} هو سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع الأسلمي (المتوفي : ٧٤ هـ - ٦٩٣ م) ، صحابي من الذين بايعوا تحت الشجرة . غزا مع النبي ﷺ سبع غزوات ، منها الحديبية وخيبر وحنين . وكان شجاعا بطالا و هو ممن غزا إفريقية في أيام عثمان ، له ٧٧ حديثا ، و توفي في المدينة ، راجع : ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ٨٥/٢ - ٨٧ ، و العسقلاني ، الإصابة : ٦٥/٢ ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء : ٣ / ٣٢٦ ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^{٣٢} المسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب الصلیم ، باب بيان نسخ قوله تعالى (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ) ص : ٤١٣ ، و أبوداؤد ، السنن ، كتاب الصوم ، باب نسخ قوله تعالى (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ) : ٣١٧/١ .

^{٣٣} الرازي ، التفسير الكبير : ٨٨/٥ .

ب - استشهد كل واحد منهما على رأيه أي : على النسخ و الحذف من الآثار،
فَهُمْ سِوَاءٍ .

ج - إن المذهب الثاني يُوجب إيقاع النسخ في هذه الآية و المذهب الأول لا يُوجب ، ومعلوم أن النسخ كلما كان أقل كان أولى . فكان المصير إلى إثبات النسخ من غير أن يكون في اللفظ ما يدل عليه غير جائز^{٣٤} .

د - إن علماء فن البلاغة على رأي أنه لو قُدِّرَ حرف نفى لِرُفْعِ الإشكال من هذه الآية : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي لا يطيقونه^{٣٥} .

المبحث الثاني : حكم الهدي حالة الإحصار في الحج

قال الله تعالى : ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾^{٣٦} .

الإيجاز في الآية

إن قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ مقابل لمحذوف أي : أتموا الحج و العمرة لله إن قدرتم على إتمامهما ، و ثم في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ حذف ، والتقدير : فحللتهم ، وهو كقوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^{٣٧} ، أي : فأفطر فعدة . وقوله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ جواب الشرط وهو مشتمل على أحد ركني الإسناد وهو المسند إليه دون المسند فلا بد من تقدير ، دل عليه قوله تعالى : ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ ، وقدره الزمخشري :

^{٣٤} الرازي ، التفسير الكبير : ٨٨/٥ .

^{٣٥} الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٢١٥/٣ ، و السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن :

١٢٤/٢ .

^{٣٦} سورة البقرة ، الآية : ١٩٦ .

^{٣٧} سورة البقرة ، الآية : ١٨٤ .

فعلیکم^{٣٨}، وقال ابن عاشور أن الأظهر أن يقدر فعل الأمر أي : فاهدوا ما استيسر من الهدى^{٣٩}، وكلا التقديرين دالان على وجوب الهدى في الحج و العمرة، بأنهما يجب إتمامهما بعد الإحرام باتفاق جمهور الفقهاء .

رعاية الحذف في الآية و أثره في فهم المعنى المراد

فرأينا كما مرّ بنا أن الآية على غاية الإيجاز بسبب الحذف الكثير فيها ، فلا بد من رعاية هذه المحذوفات ليفهم المعنى المراد بالصواب و إذا لم يُرَع الحذف في الآية لأدّى إلى الخطاء في تعيين المعنى المراد . فكما قلنا إن الآية : ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ على غاية الإيجاز بسبب وقوع الحذف الكثير فيها ، والتقدير لهذه المحذوفات كلها يكون : أتموا الحج و العمرة لله (إن قدرتم على إتمامهما) فإن أحصرتم (فحللتم فاهدوا) ما استيسر من الهدى . فالعبارة بين القوسين محذوفة فاتضح من هذه التقديرات أن عدم رعاية الإيجاز في الآية يؤدي إلى الفساد في فهم المعنى المراد .

المبحث الثالث : تحريم الصلاة في حالة السكر

قال الله سبحانه و تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ .

^{٣٨} الزمخشري ، الكشاف : ٢٦٧/١ .

^{٣٩} ابن عاشور ، التحرير و التنوير : ٢٢٤/٢ .

^{٤٠} سورة النساء ، الآية : ٤٣ .

إن في قوله تعالى : ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ ، مذهباً في رعاية الحذف وعدمها كما سيأتي :

المذهب الأول و أدلته

إن في الآية حذف المضاف ، تقديره : مواضع الصَّلَاة والمراد بمواضعها المساجد ، ويؤيدُه قوله تعالى بعد ذلك : ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ .

و من أدلة أصحاب هذا المذهب بأن القُرب والبعد حقيقة في المسجد ، مجاز في الصَّلَاة ، والحقيقة أولى من المجاز؛ لأن الاستثناء يَصِحُّ عليه ، ولا يَصِحُّ على الثاني وكما بيَّنه الله سبحانه و تعالى بقوله : ﴿هُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾^{٤١} ، والمراد بالصلوات مواضع الصلوات ، فثبت أن إطلاق لفظ الصلاة والمراد به المسجد جائز . وهو بحذف المضاف على سبيل المجاز و ذلك شائع استعماله في لغة العرب . و هذا المذهب للشافعي^{٤٢} وإليه ذهب الحسن البصري^{٤٣} .

^{٤١} سورة الحج ، الآية : ٤٠ .

^{٤٢} إدريس الشافعي ، كتاب الأم ، ٧١/١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٠ م ، والنووي ، المجموع :

١٥٥/٢ ، ١٦٠-١٦٣ ، دار الفكر ، بدون اسم المدينة و د . ت ، والكاساني ، بدائع الصنائع : ٥٨/١ ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ م ، مركز أهل السنة ، عُجرات ، الهند .

^{٤٣} هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري (٢١ - ١١٠) هـ ، كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة . وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ ، وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة -رضي الله عنها- ثديها . ولد بالمدينة ، وشب في كنف علي بن أبي طالب و هو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان ، توفي بالبصرة ، راجع: ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ١٥٦/٧ ، دارصادر ، بيروت ، ١٩٥٨ م ، و الذهبي ، تذكرة الحفاظ : ٧٥/١-٧٦ ، الطبعة الأولى ١٩٨٠ م ، دار نشر الكتب الإسلامية ، لاهور ، باكستان ، و العسقلاني ، تهذيب التهذيب : ٣٦٣/٢-٣٧١ ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٦٩/٢-٧٣ .

المذهب الثاني و أدلته

إنه لا حَذْفٌ في الآية ، والنَّهْيُ عن قُرْبَانِ نفس الصَّلَاةِ في هذه الحالة . وعلى هذا المذهب فقهاء من الأحناف و بعض المفسرين ، و هم على رأي أن الصلاة باقية على معناها الحقيقي^{٤٤} ، والدليل على هذا الرأي قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ، أي : لا تقربوا نفس الصلاة ، لأن فيها قراءةً من آيات القرآن و دعاءً و أذكاراً ، و كلُّها تطلب الوعي و الإدراك و استكمال القوى العقلية .

المقارنة بين أدلة المذاهب

وإذا نعمن النظر في القول الثاني فيظهر لنا أن المراد من الصلاة نفس الصلاة لا مقامها، و يكون معنى الآية : لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ، ولا تقربوها حال كونكم جنباً إلا عابري سبيل ، ويدل عليه أسباب :

أسباب الترجيح عند الأحناف

أ - المراد بعابر السبيل المسافر ، فيكون هذا الاستثناء دليلاً على أنه يجوز للجنب الإقدام على الصلاة عند العجز عن الماء .

ب - إن المسجد ليس فيه قول مشروع يمنع السكر منه ، أما الصلاة ففيها أقوال مخصوصة يمنع السكر منها ، فكان حمل الآية على هذا أولى .

ج - إن إطلاق لفظ الصلاة مجاز والمراد به المسجد ، عدول عن الظاهر الذي لا موجب له^{٤٥} .

و أجاب أصحاب الشافعي بقولهم أن القول الأول أرجح ويدل عليه أسباب .

^{٤٤} الرازي ، التفسير الكبير: ١٠٨/٩ ، والجصاص ، أحكام القرآن: ٢/٢٠٥ ، مطبعة الأوقاف

الإسلامية، القسطنطينية، ١٣٣٥هـ، والبغوي، معالم التنزيل: ١/٤٣١ ، والكاساني، بدائع الصنائع: ١/٥٨ .

^{٤٥} ابن نجيم ، البحر الرائق شرح كتر الدقائق: ١/١٩٥ ، سعيد كمبني، كراتشي، باكستان ، د .ت.

أسباب الترجيح عند الشوافع

أ - أنه قال سبحانه و تعالى : ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ ، فالقرب والبعد لا يصحان على نفس الصلاة على سبيل الحقيقة ، إنما يصحان على المسجد ، و المراد من "عابري السبيل" هو الذي يريد عبور فناء المسجد و ليس المراد من المسافر كما زعم الأحناف .

ب - إننا لو حملناه على ما قلنا لكان الاستثناء صحيحا ، أما لو حملناه على ما قال غيرنا لم يكن صحيحا ، لأنه لا فرق في رخصة التيمم بين المسافر و غيره من الأشخاص إذ عجزوا عن استعمال الماء لعذر ، بل يجوز لهم الصلاة بالتيمم ، وإذا كان كذلك كان حمل الآية على ذلك أولى .

ج - وإذا حملنا عابر السبيل على الجنب المسافر، فهذا إن كان واجدا للماء لم يجز له القرب من الصلاة ألبتة ، فحينئذ يحتاج إلى إضمار هذا الاستثناء في الآية ، وإن لم يكن واجدا للماء لم يجز له الصلاة إلا مع التيمم ، فيفتقر إلى إضمار هذا الشرط في الآية . وأما على ما قلناه فإننا لا نفتقر إلى إضمار شيء في الآية فكان قولنا أولى .

د - إن الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء ، وجواز التيمم بعد هذا الحكم نبحت فيه ، فلا يجوز حمل هذا الحكم على حكم مذكور في آية بعده ولو حملناه لزم التكرار .

هـ - إن القراء كلهم استحبوا الوقف عند قوله: ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ ، ثم يستأنف قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَى﴾ ، لأنه حكم آخر . وأما إذا حملنا الآية على ما ذكرنا لم نحتاج فيه إلى هذه الإلحاقات فكان ما قلناه أولى .

و - وأما قولهم إن قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ " يدل على أن المراد من قوله : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾ نفس الصلاة لأن المسجد ليس فيه قول مشروع يمنع السكر منه ، أما الصلاة ففيها أقوال مخصوصة يمنع السكر منها ، فكان حمل الآية على هذا أولى ^{٤٦} ، فردّ أصحاب الشافعي قول الأحناف بدليل وهو : إن الظاهر أن الانسان إنما يذهب إلى المسجد لأجل الصلاة ، فما يُخِلُّ بالصلاة ، كان كالمانع من الذهاب إلى المسجد فلهذا ذكر هذا المعنى .

ز - و أما قولهم : إن إطلاق لفظ الصلاة مجاز والمراد به المسجد ، عدول عن الظاهر الذي لا موجب له ، فرد الشوافع أنه ليس الأمر كما زعموا ، بل القُرب أو البعد حقيقة في المسجد ، مجاز في الصلاة ، والحقيقة أولى من المجاز ؛ لأن الاستثناء يصح عليه ، ولا يصح على الثاني . وكما بينه الله سبحانه و تعالى بقوله : ﴿ هَدِمْتُمْ صَوَامِعَ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٍ ﴾ ^{٤٧} ، والمراد بالصلوات مواضع الصلوات ، فثبت أن إطلاق لفظ الصلاة والمراد به المسجد جائز و هذا موجب قوي على خلاف زعمهم .

تحليل أدلة المذهبين

إن فائدة الخلاف تظهر في حكم شرعي ، بأنه على التقدير الأول يكون المعنى : لا تقربوا المسجد وأنتم سكارى ولا جنبا إلا عابري سبيل ، وعلى هذا الوجه يكون الاستثناء دالا على أنه يجوز للجنب العبور في المسجد ، وهو قول الشافعي . وأما على القول الثاني فيكون المعنى : لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ، ولا تقربوها حال كونكم جنبا إلا عابري سبيل ، والمراد بعابر السبيل المسافر ، فيكون هذا الاستثناء دليلا على أنه يجوز للجنب الإقدام على الصلاة عند العجز عن

^{٤٦} أي : قول الأحناف المذكور

^{٤٧} سورة الحج ، الآية : ٤٠ .

الماء .فيتضح من هذه التصريحات أن قول الأحناف أرجح بما فيه توجيه أبلغ من غيره كما صرَّح : إنه لو أريد من الآية مفهوما " لَأَتَقَرَّبُوا مَوَاضِعَ الصَّلَاةِ " على سبيل المجاز والأصل في الكلام الحقيقة وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه إنما يجوز عند عدم اللبس كقوله تعالى ﴿ وَسئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾^{٤٨} ، أي : أهلها لا عند اللبس فلا يجوز أن يقال جاءني زيد وأريد به غلام زيد ، وأما قوله تعالى ﴿ لَا تَقَرَّبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ، فلا شك أن المراد بها حقيقة الصلاة لا مواضعها إذ لا مانع من قربان مواضع الصلاة في الصحراء إجماعاً ، إن علم المصلون ما يقولون أو لم يعلموا .

وقوله ﴿ وَلَا جُنُبًا ﴾ عطف عليه أي : لا تقربوا الصلاة جنباً فكان المراد بذلك النهي عن قربان الصلاة في حال الجنابة حتى يغتسلوا كما نهاهم عن الصلاة حتى يعلموا ما يقولون ، وقول الشوافع "ليس في الصلاة عبور سبيل وإنما هو في مواضعها وهو المسجد" لا يصح هنا لأن المراد من عبور السبيل هو السفر فاندفع الإشكال^{٤٩} .

و من الملحوظ أنه لا يفسد المعنى حال تفسير الآية على المذهبين ، و هو أنه إذا نحمل الآية على رأي الشوافع فمعناها : لا تقربوا مكان الصلاة ، بالسكر أو بالجنابة ، لأنه لم يقل : لاتصلوا، والصلاة مكانها المسجد، فقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقَرَّبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا ﴾ ، أي : لا تقربوا الصلاة ، والقرب عرضة أن يكون ذهاباً للمسجد ، فكأنه يقول : لا تذهب إلا إذا كان المسجد لا طريق للماء إلا منه .

^{٤٨} سورة يوسف ، الآية : ٨٢ .

^{٤٩} الزيلعي ، تبين الحقائق شرح كتر الدقائق : ٥٦/١ ، (ملخص) ، مكتبة إمدادية ، ملتان ، د .ت .

المبحث الرابع : فرضية الوضوء و التيمم .

قال الله تبارك و تعالى في القرآن المجيد : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٠﴾ .

ففي الآية أحكام كثيرة تتعلق بالوضوء و التيمم و غسل الجنابة لا نبحت بكلها و لكن يهمننا الأمر منها ما يتعلق بالإيجاز البلاغي و نرى أثره في استنباط الأحكام و اختلاف الفقهاء ، فحسب ما قلناه ، فنرى في الآية أثر البلاغة من ناحية الإيجاز .

الإيجاز في الآية

أ - في الآية إيجاز بالحذف ، و لوأن ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة محدث وغير محدث ولكن حذفت الجملة من الآية ، أي : إذا قمتم إلى الصلاة و أنتم محدثون ، وهذا الحذف قائم على دليل شرعي ، إذ لا يقبل الله تعالى صلاة بغير طهور . فإذا كان يريد الصلاة محدثا و جب عليه الوضوء ، و إذا كان متوضئا فهو مندوب . وكدلالة شرعية على هذا الحذف يرشدنا النبي ﷺ إليه في الحديث حيث يقول : { لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ }^{٥١} . ففي هذه الحالة يجب أن يكون الأمر للوجوب ، فيكون الخطاب للمحدثين خاصة ، و مع ذلك يحتمل أن يكون الأمر للندب ، فيكون الخطاب لغير المحدثين . بما جاء في

^{٥٠} سورة المائدة ، الآية : ٦ .

^{٥١} المسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب الطهارة ، باب وجوب الطهارة للصلاة ، ص : ١٠٦ ، والترمذي ، السنن ، أبواب الطهارة ، الوضوء من الريح : ٢٣/١ ، وأحمد ، المسند ، باب أبي هريرة : ٣١٨/٢ .

الحديث: { أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الصَّلَوَاتِ يَوْمَ الْفَتْحِ بَوْضُوءٍ وَاحِدٍ وَمَسَحَ عَلَى خُفَيْهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ قَالَ عَمْدًا صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ ^{٥٢} } .

ب _ و قال ابن الأثير أن الوضوء إنما يكون قبل الصلاة ، لا عند القيام إليها ، لأن القيام إليها هو مباشرة لأفعالها من الركوع والسجود والقراءة وغير ذلك ، وهذا إنما يكون بعد الوضوء ^{٥٣} ، فلا بد من أن يُقدَّر المحذوف في الآية و التقدير : إذا أردتم القيام إلى الصلاة ، فاكتفى بالمسبب عن السبب .

و بينه الرازي بتفصيل بقوله : " المراد بقوله ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ ليس نفس القيام ، ويدل عليه وجهان :

أ - إنه لو كان المراد ذلك لزم تأخير الوضوء عن الصلاة، وأنه باطل بالإجماع .
 ب - إنهم أجمعوا على أنه لو غسلت الأعضاء قبل الصلاة قاعداً أو مضطجعاً لكان قد خرج عن العهدة ، بل المراد منه : إذا شترتم للقيام إلى الصلاة وأردتم ذلك ، وهذا وإن كان مجازاً إلا أنه مشهور متعارف ، ويدل عليه وجهان :
 الوجه الأول : أن الإرادة الجازمة سبب لحصول الفعل ، وإطلاق اسم السبب على المسبب مجاز مشهور .

الوجه الثاني : قوله تعالى : ﴿ الرَّجَالُ قَوْمُونَ عَلَى النَّسَاءِ ^{٥٤} ﴾ وليس المراد منه القيام الذي هو الانتصاب ، يقال : فلان قائم بذلك الأمر ، أو كما قال الله تعالى : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ^{٥٥} ﴾ وليس المراد منه ألبتة الانتصاب ، بل المراد كونه مزيداً

^{٥٢} المسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب الطهارة ، باب جواز الصَّلوات كلها بوضوء واحد ، ص : ١٢١ ، والترمذي ، السنن ، أبواب الطهارة ، باب ما جاء أنه يصلى الصَّلوات بوضوء واحد : ٩١/١ ، وأبو داؤد ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب الرجل يصلى الصَّلوات بوضوء واحد : ٣٣/١ .

^{٥٣} ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر : ٢ / ٢٧٤ .

^{٥٤} سورة النساء ، الآية : ٣٤ .

^{٥٥} سورة آل عمران ، الآية : ١٨ .

لذلك الفعل متهيئاً له مستعداً لإدخاله في الوجود ، فكذا ههنا قوله ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ معناه إذا أردتم أداء الصلاة والاشتغال بإقامتها ^{٥٦} .

وكثير من المفسرين على رأي أن في الآية حذفاً كما بينه أبو حيان بقوله : "ذهب الجمهور: إلى أنه لا بد في الآية من محذوف وتقديره : إذا قمتم إلى الصلاة محدثين، لأنه لا يجب الوضوء إلا على المحدث ، ويدل على هذا المحذوف مقابله بقوله : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطَهَّرُوا﴾ وكأنه قيل: إن كنتم محدثين الحدث الأصغر فاغسلوا هذه الأعضاء ، وامسحوا هذين العضوين . وإن كنتم محدثين الحدث الأكبر فاغسلوا جميع الجسد ^{٥٧} ."

التحليل

فرأينا أن في الآية حذفاً بلاغياً لو لم يُرعه لوجب أمران :

أ - ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة محدث أو غير محدث .

ب - المراد بالقيام ، القيام الذي هو من أركان الصلاة .

ولكن الأمر لا ينتهي على هذا ، بل الآية على غاية الإيجاز ، فهذا من إعجاز القرآن أنه بين أموراً كثيرة في الآية على سبيل الإيجاز بالحذف . قد عبر الله تعالى عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازاً للإيجاز ، أي : إذا أردتم القيام إليها كما في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ^{٥٨} أي: إذا أردت القراءة . وبذلك احتج الزمخشري بقوله : " عبر عن إرادة الفعل بالفعل ، وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة ، فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ، وإيجاز الكلام ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب قولهم : كما تدين تدان . وقيل : معنى

^{٥٦} الرازي، التفسير الكبير: ١١/ ١٥٠ .

^{٥٧} أبو حيان ، البحر المحيط : ٣/ ٤٤٩ .

^{٥٨} سورة النحل ، الآية : ٩٨ .

قتمم إلى الصلاة قصدتموها ؛ لأن من توجه إلى شيء وقام إليه كان قاصداً له لا محالة ، فعبر عن القصد له بالقيام إليه ^{٥٩} .

فالمراد بالقيام ، القيام الذي هو من مقدمات مباشرة الصلاة لا القيام الذي هو من أركان الصلاة ، فيدل على هذا المحذوف الدليل الحالي الذي هو معروف عند البلاغيين، ويبيّن في ضمن أدلة الحذف في كتب البلاغة كما مرّ بنا شرحها آنفاً ^{٦٠} .
وأما الدليل الذي يوجب الوضوء على المحذوف دون غيره فيسميه البلاغيون الدلالة الشرعية و مرّ بيانه أيضاً في الباب الأول ^{٦١} .

فالدليل الحالي و الدليل الشرعي أمران مؤيدان لتقدير المحذوف في الآية من قرينة الحال و من السنة . و إذا يرمى المسلم رعاية الإيجاز البلاغي، يسهل العمل له على أحكام الوضوء المذكورة في الآية سهولةً وافرّةً بدون تكليف ما لا يطاق .

اللطيفة : قد تشتد الحاجة إلى أن تُبيّن الأحكام القرآنية بصورة واضحة و تُوضح هذه المحذوفات باليقين ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالسنة النبوية العادلة . و يرشدنا القرآن الكريم إلى استرشاد بالسنة بأسلوب حكيم معجز . قد بيّن القرآن الأحكام بأسلوب موجز باستخدام الحذف البليغ و يشتد الحاجة إلى من يدل على هذه المحذوفات ولا يدل عليها إلا السنة كدليل شرعي ، كأن الله سبحانه و تعالى يرشدنا إلى التمسك بالسنة النبوية على صاحبها الصلاة و السلام في صورة رعاية بلاغية . وتارة يبيّن القرآن ضرورة الاستمسك بها علانية بقوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ^{٦٢} ، هذه والآيات الأخرى شاهدة على هذا الموضوع .

^{٥٩} الرمنشري ، الكشاف : ٦٤٣/١ ، بتصريف قليل .

^{٦٠} راجع ، البحث ، ص : ٥٨ .

^{٦١} راجع ، البحث ، ص : ٥٨ .

^{٦٢} سورة الحشر ، الآية : ٧ .

المبحث الخامس : أجمع آية في القرآن للخير و الشر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^{٦٣} ، قد ذكر الله تعالى في هذه الآية كل المأمورات و المنهيات ، و الآية على قمة البلاغة من الإيجاز الجامع حيث احتوت على معان عديدة حتى قال ابن مسعود : ما في القرآن آية أجمع للخير و الشر من هذه الآية^{٦٤} . و أشار كثير من العلماء إلى بلاغة هذه الآية و فصاحتها ، و بين السيوطي خلاصة آرائهم بقوله : " فإن العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط و التفريط المؤمى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد و الأخلاق و العبودية . و الإحسان هو الإخلاص في واجبات العبودية ، لتفسيره في الحديث بقوله ﷺ : { أن تعبد الله كأنك تراه^{٦٥} } ، أي : تعبه مخلصاً في نيتك و واقفاً في الخضوع آخذاً أهبة الحذر... إلى ما لا يحصى و إيتاء ذي القربى هو الزيادة على الواجب من النوافل ، هذا في الأوامر ، و أما النواهي فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية ، و بالمنكر إلى الإفراط الحاصل من آثار الغضب أو كل محرم شرعاً ، و بالبغى إلى الاستعلاء الفاض عن الوهمية^{٦٦} . "

^{٦٣} سورة النحل ، الآية : ٩٠ .

^{٦٤} راجع : الحاكم نيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة النحل : ٣٥٦/٢ ، مطبعة دارالفکر ، بيروت ، ١٩٧٨ م .

^{٦٥} الحديث طويل و معروف بحديث جبريل و رواه كثير من الحديثين ، راجع : البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان و الإسلام و الإحسان و علم الساعة : ١٢/١ ، و المسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب معرفة الإيمان و الإسلام و القدر و علامة الساعة ، ص : ٢٧ .

^{٦٦} السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١٠٦/٢ - ١٠٧ .

قد احتوت الآية على دعائم الحياة الإسلامية و ركائزها و بين الله تعالى فيها المأمورات و المنهيات بصفة مطلقة التي تتعلق بالتعامل و القضاء ، و شئون الدين و الدنيا ، و سلوك الإنسان مع نفسه و مع غيره . و خير بيان في هذا الموضوع ما بينه الحسن رضي الله عنه^{٦٧} في شرح الآية بقوله : " إن الله سبحانه و تعالى جمع لكم الخير كله ، و الشر كله في آية واحدة ، فوالله ما ترك العدل ، و الإحسان من طاعة الله شيئا إلا جمعه ، و لا ترك الفحشاء ، و المنكر و البغي ، من معصية الله شيئا إلا جمعه ^{٦٨} " .

قد شرح العلماء خصائص الآية و مميزاتها شرحا و افيا لا مقام لبياتها هنا ، بل من الأحسن أن نبحث عن فقه الأحكام المستفادة من هذه الآية .

فقه الأحكام

الأوامر و النواهي في هذه الآية محاسن الأخلاق و دعائم المجتمع الإسلامي . فأمرت الآية بأوامر ثلاثة و نُهت عن نواهي ثلاث وهي :

الأوامر في الآية

أ - العدل التوسط في الأمور اعتقاداً كالتوحيد المتوسط بين التعطيل و التشريك ، و القول بالكسب المتوسط بين محض الجبر و القدر ، و عملاً كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة و الترهيب ، و خلقاً كالجود المتوسط بين البخل و التبذير ، و العدل هو الإنصاف بأداء الواجبات و الفرائض و قسّمه العلماء إلى ثلاثة أقسام ، عدل مع الله و عدل مع النفس و عدل مع الناس .

^{٦٧} هو الحسن بن علي بن أبي طالب (٣ - ٥٠ هـ) ، و أمه فاطمة - رضي الله عنها - بنت رسول الله صلى الله عليه و آله ، سبط رسول الله صلى الله عليه و آله و ريجانته من الدنيا و أحد سيدي شباب أهل الجنة . هو خامس الخلفاء الراشدين و آخرهم ، و ولد في المدينة المنورة ، كان عاقلاً حليماً محباً للخير ، فصيحاً من أحسن الناس منطقتاً . راجع : ابن عبد البر ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب : ١/٣٦٨-٣٧٧ ، و ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في معرفة الصحابة : ١/٣٢٧-٣٣٠ ، و ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٢/٦٥-٦٩ .

^{٦٨} البيهقي ، شعب الإيمان ، باب في الإيمان برسول الله صلوات الله عليهم : ١/١٦٢ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ب - والإحسان إحسان الطاعات ، وهو إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام { الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك } ، والإحسان هو الزيادة أو النافلة المستحبة فوق الفرض والواجب .

ج - إيتاء ذي القربى هو إعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو صلة الأقارب و الأرحام لأن حقوقهم أوكد و صلتهم أوجب^{٦٩} .

النواهي في الآية

أ - الفحشاء هو الإفراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فإنه أقبح أحوال الإنسان وأشنعها وأيضاً الفحش هو كل قبيح من قول أو فعل من الأفعال المذمومة .

ب - المنكر وهو ما أنكره الشرع بالنهي عنه كالكفر و الشرك أو إستقبحة العقل السليم و نهي عنه الشرع كالسباب و القتل و غمط حقوق الناس و نحو ذلك من المعاصي .

ج - البغي هو الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم ، فإنها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ، وهو تجاوز الحد كالظلم على الناس و الكبر و التّعدي . فرأينا أن الآية رغم و جازتها كم أحاطت من المعاني الواسعة و كم احتوت من الحُكم البالغة ، و كل هذه تُستفاد منها إذا رعيت رعاية الإيجاز البلاغي في فهمها و شرحها^{٧٠} .

و هذه الآية جمعت المعاني الواسعة في رحابها العميق بدون حذف أو إضمار وهذا الأسلوب يتعلق بإيجاز القصر ، و هو نوع من أنواع الإيجاز البلاغي الذي نحن بصددده .

^{٦٩} الألوسي ، روح المعاني : ٢١٧/١٤ ، ملخص .

^{٧٠} نفس المصدر .

المبحث السادس : تقدير حذف في البسملة

اختلف العلماء في البسملة ، أ هي آية من الفاتحة أم لا ؟ و مهما يكون الأمر فإنه لا يهمننا خلاف العلماء في ذلك بما هو خارج عن موضوعنا ، وبعض النظر عن هذا الخلاف ، اتفقت الأمة على أن البسملة آية من آيات سورة النمل . حيث قال الله سبحانه و تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ^{٧١} ﴾ .

معنى البسملة

البسملة هي قول القائل : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ و معناها : أبدأ باسم الله و بذكره قبل كل شيء ، مستعينا به جل و علا في جميع أموري .

الإيجاز البلاغي فيها

اتفق النحاة و أهل البلاغة على أن في البسملة حذفاً و اختلفوا في تقديره و هم في ذلك على رأيين ، أي : مذهب النحاة في تقدير الحذف في البسملة غير مذهب البلاغيين ، و الذين قدروا متعلق الباء محذوفاً متقدماً ، هم النحاة و الذين قدروه متأخراً ، هم أهل البلاغة و لكل واحد منهم أغراض فيه .

مذهب النحاة : أهل النحاة على رأي أن الجار و المجرور في ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : ابتدائي باسم الله ، أي : كائن باسم الله ، وهذا عند البصريين و أما الكوفيون فهم يقولون أن الجار و المجرور في ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ في موضع نصب بفعل مقدر ، تقديره : ابتدأت بسم الله ، كما قيل : " جملة البسملة فإن قدر : " ابتدائي باسم الله " ، فاسمية و هو قول البصريين ، أو أبدأ باسم الله ، ففعلية ، و هو قول الكوفيين ^{٧٢} .

^{٧١} سورة النمل ، الآية : ٣٠ .

^{٧٢} ابن هشام ، مغنى اللبيب عن كتب الأعراب ، ص : ٤٩٥ .

أدلة النحاة القائلين بتقديم المحذوف

أ - إنه من قَدَّر المحذوف في البسمة متقدماً من النحاة كان غرضه الدلالة بتقديمه على الاهتمام بشأن الفعل .

ب - إن تقديم المحذوف في البسمة أولى من تأخيره بما أن الثاني يعارض الآية بقوله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ^{٧٣} .

ج - إن الفعل محذوف لدلالة الكلام عليه ، تقديره : أبدأ بسم الله .

د - إن في تقديم المحذوف في البسمة امثالاً بالحديث : { كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَّا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ أَقْطَعُ ^{٧٤} } من جهة اللفظ والمعنى معاً ، و أما في تقدير : "باسم الله أقرأ" بالتأخير ، ففيه امثال من جهة المعنى فقط .

مذهب أهل البلاغة

وأما أهل البلاغة فَهَمْ يَقْدَرُونَ المحذوف في البسمة متأخراً وَلَهُمْ فِيهِ أغراض حكيمة . فإن العلماء الذين قَدَّرُوهُ متأخراً فَهَمْ كَثِيرُونَ و منهم الزمخشري الذي قال : إن الباء في بسم الله متعلق بمحذوف تقديره : بسم الله أقرأ أو أتلو؛ لأنَّ الذي يتلو التسمية مقروء ، كما أنَّ المسافر إذا حلَّ أو ارتحل فقال : بسم الله والبركات ، كان المعنى : بسم الله أحلَّ و بسم الله ارتحل ، وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ، ب "بسم الله" كان مضمراً ما جعل التسمية مبدأ له ^{٧٥} . و به البيضاوي حيث يقول : والباء متعلقة بمحذوف ، تقديره : بسم الله أقرأ لأنَّ الذي يتلوه مقروء . وكذلك يضمركل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له ^{٧٦} . و مِنْهُمْ

^{٧٣} سورة العلق ، الآية : ١ .

^{٧٤} ابن ماجه ، السنن ، كتاب النكاح ، باب خطبة النكاح : ١٣٦/١ ، قديمي كتب خانة ، كراتشي ، و

الطبراني ، المعجم الكبير : ٧٢/١٩ .

^{٧٥} الزمخشري ، الكشاف : ٤٥/١ - ٤٦ .

^{٧٦} البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥/١ ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨ م ، مطبعة مصطفى الباي ، مصر .

السيوطي حيث يقول : إنه من أدلة الحذفِ الشروعُ في الفعل نحو بسم الله ، فيُقَدَّر ما جعلت التسمية مبدأً له ، فإن كانت عند الشروع في القراءة قُدِّرَتْ "أقرأ" و الأكلِ ، قُدِّرَتْ "أكلُ" ، وعلى هذا أهل البيان قاطبة ^{٧٧} .

أدلة أهل البلاغة القائلين بتأخير المحذوف

أ - إن تقدير محذوف متأخر بتعلق الباء أولى من أن يُقَدَّر متقدماً لعدم ما يطابقه .

ب - إن تقديم المعمول ههنا أوقع كما في قوله : ﴿ وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ

مَجْرِبَهَا وَمُرْسَلَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^{٧٨} لأنه أهم وأدل على الاختصاص ، فإن

تقديم اسمه سبحانه وتعالى على القراءة أدخل في التعظيم وأوفق للوجود .

ج - إن الفعل لا يَتِمُّ ولا يُعْتَدُّ به شرعاً ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه الصلاة

والسلام : { كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بيسم الله فهو أبتَر } .

د - ومن قدره متأخراً كان غرضه الدلالة بتأخيره على ما يحصل في ضمن ذلك من

العناية بشأن اسم الجلالة ، والإشارة إلى أن البداية به أهم ، لكون التبرك حصل به .

هـ - إن تقدير الفعل متأخراً في مثل هذا المقام يظهر به رجحان ، ولا يعارضه قوله

تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ^{٧٩} لأن ذلك المقام مقام القراءة .

و - إنه من يدَّعي أن في تقديم المحذوف في البسمة امثالاً بالحديث من جهة اللفظ

والمعنى معاً ، ففي تقدير أقرأ بالتأخير امثال من جهة المعنى فقط ، فهذا ليس

بمقبول ، لأن مدار الامثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله ، إذ لم يقل في الحديث :

"كل أمر ذي بال لم يُقَلَّ فيه أو لم يُضَمَّر فيه أبداً" ، وهذا إلى آخر السورة الكريمة

^{٧٧} السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ١١٥/٢ .

^{٧٨} سورة هود ، الآية : ٤١ .

^{٧٩} سورة العلق ، الآية : ١ .

مقولٌ على السنة العباد تلقيناً لهم ، وإرشاداً إلى كيفية التبرك باسمه تعالى ، وهدايةً إلى منهاج الحمد .

تحليل الآراء

إننا قد رأينا أن أصحاب المذهبين أي : النحاة و أهل البلاغة اتفقوا على وقوع الحذف في البسمة إلا أن اختلافهم في تقدير المحذوف تقديماً أو تأخيراً ، ولكل واحد منهما أدلة . فمن الملحوظ أنه فرق بسيط في اختلافهم لتقدير المحذوف تقديماً أو تأخيراً الذي لا يغيّر المعنى ، وعدم تغيير المعنى دليل قوي على كونهما مع الحق . و نظراً إلى هذا التصريح فمن الممكن أن نقول أن التزاع في ترجيح أحدهما على الآخر فقط ، دون الجواز و عدمه .

ويمكن للذي يعن النظر في أدلتهم لترجيح مذهبهم على أن الرجحان بتأخير المحذوف دون تقديمه . وإنما الترجيح لتقدير المحذوف متأخراً لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به ، وكان الكفار يبدعون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى ، فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل^{٨٠} .

ومع ذلك كل فائدة في تقديم المحذوف موجودة في تأخيره إضافة إلى الفوائد الأخرى التي يفقدها التقديم ، إلا قول النحاة أن مذهبهم أولى وفاءً بمفهوم قول الله عز وجل : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، فإنه لا يزيل ترجيح قول أهل البلاغة بما ردوا أنه قدّم الفعل في ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ لأنها أول سورة نزلت في قول ، وكان الأمر بالقراءة أهم فكان تقديم الفعل أوقع في هذه الحالة فقط دون غيرها .

^{٨٠} النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٧/١، قديمي كتب خانة، كراتشي، باكستان، د.ت.

الإعجاز البياني في البسملة

من الملحوظ أنه كلما بيّناه أنفاً كان من جهة الحذف في البسملة وهو نوع من أنواع الإيجاز ، و قد بيّن العلماء اللطائف البلاغية الأخرى ضمن تحليل البسملة البلاغي و من بينها التضمين .

فذكر الباقلاني و السيوطي أن من الإيجاز نوعاً يسمى التضمين و ذكرا أن البسملة تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى و بذلك يظهر إعجازها البلاغي من جهة العبارة فيقولان أن المراد من التضمين هو حصول المعنى فيه من غير ذكره له باسم أو صفة هي عبارة عنه وذلك على وجهين: تضمين توجهه البنية ، و تضمين توجهه معنى العبارة ، وهو كله إيجاز، وأن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من باب التضمين^{٨١} ، لأنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تبارك وتعالى، أو التبرك باسمه^{٨٢}.

فأينما أن البسملة تحتل مكاناً في البلاغة من جهة العبارة ومن جهة اللفظ والمعنى ولا يمكن هذا لكلام المخلوق وهذه ميزة كلام خالق الناس دون كلام الناس .

فلسفة الإيجاز البلاغي في البسملة

كما قلنا إن أصحاب المذهبين أي : النحاة و أهل البلاغة اتفقوا على وقوع الحذف في البسملة إلا أنه فرق بسيط في اختلافهم لتقدير المحذوف تقديماً أو تأخيراً ، مهمماً كان الأمر فإن الحذف في البسملة يحيط فوائداً عظيمة في داخلها ، و من بينها أنه لو ذكر المحذوف في البسملة ليلجأ إلى مخالفة لفظ القرآن عند اقتباسه في شروع

^{٨١} التضمين هو حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باسم هي عبارة عنه وهو نوعان أحدهما ما يفهم من البنية كقوله معلوم فإنه يوجب أنه لا بد من عالم ، والثاني من معنى العبارة كبسم الله الرحمن الرحيم فإنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى و التبرك باسمه ، راجع: السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن : ١١١/٢ .

^{٨٢} الباقلاني ، إعجاز القرآن، ص: ٢٧٤، والسيوطي، الإتيان في علوم القرآن: ١١١/٢ ، (ملخص) .

الأفعال المختلفة ، إلا أن وقوع الحذف في البسمة أزيد للفوائد و منها صلوحية
البسمة ليبتدئ بها كل شارع في فعل فلا يلجأ إلى مخالفة لفظ القرآن عند اقتباسه .

خاتمة البحث ونتائجه

بعد هذه الرحلة الطويلة الممتعة التي عشتها مع هذا البحث ، ألقى عصا الترحال منتهيا حيث انتهت بي مباحث هذا البحث وتمت فصوله ، مسجلا أهم النتائج التي توصلت إليها ، والفوائد التي وقفت عليها ، وهي فوائد كثيرة ومتعددة ، لذا رأيت أن أجعلها على قسمين :

- ١ - فوائد عامة وهي مأخوذة من إيجازات مباحث هذا الموضوع أو هي عبارة عن فوائد دراسة الإيجاز البلاغي في القرآن الكريم على وجه الإجمال .
- ٢ - فوائد خاصة وهي عبارة عن خلاصة لنتائج مباحث الرسالة .

أ - الفوائد العامة

١ - إن معرفة فلسفة الإيجاز البلاغي في القرآن الكريم سبب في زيادة الإيمان و تقويته ، واستمالة القلب وطمأنينته ، وهو أن المسلم مأمور بتصديق ما أنزله الله تعالى على رسوله الأمين ﷺ وفضيلة القرآن على كلام جميع الخلق ، علم الحكمة وسبب الإعجاز من ذلك أم لم يعلم .

ولكنه حين يقف على معرفة الإيجاز البلاغي في القرآن الكريم ويدرك فلسفته يزداد إيمانا وتعلقا بهذا الكتاب العظيم وتمسكا به ، لأنه يدرك حينئذ أن هذا الكتاب له مذاقه وأثره في قلوب المستمعين وأن الله تعالى وضع فيه صلوحية لسد حاجات البشر في جميع الأزمنة وهذه ميزة كلام رب الناس دون كلام الناس .

٢ - إن في معرفة الإيجاز البلاغي في القرآن الكريم تعرفا على محاسنه ومزاياه وهو أمر له أهميته في استمالة القلوب كما سبق ، و أيضا يفتح آفاقا جديدة في إعجاز القرآن من جهة الإيجاز ، ولاسيما يتبين لنا أن النصوص القرآنية تتميز من غيرها في جوانب كثيرة من جهة اللفظ والمعنى ، ورغم آلاف من الكتب قد كتبت في علوم القرآن عبر القرون إلا أن عجائب القرآن لاتنقطع بل تتجدد يوما فيوما ولايستطيع أحد أن يحيطها إلا بما شاء .

٣ - إن الإيجاز البلاغي في القرآن الكريم يحقق هدفا تربوياً مهماً من ناحيته التنبيه وإتاحة الفرصة للقارئ والمستمع أن يغوص في بحر المعاني إذا كانت الآية تتعلق بالإيجاز القصّر وأما إذا كانت تتعلق بالحذف فعليه أن يستنبط المحذوف بالتفكير لأنه في كل موضع من مواضع الحذف نجد فيما قبله أو فيما بعده ما يُعِينُ على استنباط المحذوف فإذا لم نجد فيما حوله مُعِيناً وجدناه في موضع مماثل من القرآن الكريم وذلك يزيد لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف وقال الزركشي: "كلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأحسن" ، ولعله هذا بعينه ما يحققه الحذف في القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وقوله تعالى دليل على هذا إذ يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^٢ حيث جعل مجرد السماع حجة ملزمة ، فبذلك نستطيع أن نقول أن القرآن الكريم يقوم ذاتياً بما فيه من المقومات بدور المعلم، ومواقع الحذف فيه من تلك المقومات .

٤ - إننا نستطيع أن نقول أن كل حذف في القرآن الكريم إنما كان في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها مطابقاً لما تقتضيه البلاغة في أعلى درجاتها وإذا نجد في بعض مواقع الحذف المحذوف مذكوراً في آية مماثلة فالحق أن المماثلة ليست من كل وجه ، بل بشيء من التدبر نجد اختلافاً ما بين الآيتين مما يبرز الحذف هنا والذكر هناك .

الفوائد الخاصة

إن المؤلفين في علوم القرآن وإعجازه تناولوا الإيجاز البلاغي غير أنه لم يكن هدفاً خاصاً لديهم فلم يكن مطلوباً منهم أن يقفوا عند كل آية فيها الإيجاز لبيّنوا فيها سبب الإيجاز أوليقدروا المحذوف مع بيان أسرار الحذف فيها بل اكتفوا بالإشارة

^١ راجع : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١٠٥/٣ .

^٢ سورة التوبة ، الآية : ٦ .

إليه أحيانا أو بذكر أنواعه مع أمثلة ، و أما إذا وقفنا جولة في هذا البحث فاتضح لنا أن هذا البحث يتناول بالبحث الآيات القرآنية من جهتين وهما :

أ - دراسة الآيات ذات الإيجاز البلاغي خلال التفاسير والكتب في علوم القرآن مع إبراز فلسفة الإيجاز البلاغي وأهميته في القرآن الكريم .

ب - آيات الأحكام التي فيها إيجاز ورعاية ذلك الإيجاز أو عدم رعايته تؤثر في فهم المعنى المراد .

والبحث يشتمل على أربعة أبواب ، وفي كل باب عدة فصول ويشتمل كل فصل منها على مباحث عديدة كما يلي :

الباب الأول : مفهوم الإيجاز

الفصل الأول : مفهوم الإيجاز لغة واصطلاحاً

ويشتمل هذا الفصل على^٣ :

١ - الإيجاز لغة : الإيجاز مصدر أوجز ، وهو مأخوذ من مادته الأصلية : وَجَزَ يَجِزُ وَجَزًا ، وتدور هذه المادة في أبواب مختلفة بأشكال كثيرة ولا تخرج معانيها من مفهوم القلة والاختصار وسرعة الأداء.

٢ - الإيجاز اصطلاحاً : الإيجاز في اصطلاح البلاغة عبارة عن تأدية أصل المراد لكنه بلفظ ناقص عنه أما بالقصر أو بالحذف ، وبعبارة أخرى الإيجاز يتميز بقلة الألفاظ و كثرة المعاني مع الإبانة و الإفصاح.

٣ - دواعي الإيجاز ومواقعه : إن دواعي الإيجاز كثيرة : منها الإختصار ، وتسهيل الحفظ ، وتقريب الفهم ، وضيق المقام ، وإخفاء الأمر على غير السامع ، والضجر و تحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير وغير ذلك . وأما المواقع التي يُستحسن فيها الإيجاز كثيرة ومنها ، الإستعطاف ، و شكوى الحال ، والإعتذارات ، والتعزية ،

^٣ راجع : البحث ، ص : ٢٩-٣٨ .

والعتاب ، والوعد ، والوعيد ، والتوبيخ ، و رسائل الحُكَّام في أوقات الحرب إلى الولاة، والأوامر والنواهي الحكومية والشكر على النعم وغير ذلك من المواقع.

الفصل الثاني: الإيجاز وأقسامه: ويشتمل هذا الفصل على^٤:

١ - إيجاز القصر: إيجاز القصر متضمن المعاني الكثيرة في عبارة قصيرة من غير حذف ، وإيجاز القصر يشتمل على :

أ - إيجاز المساواة : وهو أن يُقصر اللفظ على معناه .

ب - إيجاز التقدير : وهو أن يقدر المعنى زائداً على المنطوق ، و يُسمَّى بالتضييق أيضاً لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه .

ج - الإيجاز الجامع : وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة .

٢ - إيجاز الحذف: وهو إسقاط جزء الكلام أو كله للدليل، ويشتمل الحذف على :

أ - أدلة الحذف : وهي الدليل الحالي ، والدليل الشرعي ، والدليل العقلي ، ودليل العادة ، ودلالة إقتران الكلام بالفعل ، ودلالة التصريح به في مقام آخر ، ودلالة الصناعة النحوية .

ب - أسباب الحذف: وهي الاختصار، والاحتراز ، والتنبيه ، والتفخيم ، الإعظام ، ورعاية الفاصلة ، والتخفيف ، وصيانة اللسان عنه تحقيراً ، وصيانته عن اللسان تشريفاً ، والإنكار عند الحاجة ، والبيان بعد الإبهام ، وإيقاع الفعل على صريح المفعول ، وحذف المفعول تعميماً ، وحذف المفعول لإستهجانه .

ج - أنواع الحذف : وهي الاقتطاع، والاكتفاء، والاستدلال لشيئين بفعل واحد، والضمير والتمثيل، واقتضاء الكلام لشيئين واقتصار على أحدهما، وأن يُذكر شيئين ويعود الضمير إلى أحدهما، والاحتباك، والاختزال.

^٤ راجع : البحث ، ص : ٤١-٨٧ .

الفصل الثالث: الفرق بين الإيجاز والإطناب والمساواة

ويشتمل هذا الفصل على^٥:

١ - الإيجاز والإطناب والمساواة عند علماء البلاغة : كُله ما يجول في صدر المتكلم ويخطر بباله من المعاني، يمكن التعبير عنه على أحد من الطرق الثلاثة وهي: المساواة . ب - الإيجاز . ج - الإطناب.

٢ - منزلة الإيجاز والإطناب والمساواة في البلاغة

وفيه ثلاثة مطالب وهي: منزلة المساواة والإيجاز والإطناب في البلاغة .

٣ - الإطناب أفضل أم الإيجاز : من العلماء من جعل إفهام العوام معيارا لبلاغة الكلام ولكن لم يُعتبر هذا المعيار عند الكثيرين .

الباب الثاني : فلسفة إيجاز القصر في الآيات القرآنية

ويشتمل هذا الباب على فصلين :

الفصل الأول : فلسفة إيجاز التقدير في الآيات القرآنية

ويشتمل هذا الفصل على تسعة مباحث وكل مبحث منها مبني على الآية ذات الإيجاز وهي^٦:

١ - بيان آيات ملك الله ليتأمل الإنسان في قدرته وتدبيره : قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ

النَّاسِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ^٧ .

فالآية رغم وجازتها لفظا استوعبت جميع الخلق بأنواعه .

^٥ راجع : البحث ، ص : ٨٩-١٠٠

^٦ راجع : البحث ، ص : ١٠٣-١١٦

^٧ سورة البقرة ، الآية : ١٦٤ .

٢ - التأكيد في الحلف بالله: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾^٨.

إن الآية في شدة التنبيه على أن يُجعل يمين الله أو قسم الله مانعا لما يحلف الناس عليه من البر والتقوى بحيث ألفاظها قليلة والمعاني فيها واسعة بدون حذف وقوله تعالى هذا على أحد التأويلين حسب ما بينه الفقهاء .

٣ - من جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف: قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ

مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾^٩ ، فهذه الآية بوجازة الألفاظ وكثرة المعاني تُعدّ من باب الإيجاز الذي يسمى التقدير ، واستفاد المفسرون من أخذ المعاني الكثيرة من هذه الآية رغم وجازتها .

٤ - الأمن الحقيقي: قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾^{١٠} ، لقد جمعت المعاني

الكثيرة في الألفاظ القليلة في هذه الآية حتى أصبح كل لفظ من الآية على غاية البلاغة ، فلانرى كلمة أجمع من هذه الآية في تعبير المعاني .

٥ - الحكم في الذين ينقضون العهد: قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً

فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾^{١١}، إن الآية على قمة الإيجاز مع قلة الحروف وكثرة المعاني .

٦ - حكاية اعتزال إخوة يوسف عن الناس و نجوتهم فيما بينهم: قال الله تعالى

: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾^{١٢} ، فألفاظ هذه الآية كلها فرائد معدومة

النظائر بحيث لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها حتى نقل بعض الأدباء أن أعرابيا لَمَّا سمع رجلا يقرأ هذه الآية فقال: " أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام "

، وتضمنت تلك الكلمات القصيرة معاني القصة الطويلة .

^٨ سورة البقرة ، الآية : ٢٢٤ .

^٩ سورة البقرة ، الآية : ٢٧٥ .

^{١٠} سورة الأنعام ، الآية : ٨٢ .

^{١١} سورة الأنفال ، الآية : ٥٨ .

^{١٢} سورة يوسف ، الآية : ٨٠ .

٧ - البرهان المنطقي للتوحيد: قال الله تعالى : ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ^{١٣}﴾، ففي الآية إشارة إلى الدليلين المنطقيين للتوحيد بألفاظ وجيزة.

٨ - سنة الله في المسرفين: قال الله تعالى : ﴿أَفَنْصَرِبُ عَنْكُمْ أَلَّذِكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ

قَوْمًا مُسْرِفِينَ^{١٤}﴾، إن الآية في شدة التنبيه على ترك المشركين الحق والإعراض عنه

فألفاظها قليلة والمعاني فيها واسعة بدون الحذف، وتُستفاد من الآية كثيرا رغم الإيجاز.

٩ - تقرير خلق الإنسان وعلم الله بأحواله : قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

وَنَعَلَّمُهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ^{١٥} وَخَنَّا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ

الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ

بِالْحَقِّ^{١٦} ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ^{١٧}﴾ ، لقد دلت المجموعة

من الآيات على تخويف وإرهاب وهذه الآيات مشتملة على بيان حال الإنسان منذ

خلقه إلى حين حشره ، والأسلوب جذاب رائع مع الإيجاز البليغ .

الفصل الثاني : فلسفة الإيجاز الجامع في الآيات القرآنية

ويشتمل هذا الفصل على ثمانية عشر مبحث وكل مبحث منها مبني على الآية ذات

الإيجاز وهي كما يلي^{١٦} :

١ - الدلالة على ركوب البحر مُبتَغياً لسائر المنافع : قال الله تعالى : ﴿وَالْفَلَكَ

الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ^{١٧}﴾ : إن الله تعالى لم يخص ضربا من المنافع في

ركوب البحر بل ذكرها مطلقا فبذلك اتسع رحاب الآية مع الإيجاز إلى هذا الحد

حتى يمكن للفقهي والبلاغي أن يتناولها كل واحد منهما حسب رغبته.

^{١٣} سورة المؤمنون ، الآية : ٩١ .

^{١٤} سورة الزخرف ، الآية : ٥ .

^{١٥} سورة ق ، الآية : ١٦ - ٢٠ .

^{١٦} راجع : البحث ، ص : ١١٨-١٣٩

^{١٧} سورة البقرة ، الآية : ٦٤ .

٢ - القصاص حياة : قال الله تعالى : ﴿ وَلكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبِيبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ^{١٨} ﴾ ، فنرى المعاني الكثيرة تدرج تحت قوله تعالى هذا ، التي لا يمكن حصرها ، ولا ينتهي أحدٌ إلى ضبطها ، وقد ذكر العلماء قول العرب في هذا المعنى " القتل أنفى للقتل " وذكروا فضيلة الآية على قولهم من جهة اللغة أكثر من عشرينات وجوه .

٣ - الخلق والأمر لله تعالى : قال الله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ^{١٩} ﴾ ، إن في هذه الآية كلمتان وقع فيهما إيجاز جامع بدون حذف أو إضمار و هما : الخلق و الأمر ، و هاتان كلمتان قد أحاطتا بجميع الأشياء واستنبط المفسرون منها كثيرا .

٤ - أجمع آية في مكارم الأخلاق : قال الله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^{٢٠} ﴾ . إن الله بيّن في هذه الآية المنهج القويم والصراط المستقيم المبني على مكارم الأخلاق ، فالآية مشتملة على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع الغير ، وإن للعلماء والمفسرين أبحاث طويلة في بيان معاني الآية .

٥ - تصوير الحال لغرق قوم نوح مع الإيجاز : قال الله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبَلَيْحُ مَاءُكَ وَيَسْمَأُ أَقْلِي ^{٢١} ﴾ ، لقد جمعت في الآية مجموعة من المحاسن البلاغية منها الإيجاز الجامع بدون الحذف أو الإضمار .

٦ - الدلائل الواضحة على قدرة الله تعالى : قال الله تعالى : ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُقْضَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ^{٢٢} ﴾ . لقد اندرجت في هذه الآية المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة بدون الحذف وهو نوع من الإيجاز الجامع .

^{١٨} سورة البقرة ، الآية : ١٧٩ .

^{١٩} سورة الأعراف ، الآية : ٥٤ .

^{٢٠} سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩ .

^{٢١} سورة هود ، الآية : ٤٤ .

^{٢٢} سورة الرعد ، الآية : ٤ .

- ٧ - الآية الجامعة في بيان مسئولية الرسالة : قال الله تعالى : ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^{٢٣}، إن الآية قد أحاطت شرائط الرسالة ومسئوليتها بإظهار جميع تعاليم الإسلام وأصبحت على قمة الإيجاز حيث قلت حروفها وكثرت معانيها.
- ٨ - أجمع آية في المأمورات والمنهيات : قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾^{٢٤} ، إن هذه الآية على قمة الإيجاز الجامع حتى قيل: ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية.
- ٩ - الإرشاد في الدعوة : قال الله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^{٢٥} ، إن في هذه الآية أسرار عالية، ولا يهتدي إليها إلا من رعاها رعاية الإيجاز، ولا يمكن الإدراك لهذه المعاني الواسعة إلا برعاية الإيجاز البلاغي .
- ١٠ - أجمع آية في محامد الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ الْأَسْفَلُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^{٢٦}، إن الآية دالة على أن جميع الكون يُسبِّح الله تعالى تعظيماً له وإقراراً بربوبيته، وأما كيفية تسبيحه فهو من جهات شتى وأصبحت الآية جامعة في محامد الله تعالى، وأسلوب الآية أسلوب الإيجاز بالقصر .
- ١١ - الآية الجامعة في بيان الفوز: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^{٢٧}، إن الآية تبين أسباب الفوز في الدنيا والآخرة مع الإيجاز.
- ١٢ - من مكر بأخيه عاد مكره عليه: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْقِقِ الْمَكْرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^{٢٨} لقد جمعت المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة في هذه الآية ولا يوازي هذه الآية في الاختصار شيء، فبنية الآية على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف.

^{٢٣} سورة الحجر ، الآية : ٩٤ .

^{٢٤} سورة النحل ، الآية : ٩٠ .

^{٢٥} سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

^{٢٦} سورة الإسراء (بني إسرائيل)، الآية : ٤٤ .

^{٢٧} سورة النور ، الآية : ٥٢ .

١٣ - صفة خمر أهل الجنة: قال الله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾^{٢٩}.

لقد جاء نفي كلمتي "الغول" و "يتزفون" في وصف خمر الجنة واستوعبتا جميع الأوصاف الحسنة للخمر وانفتا منها أنواع الفساد. واحتوت الآية المعاني الكثيرة في رحابها مع الإيجاز ، وأثبتت الكمال لخمر الجنة ونفت عنها الفساد وفيه تنفير من خمور الدنيا وتشويق إلى خمر الجنة وذلك كله بألفاظ قصيرة .

١٤ - تحذير الناس من خيانة النفس والأعين : قال الله تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ

الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^{٣٠}، هذه الآية فريدة في كونها قليلة الألفاظ كثيرة المعاني بدون الحذف ، ولقد جاءت هذه الآية لتحذير الناس من خيانة النفس والأعين على سبيل الإيجاز وليعلموا أن علم الله تام محيط بجميع الأشياء صغيرها وكبيرها حتى خائنة الأعين وخواطر القلب التي هي أخفاها، والحاكم إذا بلغ في العلم إلى هذا الحد كان خوف المذنب منه شديداً ، فجأت هذه المفاهيم في الآية مع الإيجاز.

١٥ - صفة جنّة الخلد : قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾^{٣١}

إن الآية على قمة الإيجاز حيث جمعت فيه من نعم الجنة ما لا تحصر، فكلمها وصفها الواصف لا يبلغها وصفه بالكلام إلا أن الله تعالى جمع ذلك بوجه الإجمال في هذه الآية ، فجاءت الآية تبشيراً وتشويقاً للناس وهذه علامة محبة الله تعالى الخالصة لهم .

١٦ - أجمع آية في العواقب : قال الله تعالى : ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾^{٣٢} ، فالآية

بوجازة الألفاظ وكثرة المعاني تُعدّ من باب الإيجاز ، وأحاطت ببيان عاقبة كل شيء بدون الحذف لا يستطيع بشر أن يأتي بمثله .

^{٢٨} سورة فاطر ، الآية : ٤٣ .

^{٢٩} سورة الصافات ، الآية : ٤٧ .

^{٣٠} سورة غافر (مؤمن) ، الآية : ١٩ .

^{٣١} سورة الزخرف ، الآية : ٧١ .

^{٣٢} سورة القمر ، الآية : ٣ .

١٧- أجمع آية في الزجر و التوبيخ: قال الله تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۚ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۚ ثُمَّ أَلْسَيْلَ يَسَّرَهُ ۚ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۚ﴾^{٣٣} ، فهذه الآيات من جوامع الكلم لو أردنا أن نحذف منها كلمة واحدة لما قدرنا على ذلك لأننا لو فعلنا ذلك لذهبنا بجزء من معناه ، وهذه من جوامع الكلم القرآنية .

١٨ - البشرى بالخير الكثير : قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۗ﴾^{٣٤} ، فهذه الآية جمعت المعاني الواسعة في رحابها العميق بدون الحذف وأحاطت بجميع الخيرات وأصبحت على قمة الإيجاز حيث قلت حروفها وكثرت معانيها فكل هذه المعاني جمعت في كلمة "الكوثر" وهذه الكلمة خير مثال للإيجاز الجامع .

الباب الثالث : فلسفة إيجاز الحذف في الآيات القرآنية

وهذا الباب يشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فلسفة قصد العموم في الآيات القرآنية :

وفي هذا الفصل ثلاثة وعشرون مبحثا وكل مبحث منها مبني على الآية ذات الإيجاز^{٣٥} وهي كما يلي :

١ - العموم في الاستعانة : قال الله تعالى : ﴿وَإِلَيْكَ نَسْتَعِينُ ۗ﴾^{٣٦} ، فحذف في الآية متعلق الاستعانة لقصد العموم ليتيقن العبد في قلبه ويظهر من لسانه أنه يحتاج إلى عون الله تعالى وتوفيقه في أموره كلها .

٢ - العموم في النعمة و الرهبة : قال الله تعالى : ﴿يَنْبَغِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَآرْهَبُونَ ۗ﴾^{٣٧} ، أمرهم الله تعالى بأن يجعلوا خوفهم من خالقهم وحده ، فحذف متعلق الرهبة في الآية لقصد العموم .

^{٣٣} سورة عبس ، الآية : ١٧ - ٢١ .

^{٣٤} سورة الكوثر ، الآية : ١ .

^{٣٥} راجع : البحث ، ص : ١٤١-١٥٧

^{٣٦} سورة الفاتحة ، الآية : ٣ .

٣ - العموم في وكالة الله تعالى وحفظه إلى الخلق كله : قال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^{٣٨} ، قد قُصِدَ بهذه الآية بيانُ سعة قدرة الله تعالى وهيمنته على هذا الكون

فمفعول كفى محذوف للعموم أي : كفى كل أحد وكالة الله وحفظه وتدبيره .

٤ - العموم في الحكم بتقوى الله : قال الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا لِلَّهِ لَآ يَهْدِيَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^{٣٩} ، فحذف متعلق التقوى للعموم بحيث يذهب فهم السامع إلى ترك كل ما نهى عنه .

٥ - جميع ما استقر وتحرك في العالمين لله سبحانه وتعالى : قال الله تعالى : ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^{٤٠} ، إن الله خص السكون بالذكر دون العكس لحكمة فذكر في الآية السكون وحذف عكسه للدلالة على العموم والشمول .

٦ - المجادلة بين فرعون و قومه في موسى و قومه

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾^{٤١} ، ومفعول فعل الإفساد محذوف للتعميم ، أي : يفسدوا كل ما وجدوا صالحاً من الدنيا والدين، و إلى هذا الحذف قد أشار بعض المفسرين العظام.

٧ - العموم في العتاب على بني إسرائيل لطلبهم أصناما لهم : قال الله تعالى :

﴿وَجَازَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^{٤٢} ، فحذف مفعول الجهل يدل على عمومه

أي : تجهلون الحق فدخل فيه الجهل بالربوبية بالطريق الأولى .

^{٣٧} سورة البقرة ، الآية : ٤٠ .

^{٣٨} سورة النساء ، الآية : ٨١ ، و ١٣٢ ، و ١٧١ .

^{٣٩} سورة المائدة ، الآية : ١٠٨ .

^{٤٠} سورة الأنعام ، الآية : ١٣ .

^{٤١} سورة الأعراف ، الآية ١٢٧ .

^{٤٢} سورة الأعراف ، الآية : ١٣٨ .

٨ - العموم في صفات المنافقين والمنافقات : قال الله تعالى ﴿ أَلْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ

بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ^{٤٣} ﴾ ، فحُذِفَ فِي الْآيَةِ الْمَفْعُولُ

الأول قصدا للعموم أي : يأمرون الناس بالمعصية ، وينهون الناس عن المعروف .

٩ - العموم في دعوة الله تعالى إلى دار السلام : قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ

دَارِ السَّلَامِ ^{٤٤} ﴾ ، فحُذِفَ فِي الْآيَةِ مَفْعُولُ الدَّعْوَةِ لِقَصْدِ التَّعْمِيمِ ، أَي : يَدْعُو جَمِيعَ

النَّاسِ إِلَى دَائِرَةِ الْإِيمَانِ ، فَهِيَ دَعْوَةٌ عَامَةٌ دَعَا فِيهَا جَمِيعَ الْخَلْقِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ .

١٠ - عاطفة الشيطان الثأرية وإقراره بها : قال الله تعالى حكاية عن قول

الشيطان : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ^{٤٥} ﴾ ، فمفعول

"أُزَيِّنَنَّ" محذوف للعموم ، و أما تقديره فهو مختلف عند المفسرين .

١١ - القرآن تذكير : قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا

يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ^{٤٦} ﴾ ، فقوله تعالى : ﴿ صَرَّفْنَا ﴾ من التصريف وهو كثرة صرف

الشيء من حال إلى حال ، ومفعوله هنا محذوف ويجوز أن يكون المعنى على العموم

، أي : لقد كررنا في هذا الكتاب ما أردنا تكريره .

١٢ - حكاية قول الكافرين في إدعائهم للرحمان ولدا : قال الله تعالى : ﴿ أَنْ دَعَا

لِلرَّحْمَنِ وُلَدًا ^{٤٧} ﴾ ، فمعنى "دَعَا" ههنا : سَمَّوْا ، وله مفعولان ، فحُذِفَ فِي الْآيَةِ الْمَفْعُولُ

الأول للعموم ليحيط بكل مادعي له ولداً .

١٣ - تخليق الإنسان من التراب بمراحل دليل على البعث : قال الله تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ

^{٤٣} سورة التوبة ، الآية : ٦٧ .

^{٤٤} سورة يونس ، الآية : ٢٥ .

^{٤٥} سورة الحجر ، الآية : ٣٩ .

^{٤٦} سورة الإسراء (بني إسرائيل) ، الآية : ٤١ .

^{٤٧} سورة مريم ، الآية : ٩١ .

من مُضَغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِيٍّ لَكُمْ^{٤٨} ، فحذف مفعول "لنبيين" للعموم ، إيماء إلى أن تصريفه في أطوار الخلقة وتحويله من حال إلى حال مظهر لعلو قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ومن ذلك أمر البعث وأن التخليق اختيار من الفاعل المختار .

١٤ - الأمر بالاجتناب من الشرك : قال الله تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۚ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ^{٤٩} ﴾ ، فحذف المفعول للعموم في الآية ، أي : غير مشركين به شيئاً من الأشياء ، فيدخل في ذلك الأوثان دخولاً أولاً ثم الأشياء الأخرى التي تُعبد .

١٥ - القرآن كتاب مبين و موضح : قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ^{٥٠} ﴾ ، فيجوز أن يكون "المبين" من أبان المتعدي ، ومفعوله محذوف للعموم ، والتقدير : تلك آيات الكتاب الموضح لما خفى من الأخبار والأحكام ، والهدى والضلال والثواب والعقاب .

١٦ - من غايات نزول القرآن الإنذار : قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ^{٥١} ﴾ ، الإنذار يتعدى إلى مفعولين ، فحذف في الآية المفعول الثاني أولاً والمفعول الأول ثانياً للعموم ، فحذف من الأول المنذر منه ، تقديره : لتنذر أم القرى كل مخوف من الدنيا والآخرة ، وحذف من الثاني المنذر ، تقديره : وتنذر كل أحد يوم الجمعة .

١٧ - إن الله تعالى ينتقم من الكافرين : قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا تَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ^{٥٢} ﴾ ، إن الآية على حذف المعمول ، أي : فإننا منهم منتقمون بعدك ، أو

^{٤٨} سورة الحج ، الآية : ٥ .

^{٤٩} سورة الحج ، الآية : ٣٠ - ٣١ .

^{٥٠} سورة الشعراء ، الآية : ٢ .

^{٥١} سورة الشورى ، الآية : ٧ .

^{٥٢} سورة الزخرف ، الآية : ٤١ .

نرينك في حياتك ، وإن هذا الكلام يفيد كمال التسلية للرسول ﷺ .

١٨ - رعاية الأدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ : قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^{٥٣} ، إن المفسرين ذهبوا إلى وجهين في التوجيه البلاغي للآية أي : لا تقدموا أمراً ، فحذف المفعول للعموم ليذهب الوهم إلى كل ما يمكن ، أو حذف المفعول اختصاراً للدلالة عليه .

١٩ - تكذيب عاد لهود - عليه السلام - سبب في تعذيبهم : قال الله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾^{٥٤} ، فحذف المفعول به في الآية للعلم بالمحذوف ، أو للعموم لأنهم لما كذبوا به صاروا كمن كذب بالكل .

٢٠ - الإفساح في المجالس سبب إلى الإفساح في الدنيا والآخرة : قال الله تعالى : ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾^{٥٥} ، فحذف المفعول به للعموم وهو مطلق في كل ما يتبغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك .

٢١ - بيان ظاهر حال المنافقين : قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبْكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾^{٥٦} ، إن في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَقُولُوا﴾ حذف ، تقديره : وَإِنْ يَقُولُوا كلاماً ، فحذف المفعول به للعموم .

٢٢ - إن الله خالق الأشياء كلها : قال الله تعالى : ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾^{٥٧} ، لقد ذكر فعل الخلق مطلقاً وحذف المفعول للعموم ، و التقدير : الذي خلق كل شيء . ولقد كثر أقوال المفسرين في التوجيه البلاغي للآية .

^{٥٣} سورة الحجرات ، الآية : ١ .

^{٥٤} سورة القمر ، الآية : ١٨ .

^{٥٥} سورة المجادلة ، الآية : ١١ .

^{٥٦} سورة المنافقون ، الآية : ٤ .

^{٥٧} سورة الأعلى ، الآية : ١ - ٢ .

٢٣ - العموم في التقدير والهداية من الله : قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ^{٥٨} ﴾ ، إن مفعول "قدر" و"هدى" في هذه الآية محذوف للعموم ، لأن هذين فعلين تحيطان بالمخلوق كله .

الفصل الثاني : رعاية الفاصلة

ويشتمل هذا الفصل على مدخل وثلاثين مبحثاً وكل مبحث منها مبني على الآية لأن فيها الإيجاز ^{٥٩} وهي كما يلي :

١ - المدخل : وهو يشتمل على: تعريف الفواصل والفرق بين الفواصل و السجع ، وموقف العلماء عن عدم ورود السجع في القرآن الكريم وثبوت الفواصل فيه .

٢ - الأمر بذكر الله وبالشكر له : قال الله تعالى : ﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ^{٦٠} ﴾ ، فحذفت ياء المتكلم في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ تخفيفاً لتناسب الفواصل، تقديرها : ولا تكفروني .

٣ - أن الله لا يظلم عباده : قال الله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ^{٦١} ﴾ ، إن في الآية تقديم مفعول لرعاية الفاصلة لا للتخصيص .

٤ - مجادلة قوم لوط معه عليه السلام : قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ مَا نُرِيدُ ^{٦٢} ﴾ ، إن في إعراب قوله تعالى : ﴿ ما نريد ﴾ قولان : أ- إنها ما مصدرية فلا حذف إذا ، فمعناه : إرادتنا . ب - الظاهر أن "ما" مفعول لتعلم ، وهو بمعنى تعرف ، وهي موصولة والعائد محذوف ، أي : الذي نريده .

^{٥٨} سورة الأعلى ، الآية : ٣ .

^{٥٩} راجع : البحث ، ص : ١٦٠-١٨٠ .

^{٦٠} سورة البقرة ، الآية : ١٥٢ .

^{٦١} سورة آل عمران ، الآية : ١١٧ .

^{٦٢} سورة هود ، الآية : ٧٩ .

٥ - وما من ولي من دون الله : قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^{٦٣} ،
فحذف الياء من "وال" في الوصل لمراعاة الفواصل .

٦ - الأجل لا يسبق ولا يتأخر : قال الله تعالى: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾^{٦٤} ، إنما حُذِفَ الجار والمجرور بعد "يستأخرون" ، لرعاية الفاصلة .

٧ - جمال الأنعام: قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْحَمُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾^{٦٥} ،
فمفعول الفعلين أي: الروح والسرْح محذوف لدلالة الكلام عليه ولرعاية الفواصل .

٨ - إن الله محيط بعلمه السرّ والجهر : قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ﴾^{٦٦} ، فحُذِفَ العائد في الفعلين لمراعاة الفواصل .

٩ - المقام المطلوب من موسى عليه السلام : قال الله تعالى حكاية عن موسى
عليه السلام: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ﴾^{٦٧} ، حُذِفَت الياء في "نبغ" للفاصلة إلا أن
المفسرين الآخرين لهم فيها وجهة غير هذا .

١٠ - التوجيهات لموسى وهارون عليهما السلام : قال الله تعالى حكاية عن
موسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾^{٦٨} ،
يحتمل أنه حذف متعلق يطغى ، وأوثر أنه حذف لرعاية الفواصل .

١١ - إن الله هدى كل شيء: قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ
رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^{٦٩} ، فحذف مفعول الهداية للفاصلة .

^{٦٣} سورة الرعد ، الآية : ١١ .

^{٦٤} سورة الحجر ، الآية : ٥ و سورة المؤمنون ، الآية : ٤٣ .

^{٦٥} سورة النحل ، الآية : ٦ .

^{٦٦} سورة النحل ، الآية : ١٩ .

^{٦٧} سورة الكهف ، الآية : ٦٤ .

^{٦٨} سورة طه ، الآية : ٤٥ .

^{٦٩} سورة طه ، الآية : ٥٠ .

١٢ - إخراج آدم وزوجته - عليهما السلام - من الجنة: قال الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَتَّادَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى^{٧٠}﴾، قد أسند ترتب الشقاء إلى آدم عليه السلام دون زوجته إيجازاً، لأن في شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر لتلازمهما في الكون ولكن لم يُذكر إسناد الشقاء إلى زوجته رعاية للفواصل.

١٣ - شكوى النبيين إلى الله في قومهما: قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ^{٧١}﴾ و﴿وَهُمْ عَلَيَّ ذُنُوبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ^{٧٢}﴾، وقال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ^{٧٣}﴾، إن الآيات الثلاثة على حذف المفعول وهو الياء ضمير المتكلم لرعاية الفاصلة.

١٤ - عصاء موسى - عليه السلام - تلقف ما يأفكون: قال الله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ^{٧٤}﴾ ففي قوله تعالى: " ما يأفكون " ما موصولة والعائد محذوف لرعاية الفاصلة.

١٥ - أصنام المشركين لا ينفعهم ولا يضرهم: قال الله تعالى: أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ^{٧٥}، إن في قوله تعالى: " يضررون " حذف المفعول للفاصلة.

١٦ - ذكر إبراهيم نعم الله تعالى: قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ^{٧٦}﴾، فحذفت الياء في كل هذه الأفعال رعاية للفاصلة والتناسب.

^{٧٠} سورة طه ، الآية : ١١٧ .

^{٧١} سورة الشعراء ، الآية : ١٢ .

^{٧٢} سورة الشعراء ، الآية : ١٤ .

^{٧٣} سورة الشعراء ، الآية : ١١٧ .

^{٧٤} سورة الشعراء ، الآية : ٤٥ .

^{٧٥} سورة الشعراء ، الآية : ٧٣ .

^{٧٦} سورة الشعراء ، الآية : ٧٨ - ٨١ .

- ١٧ - دعوة الأنبياء قومهم إلى طاعتهم : قال الله تعالى حكاية عن قول الأنبياء : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^{٧٧}﴾ ، فحذفت ياء المتكلم في " وأطيعون " لرعاية الفاصلة .
- ١٨ - الذاكرون لأنعم الله قليلون : قال الله تعالى : ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ^{٧٨}﴾ ، إن في الآية مفعول "تَذَكَّرُونَ" محذوف للفاصلة .
- ١٩ - وعد الأجر العظيم : قال الله تعالى : ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا^{٧٩}﴾ ، فمفعول الحافظات محذوف رعاية لرؤوس الفواصل .
- ٢٠ - عاقبة المكذبين : قال الله تعالى : ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ^{٨٠}﴾ ، و قوله تعالى : نكير بكسرة في آخره دالة على ياء المتكلم المحذوفة تخفيفاً ورعاية للفاصلة .
- ٢١ - إن الكافرين في شك عن العذاب : قال الله تعالى حكاية عن قول الكافرين : ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ^{٨١}﴾ فحذفت ياء المتكلم في الآية للفاصلة .
- ٢٢ - نصيحة الرجل المؤمن لفرعون وقومه : قال الله تعالى : ﴿وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ^{٨٢}﴾ ، التنادي تفاعل من النداء ، فحذفت الياء حسن في الفواصل .
- ٢٣ - الإنذار من عذاب الله : قال الله تعالى : ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِ^{٨٣}﴾ ، فحذفت ياء المتكلم من "نذر" لرعاية الفاصلة .

^{٧٧} سورة الشعراء ، الآية : ١٠٨

^{٧٨} سورة النمل ، الآية : ٦٢ .

^{٧٩} سورة الأحزاب ، الآية : ٣٥ .

^{٨٠} سورة سبأ ، الآية : ٤٥ ، و سورة فاطر ، الآية : ٢٦ وسورة الملك ، الآية : ١٨ .

^{٨١} سورة ص ، الآية : ٨ .

^{٨٢} سورة غافر ، الآية : ٣٢ .

^{٨٣} سورة القمر ، الآية : ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٠ .

٢٤ - الكفار لا يستطيعون السجود في الآخرة رغم رغبتهم لها: قال الله تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ^{٨٤}﴾ ، فحذف المفعول في "فلا يستطيعون" رعاية للفاصلة .

٢٥ - خلق الله الإنسان من علقه ثم سواه : قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ

فَسَوَّى^{٨٥}﴾ ، فمفعول "خلق" ومفعول "سوى" محذوفان لدلالة الكلام عليهما وحذف الأخير لرعاية الفاصلة .

٢٦ - من طغى وآثر الحياة الدنيا فالجحيم مأواه : قال الله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۝

وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۝ إِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ^{٨٦}﴾ . إن الآية الأخيرة على حذف الصلة لرعاية الفاصلة .

٢٧ - من خاف مقام ربه و هوى نفسه عن الهوى فالجنة مأواه : قال الله تعالى :

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ^{٨٧}﴾ . لقد حذفت الصلة في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ لرعاية الفاصلة .

٢٨ - حذف الياء في الفواصل : قال الله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ^{٨٨}﴾ ، فحذفت

الياء من "يسر" طلباً للموافقة في الفواصل .

٢٩ - الإنسان عجول يتوس : قال الله تعالى : ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ

وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ^{٨٩}﴾ ،

فحذفت الياء في "أكرم من" وفي "أهانن" لرعاية الفاصلة .

^{٨٤} سورة القلم ، الآية : ٤٢ .

^{٨٥} سورة القيامة ، الآية : ٣٨ .

^{٨٦} سورة النازعات ، الآية : ٣٧ - ٣٩ .

^{٨٧} سورة النازعات ، الآية : ٤٠ - ٤١ .

^{٨٨} سورة الفجر ، الآية : ٤ .

^{٨٩} سورة الفجر ، الآية : ١٥ - ١٦ .

٣٠ - التسلية من الله للرسول ﷺ : قال الله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۗ ٩٠ ﴾ ، فحذف المفعول رعاية لفواصل السورة .

٣١ - دين المسلمين التوحيد و دين الكافرين الإشراف : قال الله تعالى تعليماً لرسول الله ﷺ : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۗ ٩١ ﴾ ، إن الآية على حذف الياء لرعاية الفواصل .

الفصل الثالث : قصد البيان بعد الإبهام

وفيه خمسة عشر مبحثاً وكل مبحث منها مبني على الآية ذات الإيجاز^{٩٢} وهي :

١- الزجر والوعيد على المنافقين : قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۗ ٩٣ ﴾ ، لقد حذف مفعول المشيئة من الأول استغناء بدلالته في الثاني عليه لقصد البيان بعد الإبهام و التقدير : ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما .

٢ - لو شاء الله لجمع على الهدى جميع خلقه : قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۗ ٩٤ ﴾ ، فمفعول المشيئة محذوف لقصد البيان بعد الإبهام على الطريقة المسلوكة في فعل المشيئة .

٣- احتجاج المشركين على أن ما ارتكبه حق : قال الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ۗ ٩٥ ﴾ ، فحذف مفعول المشيئة في الآية لقصد البيان بعد الإبهام .

^{٩٠} سورة الضحى ، الآية : ٣ .

^{٩١} سورة الكافرون ، الآية : ٦ .

^{٩٢} راجع : البحث ، ص : ١٨٢-١٩٣

^{٩٣} سورة البقرة ، الآية : ٢٠ .

^{٩٤} سورة الأنعام : الآية : ٣٥ .

^{٩٥} سورة الأنعام ، الآية : ١٤٨ .

٤ - التحذير للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب من كانوا قبلهم : قال الله

تعالى : ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْتَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾^{٩٦} ، فحُذِفَ فمفعول المشيئة من الأول استغناء

بدلالته في الثاني عليه ، لقصد البيان بعد الإبهام .

٥ - العفو عن موسى عليه السلام : قال الله تعالى حكاية عن قول موسى عليه

السلام : ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾^{٩٧} ، فمفعول "شئت" محذوف لقصد

البيان بعد الإبهام .

٦ - قصة الرجل الذي صار من زمرة الضالين بعد أن كان مهتدياً : قال الله

تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾^{٩٨} ، فمفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطاً وكون

مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة لقصد البيان بعد الإبهام .

٧ - دعوى الكفار باستطاعة المعارضة للقرآن الكريم : قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا

تُنزِلُ عَلَيْنَا آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾^{٩٩}

، إن الآية على حذف مفعول المشيئة لقصد البيان بعد الإبهام .

٨ - الإبطال لدعوى الكفار: قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا

أَدْرَأَكُمْ بِهِ﴾^{١٠٠}، فكما أن فعل المشيئة يكثر حذف مفعوله في جملة الشرط لدلالة

الجزاء عليه، فحذف وهنا مفعول المشيئة أيضا لدلالة الجزاء عليه .

٩ - الإيمان يحصل بمشيئة الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ

كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾^{١٠١}، فمفعول المشيئة هنا محذوف لقصد البيان بعد الإبهام .

^{٩٦} سورة الأعراف الآية : ١٠٠ .

^{٩٧} سورة الأعراف ، الآية : ١٥٥ .

^{٩٨} سورة الأعراف ، الآية : ١٧٦ .

^{٩٩} سورة الأنفال ، الآية : ٣١ .

^{١٠٠} سورة يونس : الآية : ١٦ .

^{١٠١} سورة يونس ، الآية : ٩٩ .

١٠ - إن بعثة محمد ﷺ كرسول للعالم كله : قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾^{١٠٢} ، فحذف مفعول المشيئة لقصد البيان بعد الإهام .

١١ - مشيئة الله في هداية النفوس : قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾^{١٠٣} ، إن الآية على حذف مفعول المشيئة لقصد البيان بعد الإهام على الطريقة السلوكة في فعل المشيئة إذا كان تعلقه بمفعوله غير غريب .

١٢ - تعللات الكفار في التكذيب والإعراض عن الرسل : قال الله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِمْ كَافِرُونَ﴾^{١٠٤} . فإن مفعول المشيئة محذوف في الآية لقصد البيان بعد الإهام .

١٣ - الردُّ على مقالة الكفار : قال الله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾^{١٠٥} تأول المفسرون الآية على مفاهيم عديدة ، و منها أن الآية على حذف مفعول المشيئة لقصد البيان بعد الإهام .

١٤ - إن الله أنبت الزرع و أبقاه برحمته ولو شاء لجعله حطاما : قال الله تعالى : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾^{١٠٦} ، فمفعول نشاء محذوف دل عليه الجواب من بعده لقصد البيان بعد الإهام .

١٥ - التذكير بنعمة الماء : قال الله تعالى : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾^{١٠٧} ، فحذف مفعول المشيئة لقصد البيان بعد الإهام .

الباب الرابع : أثر الإيجاز البلاغي في الأحكام الشرعية

١٠٢ سورة الفرقان ، الآية : ٥١ .

١٠٣ سورة السجدة ، الآية : ١٣ .

١٠٤ سورة فصلت ، الآية : ١٤ .

١٠٥ سورة الشورى ، الآية : ٢٤ .

١٠٦ سورة الواقعة ، الآية : ٦٥ .

١٠٧ سورة الواقعة ، الآية : ٧٠ .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : أثر الإيجاز البلاغي في العقائد

وفيه أحد عشر مبحثا وكل مبحث منها مبني على الآية ذات الإيجاز^{١٠٨} وهي :

- ١ - القرآن هداية للمتقين الذين يؤمنون بالغيب: قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ۝﴾، إن تفسير هذه الآية برعاية الإيجاز البلاغي يسبب إلى رفع الإشكالات الكثيرة التي تنشئ من ظاهر الآية ، ومن تلك الإشكالات: القرآن إذا كان هدى للمتقين فكيف يمكن لغيرهم أن يهتدوا به .
- ٢ - الخير والشر بيد الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۝﴾ ، لقد وقع الحذف في الآية تقديره : وَالشَّرُّ ، أي: بيدك الخير والشرُّ ، وهذا النوع يسمى بالاكْتفاء ، لأن المقام يقتضي شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكته .
- ٣ - القول بالتثليث : قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ أَنْتَهُوَ خَيْرًا لَّكُمْ ۝﴾ ، إن للمفسرين أقوالا مختلفة في تقدير المحذوف في : ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ﴾ ، و في هذه الأقوال نظر حيث أورد كل واحد من العلماء شبهات على آراء الآخرين وأثبت رأيه بالأدلة إلا أن رأيه لا يستقيم من الشبهات .
- ٤ - يوسف و امرأة العزيز : قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأًى بُرْهَنَ رَبِّهِ ۝﴾ ، إن في الآية حرف الشرط "لولا" التي تدل على امتناع الجزاء لوجود الشرط ويُحذف جوابها دائما ، فكذلك حُذف جواب الشرط في

^{١٠٨} راجع : البحث ، ص : ١٩٥-٢٣٦ .

^{١٠٩} سورة البقرة ، الآية : ٢-٣ .

^{١١٠} سورة آل عمران ، الآية : ٢٦ .

^{١١١} سورة النساء ، الآية : ١٧١ .

^{١١٢} سورة يوسف ، الآية : ٢٤ .

قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ . ولقد كثر كلام الناس حول معنى هذه فالرجحان يرجع إلى الرأي الذي يحمل التوجيه يناسب بعصمة الأنبياء.

٥ - مشيئة الله تعالى في الهداية للناس كلهم : قال الله تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ^{١١٣}﴾ ، لقد وقع الحذف في الآية في الموضوعين، وقد حُذف المضاف من الشطر الأول من الآية للاختصار ومن الشطر الثاني حُذف مفعول المشيئة لقصد البيان بعد الإبهام . قد تأولت المعتزلة الآية عدولا عن ظاهرها ليثبتوا مذهبهم أن الله لا يخلق أفعال العباد . ولكن لم يقبل جمهور المفسرين تأويل المعتزلة .

٦ - نسبة الإتيان والنجيء إلى الله : قال الله تعالى : ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ أَقْوَاعِدِ^{١١٤}﴾ ، لقد اختلف العلماء في فهم المعنى المراد من الآية ، وأصبحوا على المذهبين : أ - جعل أصحاب هذا المذهب الإتيان على الحقيقة بدون الحذف . ب - جعل أصحاب المذهب الثاني الإتيان محمولة على حذف المضاف .

٧ - الدليل العقلي على التوحيد : قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ^{١١٥}﴾ ، إن الآية على حذف الشرط، تقديره: لو كان معه آلهة إذا لذهب، وإذا لم يُرَع الحذف في الآية للزم الفساد.

٨ - كيفية جنة الخلد : قال الله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا^{١١٦} حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا^{١١٦}﴾ ، إن الآية على حذف جواب "إذا" تفخيما

^{١١٣} سورة النحل ، الآية : ٩ .

^{١١٤} سورة النحل، الآية : ٢٦ .

^{١١٥} سورة المؤمنون ، الآية : ٩١ .

^{١١٦} سورة الزمر ، الآية : ٧٣ .

لأمره وتعظيما لشأنه لأن الكلام لا يحيط وصفا ما يجدونه ويلقونه ، فَجُعِلَ الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه و تُركت النفوس تقدر ما شأته .

٩ - الإقرار بتوحيد الله : قال الله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^{١١٧}﴾ ، قال بعض النحاة أن الخبر محذوف في الآية ، تقديره : موجود ولكن لم يقبله بعض البلغاء من المفسرين و أنكروه ، وللنحويين تقديران : إعرابي ومعنوي .

١٠ - يوم البعث : قال الله تعالى : ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ تُجْمَعَ عِظَامُهُ^{١١٨}﴾ ، لقد ذكر المفسرون في جواب القسم وجوها عديدة ويمكن لنا أن نلخصها في ثلاثة احتمالات :
أ - جواب القسم محذوف في الآية ، والتقدير : لَتُبْعَثَنَّ . ب - وقع القسم على قوله تعالى من بعد : ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ﴾ . ج - هذا ليس بقسم بل هو نفي للقسم فلا يحتاج إلى الجواب ، والرجحان إلى الاحتمال الأول .

١١ - معنى الضلالة أثناء نسبتها إلى الرسل : قال الله تعالى : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ^{١١٩}﴾ ، ولقد اختلفت مواقف المفسرين ضمن الآية فمن الممكن أن نقسمها إلى ثلاثة مطالب ، وبتأويل الآية على الحذف نستطيع أن نطرد عن عصمة الرسول على صاحبها الصلوة والسلام الاتهام الذي ينشأ من التأويلات البعيدة .

الفصل الثاني : أثر الإيجاز البلاغي في المعاملات

وفيه أحد وعشرون مبحثا وكل مبحث منها مبني على الآية ذات الإيجاز^{١٢٠} وهي :

^{١١٧} سورة محمد ، الآية : ١٩ .

^{١١٨} سورة القيامة ، الآيات : ١ - ٣ .

^{١١٩} سورة الضحى ، الآية : ٧ .

^{١٢٠} راجع : البحث ، ص : ٢٤٠-٣١٣ .

١ - حكم الإحسان بالوالدين : قال الله تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ ﴾ ، اتفق المفسرون على أن الباء في الآية متعلق بفعل محذوف، والنصب في ﴿ إِحْسَانًا ﴾ يدل على أنه لا بد من حذف عامله، ورغم اتفاق المفسرين على وقوع الحذف في الآية إلا أنهم على آراء مختلفة في تعيين المحذوفات .

٢ - الحرام من المأكَل : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۙ ﴾ ، إن الجزء الأول من الآية وهو : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ على حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، تقديره : حرّم عليكم تناولها ، وإن الجزء الآخر على حذف الفعل، تقديره: فمن اضطرّ فأكل إلا أن الفقهاء اختلفوا فيه.

٣ - الإنفاق في فك الرقاب : قال الله تعالى : ﴿ ءَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ۗ ﴾ ، لقد وقع الحذف في الآية ولكن اختلف العلماء في تقدير المحذوف في قوله تعالى : ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ ، وجرت أبحاث مفيدة عند الفقهاء برعاية الإيجاز .

٤ - حِكْمَةُ الْقِصَاصِ : قال الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ ۗ ﴾ ، إن الآية على نهاية الإيجاز الذي هو من أعلى طبقات الفصاحة مكانا ، وأحاطت الآية بمعان كثيرة مع وجازتها حتى لا يمكن حصرها واستنبط منها الفقهاء أحكاما كثيرة.

١٢١ سورة الإسراء ، الآية : ٢٣ .

١٢٢ سورة البقرة ، الآية : ١٧٣ .

١٢٣ سورة البقرة ، الآية : ١٧٧ .

١٢٤ سورة البقرة ، الآية : ١٧٩ .

٥ - الحيض وأحكامه : قال الله تعالى : ﴿ فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا

تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ۗ ﴾^{١٢٥} . لقد وقع الحذف البلاغي في

قوله تعالى " في الحيض " ، والمجروح بفي وقت وهو محذوف، تقديره: في زمن الحيض، وإذا لم يرع الإيجاز في الآية للزم الفساد في استنباط الأحكام من هذه الآية.

٦ - المحافظة على الصلوات في حالة الخوف : قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ

فَرَجَالًا أَوْ زُرُبَانًا ۗ ﴾^{١٢٦} ، قد وقع الحذف في هذه الآية ، لدلالة الإعراب عليه و لتصريحه من قبله ، و أما المحذوف فهو يُقَدَّرُ باحتمالين .

٧ - النهي عن بطلان الصدقة باليمن والأذى : قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْيَمَنِ وَالْأَذَى ۗ ﴾^{١٢٧} . قد روى المفسرون القولين في

رعاية الحذف وعدمه في الآية والأول هو قول المعتزلة أن الآية على الحذف ، والثاني وهو قول أهل السنة الذين قالوا : أنه لا حاجة إلى تقدير محذوف في الآية .

٨ - الرِّبَا و أضراره على الفرد و الجماعة : قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ

مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۗ ﴾^{١٢٨} ، لقد اجتمع العلماء على أن الآية

بجملة وفيها بلاغة الإيجاز واستنبط كل واحد منهم منها أحكاما على وجهين .

٩ - تعظيم رابطة القرابة و حق الرحم : قال الله تعالى في حقِّ الرحم : ﴿ وَاتَّقُوا

اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ ﴾^{١٢٩} ، قد فسّر المفسرون الآية على قراءة الجمهور

برعاية حذف المضاف على المعنى المصدرى .

^{١٢٥} سورة البقرة ، الآية : ٢٢٢ .

^{١٢٦} سورة البقرة ، الآية : ٢٣٩ .

^{١٢٧} سورة البقرة ، الآية : ٢٦٤ .

^{١٢٨} سورة البقرة ، الآية : ٢٧٥ .

^{١٢٩} سورة النساء ، الآية : ١ .

١٠ - المحارم من النساء : قال الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ^{١٣٠} ﴾ ، لقد وقع الحذف في الآية ، تقديره : حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ نِكَاحُ أُمَّهَاتِكُمْ واختلف علماء البلاغة في تسمية الدليل على الحذف في هذه الآية .

١١ - ميراث الكلالة و أحكامها : قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ^{١٣١} ﴾ ، إن آية ميراث الكلالة أصعب الفهم ، وسببه اختلاف المفسرين والفقهاء في تعيين المحذوف .

١٢ - عدة اليائسة و الصغيرة : قال الله تعالى : ﴿ وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ تَحِضْ^{١٣٢} ﴾ : قد بين الله تعالى عدة الصغيرة بإيجاز الحذف عطفًا على عدة اليائسة ، فحذف الخبر من الآية .

١٣ - أصول الأخلاق الإجتماعية : قال الله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ^{١٣٣} ﴾ : فهذه الآية على قمة الفصاحة والبلاغة ، إذ وقع الإيجاز وبذلك أصبحت من جوامع الكلم ، وانطوى تحتها كثير من مكارم الأخلاق .

١٤ - إعلان براءة الله و رسوله من المشركين : قال الله تعالى : ﴿ أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ^{١٣٤} ﴾ ، إن وقوع الحذف في الآية واضح وبذلك رعى المفسرون كلهم الحذف في تفاسيرهم ، وأما من لم يُحِظْ بمذاق أدبي فمن الممكن أن يؤدي إلى فساد في فهم المعنى المراد من الآية .

^{١٣٠} سورة النساء ، الآية : ٢٣ .

^{١٣١} سورة النساء ، الآية : ١٢ .

^{١٣٢} سورة الطلاق ، الآية : ٤ .

^{١٣٣} سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩ .

^{١٣٤} سورة التوبة ، الآية : ٣ .

١٥ - فضل المؤمن المجاهد على سُقَاةِ الْحَاجِّ وَعَمَرَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ : قال الله تعالى : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^{١٣٥}﴾ ، قد ورد في الآية التشبيه فظاهر الآية يقتضي تشبيه الفعل بالفاعل ، والصفة بالذات وأنه محال ، فلا بد من تعيين المحذوف وهو من وجهين ، إما في طرف المشبه وإما في طرف المشبه به .

١٦ - بيان الرضا بقسمة الله ورسوله ، وما يترتب على مخالفتها: قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^{١٣٦}﴾ ، إن في الآية حذف جواب الشرط لدلالة ظاهر الكلام عليه .

١٧ - إقدام المنافقين على اليمين الكاذب وبيان إرضاء الله : قال الله تعالى : ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ^{١٣٧}﴾ ، اختلف اللغويون في الضمير إلى ماذا يعود ، وفيها أقوال : أ- الضمير عائد إلى رسوله ﷺ والكلام جملتان حذف خبر الأولى ، ب- الضمير عائد إلى الله تعالى على أن المذكور خبر الجملة الأولى وخبر الجملة الثانية محذوف ، ج- إنه لا فرق بين إرضاء الله تعالى وإرضاء الرسول ﷺ ، وجُعلا كشيء واحد لتلازمهما، واكتفي بذكر أحدهما عن الآخر .

١٨ - الطريق الوسط بالصلاة : قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا وَابْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا^{١٣٨}﴾ ، إن الآية على حذف مضاف، تقديره: قراءة الصلاة، فرعاية الإيجاز هنا تؤيد في تعيين المعنى المراد .

١٣٥ سورة التوبة ، الآية : ١٩ .

١٣٦ سورة التوبة ، الآية : ٥٩ .

١٣٧ سورة التوبة ، الآية : ٦٢ .

١٣٨ سورة الإسراء ، الآية : ١١٠ .

١٩ - حذف جواب "لولا" ليدلّ تهويله على التّفخيم : قال الله تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾^{١٣٩} وحذف جواب "لولا" لتذهب النفس كلّ مذهبٍ ممكنٍ في تقديره بحسب المقام لتهويله حتى كأنه لا توجد عبارة تحيط ببيان أضراره .

٢٠ - المبحث العشرون : قذف المحصنات : قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ

الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةً﴾^{١٤٠} ، نرى في الآية أثر الإيجاز غير مرة وهو الحذف الذي له أهمية كبيرة في تعيين المعنى المراد وإذا لم يُرَع به لَوَقَعَ الفساد في تعيين المعنى المراد ويمكن الخطأ في إجراء حد القذف .

٢١ - الخبيثات للخبيثين و الطيبات للطيبين : قال الله تعالى : ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾^{١٤١} ، إنه يتضح من ظاهر الآية أنه وقع الحذف فيها ولا بد من تعيين محذوفه لأن الأسماء "الخبيثات" و"الخبيثون" و"الطيبات" و"الطيّبون" وقعت صفاتٍ لموصوفٍ محذوفٍ ، وذهب المفسّرون في تقديره إلى الاحتمالين .

الفصل الثالث : أثر الإيجاز البلاغي في العبادات

وفيه ستة مباحث وكل مبحث منها مبني على الآية ذات الإيجاز^{١٤٢} وهي :

١ - حُكْم العزيمة و الرخصة في فرضية الصيام : قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾^{١٤٣} . إن هذه الآية تشتمل على الموضوعين نرى أثر الإيجاز البلاغي فيهما :

^{١٣٩} سورة النور ، الآية : ١٠ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢١ .

^{١٤٠} سورة النور ، الآية : ٤ .

^{١٤١} سورة النور ، الآية : ٢٦ .

^{١٤٢} راجع : البحث ، ص : ٣١٦-٣٤٤ .

^{١٤٣} سورة البقرة ، الآية : ١٨٤ .

إن قوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ على الحذف ، تقديره : من كان منكم مريضا فأفطر أو على سفر فأفطر ، ثم الآية ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ على حذف حرف النفي، تقديره: لا يطيقونه، قد تُسْتَنْبَط من الآية أحكام على مذهبين برعاية الإيجاز .

٢ - حكم الهدى حالة الإحصار في الحج : قال الله تعالى : ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ^{١٤٤}﴾ ، إن الآية على غاية الإيجاز بسبب الحذف ، وإذا لم يُرْعَ الحذف في الآية لأدى إلى الفساد في فهم المعنى المراد .

٣ - تحريم الصلاة في حالة السكر : قال الله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى^{١٤٥}﴾ ، إن في " لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ " مذهبان في رعاية الحذف وعدمها وهما : أ- إن في الآية حذف المضاف، تقديره: مواضع الصلاة . ب- إنه لا حذَف في الآية، والنَّهْي عن قُرْبَان نفس الصلاة في هذه الحالة .

٣ - فرضية الوضوء و التيمم : قال الله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ^{١٤٦}﴾ ، لو أن ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة مُحَدَّث وغير مُحَدَّث ولكن حذفت الجملة من الآية ، والتقدير : إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم مُحَدَّثون، فلو لم يُرْعَ الحذف لوجب الفساد .

٤ - أجمع آية في القرآن للخير و الشر : قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ^{١٤٧}﴾ ، قد بين الله تعالى في هذه الآية كل المأمورات والمنهيات ، والآية على قمة البلاغة من الإيجاز الجامع ، و احتوت على دعائم الحياة الإسلامية وركائزها .

^{١٤٤} سورة البقرة ، الآية : ١٩٦ .

^{١٤٥} سورة النساء ، الآية : ٤٣ .

^{١٤٦} سورة المائدة ، الآية : ٦ .

^{١٤٧} سورة النحل ، الآية : ٩٠ .

٥ - تقدير حذف في البسملة :اتفق النحاة وأهل البلاغة على أن في البسملة حذفاً ، واختلفوا في تقديره ، والذين قدّروا متعلق الباء محذوفاً متقدّماً ، هم النحاة والذين قدّروه متأخراً ، هم أهل البلاغة ولكل واحدٍ منهم أغراض فيه .
وكان الغرض من هذا العرض كله هو تلخيص المباحث الواردة في البحث موجزاً ليسهل تناولها في الوقت القليل .

الاقتراحات والقرارات حول الموضوع

وأما من جهة الاقتراحات فأرى أنه موضوع جدير ببحوث عديدة يُحصى فيها الباحثون مواضع الإيجاز البلاغي في القرآن الكريم فليبينوا صلته بالأحكام الشرعية والحياة اليومية وليستعرضوا أثره في العلوم المختلفة التي نشئت وترعرعت تحت ظل تأثير الوحي القرآني .
وذلك لأنه شاع الإيجاز البلاغي شيوعاً لاحصر له في القرآن الكريم ، إذ لم تكذُ تخلو منه سورة من سورته ولا آية من آياته ، والمعاني التي يدل عليها الإيجاز البلاغي في القرآن تكاد تُعدّل ربع معاني القرآن أو أكثر ، وهو منهج واسع وحكيم من مناهج اللغة العربية وله مقامات ومقتضيات ذات الأهمية الكبيرة ، فنظراً إلى أهمية الإيجاز البلاغي في النصوص الإسلامية يمكن للباحثين أن يختاروا موضوعاً من المواضيع التالية :

- ١ - الإيجاز البلاغي في الأحاديث النبوية وأثره في الأحكام الشرعية .
 - ٢ - الحذف البلاغي في القرآن الكريم بين قائله ومعارضيه .
 - ٣ - الحذف البلاغي في القرآن الكريم عند ابن تيمية و ابن قيم .
 - ٤ - حذف الأسماء والأفعال في القرآن الكريم واختلاف المفسرين في رعايته .
 - ٥ - حذف التركيب في القرآن الكريم واختلاف المفسرين في رعايته .
 - ٦ - مواضع الحذف التي ذُكرت محذوفاتها في آيات مماثلة للقرآن الكريم .
- وبعد ما قدمت ما استطعت من جهد متواضع في هذا المجال، أسأل الله العظيم أن يُنفع به ، وأن يدخر عنده مع القبول ، ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، وهذا جهد البشر، فما وافق الحق والصواب فبتوفيق من الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي و تقصيري .
والله الحمد على ما منّ به عليّ أولاً وآخراً، فسيحان الله رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية
- ٣ - فهرس الأعلام المترجمة في الحواشي
- ٤ - فهرس الأبيات الشعرية
- ٥ - فهرس الأمثال
- ٦ - فهرس الموضوعات
- ٧ - فهرس المصادر و المراجع

الآية	رقمها	رقم الصفحة
<u>سورة الفاتحة</u>		
﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٥	١٤٦
﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٤-٣	١٦٥
<u>سورة البقرة</u>		
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ.....﴾	٣-٢	١٩٦
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	٣	٧٩
﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمَى﴾	١٨	٦٩
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾	٢٠	١٨٤
﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	٣٥	٨٠
﴿يَنبِئُ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ.....﴾	٤٠	١٤٦
﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾	٦٤	١١٨
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ.....﴾	٨٣	٢٧٥، ٢٤٠
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ﴾	١٠١	٢٢٢، ٦٣
﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾	١٥٢	١٦٨
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ.....﴾	١٦٤	١٠٥، ١٠٤
﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ.....﴾	١٧١	٨٤
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ.....﴾	١٧٣	٢٤٢
﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.....﴾	١٧٧	٢٩٦
﴿ءَاتَى أَمْالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ.....﴾	١٧٧	٢٤٨
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾	١٧٩	٢٥٣، ١١٩، ٤٧، ٤٥
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كِتَابٌ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا.....﴾	١٨٤، ١٨٣	٣١٧-٣١٦
﴿فَمَنْ كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ.....﴾	١٨٤	٣٢٥، ٣١٨، ٢٤٦

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾	١٨٥	١٩٦-١٩٧، ١٩٨
﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾	١٩٣	٢٢٥
﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ.....﴾	١٩٦	٣٢٦، ٣٢٥
﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِمَاءٍ أَدَىٰ مِنْ رَأْسِهِ.....﴾	١٩٦	٣٢١، ٢٤٦
﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعَلَمُوا.....﴾	٢٠٩	٢١٩
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ.....﴾	٢١٠	٢١٩، ٢١٧، ٢١٣، ٢١٩، ٢٢٢
﴿وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾	٢١٩	٢٨٨
﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا.....﴾	٢٢٢	٢٥٦، ٢٥٧
﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾	٢٢٤	١٠٧
﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ﴾	٢٣٣	٨٠
﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ.....﴾	٢٣٨-٢٣٩	٢٥٩، ٢٦٠
﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾	٢٣٩	٢٦٠
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾	٢٥٥	١٨٣
﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ...﴾	٢٧٥	٢٦٦
﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَىٰ.....﴾	٢٧٥	٢٧٤، ١٠٨، ١٠٧، ٢٦٧، ٢٧١
﴿وَإِنْ تُبْتِغُوا فَالْكُم رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ.....﴾	٢٧٩	٢٦٩
<u>سورة آل عمران</u>		
﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾	١٨	٣٣٣
﴿وَمِنَ النَّبِيِّينَ﴾	٢٠	١٧٩
﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ.....﴾	٢٦	١٧٩، ١٩٩، ٢٠٠
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾	٣١	٣٠٢

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	١١٧	١٦٩
﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾	١٥٩	٢٩١ ، ٨١
﴿ قَالُوا لَوْ تَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾	١٦٧	٦١
<u>سورة النساء</u>		
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾	١	٢٧٣
﴿ وَإِنْ كَانِ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلِئْلَةً أَوْ امْرَأَةً وَه... ﴾	١٢	٢٨٢ ، ٢٨٠
﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ... ﴾	٢٢	٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ١٠٩
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ... ﴾	٢٣	٢٧٨ ، ٢٧٦
﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾	٢٣	١٠٩
﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾	٣٤	٣٣٣
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ... ﴾	٤٣	٣٣١ ، ٣٢٦
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ... ﴾	٤٨	٢٧١ - ٢٧٠
﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾	٨٠	٣٠١
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾	٨١	١٤٧
﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ... ﴾	١٧١	٢٠١
﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ إِنَّ آخِرُكُمْ... ﴾	١٧٦	٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٠
﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾	١٧٦	٣٢٣ ، ٢٨٥
<u>سورة المائدة</u>		
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَّةُ... ﴾	٣	٢٤٣ ، ٥٨
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ... ﴾	٦	٣٣٢
﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ... ﴾	١٥-١٦	٣٠١
﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾	٧٣	٢٠٤ ، ٢٠٢

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾	٩٥	١٠٩
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُواهُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾	١٠٨	١٤٨
﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	١١٦	٢٠١
<u>سورة الأنعام</u>		
﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾	١٣	١٤٨ ، ٧٩
﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾	٢٧	٦٧
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدَىٰ﴾	٣٥	١٨٤
﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٤٩	٧١
﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾	٦٧	١٣٧
﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾	٨٢	١٠٩
﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾	١١٩	٢٤٧
﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾	١٤٨	١٨٥
﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	١٤٩	١٨٢
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا.....﴾	١٦٠	٢٦٥
<u>سورة الأعراف</u>		
﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُوهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾	٥٢	١٦٣
﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾	٥٤	١٢٠
﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْتَهُمْ بِدُنُوبِهِمْ﴾	١٠٠	١٨٥
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ.....﴾	١١٧	١٧٣
﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ.....﴾	١٢٧	١٤٨
﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾	١٣٣	١٦٣
﴿وَجَبَّوْنَا بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ.....﴾	١٣٨	١٤٩

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾	١٥٥	١٨٦
﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ.....﴾	١٥٦	٢٦٥
﴿إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ...﴾	١٦٠	٣١٧
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ...﴾	١٧٦	١٨٧ ، ١٨٦
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	١٩٩	٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ١٢١
<u>سورة الأنفال</u>		
﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾	١٧	٣٠١
﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ.....﴾	٣١	١٨٧
﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾	٣٨	٢٦٨
﴿وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾	٥٨	١١٠
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ.....﴾	٦٠	٢٢٥
<u>سورة التوبة</u>		
﴿بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ.....﴾	١	٢٩٣
﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ.....﴾	٣	٢٩٣ ، ٢٩٢
﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ...﴾	١٧-١٨	٢٩٧
﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾	١٩	٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾	٢٠	٢٩٤-٢٩٥
﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا...﴾	٣٤	٨٣
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.....﴾	٥٩	٢٩٨
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ.....﴾	٦٠	٢٤٨-٢٤٩
﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ.....﴾	٦٢	٢٩٩
﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ...﴾	٦٧	١٤٩

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٠١	٧٤	﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَيْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾
<u>سورة يونس</u>		
١٨٨-١٨٧	١٦	﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ....﴾
١٣١	٢٣	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَي أَنْفُسِكُمْ﴾
١٥٠ ، ٧٣	٢٥	﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾
١٤٢	٣٨	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ....﴾
١٨٨	٩٩	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا....﴾
<u>سورة هود</u>		
١٤٢	١٤-١٣	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ....﴾
١٢٢	٤٤	﴿وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَتْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي﴾
١٦٩	٧٩	﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتِ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ.....﴾
١٨٧	١٠١	﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾
٢٦٥	١١٤	﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾
٣٤١	٨٠	﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا....﴾
<u>سورة يوسف</u>		
٢٠٨	٢٩-٢٨	﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ....﴾
٢٠٨	٢٦	﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾
٢٠٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤	٢٤	﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِءٌ وَهَمَّ بِهَا....﴾
٢٠٩	٢٦	﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾
٦٨	٢٩	﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَن هَذَا﴾
٦٠	٣٠	﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾	٣٢	٦٠
﴿وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَوَسْوَسَ﴾	٣٢	٢٠٨
﴿وَلَيْنَ لَمَّا يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لِيَسْجَنَ وَلَيْكُونَ...﴾	٣٢	٦١
﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾	٣٣	٢٠٩
﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾	٣٨	٢٣٦، ٢٣٢
﴿قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقِنَ حَصْحَصَ.....﴾	٥١	٦١
﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾	٨٠	١١٢، ١١١
﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ﴾	٨٢	٢٣٥، ٢١٩، ٢١٤، ٥٦
﴿تَاللَّهِ تَفْتُوا﴾	٨٥	٦٣
﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾	١٠٠	٢٤١

سورة الرعد

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ﴾	٤	١٢٤
﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾	١١	١٦٩
﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ...﴾	٣١	٥٦

سورة الحجر

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ﴾	٥	١٧٠
﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَرِينَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾	٣٩	١٥٠
﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾	٩٤	١٢٥، ١٢٤

سورة النحل

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ...﴾	٦	١٧٠
﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ...﴾	٩	٢١٠، ٢٠٩
﴿جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾	١٥	٣٢٣

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٧٠	١٩	﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾
٢١١	٢٦	﴿ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾
٥٨	٣٠	﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾
٢٢٢، ٢١٧، ٦٣	٣٣	﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رِبِّكَ ﴾
٢١٠	٣٥	﴿ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾
٢١١	٣٥	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا.... ﴾
٧٩	٨٠	﴿ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا ﴾
٢٠١، ١٩٧، ٧٨	٨١	﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَيبًا تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾
٣٣٦، ١٢٥، ٤٤	٩٠	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾
٣٣٤	٩٨	﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾
١٢٩، ١٢٨	١٢٥	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾
٢٩١	١٢٥	﴿ وَجَنِّدْ لَهُمْ بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ ﴾

سورة الإسراء (بني إسرائيل)

٢٧٥، ٢٤٠	٢٣	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾
١٥٠	٤١	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ... ﴾
١٣٠	٤٤	﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ... ﴾
١٧٩	٦٢	﴿ لئن أخرجتن ﴾
١٤٢-١٤١	٨٨	﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا... ﴾
٣٠٢	١١٠	﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ... ﴾

سورة الكهف

١٧٠	٦٤	﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْتَغِ ﴾
٧٨	٧٨	﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾	٨٢	٧٨
﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾	٩٧	٧٧
<u>سورة مريم</u>		
﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾	١٨	١٩٨
﴿أَنْ دَعَوَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًّا﴾	٩١	١٥١
<u>سورة طه</u>		
﴿طه ٥ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى.....﴾	٥-١	١٦٥
﴿قَالَ رَبُّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾	٤٥	١٧١
﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾	٤٩	٨٢
﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾	٥٠	١٧٢
﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾	٧٩	١٧٢
﴿فَقُلْنَا يَتَّخِذُ مِنْ هَذَا عَدُوًّا لَكَ وَلِزَوْجِكَ.....﴾	١١٧	١٧٢
<u>سورة الأنبياء</u>		
﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَوَاً لَآتَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا.....﴾	١٧	١٨٣
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِاهِلَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	٢٢	١١٣، ٨١
﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُم﴾	٥٧	٦٣
<u>سورة الحج</u>		
﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا.....﴾	٥	١٥٢
﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا.....﴾	٣٠-٣١	١٥٢
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَدَمَتْ.....﴾	٤٠	٣٣٠، ٣٢٧، ٨٠

الآية	رقمها	رقم الصفحة
<u>سورة المؤمنون</u>		
﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾	٣	٢٩٢
﴿ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ... ﴾	٩١	٢٢٦، ١١٣
<u>سورة النور</u>		
﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ... ﴾	٣	٣١٢، ٣٠٨
﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ... ﴾	٤	٣٠٧
﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ... ﴾	١٠	٣٠٦، ٣٠٥
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ... ﴾	٢١	٣٠٧-٣٠٦
﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ... ﴾	٢٦	٣١١، ٣١٠، ٣٠٩
﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ... ﴾	٣٣	٢٥١
﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ... ﴾	٥٢	١٣٠
<u>سورة الفرقان</u>		
﴿ قَالُوا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ أَكُتِّبَتْهَا فَهِيَ... ﴾	٥-٦	١٤١
﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾	٥١	١٨٩
﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾	٧٢	٢٩٢
<u>سورة الشعراء</u>		
﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾	٢	١٥٣
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾	١٢	١٧٣
﴿ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾	١٤	١٧٣
﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ قَالَ رَبِّ... ﴾	٢٣-٢٨	٧٠
﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾	٤٥	١٧٣
﴿ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ طَّ فَأَنْفَلَقَ ﴾	٦٣	٣١٧

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ﴾	٧٣	١٧٤
﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي.....﴾	٧٨-٨١	١٧٤
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾	١٠٨	١٧٤
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونُ﴾	١١٧	١٧٣
<u>سورة النمل</u>		
﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	٣٠	٤٢، ٦٢، ٣٣٩
﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	٦٢	١٧٥
<u>سورة القصص</u>		
﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾	٧٧	٢٤١
<u>سورة السجدة</u>		
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾	١٣	١٩٠
<u>سورة الأحزاب</u>		
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	٢٩١
﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ...﴾	٣٥	١٧٥
﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾	٦٢	٨٣
<u>سورة سباء</u>		
﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾	٤٥	١٧٥
<u>سورة فاطر</u>		
﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾	٤١	٢٨٥
﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّبِيُّ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾	٤٣	١٣١
<u>سورة الصفات</u>		
﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾	٥	١٩٧، ٧٩

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ﴾	٤٧	١٣٢
<u>سورة ص</u>		
﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ...﴾	٨	١٧٦
﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾	٦٥	٢٠٣
<u>سورة الزمر</u>		
﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ...﴾	٣	١٩٣
﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا...﴾	٤	١٨٣
﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا...﴾	٧١	٢٢٨
﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا...﴾	٧٣	٢٢٨، ٢٢٧، ٦٧
<u>سورة غافر (مؤمن)</u>		
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾	١٩	١٣٤
﴿وَيَنْقُومِ الرِّبِّيُّ إِذَا خَافَ عَلَيْكَ يَوْمَ التَّنَادِ﴾	٣٢	١٧٦
<u>سورة فصلت</u>		
﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا...﴾	١٤	١٩١
<u>سورة الشورى</u>		
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ...﴾	٧	١٥٣
﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾	٢٣	٢٧٥
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ...﴾	٢٤	١٩٢، ١٩١
<u>سورة الزخرف</u>		
﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا...﴾	٥	١١٤
﴿فَأِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾	٤١	١٥٤
﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾	٧١	١٣٦، ١٣٥
﴿وَنَادُوا يَمْمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّنَا﴾	٧٧	٧٦

الآية	رقمها	رقم الصفحة
<u>سورة الأحقاف</u>		
﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ...﴾	٨	١٤١
<u>سورة محمد</u>		
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾	١٩	٢٢٩
﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾	٢١	٥٦
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ...﴾	٢٢	٢٧٥
<u>سورة الفتح</u>		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾	١٠	٣٠١
<u>سورة الحجرات</u>		
﴿يَتَّيَبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ...﴾	١	١٥٤
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾	٥	٢٩٨
<u>سورة ق</u>		
﴿ق وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ...﴾	٢-١	١٦٥-١٦٦
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ...﴾	٢١-١٦	١١٦
<u>سورة الطور</u>		
﴿وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ...﴾	٤-١	١٦٥
﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ...﴾	٣٣-٣٤	١٤١
<u>سورة النجم</u>		
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾	٣-٤	٣٠١
<u>سورة القمر</u>		
﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾	٣	١٣٧
﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾	١٦	١٧٧
﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾	١٨	١٥٥

الآية	رقمها	رقم الصفحة
<u>سورة الواقعة</u>		
﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطْبًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾	٦٥	١٩٢
﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْتَنَّهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾	٧٠	١٩٣
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾	٧٥	٢٣١
<u>سورة المجادلة</u>		
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ.....﴾	١١	١٥٥
<u>سورة الحشر</u>		
﴿وَمَا ءَاتَنكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾	٧	٣٣٥
<u>سورة الجمعة</u>		
﴿ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾	٨	٦٩
﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾	١١	٨٢
<u>سورة المنافقون</u>		
﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا.....﴾	٤	١٥٦
<u>سورة الطلاق</u>		
﴿وَأَلَّتْ يَبِيسَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ﴾	٤	٢٨٦
<u>سورة الملك</u>		
﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ﴾	٣	١١٣
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	١٥٦
﴿أَفَمَنْ يَمْسِي مَكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ ءَاهْدَىٰ أَمَّن.....﴾	٢٦	٨٥
<u>سورة القلم</u>		
﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ....﴾	٤٢	١٧٧
<u>سورة الحاقة</u>		
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ.....﴾	٤١-٤٣	١٤١

رقم الصفحة	رقمها	الآية
<u>سورة القيامة</u>		
٦٣	١	﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾
٢٣٠	٣-١	﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ ...﴾
١٧٧	٣٨	﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ فَخْلَقٍ فَسَوَّى﴾
<u>سورة النازعات</u>		
٤٥-٤٤	٣١	﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا﴾
١٧٧	٣٩-٣٧	﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ...﴾
١٧٨	٤١-٤٠	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ۝ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ...﴾
١٩٨	٤٥	﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ نَّحْنُهَا﴾
<u>سورة عبس</u>		
١٣٧	٢١-١٧	﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ...﴾
<u>سورة البروج</u>		
٦٩	١٦	﴿فَعَالٌ لِّمَآ يُرِيدُ﴾
<u>سورة الأعلى</u>		
١٥٦	٢-١	﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾
<u>سورة الفجر</u>		
١٧٩-١٧٨ ، ٦٨	٤	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾
١٧٩-١٧٨	٩	﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾
١٧٩	١٦-١٥	﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ۝ وَنَعَّمَهُ ...﴾
٢١٩ ، ٢١٣ ، ٦٠	٢٢	﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾
<u>سورة الشمس</u>		
٦٦	١٣	﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
	<u>سورة الضحى</u>	
١٨٠، ١٧٢، ٦٨	٣	﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾
٢٣٢، ٢٣١	٧	﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾
	<u>سورة العلق</u>	
٣٤٢، ٣٤١	١	
	<u>سورة البيّنة</u>	
٦٣	٢	﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾
	<u>سورة العاديات</u>	
١٦٥	٥-١	﴿وَأَلْعَنَدَيْتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا﴾
	<u>سورة الكوثر</u>	
١٣٨	١	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾
	<u>سورة الكافرون</u>	
١٨٠	٦	﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	الحديث
٢٦٥	{ اتبع السيئة الحسنة تمحها }
٣٣٨	{ الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك }
٣٠	{ إذ قُلْتَ فَأَوْجِزْ }
٢٦٩	{ أَلَا إِنَّ كُلَّ رَبِّا مِنْ رَبِّا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، لَكُمْ رُعُوسٌ... }
٢٨٤	{ أَلَا أَنَّ الْآيَةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ فِي... }
٢٧٥	{ إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ تَقُولُ يَا رَبِّ إِنِّي قُطِعْتُ... }
٣٢٠	{ إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ شَطْرَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ }
٢٥٩	{ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ أَنْ تَعْتَرِلُوا بِمَجَامِعَتِهِنَّ إِذَا حَضَرَ وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ... }
٢٤٤، ٥٩	{ إِنَّمَا حُرِّمَ أَكْلُهُ }
٢٧٥	{ إِنَّ هَذِهِ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ اللَّهُ... }
٣٣٦، ١٢٦	{ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ }
٣١٩	{ أَنَّ حَمْرَةَ بِنْتِ عَمْرِو الْأَسْلَمِيِّ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ... }
٣٢٠	{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ لِلْيَلْتِنِ... }
٣٢٠	{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يُظَلُّ عَلَيْهِ وَالزَّحَامُ... }
٣٣٣	{ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الصَّلَوَاتِ يَوْمَ الْفَتْحِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ... }
١٢٨-١٢٧	{ جَاءَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ... }
٢٨٤	{ "خَطَبَ عُمَرُ ﷺ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ... }
٩٣، ٤٣	{ خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا }
٣١٩	{ سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ فَمِنَّا الصَّائِمُ... }
١٣٦، ٦٧	{ قَالَ اللَّهُ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ... }
٣٤١، ٣٤٠	{ كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يَبْدَأُ فِيهِ... }
٨١	{ كُلُّ مَسْكِرٍ حَرَامٌ }

رقم الصفحة	الحديث
٣٣٢	{ لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ }
٣٢٤	{ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» كَانَ مَنْ... }
٣٢١ ، ٣١٨	{ لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ }
٢٦٦-٢٦٥	{ مَنْ هَمَّ بِالْحَسَنَةِ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَسَنَةً وَمِنْ... }
٢٠٦	{ مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تَكْتُبْ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا }
٤	{ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ }
٧٣	{ مَا رَأَيْتُ مِنْهُ وَلَا رَأَى مِنِّي }
١٩٩ ، ٨٠	{ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ }
٢٧٥	{ وَمَا مِنْ طَاعَةٍ لِلَّهِ شَيْءٌ أَعْجَلُ ثَوَابًا مِنْ صَلَاةِ الرَّحْمَنِ... }

فهرس الأعلام المترجمة في الحواشي

الجرجاني = عبدالقاهر بن عبدالرحمن : ٥٦

حرير بن عبدالله : ٣٠

جعفر بن محمد الباقر رحمه الله : ٢٨٢

حرف الحاء

حسن البصري رحمه الله : ٣٢٧

حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنها : ٣٣٧

حرف الخاء

الخفاجي = عبدالله بن محمد : ٣٣

حرف الراء

الرازي = فخر الدين محمد بن عمر : ٣٦

الرازي = محمد بن أبي بكر اللغوي : ٣٢

راغب الأصفهاني = حسين بن محمد : ١٠٨

الرماني = علي بن عيسى : ٣٧

حرف الزاء

الزبيدي = محمد بن محمد : ٣١

الزجاج = إبراهيم بن السري بن السهل : ٨٥

الزحيلي = وهبة بن مصطفى : ٢٨٣

الزركشي = محمد بن بهادر : ٥٤

الزحشيري = محمود بن عمر بن محمد : ٢٦٧

الزُّهري = أبو بكر محمد بن مسلم : ٢٥٢

حرف السين

السرخسي = محمد بن أحمد بن سهل : ٣٢٢

حرف الهمزة

ابن الأثير = محمد بن نصر الله بن محمد : ١٠

ابن الجوزي = عبدالرحمن بن علي : ١٧٩

ابن دريد = محمد بن الحسن : ٢٩

ابن عاشور = محمد بن الطاهر بن عاشور : ٢٢

ابن العربي = محمد بن عبدالله : ٣٤٩

ابن القيم = محمد بن أبي بكر : ١٠٥

ابن منظور = محمد بن مكرم : ٣٠

أبو حنيفة = نعمان بن ثابت : ٢٥١

أحمد بن فارس : ٣٢

الآلوسي = محمود بن عبدالله : ٣٠١

حرف الباء

الباقلاني = محمد بن طيب : ٣٧

البحثري = وليد بن عبيد : ٧٢

البعثري = حسين بن مسعود : ٢١٦

بنت شاطيء = عائشة عبدالرحمن : ٤٧

البيضاوي = عبدالله بن عمر : ٢١٨

حرف التاء

الثعالبي = عبد الرحمن بن محمد : ٢٣٣

الثعالبي = عبدالملك بن محمد : ١١٢

حرف الجيم

الجاحظ = أبو عثمان عمرو بن بحر : ٩٨

حرف الغين

الغزالي = محمد بن محمد : ١٠٦

حرف الفاء

الفراهيدي = خليل بن أحمد : ٢٩

حرف القاف

قدامة بن جعفر : ٤٣

القرطبي = أبو عبدالله محمد بن أحمد : ٢١٦

القزويني = محمد بن عبدالرحمن : ٣٥

حرف الميم

مالك بن أنس : ٢٥١

حرف الواو

وليد بن المغيرة : ١٢٧

حرف الياء

يزيد بن سنان : ٣٠

السكاكي = يوسف بن أبي بكر : ٣٤

سلمة بن عمرو بن سنان الأكوغ : ٣٢٤

سيبويه = عمرو بن عثمان : ٨٥

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنها : ٢٨٢

سعد الدين التفتازاني = مسعود بن عمر : ٣٥

حرف الشين

الشافعي = محمد بن إدريس : ٢٥٠

حرف العين

عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها : ٧٣

عبدالله بن أبي بن سلول : ٣١١

عبدالله بن العباس رضي الله عنها : ٢١٧

عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : ٤٤

عز الدين = عبدالعزيز بن عبدالسلام : ٢١٦

العسكري = حسن بن عبدالله : ٣٣

العلوي = يحيى بن حمزة : ٣٤

علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ٧٦

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	رقم الصفحة
سُبْدِي لكَ أَيَّامٌ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ---- و يَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ	٤٣
عَجِبْتَ لَهُمْ إِذْ يَقْتُلُونَ نَفْسَهُمْ ---- وَمَقْتَلُهُمْ عِنْدَ الْوَغْيِ كَانَ إِعْذَارًا	٥٤
قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّودِ ---- دِ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلًا	٧٢
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ---- وَإِنْ خَالَهَا تُخْفِي عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ	٤٣
وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلٍّ ---- لِ النَّوْكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا	٣٦

فهرس الأمثال

المثل	رقم الصفحة
خُذِ اللَّصَّ قَبْلَ أَنْ يَخُذَكَ	١١١
رُبَّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ	٧٠
الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ	٤٥،٤٦،٤٧،٤٨،٢٥٤

المصادر و المراجع

القرآن الحكيم

- ١- الإتقان في علوم القرآن ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ضبطه و صححه محمد سالم هاشم ، قديمي كتب خانه - كراتشي ، د . ت .
- ٢- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة و الجهمية ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ، الطبعة الأولى ١٩٨٤ م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٣- أحكام القرآن ، أبوبكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، مطبعة الأوقاف الإسلامية - القسطنطينية ، ١٣٣٥ هـ .
- ٤- أحكام القرآن ، أبوبكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، دارالمعرفة للطباعة والنشر - بيروت ، د . ت .
- ٥- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، مكتبة عبدالوكيل الدروبي - دمشق ، د . ت .
- ٦- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، الطبعة الرابعة ١٩٩٤ م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٧- الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، ابن عبد البر ، مطبعة مصطفى محمد - مصر ، ١٩٣٩ م ، ١٣٥٨ هـ .
- ٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عزالدين أبوالحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري المعروف بابن الأثير ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٣٧٧ هـ .
- ٩- الإصابة في تمييز الصحابة ، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مطبعة مصطفى محمد - مصر ، ١٩٣٩ م .
- ١٠- أصول الفقه تاريخه و رجاله ، الدكتور شعبان محمد إسماعيل ، الطبعة الأولى ١٩٨١ م ، ١٤٠١ هـ ، دار المريخ - الرياض .
- ١١- أضواء البيان (تفسير الشنقيطي) ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، عالم الكتب - بيروت ، د . ت .
- ١٢- الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق ، الدكتورة عائشة عبدالرحمن بنت الشاطي ، الطبعة الثانية ، دارالمعارف - القاهرة .

- ١٣- إعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي ، بتحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .
- ١٤- الإعجاز و الإيجاز ، أبو منصور عبدالمملك بن محمد إسماعيل الثعالبي ، بتشريح اسكندر آصاف ، الطبعة الأولى ١٨٩٧ م ، المطبعة العمومية - مصر .
- ١٥- إعراب القرآن ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن السهل الزجاج ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ م ، دار الكتاب اللبناني - بيروت .
- ١٦- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دارالعلم للملادين - بيروت ، ١٩٨٠ م ، و ١٩٨٤ م .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ، مطبعة الدار السعادة - مصر ، ١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٨ م .
- ١٧- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق سمير جابر ، الطبعة الثانية ، دارالفكر - بيروت .
- ١٨- أقسام القرآن ، حميد الدين فراهي ، مكتبة أنجمن خدام القرآن - لاهور ، باكستان ، ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م .
- ١٩- إنباء العُمَرِ بآبناء العمر ، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٠- الإنصاف في مسائل الخلاف ، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري ، دار الفكر ، دمشق ، د . ت .
- ٢١- أنوار الترتيل و أسرار التأويل (تفسير البيضاوي) ، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر البيضاوي ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر .
- ٢٢- أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك ، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري ، الطبعة الخامسة ١٩٧٩ م ، دار الجيل - بيروت .
- ٢٣- إيجاز البيان عن معاني القرآن ، محمد بن أبي الحسن النيسابوري ، تحقيق حنيف بن حسن القاسمي ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م ، دار الغرب الإسلامي - بيروت .
- ٢٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر الجزائري ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٥- الإيضاح ، محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني ، تعليق و تنقيح الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ، الطبعة الثانية ، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .

- ٢٦- البحر الرائق شرح كثر الدقائق ، زين الدين ابن نجيم الحنفي ، ام ايح سعيد كمبني - كراتشي ، باكستان ، د . ت .
- ٢٧- البحر المحيط (تفسير أبي حيان) ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م ، دار الكتب العلمية - بيروت ، و الطبعة الثانية ١٩٨٣م ، دار الفكر - بيروت .
- ٢٨- بحوث في علم المعاني ، د. عبدالجواد محمد طبق و د. عبد الحميد محمد العيسوي ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية - الزقازيق .
- ٢٩- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد عبدالله الزركشي ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث - القاهرة ، و الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، دار الفكر - بيروت .
- ٣٠- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، علاءالدين أبوبكر مسعود الكاساني ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م ، مركز أهل السنة - غجرات ، الهند .
- ٣١- بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق علي بن محمد بن عمران ، مجمع الفقه الإسلامي - جدة .
- ٣٢- بداية المجتهد و نهاية المقتصد ، محمد بن أحمد أبو الوليد ، ابن رشد ، دار نشر الكتب الإسلامية - لاهور ، باكستان .
- ٣٣- البداية و النهاية ، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن الكثير ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٣٤- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، مطبعة حكومة الكويت - الكويت ، ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م ، و دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٩٨٤م .
- ٣٥- تاريخ بغداد ، الحافظ أبوبكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، المكتبة السلفية - المدينة المنورة ، و دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م - بيروت .
- ٣٦- تبين الحقائق شرح كثر الدقائق ، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي ، مكتبة إمدادية - ملتان ، باكستان ، د . ت .

- ٣٧- التحبير في علم التفسير ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق فتحي عبدالقادر فريد ، دارالمنار - القاهرة ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .
- ٣٨- التحرير و التنوير (تفسير ابن عاشور) ، محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر - تونس ، ١٩٨٤ م .
- ٣٩- تذكرة الحفاظ ، أبو عبدالله محمد الذهبي ، الطبعة الأولى ١٩٨٠ م ، دار نشر الكتب الإسلامية - لاهور ، باكستان .
- ٤٠- تراجم المؤلفين التونسيين ، محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ١٩٨٢ م .
- ٤١- تفسير آيات الأحكام ، محمد علي الصابوني ، مكتبة نشر القرآن - بشاور ، باكستان ، و الطبعة الأولى ١٩٧١ م ، مكتبة الغزالي - دمشق .
- ٤٢- تفسير الجلالين ، جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر .
- ٤٣- تفسير روح البيان ، إسماعيل حقي البرسوي ، مكتبة المثنى - بغداد ، ١٣٣٠ هـ .
- ٤٤- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٤٥- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الملقب بفخر الدين الرازي ، مطبعة عبدالرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية - القاهرة ، و دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م - بيروت .
- ٤٦- التفسير المنير ، الدكتور وهبة الزحيلي ، مكتبة رشيدية - كويته ، باكستان .
- ٤٧- تلخيص المفتاح ، محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني ، مطبعة أمير - قم ، إيران ، ١٣٦٣ هـ .
- ٤٨- تنوير المقياس تفسير ابن عباس ، أبو طاهر بن يعقوب الفيروزآبادي ، المكتبة الفاروقية - ملتان ، باكستان ، د . ت .
- ٤٩- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، د. أحمد سعد محمد ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م ، مكتبة الآداب - القاهرة .

- ٥٠- تهذيب الأسماء و اللغات ، أبو ذكريا محي الدين بن شرف النسوي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، د . ت .
- ٥١- تهذيب التهذيب ، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ ، مجلس دائرة المعارف النظامية - حيدرآباد ، الهند .
- ٥٢- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، الطبعة الثانية ١٩٥٤م، مكتبة مصطفى الباي - مصر.
- ٥٣- الجامع الصحيح ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، الطبعة الأخيرة ١٩٥٢م ، مطبعة مصطفى الباي - مصر، والطبعة الثانية ١٩٦١م، قديمي كتب خانة - كراتشي، باكستان.
- ٥٤- الجامع الصحيح ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م ، دارالكتب العلمية - بيروت .
- ٥٥- الجامع الصحيح ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، و ايج ام سعيد كميني - كراتشي ، باكستان ، ١٩٨٤م .
- ٥٦- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكاتب العربي - القاهرة ، ١٩٦٧م .
- ٥٧- جهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي الشهير بابن دريد ، مكتبة المثنى - بغداد ، ١٣٥١هـ .
- ٥٨- جواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي ، تدقيق حسن نجار محمد ، مكتبة الآداب - القاهرة ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
- ٥٩- جواهر الحسان ، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، د . ت .
- ٦٠- حاشية الشهاب على البيضاوي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .
- ٦١- خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي ، تحقيق : عصام شعيتو ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م ، دار ومكتبة الهلال - بيروت .

- ٦٢- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر .
- ٦٣- خلاصة تذهيب تمهيد الكمال ، صفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي ، المكتبة الأثرية - سانكله هل ، باكستان ، د . ت .
- ٦٤- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٦٥- الدر المنثور في التأويل بالمأثور ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المطبعة الميمنية ١٣١٤هـ - مصر .
- ٦٦- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، علّق عليه محمود شاكر ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ودار الكتب العلمية - بيروت .
- ٦٧- دلائل النبوة ، أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٦٨- ديوان البحري ، الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، أبو عبادة البحري ، دارصادر - بيروت ، د . ت .
- ٦٩- ديوان طرفة ، طرفة بن العبد ، دار صادر - بيروت ، ١٣٨٠هـ ، ١٩٦١م .
- ٧٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي ، تصحيح محمد حسين العرب ، دار الفكر - بيروت ، ١٤١٧هـ ، ومكتبة الحقانية - ملتان ، باكستان ، د . ت .
- ٧١- زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م ، دار الفكر - بيروت .
- ٧٢- سبل الهدى والرشاد ، محمد بن يوسف الصالحى الشامى ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م ، دارالكتب العلمية - بيروت .
- ٧٣- سرفصاحة ، أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية - بيروت .

- ٧٤- السنن ، أبو داؤد سليمان بن الأشعث السجستاني ، ايح ام سعيد كميني - كراتشي ، باكستان ، د . ت .
- ٧٥- السنن ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، ابن ماجة ، قديمي كتب خانه - كراتشي ، باكستان ، وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر - بيروت .
- ٧٦- السنن ، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧ هـ ، ودار المحاسن للطباعة - القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- ٧٧- السنن ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، قديمي كتب خانه - كراتشي ، باكستان ، د . ت .
- ٧٨- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م ، دار الكتب العلمية - بيروت ، والطبعة الأولى ١٩٨٢ م ، مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ٧٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، حققه عبدالقادر الأناؤوط ومحمد الأرنؤوط ، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م ، دار ابن كثير - دمشق .
- ٨٠- شرح ابن عقيل ، بهاء الدين عبدالله بن عقيل ، الطبعة الثالثة ١٣٦٦ هـ ، انتشارات ناصر خسرو - طهران ، إيران .
- ٨١- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، عبدالله بن يوسف ابن هشام ، الطبعة الأولى ١٩٨٤ م ، الشركة المتحدة للتوزيع ، دمشق .
- ٨٢- شرح العقائد النسفية ، سعد الدين التفتازاني ، و بذيله ميزان العقائد ، مكتبة رحمانية - لاهور ، باكستان ، د . ت .
- ٨٣- شرح معاني الآثار ، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالمملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ، دارالكتب العلمية ، بيروت .
- ٨٤- شروح التلخيص ، سعد الدين التفتازاني ، وابن يعقوب المغربي ، وبهاء الدين السبكي ، أدب الحوزة ، قم ، إيران ، د . ت .
- ٨٥- شعب الإيمان ، أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م ، دارالكتب العلمية - بيروت .

- ٨٦- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ، تحقيق علي محمد البحايي ، دارالكتاب العربي - بيروت ، د . ت .
- ٨٧- صبح الأعشى ، أبو العباس أحمد القلقشندي ، المطبعة الأميرية - القاهرة، ١٩١٣ م .
- ٨٨- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م - القاهرة . والطبعة الأولى ١٩٩٩م ، دارإحياء التراث العربي - بيروت .
- ٨٩- صناعةُ الكتاب ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، تحقيق د. بدر أحمد ضيف ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م ، دارالعلوم العربية - بيروت .
- ٩٠- ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .
- ٩١- طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين أبونصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، مطبعة الحسينية المصرية بكفر الطماعين - مصر ، د . ت .
- ٩٢- طبقات الفقهاء ، أبو إسحاق الشيرازي ، هذبّه محمد جلال الدين المكرم ، الطبعة الأولى ١٩٧٠م ، دارالرائد العربي - بيروت .
- ٩٣- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري ، دارالصادر - بيروت ، ١٩٥٨م .
- ٩٤- طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدرنوي ، تحقيق سليمان بن صالح الخزي ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة .
- ٩٥- طبقات المفسرين ، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م ، دارالكتب العلمية - بيروت ، والطبعة الأولى ١٣٩٦هـ ، مكتبة وهبة - القاهرة .
- ٩٦- عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المطبعة الشرقية - مصر ، ١٣٠٥هـ .
- ٩٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدرالدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني ، دارالطباعة المنيرية - مصر ، د . ت .
- ٩٨- عون المعبود شرح سنن أبي داؤد ، محمد شمس الحق العظيم آبادي ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ، دارالكتب العلمية - بيروت .

- ٩٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٠٠- غريب الحديث ، أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيدالله بن حمادي بن أحمد بن جعفر ، تحقيق د.عبدالمعطي أمين قلعجي ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٠١- فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دارالفكر - بيروت ، ١٩٨٩م .
- ١٠٢- فتح القدير شرح الهداية ، جمال الدين محمد بن عبدالواحد ، مكتبة رشيدية - كويت ، باكستان ، د . ت .
- ١٠٣- الفقه الإسلامي و أدلته ، أ. د. وهبة الزحيلي ، الطبعة الرابعة ١٩٩٧م ، دار الفكر ، دمشق ، السورية .
- ١٠٤- الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ، إشراف لجنة تحقيق التراث ، مكتبة الهلال - بيروت .
- ١٠٥- الفوز الكبير في أصول التفسير ، الشيخ أحمد بن عبدالرحيم المعروف بشاه ولي الله الدهلوي ، قديمي كتب خانه - كراتشي ، باكستان ، د . ت .
- ١٠٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، محمد المدعو بعبدالرؤوف المناوي ، دارالمعرفة - بيروت ، د . ت .
- ١٠٧- القاموس المحيط ، مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الفكر - بيروت ، ١٩٧٨م .
- ١٠٨- القرآن و إعجازه العلمي ، محمد إسماعيل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، د . ت .
- ١٠٩- القواعد الكبرى ، عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م ، دار ابن حزم - بيروت .
- ١١٠- الكامل في التاريخ ، أبوالحسن علي بن عبدالله الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، دارالفكر - بيروت ، ١٩٧٨م .
- ١١١- الكتاب ، سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م ، عالم الكتب - بيروت .

- ١١٢- كتاب الإشارة إلى المجاز في بعض أنواع المجاز ، عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م ، دارالكتب العلمية- بيروت ، ومكتبة توحيد وسنة - بشاور .
- ١١٣- كتاب الأم ، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي ، دارالفكر- بيروت ، ١٩٩٠م .
- ١١٤- كتاب الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ، تحقيق علي محمد البحايوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الباي الحلبي - القاهرة ، ١٩٧١م .
- ١١٥- كتاب الطراز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني ، مراجعة وتدقيق محمد عبدالسلام شاهين ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م ، دارالكتب العلمية - بيروت .
- ١١٦- كتاب العين ، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق د.مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي ، دارالهجرة - قم ، إيران ، ١٤٠٥هـ .
- ١١٧- كشف الظنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د.ت.
- ١١٨- كثر العمال ، علاءالدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ١١٩- لباب التأويل و معاني التزويل ، الخازن ، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر ، نعمانية كتب خانة - لاهور ، باكستان ، د . ت .
- ١٢٠- اللباب في علل البناء و الإعراب ، أبوالبقاء محب الدين عبدالله بن الحسين العسكري ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م ، دارالفكر - دمشق .
- ١٢١- اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م ، دارالكتب العلمية - بيروت .
- ١٢٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر- بيروت ، د . ت .
- ١٢٣- لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، الطبعة الثانية ١٩٧١م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت .
- ١٢٤- الميسوط ، شمس الدين السرخسي محمد بن أحمد بن سهل ، دار المعرفة - بيروت ، ١٩٨٩م .

- ١٢٥- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، ابن الأثير ، أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم ، تعليق د.أحمد الحوفي و د.بدوي طبانة ، الطبعة الثانية ، دار نهضة مصر - الفجالة القاهرة ، المطبعة العامرة ببولاق - القاهرة ، ١٢٨٢ هـ .
- ١٢٦- مجاز القرآن ، أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المُنْتَنِي التميمي ، مكتبة الخانجي - مصر ، ١٩٥٤ م .
- ١٢٧- مجلة مجمع اللغة العربية ، رئيس التحرير إبراهيم التريزي ، الجز السادس و الثلاثون ، ذوالقعدة ١٣٩٥ هـ ، نوفمبر ١٩٧٥ م - القاهرة .
- ١٢٨- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، الطبعة الثانية ٢٠٠٤ م ، دارالكتب العلمية - بيروت .
- ١٢٩- المجموع شرح المهذب ، أبو زكريا محي الدين شرف النووي ، دارالفكر ، د . ت .
- ١٣٠- المحتسب ، أبو الفتح عثمان بن جني ، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ١٩٦٩ م .
- ١٣١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م ، دارالكتب العلمية ، بيروت .
- ١٣٢- المحكم و المحيط الأعظم ، علي بن إسماعيل بن سيدة ، تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الأولى ١٩٧٣ م ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .
- ١٣٣- مختار الصحاح ، محمد بن أبوبكر بن عبدالقادر الرازي ، ترتيب السيد محمود خاطر ، دارنهضة مصر - القاهرة ، والطبعة التاسعة ١٩٦٢ م ، الهيئة العامة الأميرية - القاهرة .
- ١٣٤- مختصر المعاني ، مسعود بن عمر بن عبدالله المعروف بسعدالدين التفتازاني ، مكتبة رشيدية - كوتة ، باكستان ، ١٣٥٩ هـ .
- ١٣٥- مدارك التزويل و حقائق التأويل (التفسير النسفي) ، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ، ضبطه إبراهيم محمد رمضان ، قديمي كتب خانة - كراتشي ، باكستان ، د . ت .
- ١٣٦- المستدرک علی الصحیحین ، أبو عبدالله الحاكم نيسابوري ، مطبعة دارالفكر - بيروت ، ١٩٧٨ م ، والطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ن ١٩٨٦ م ، دار المعرفة - بيروت .
- ١٣٦- المسند ، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، الطبعة الأولى ١٩٦٩ م ، دار صادر - بيروت .

- ١٣٧- المصنّف ، أبو بكر عبدالرزاق بن حمّام ، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ، المكتب الإسلامي - بيروت .
- ١٣٨- المصنّف ، عبدالله بن أبي شَيْبَةَ ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - كراتشي ١٩٨٦ م .
- ١٣٩- معالم التزئيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، مكتبة إمدادية - ملتان ، باكستان .
- ١٤٠- مُعْتَرِكُ الأقران في إعجاز القرآن ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دارالفكر العربي - بيروت .
- ١٤١- معجم الأدياء ، ياقوت الحموي ، الطبعة الأخيرة ١٩٣٨ م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ١٤٢- المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ م ، تحقيق حمدي بن عبد الحميد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم - موصل ، العراق .
- ١٤٣- معجم المفسرين ، عادل نويهض ، الطبعة الثالثة ١٩٨٨ م ، مؤسسة نويهض الثقافية - بيروت .
- ١٤٤- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، الطبعة : ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، دار الفكر .
- ١٤٥- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د . ت .
- ١٤٦- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، دارالفكر - بيروت .
- ١٤٧- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين أبو أحمد عبدالله بن يوسف بن هشام ، الطبعة السادسة ١٩٨٥ م ، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دارالفكر - بيروت .
- ١٤٨- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد علي السكاكي ، الطبعة الأولى ١٩٣٧ م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر .

- ١٤٩- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، قديمي كتب خانة - كراتشي ، باكستان ، د . ت .
- ١٥٠- المفصل في علم العربية ، أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري ، دار نشر الكتب الإسلامية - لاهور باكستان ، د . ت .
- ١٥١- ملاك التأويل ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م ، دارالكتب العلمية - بيروت .
- ١٥٢- الموطأ ، مالك بن أنس ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٩٥٨ م .
- ١٥٣- النحو الوافي ، عباس حسن ، قديمي كتب خانة - كراتشي ، باكستان ، د . ت .
- ١٥٤- نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، الطبعة الأولى ١٩٤٨ م ، مكتبة الخانجي - مصر .
- ١٥٥- النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، أبو الحسن بن عيسى الرماني ، الطبعة الثالثة ١٩٧٦ م ، دار المعارف - مصر .
- ١٥٦- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، تحقيق د. نصرالله حاجي مفتي أوغلي ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ، دارصادر - بيروت .
- ١٥٧- وفيات الأعيان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق د. إحسان عباس ، الطبعة الثانية ١٣٦٤ هـ ، مطبعة أمير - قم ، إيران .
- ١٥٨- وهبة الزحيلي العالم والفقير والمفسر ، د. بدیع السيد اللحام ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م ، دارالقلم - دمشق .
- ١٥٩- الهداية ، المرغيناني برهان الدين علي بن أبي بكر ، ايچ ايم سعيد كمبني - كراتشي ، باكستان ، د . ت .
- ١٦٠- هدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٩٥١ م .

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٢
شكر وتقدير	٤
المقدمة	٦
أهمية الموضوع وسبب اختياره	٨
خطة البحث	١٣
المنهج المتبع في البحث	٢٣
الباب الأول : مفهوم الإيجاز	
الفصل الأول : مفهوم الإيجاز لغة واصطلاحاً	٢٨
المبحث الأول : الإيجاز لغة	٢٩
المبحث الثاني : الإيجاز اصطلاحاً	٣٣
المبحث الثالث : دواعي الإيجاز ومواقفه	٣٧
الإضطراب في تناول البلغاء للإيجاز والإطناب	٣٨
الفصل الثاني : أنواع الإيجاز	٣٩
<u>المبحث الأول : إيجاز القصر</u>	٤١
المطلب الأول : إيجاز المساواة	٤٢
المطلب الثاني : إيجاز التقدير	٤٤
المطلب الثالث : الإيجاز الجامع	٤٤
<u>المبحث الثاني : إيجاز الحذف</u>	٥٢
معنى الحذف	٥٣
الحذف لغة واصطلاحاً	٥٣
<u>أدلة الحذف</u>	٥٧
الدليل الحالي	٥٨
الدليل الشرعي	٥٨
الدليل العقلي	٦٠
دلالة العادة	٦٠
دلالة العقل على الحذف والشروع في الفعل على تعيين المحذوف	٦١

الصفحة	الموضوع
٦٢	دلالة اقتران الكلام بالفعل
٦٢	دلالة التصريح به في مقام آخر
٦٣	دلالة الصناعة النحوية
٦٥	<u>أسباب الحذف</u>
٦٦	الاختصار و الاحتراز
٦٦	التنبية
٦٧	التفحيم و الإعظام
٦٨	رعاية الفاصلة
٦٨	التخفيف
٦٨	صيانة اللسان عنه تحقيرا
٦٩	تعيّنه
٧٠	صيانته عن اللسان تشريفا
٧١	الإنكار عند الحاجة
٧١	بيان بعد الإجمام
٧١	إيقاع الفعل على صريح المفعول
٧٢	حذف المفعول تعميما اختصارا
٧٣	حذف المفعول لاستهجانته
٧٤	<u>أنواع الحذف</u>
٧٥	الاقتطاع
٧٨	الاكتفاء
٨٠	الاستدلال لشيئين بفعل واحد
٨١	الضمير و التمثيل
٨٢	اقتضاء الكلام لشيئين واقتصار على أحدهما
٨٢	أن يذكر شيئين ويعود الضمير إلى أحدهما
٨٣	الاحتباك
٨٦	الاختزال

الصفحة	الموضوع
٨٨	الفصل الثالث : الفرق بين الإيجاز والإطناب والمساواة
٨٩	الإيجاز والإطناب والمساواة عند علماء البلاغة
٩٢	متزلة الإيجاز والإطناب والمساواة في البلاغة
٩٣	متزلة المساواة في البلاغة
٩٣	متزلة الإطناب في البلاغة
٩٤	متزلة الإيجاز في البلاغة
٩٦	الإطناب افضل أم الإيجاز
	الباب الثاني : فلسفة الإيجاز القصر في الآيات القرآنية
١٠٢	الفصل الأول : فلسفة إيجاز التقدير في الآيات القرآنية
١٠٣	إيجاز القصر
١٠٣	إيجاز الجامع
١٠٤	المبحث الأول: بيان آيات مُلكِ الله ليتأمل الإنسان في قدرته وحكمته وتدييره..
١٠٧	المبحث الثاني : التأديب في الحلف بالله
١٠٧	المبحث الثالث : من جاءه موعظة من ربه فاتمها فله ما سلف
١٠٨	المعاني المستفادة من الآية
١٠٩	المبحث الرابع : الأمن الحقيقي
١١٠	المبحث الخامس : الحكم في الذين ينقضون العهد
١١١	المبحث السادس: حكاية اعتزال إخوة يوسف عن الناس ونجوهم فيما بينهم ...
١١٣	المبحث السابع : البرهان المنطقي على أساس التوحيد " لا إله إلا الله "
١١٣	الدليل الأول
١١٣	الدليل الثاني
١١٤	المبحث الثامن : سنة الله في المسرفين
١١٥	الفائدة المستفادة من الآية
١١٦	المبحث التاسع : تقرير خلق الإنسان و علمُ الله بأحواله
١١٧	الفصل الثاني : فلسفة الإيجاز الجامع في الآيات القرآنية
١١٨	فلسفة الإيجاز الجامع في الآيات القرآنية

الصفحة	الموضوع
١١٨	المبحث الأول:الدلالة على ركوب البحر غازيا وتاجرا ومُبْتَغِيًا لسائر المَنَافِع...
١١٩	المبحث الثاني : القصاص حياة
١٢٠	المبحث الثالث : الخلق و الأمر لله تعالى
١٢١	المبحث الرابع : أجمع آية في مكارم الأخلاق
١٢٢	المبحث الخامس: تصوير الحال لغرق قوم نوح مع الإيجاز من غير إخلال.....
١٢٤	المبحث السادس : الدلائل الواضحة على قدرة الله تعالى
١٢٤	المبحث السابع : الآية الجامعة في بيان مسئولية الرسالة
١٢٥	المبحث الثامن : أجمع آية في المأمورات و المنهيات
١٢٨	المبحث التاسع : الإرشاد في الدعوة
١٣٠	المبحث العاشر : أجمع آية في محامد الله تعالى
١٣٠	المبحث الحادي عشر:الآية الجامعة في بيان أسباب الفوز في الدنيا و الآخرة....
١٣١	المبحث الثاني عشر : من مكر بأخيه فعاد مكره عليه
١٣٢	المبحث الثالث عشر : صفة خمر أهل الجنة
١٣٤	المبحث الرابع عشر : تحذير الناس من خيانة النفس والأعين
١٣٤	الفائدة المستفادة من الآية رغم كونها وجيزة
١٣٥	المبحث الخامس عشر : صفةُ جَنَّةِ الخُلد
١٣٧	المبحث السادس عشر : أجمع آية على عواقب الدنيا والآخرة
١٣٧	المبحث السابع عشر:أجمع آية في الزجر و التوبيخ مع بيان رحمته تعالى للإنسان
١٣٨	المبحث الثامن عشر : البشرى بالخير الكثير
الباب الثالث : فلسفة إيجاز الحذف في الآيات القرآنية	
١٤٤	الفصل الأول : فلسفة قصد العموم في الآيات القرآنية
١٤٦	المبحث الأول : العموم في الاستعانة
١٤٦	المبحث الثاني :العموم في النعمة و الرهبة
١٤٧	المبحث الثالث :العموم في وكالة الله تعالى وحفظه إلى الخلق كله
١٤٨	المبحث الرابع : العموم في الحكم بتقوى الله
١٤٨	المبحث الخامس : جميع ما استقر وتحرك في العالمين لله سبحانه و تعالى

الصفحة	الموضوع
١٤٨	المبحث السادس : المجادلة بين فرعون و قومه في موسى و قومه
١٤٩	المبحث السابع : العموم في العتاب على بني إسرائيل لطلبهم أصناما لهم
١٤٩	المبحث الثامن : العموم في صفات المنافقين و المنافقات
١٥٠	المبحث التاسع : العموم في دعوة الله تعالى إلى دار السلام
١٥٠	المبحث العاشر : عاطفة الشيطان الثأرية و إقراره بها
١٥٠	المبحث الحادي عشر : القرآن تذكير
١٥١	المبحث الثاني عشر : حكاية قول الكافرين في إدعائهم للرحمان ولدا
١٥٢	المبحث الرابع عشر : الأمر بالاجتناب من الشرك
١٥٢	المبحث الثالث عشر : تخليق الإنسان من التراب بمراحل دليل على البعث
١٥٣	المبحث الخامس عشر : القرآن كتاب مبين و موضح
١٥٣	المبحث السادس عشر : من غايات نزول القرآن الإنذار
١٥٤	المبحث السابع عشر : إن الله تعالى ينتقم من الكافرين
١٥٤	المبحث الثامن عشر : رعاية الأدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ
١٥٥	المبحث التاسع عشر : تكذيب عاد هود - عليه السلام - سبب في تعذيبهم ..
١٥٥	المبحث عشرون : الإفساح في المجالس سبب إلى الإفساح في الدنيا و الآخرة...
١٥٦	المبحث الحادي والعشرون : بيان ظاهر حال المنافقين
١٥٦	المبحث الثاني والعشرون : إن الله خالق الأشياء كلها
١٥٧	المبحث الثالث والعشرون : العموم في التقدير و الهداية من الله
١٥٨	الفصل الثاني : رعاية الفاصلة
١٦٠	المدخل
١٦١	المطلب الأول : السجع لغة
١٦٢	المطلب الثاني : السجع في الاصطلاح
١٦٢	المطلب الثالث : الفواصل لغة
١٦٣	المطلب الرابع : الفواصل اصطلاحا
١٦٤	المطلب الخامس : الفرق بين الفواصل ورؤوس الآيات
١٦٤	المطلب السادس : الفرق بين الفواصل و السجع

الصفحة	الموضوع
١٦٤	المطلب السابع : ورود الفواصل في القرآن
١٦٨	المبحث الأول : الأمر بذكر الله و بالشُّكْرِ لَهُ
١٦٩	المبحث الثاني : أن الله لا يظلم عباده
١٦٩	المبحث الثالث : مجادلة قوم لوط معه عليه السلام
١٦٩	المبحث الرابع : و ما من ولي من دون الله تعالى
١٧٠	المبحث الثامن :المقام المطلوب من موسى -عليه السلام- للقاء مع العبد الصالح....
١٧٠	المبحث السادس : ذِكْرُ جمال الأنعام عند رَوْحِهَا بالعشي و سرحها بالغداة.....
١٧٠	المبحث السابع : إن الله محيط بعلمه السرِّ و الجهر
١٧٠	المبحث الخامس : الأجل لا يسبق و لا يتأخر
١٧١	المبحث التاسع:التوجيهات لموسى وهارون -عليهما السلام- في دعوة فرعون.....
١٧٢	المبحث العاشر : أن الله هدى كل شيء إلى مصالحه
١٧٢	المبحث الحادي عشر: إخراج آدم و زوجته - عليهما السلام - من الجنة
١٧٣	المبحث الثاني عشر : شكوى النبيين إلى الله في قومهما
١٧٣	المبحث الثالث عشر : عصاء موسى - عليه السلام - تلقف ما يأفكون
١٧٤	المبحث الرابع عشر : أصنام المشركين لا ينفعهم و لا يضرهم.....
١٧٤	المبحث الخامس عشر : ذكر إبراهيم - عليه السلام - نَعَمَ اللهُ تعالى عليه
١٧٤	المبحث السادس عشر : دعوة الأنبياء قومهم إلى طاعتهم
١٧٥	المبحث السابع عشر : الذاكرون لأنعم الله قليلون
١٧٥	المبحث الثامن عشر : وعد الأجر العظيم
١٧٥	المبحث التاسع عشر : عاقبة المكذبين
١٧٦	المبحث العشرون : إن الكافرين في شك عن العذاب
١٧٦	المبحث الحادي والعشرون : نصيحة الرجل المؤمن لفرعون و قومه
١٧٧	المبحث الثاني و العشرون : الإنذار من عذاب الله
١٧٧	المبحث الثالث والعشرون: الكفار لا يستطيعون السجود في الآخرة
١٧٧	المبحث الرابع والعشرون : خلق الله الإنسان من علقة ثم سوّاه
١٧٧	المبحث الخامس و العشرون : من طغى و آثر الحياة الدنيا فالجحيم مأواه

الصفحة	الموضوع
١٧٨	المبحث السادس والعشرون: من خاف مقام ربه فالجنة مأواه
١٧٨	المبحث السابع والعشرون : حذف الياء في الفواصل
١٧٩	المبحث الثامن والعشرون : الإنسان عجول يئوس
١٨٠	المبحث التاسع و العشرون : التسلية من الله للرسول ﷺ
١٨٠	المبحث الثلاثون : دين المسلمين التوحيد و دين الكافرين الإشراف
١٨١	الفصل الثالث :قصد البيان بعد الإبهام
١٨٤	المبحث الأول : الزجر و الوعيد على المنافقين
١٨٤	المبحث الثاني : لو شاء الله لجمع على الهدى جميع خلقه
١٨٥	المبحث الثالث : احتجاج المشركين على أن ما ارتكبه حق ومرضى عند الله ...
١٨٥	المبحث الرابع: التحذير للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب من كانوا قبلهم
١٨٦	المبحث الخامس : العفو عن موسى عليه السلام
١٨٦	المبحث السادس:قصة الرجل الذي صار من زمرة الضالين بعد أن كان مهتدياً ...
١٨٧	المبحث الثامن : الإبطال لدعوى الكفار أن القرآن ليس من عندالله
١٨٧	المبحث السابع : دعوى الكفار باستطاعة المعارضة للقرآن الكريم
١٨٩	المبحث التاسع : الإيمان لا يحصل إلا بمشيئة الله تعالى و بإرشاده وهدايته
١٨٩	المبحث العاشر : إن بعثة محمد ﷺ كرسول للعالم كله
١٩٠	المبحث الحادي عشر : مشيئة الله في هداية النفوس
١٩١	المبحث الثاني عشر : تعللات الكفار في التكذيب والإعراض عن الرسل
١٩١	المبحث الثالث عشر : الردُّ على مقالة الكفار
١٩٢	المبحث الرابع عشر : إن الله أنبت الزرع و أبقاه برحمته ولو شاء لجعله حطاما ...
١٩٣	المبحث الخامس عشر : التذكير بنعمة الماء
الباب الرابع : أثر الإيجاز البلاغي في الأحكام الشرعية	
١٩٥	الفصل الأول : أثر الإيجاز البلاغي في العقائد
١٩٦	المبحث الأول : القرآن هداية للمتقين الذين يؤمنون بالغيب
١٩٦	الإيجاز في الآية
١٩٧	رعاية الحذف في الآية و موقف المفسرين منها

الصفحة	الموضوع
٢١٠	الغرض من الحذف في الآية
٢١١	الإيجاز في الآية
٢١١	المبحث السادس : نسبة الإتيان و المجيء إلى الله
٢١١	القول الراجح
٢١٢	المذهب الأول
٢١٣	المذهب الثاني
٢١٤	أدلة أصحاب المذهب الأول
٢١٥	آراء المفسرين في الحذف
٢١٥	تأويل الإتيان برعاية الحذف
٢١٨	المذهب الثاني
٢٢٠	أدلة أصحاب المذهب الأول
٢٢١	آراء المفسرين في الحذف
٢٢١	تأويل الإتيان برعاية الحذف
٢٢٢	المذهب الثاني
٢٢٥	أدلة أصحاب المذهب الأول
٢٢٦	آراء المفسرين في الحذف
٢٢٦	تأويل الإتيان برعاية الحذف
٢٢٧	المبحث الثامن : كيفية جنة الخلد
٢٢٧	حكمة الإيجاز في الآية
٢٢٧	أثر رعاية الحذف و عدمها في فهم المعنى المراد
٢٢٨	القول الراجح
٢٢٩	المبحث التاسع : الإقرار بتوحيد الله
٢٢٩	الإيجاز في الآية و أثره في المعنى
٢٣٠	المبحث العاشر : يوم البعث
٢٣٠	الإيجاز في الآيات و آراء المفسرين
٢٣٠	أ - الاحتمال الأول

الصفحة	الموضوع
٢٣٠	ب - الاحتمال الثاني
٢٣٠	ج - الاحتمال الثالث
٢٣٠	القول الراجح
٢٣١	المبحث الحادي عشر : معنى الضلالة أثناء نسبتها إلى الرسل
٢٣٢	المطلب الأول
٢٣٤	المطلب الثالث
٢٣٤	المطلب الثاني
٢٣٥	القول الراجح
٢٣٧	الفصل الثاني : أثر الإيجاز البلاغي في المعاملات
٢٤٠	المبحث الأول : حكم الإحسان بالوالدين
٢٤٠	الإيجاز في الآية
٢٤٠	الأراء المختلفة في تقدير المحذوف
٢٤١	فقه الأحكام من الآية على رعاية الحذف
٢٤٢	المبحث الأول : حكم الإحسان بالوالدين
٢٤٣	الإيجاز في الآية
٢٤٣	الأراء المختلفة في تقدير المحذوف
٢٤٣	فقه الأحكام من الآية على رعاية الحذف
٢٤٤	تحليل أدلة المذهبين
٢٤٥	أثر رعاية الحذف و عدمها في الأحكام
٢٤٥	الحذف الثاني في الآية و أثره في المعنى
٢٤٦	المذهب الثاني
٢٤٦	المذهب الأول
٢٤٧	القول الراجح
٢٤٨	المبحث الثالث : الإنفاق في فك الرقاب
٢٤٩	الإيجاز البلاغي في الآيتين
٢٥٠	تعيين المعنى المراد من "في الرقاب" و أثره في الأحكام

الصفحة	الموضوع
٢٥٠	القول الأول
٢٥١	القول الثاني
٢٥١	القول الثالث
٢٥٢	القول الرابع
٢٥٢	القول الراجح
٢٥٣	الخلاصة
٢٥٣	المبحث الرابع : حِكْمَةُ الْقِصَاصِ
٢٥٣	بلاغة الإيجاز في آية القصاص و فضلها على قول العرب
٢٥٥	فقه الأحكام من آية القصاص
٢٥٦	المبحث الخامس : الْحَيْضُ وَ أَحْكَامُهُ
٢٥٦	دراسة الآية من ناحية الإيجاز البلاغي
٢٥٨	المبحث الخامس : الْحَيْضُ وَ أَحْكَامُهُ
٢٥٨	دراسة الآية من ناحية الإيجاز البلاغي
٢٥٩	رعاية الإيجاز و عدمها في تفسير الآية و أثره في الأحكام
٢٥٩	المبحث السادس : المحافظة على الصلوات في حالة الخوف
٢٦٠	الإيجاز في الآية
٢٦٠	التقدير الأول
٢٦٠	التقدير الثاني
١٦٠	أثر الإيجاز البلاغي في الأحكام
٢٦١	القول الراجح
٢٦٢	المبحث السابع : النهي عن بطلان الصدقة بِالْمَنْ و الأذى
٢٦٢	القولان في الآية في تثبيت الحذف و عدمه
٢٦٢	القول الأول
٢٦٢	القول الثاني
٢٦٣	أدلة المعتزلة على وجوب رعاية الحذف في الآية
٢٦٤	أدلة أهل السنة على حمل الآية على ظاهرها بعدم رعاية الحذف

الصفحة	الموضوع
٢٦٦	تحليل الآراء و القول الراجح
٢٦٦	المبحث الثامن : الربا و أضراره على الفرد والجماعة
٢٦٧	فقه الأحكام من الآية حسب آراء المفسرين
٢٦٨	الوجه الأول
٢٦٩	أدلتهم
٢٦٩	الوجه الثاني
٢٧٠	أدلتهم
٢٧١	تحليل الآراء
٢٧٢	الشبهة الأولى
٢٧٢	الشبهة الثانية
٢٧٣	القول الراجح
٢٧٣	المبحث التاسع : تعظيم رابطة القرابة و حق الرحم
٢٧٣	اختلاف القرآت في الآية
٢٧٤	الحذف في الآية بناء على قراءة الجمهور
٢٧٤	المعاني المصدرية برعاية الحذف و تثبتها في الكتاب و السنة
٢٧٦	القول الراجح
٢٧٧	المبحث التاسع : تعظيم رابطة القرابة و حق الرحم
٢٧٧	اختلاف القرآت في الآية
٢٧٧	الحذف في الآية بناء على قراءة الجمهور
٢٧٧	المعاني المصدرية برعاية الحذف و تثبتها في الكتاب و السنة
٢٧٨	أثر رعاية الحذف و عدمها في الأحكام
٢٨٠	المبحث الحادي عشر : ميراث الكلالة و أحكامها
٢٨٠	الصعوبة في فهم المراد و الإيجاز في الآيتين
٢٨١	الكلالة لغة و اصطلاحا
٢٨٢	أثر رعاية الحذف و عدمها في فهم المراد من آية الشتاء
٢٨٢	الدليل الأول

الصفحة	الموضوع
٢٨٢	الدليل الثاني
٢٨٣	أثر رعاية الحذف و عدمها في فهم المراد من آية الصيف
٢٨٥	مذهب البصريين في تعيين المحذوف
٢٨٥	مذهب الكوفيين في تعيين المحذوف
٢٨٥	تحليل الآراء في تقدير المحذوف و أثر عدم رعاية الحذف فيها
٢٨٦	المبحث الثاني عشر : عدة اليائسة و الصغيرة
٢٨٦	الحذف و التقدير في الآية
٢٨٦	الدليل على الحذف و تقدير المحذوف و سبب حذفه
٢٨٧	الحذف في الآية و فقه الأحكام منه
٢٨٧	المبحث الثالث عشر : أصول الأخلاق الإجتماعية
٢٨٨	الإيجاز البلاغي في الآية
٢٨٨	أ - الأخذ بالعموم
٢٨٩	ب - الأمر بالعرف
٢٨٩	ج - الإعراض عن الجاهلين
٢٩٠	أمر الإمتثال بالآية للمسلمين و فقه الأحكام منها
٢٩١	غوص المفسرين في الآية و أخذ المفاهيم منها
٢٩١	القسم الأول
٢٩١	القسم الثاني
٢٩٢	المبحث الرابع عشر : إعلان براءة الله و رسوله من المشركين
٢٩٣	الإيجاز البليغ في الآية و الإشارة إلى نكتة بليغة
٢٩٣	عدم رعاية الحذف في الآية و أثره في المعنى المراد
٢٩٤	المبحث الخامس عشر: فضل المؤمن المجاهد على سقاة الحاج و عمرة المسجد الحرام
٢٩٤	الاحتمال الأول والدليل عليه
٢٩٥	الاحتمال الثاني و الدليل عليه
٢٩٥	الإيجاز في الآية
٢٩٥	أ - ظاهرة الحذف في المشبه

الصفحة	الموضوع
٢٩٥	ب - ظاهرة الحذف في المشبه به
٢٩٦	أثر الإيجاز في فهم المعنى المراد من بين احتمالين
٢٩٦	سبب ترجيح الاحتمال المبني على الإيجاز
٢٩٨	المبحث السادس عشر: بيان الرضا بقسمة الله ورسوله، وما يترتب على مخالفتها ...
٢٩٨	الإيجاز البلاغي في الآية
٢٩٩	سبب الحذف في الآية و أثره في فقه الأحكام
٢٩٩	المبحث السابع عشر : إقدام المنافقين على اليمين الكاذب و بيان إرضاء الله
٣٠٠	الوجهات اللغوية و البلاغية في توحيد الضمير " يُرضوه "
٣٠٠	القول الأول
٣٠٠	القول الثاني
٣٠٠	القول الثالث
٣٠٠	القول الرابع و أدلته
٣٠٢	فقه الحياة
٣٠٢	النكتة البلاغية اللطيفة
٣٠٢	المبحث الثامن عشر : الطريق الوسط بالصلاة
٣٠٢	القول الأول
٣٠٣	القول الثاني
٣٠٣	القول الثالث
٣٠٣	القول الرابع
٣٠٣	الإيجاز في الآية
٣٠٣	أثر الإيجاز في المعنى
٣٠٤	الرجحان بين رعاية الإيجاز و بين الأقوال الأخرى
٣٠٥	المبحث التاسع عشر : حذف جواب "لولا" ليدلّ تهويله على التفخيم
٣٠٥	الغرض البلاغي في حذف جواب الشرط من الآية في المرة الأولى
٣٠٦	الغرض البلاغي في حذف جواب الشرط من الآية في المرة الثانية
٣٠٦	تقدير المحذوف و الأغراض البلاغية

الصفحة	الموضوع
٣٠٧	القول الراجح في تعيين المحذوف
٣٠٧	المبحث العشرون : قذف المحصنات
٣٠٧	الإيجاز البلاغي في الآية
٣٠٧	المحل الأوّل للحذف في الآية
٣٠٨	القرائن الدالة على تعيين المحذوف
٣٠٩	المحل الثاني للحذف في الآية
٣٠٩	المبحث الحادي والعشرون : الخبيثات للخبيثين و الطيبات للطيبين
٣٠٩	الإيجاز في الآية
٣٠٩	الاحتمال الأول في تقدير المحذوف
٣١٠	الاحتمال الثاني في تقدير المحذوف
٣١١	أثر الإيجاز في فهم المعنى المراد على الاحتمال الأول
٣١١	أثر الإيجاز في فهم المعنى على الاحتمال الثاني
٣١٢	الخلاصة في فهم المعنى المراد من الاحتمالين
٣١٢	اللطفة
٣١٤	الفصل الثالث : أثر الإيجاز البلاغي في العبادات
٣١٦	المبحث الأول : حُكم العزيمة و الرخصة في فرضية الصيام
٣١٧	الإيجاز البلاغي في الآية
٣١٧	موضع الحذف الأول
٣١٨	المذهب الأول
٣١٨	أدلتهم في استنباطهم
٣١٨	المذهب الثاني
٣١٩	أدلتهم في استنباطهم
٣٢١	تحليل الآراء للمذهبين
٣٢٢	موضع الحذف الثاني
٣٢٢	المذهب الأول
٣٢٢	أدلتهم

الصفحة	الموضوع
٣٢٣	المذهب الثاني
٣٢٤	أدلتهم
٣٢٤	تحليل الآراء للمذهبيين
٣٢٥	المبحث الثاني : حكم الهدي حالة الإحصار في الحج
٣٢٥	الإيجاز في الآية
٣٢٦	رعاية الحذف في الآية و أثره في فهم المعنى المراد
٣٢٦	المبحث الثالث : تحريم الصلاة في حالة السكر
٣٢٧	المذهب الأول و أدلته
٣٢٨	المذهب الثاني و أدلته
٣٢٨	المقارنة بين أدلة المذهبيين
٣٢٨	أسباب الترجيح عند الأحناف
٣٢٩	أسباب الترجيح عند الشوافع
٣٣٠	تحليل أدلة المذهبيين
٣٣٢	المبحث الرابع : فرضية الوضوء و التيمم
٣٣٢	الإيجاز في الآية
٣٣٢	الوجه الأول
٣٣٣	الوجه الثاني
٣٣٤	التحليل
٣٣٥	اللطيفة
٣٣٦	المبحث الخامس : أجمع آية في القرآن للخير و الشر
٣٣٧	فقه الأحكام
٣٣٧	الأوامر في الآية
٣٣٨	النواهي في الآية
٣٣٩	المبحث السادس : تقدير حذف في البسمة
٣٣٩	معنى البسمة
٣٣٩	الإيجاز البلاغي فيها

الصفحة	الموضوع
٣٣٩	مذهب النحاة
٣٤٠	أدلة النحاة القائلين بتقدم المحذوف
٣٤٠	مذهب أهل البلاغة
٣٤١	أدلة أهل البلاغة القائلين بتأخير المحذوف
٣٤٢	تحليل الآراء
٣٤٣	الإعجاز البياني في البسمة
٣٤٣	فلسفة الإيجاز البلاغي في البسمة
٣٤٥	خاتمة البحث ^٣ نتائجه
٣٧٨	الفهارس
٣٧٩	١ - فهرس الآيات القرآنية
٣٩٥	٢ - فهرس الأحاديث النبوية
٣٩٧	٣ - فهرس الأعلام المترجمة في الحواشي
٣٩٩	٤ - فهرس الأبيات الشعرية
٣٩٩	٥ - فهرس الأمثال
٤٠٠	٦ - فهرس المصادر و المراجع
٤١٣	٧ - فهرس الموضوعات